

رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز

تأليف

الإمام الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي

(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

دراسة وتحقيق

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الجزء السادس

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

يطلب من :



مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع

مكة المكرمة ـ العزيزية ـ مدخل جامعة أم القرى ت ـ ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس ـ ٥٥٧٥٢٤١

فرع العزيزية الشارع العام ت ـ ٥٢٧٣٠٣٧ ص . ب ٢٠٨٣

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ستون آية في العدد الكوفي، وستون إلا آية في العدد المدني، وهي مكية بالإجماع.

والسبب في نزولها: «أنه كان بين فارس والروم حرب، فغلبت فارس الروم، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ وأصحابه؛ لكون الروم أهل كتاب، وفرح المشركون بذلك؛ لما بينهم وبين فارس من الاشتراك في الإشراك والاتحاد في التكذيب بالمعاد. وقال كفار قريش لأصحاب محمد ﷺ: لئن قاتلتمونا لنظهرن عليكم كما ظهر إخواننا على إخوانكم، فأنزل الله تعالى: ﴿الٓمٓ * غلبت الروم * في أدنى الأرض... الآيات﴾ فخرج بها أبو بكر الصديق إلى المشركين فقالوا: هذا كلام صاحبكم فقال: الله أنزل هذا، وكانت فارس قد غلبت الروم حتى اتخذوهم شبه العبيد. فقالوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس، وكان الذي راهنه أبيّ بن خلف، وقيل: أبو سفيان بن حرب، وذلك قبل تحريم الرهان، فقالوا لأبي بكر: اجعل بيننا وبينك أجلاً ننتهي إليه، فسَمُّوا بينهم ست سنين، فلامَ المسلمون أبا بكر على تسمية الست، وقالوا: هلاَّ قررتها كما أقرّها الله تعالى، لو شاء الله أن يقول: ستاً لقال، فمضت الست قبل أن تظهر الروم، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهر الروم على فارس»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٤ ح ٣١٩٤) من حديث نيار بن مكرم الأسلمي، وأخرج الحاكم (٢/ ٤٤٥) نحوه عن ابن عباس وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والطبري =

وجاء في رواية أخرى: أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: ألا احتطت، فزاد في الخطر ومادّ في الأجل، فظهرت الروم على فارس، فأخذ أبو بكر رهانهم، وأتى ﷺ فقال: تصدق به، وأسلم عند ذلك خلق كثير[1].

الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧

قوله تعالى: ﴿غلبت الروم * في أدنى الأرض﴾ يعني: في أدنى أرض العرب؛ لأنها الأرض المعهودة عندهم.

قال ابن عباس: هي الأردن [و]فلسطين[2].

وقال عكرمة: أَذْرِعات وكَسْكَر[3].

=

(٢١/ ١٦-١٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٦). وانظر: الدر المنثور (٦/ ٤٧٩ وما بعدها).

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٧-٢٨٨)، وبنحوه السيوطي في الدر (٦/ ٤٧٩-٤٨٠) وعزاه لأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن البراء بن عازب.

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٢٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٨) كلاهما من قول السدي. وما بين المعكوفين زيادة من المصدرين السابقين.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٨).

وأذرعات: بالفتح ثم السكون وكسر الراء جمع أذرعة، وهي بلد في أطراف الشام يجاور أرض =

وقيل: أراد في أدنى أرضهم على إنابة اللام مناب المضاف إليه، أي: في أقرب أرض الروم إلى عدوهم.

قال مجاهد: هي أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس[(١)].

﴿وهم﴾ يعني: الروم ﴿من بعد غلبهم﴾ وقرأ أبو الدرداء وأبو رجاء وعكرمة: «غَلْبِهِم» بسكون اللام[(٢)]، وهما مصدران؛ [كالحَلْب][(٣)] والحَلَب، والجَلْب والجَلَب، وهذا من باب إضافة المصدر إلى المفعول.

والمعنى: وهم من بعد غلب فارس إياهم ﴿سيغلبون﴾ فارس.

﴿في بضع سنين﴾ في البضع أقوال ذكرتها في سورة يوسف[(٤)].

وقد أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد قال: «لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت: ﴿ألم * غلبت الروم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون﴾ قال: ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس»[(٥)].

وقرأ جماعة: منهم أبو سعيد الخدري، والحسن، وعيسى بن عمر: «غَلَبَت

= البلقاء وعمان (معجم البلدان ١/ ١٣٠)، وتسمى الآن: درعا.

وكَسْكر: بالفتح ثم السكون وكاف أخرى، ومعناه: عامل الزرع، وهي منطقة واسعة على نهر دجلة بالعراق (معجم البلدان ٤/ ٤٦١).

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٢٩٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٧) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٨).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٢٨٨).

(٣) في الأصل: كالحب.

(٤) عند الآية رقم: ٤٢.

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٣ ح٣١٩٢).

الروم» بفتح الغين واللام، «سَيُغْلَبُون» بضم الياء وفتح اللام[1]، وبها قرأتُ لأوقية عن اليزيدي، فيكون قوله: «غلبهم» من باب إضافة المصدر إلى الفاعل.

والمعنى: غلبت الروم فارس في أدنى الأرض «وهم» يعني: الروم «من بعد غلبهم سيغلبون» أي: يغلبهم المسلمون، «في بضع سنين» عند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم.

﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ أي: من قبل أن يغلبوا وما بعد ما يغلبون.

﴿ويومئذ﴾ يعني: يوم غلبة الروم فارس ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ تعالى أهل الكتاب على فارس.

وقيل: يفرح المؤمنون بنصر الله إياهم في إظهار صدقهم وتحقيق معجزة نبيهم.

ويجيء على الحديث الذي رويناه آنفاً؛ أن يراد: نصر المؤمنين يوم بدر. ويجوز أن يراد عموم ذلك.

قال الزجاج[2]: وهذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله؛ لأنه أنبأ بما سيكون، وهذا لا يعلمه إلا الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وعد الله﴾ قال الزجاج[3]: النصب على أنه مصدر مؤكد؛ لأن قوله: ﴿من بعد غلبهم سيغلبون﴾ هو وعد من الله تعالى للمؤمنين، فقوله: «وعد الله» بمنزلة وعدَ الله وعداً.

---

(١) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ١٥٧)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٧٠، ٣٧١).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٧٥).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ١٧٧).

﴿لا يخلف الله وعده﴾ أن الروم تظهر على فارس، ﴿ولكن أكثر الناس﴾ من أهل مكة ﴿لا يعلمون﴾ أن الله وعد بذلك.

﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ مما يتعلق بمكاسبهم ومعايشهم.

قال الحسن البصري: بلغ -والله- من عِلْم أحدهم بالدنيا أنه ينقر الدرهم بيده فيخبرك بوزنه ولا يحسن يصلي[١].

قال الزمخشري[٢]: قوله: ﴿يعلمون﴾ بدل من قوله: ﴿لا يعلمون﴾ وهذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه، وجعله بحيث يقوم مقامه ويسدّ مسدّه، ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا، وقوله تعالى: ﴿ظاهراً من الحياة الدنيا﴾[٣] يفيد أن [للدنيا][٤] ظاهراً وباطناً، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها، وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة، يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة.

﴿وهم﴾ الثانية يجوز أن تكون مبتدأ، و﴿غافلون﴾ خبره، والجملة خبر «هم» الأولى، وأن يكون [تكريراً للأولى][٥]، و«غافلون» [خبر][٦] الأولى.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٨٩)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٨٤) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) الكشاف (٣/ ٤٧٣-٤٧٤).

(٣) قوله: وقوله: ﴿ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ مكرر في الأصل.

(٤) في الأصل: الدنيا. والتصويب من الكشاف (٣/ ٤٧٤).

(٥) في الأصل: تكرير الأولى. والتصويب من الكشاف (٣/ ٤٧٤).

(٦) في الأصل: خبره. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم﴾ يجوز أن يكون «في أنفسهم» ظرفاً، على معنى: أو لم يحدثوا[1] التفكر في أنفسهم، أي: في قلوبهم [الفارغة من الفكر][2]، والتفكر لا يكون إلا في القلوب، ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين، كقولك: «اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك»، وأن يكون صلةً للتفكر، كقولك: تَفكَّر في الأمر[3].

﴿ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ قال صاحب الكشاف[4]: يجوز أن يكون «ما» نفياً فتقف على قوله: ﴿في أنفسهم﴾ وتبتدئ بـ«ما»، وقد عدى التفكر بـ«في»، فجرى مجرى قوله: ﴿أو لم ينظروا في ملكوت

---

(١) قوله: «يحدثوا» مكرر في الأصل.

(٢) زيادة من الكشاف (٣/ ٤٧٤).

(٣) إلى هنا ينتهي كلام الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٧٤).

(٤) لم أقف عليه في الكشاف.

السموات والأرض﴾ [الأعراف:١٨٥].

ويجوز أن تجعل «ما» متصلاً بما قبله وإن كان نفياً، كقوله تعالى: ﴿وظنوا ما لهم من محيص﴾ [فصلت:٤٨]. والمعنى: لم يخلقهما عبثاً ولا باطلاً.

قال الفراء والزجاج[١] في قوله تعالى: ﴿إلا بالحق﴾ أي: إلا للحق، أي: لإقامة الحق، يعني: للثواب والعقاب.

وقال الزمخشري[٢]: الباء في قوله: ﴿إلا بالحق﴾ مثلها في قولك: دخلت عليه بثياب السفر، واشترى الفرس بسرجه ولجامه، يريد: اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام، غير منفك عنهما. وكذلك المعنى: ما خلقهما إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به.

﴿وأجل مسمى﴾ أي: وتقرير أجل مسمى، وهو قيام الساعة.

قوله تعالى: ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ هذا الاستفهام في معنى التقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم في آثار الهالكين من الأمم المكذبة.

ثم وصفهم فقال: ﴿كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض﴾ حرثوها وقلبوها للزراعة والغرس، ويقال لبقر الحَرْث: المُثِيرَة، ومنه: الثَّوْر؛ لإثارته الأرض.

ويروى عن أبي جعفر: «وآثاروا الأرض» بالمد[٣].

وقال ابن مجاهد: ليس هذا بشيء.

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٢٢)، ومعاني الزجاج (٤/ ١٧٨).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٧٤).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ١٥٩)، والدر المصون (٥/ ٣٧٢).

قال أبو الفتح[(١)]: ظاهره لعمري منكر، إلا أن له وجهاً [مَّا، وليس][(٢)] لحناً مقطوعاً به، وذلك أنه أراد: «وأثاروا»، إلا أنه أشبع الفتحة من الهمزة، فأنشأ عنها ألفاً، وقد ذكرنا ذلك وشواهده، ونحوه:

.... ومِنْ ذَمِّ الرجالَ بمنتزاح[(٣)]

أراد: بمُنْتَزَح. وقد سبق إنشاد البيت.

وهذا لعمري مما يختص به ضرورة الشعر، ولا يجوز في القرآن.

قوله تعالى: ﴿وعمروها أكثر مما عمروها﴾ أي: وعمرها أولئك [المدمرون][(٤)] أكثر مما عمرتها قريش؛ لشدة بطشهم وطول أعمارهم وآمالهم، وكثرة عُدَدهم وعَدَدِهم.

ويجوز أن يكون الضمير المرفوع في «عَمَرُوها» في الموضعين للذين من قبلهم، على معنى: وعَمَرُوها أكثر مما عَمَّرُوا فيها، فيكون عَمَرَ وعَمَّرَ لغتين من البقاء، وهذا الوجه [ذكره][(٥)] صاحب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات[(٦)].

قوله تعالى: ﴿ثم كان عاقبةُ الذين أساءوا السُّوأَى﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو

---

(١) المحتسب (٢/ ١٦٣).

(٢) في الأصل: وما ليس. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٣) البيت لابن هرمة يرثي ابنه، وصدر البيت: (فأنتَ من الغوائلِ حين تُرْمَى). وهو في: اللسان مادة: (نزح، نجد)، وروح المعاني (٩/ ١٩٤، ١٢/ ٢٢٨، ١٨/ ٥٦).

(٤) في الأصل: المدميرون. انظر: الكشاف (٣/ ٤٧٥).

(٥) زيادة على الأصل.

(٦) كشف المشكلات (٢/ ٢١١).

عمرو: «عاقبةُ» بالرفع، ونصبها الباقون[(١)].

فمن رفع «العاقبة» جعلها اسم «كان»، و«السوأى» الخبر. ومن نصب «العاقبة» جعلها الخبر و«السوأى» الاسم.

قال الفراء وابن قتيبة والزجاج وغيرهم[(٢)]: السُّوأى: تأنيث [الأسْوَأ][(٣)]، وهو الأفصح، كما أن الحُسنى تأنيث الأحْسَن.

ويجوز أن يكون السوأى مصدراً بمنزلة الإساءة، فيكون التقدير -على قراءة من رفع «العاقبة»-: ثم كان عاقبة الذين أساؤوا إساءة التكذيب، فيكون «كذبوا» هو الخبر.

ويكون التقدير على قراءة من نصب «العاقبة»: ثم كان التكذيب عاقبة الذين أساؤوا إساءة[(٤)].

والمعنى عند المفسرين: ثم كان عاقبة الذين أشركوا النار.

فإن قيل: ما إعراب قوله تعالى: ﴿أن كذَّبُوا﴾ على القول المشهور في تفسير «السُّوأَى»؟

قلت: يجوز أن يكون مفعولاً له، أي: لأن كذبوا. ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو أن كذبوا[(٥)].

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٦)، والكشف (٢/ ١٨٢)، والنشر (٢/ ٣٤٤)، والإتحاف (ص:٣٤٧)، والسبعة (ص:٥٠٦).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ١٧٩). ولم أقف عليه في معاني الفراء.

(٣) في الأصل: الأسواه. وانظر: البحر (٧/ ١٦٠).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ١٨٥)، والدر المصون (٥/ ٣٧٢).

(٥) مثل السابق.

وكان سفيان بن عيينة يقول في هذه: ألا إن لهذه الذنوب عواقب سوء لا يزال الرجل يذنب فينكت على قلبه، حتى يسودّ القلب كله فيصير كافراً(١).

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾ أي: الله خلقهم أولاً ثم يعيدهم بعد الموت، كما قال تعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ثم ترجعون إلى ثوابه وعقابه. ولفظ الخلق واحد ومعناه: المخلوقون، فَرَدَّ «نعيده» على اللفظ، و«ترجعون» على المعنى.

وقد سبق ذكر الإبلاس في الأنعام(٢).

قوله تعالى: ﴿وكانوا بشركائهم كافرين﴾ أي: كانوا في الآخرة كافرين بأصنامهم يتبرأون منهم، ويجحدون عبادتهم حين يأسهم من الانتفاع بهم.

وقيل: المعنى: وكانوا في الدنيا بسبب شركائهم كافرين.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣٠).

(٢) عند الآية رقم: ٤٤.

قوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ قال الحسن: هؤلاء في عليين، وهؤلاء في أسفل السافلين[١].

قال قتادة: فُرقة لا اجتماع بعدها[٢].

قوله تعالى: ﴿فهم في روضة يحبرون﴾ الرَّوضة عند العرب: كل أرض ذات نبات وماء[٣]. وفي أمثالهم: أحسن من بيضة في روضة. يريدون: بيضة النعامة.

والمراد بالروضة: الجنة، والحَبْرَة: السرور، يقال: حَبَرَهُ؛ إذا سرّهُ سُرُوراً يتهلل له وجهه ويظهر فيه أثره.

ثم اختلفت عباراتهم في تأويل «يُحبرون»؛ فقال ابن عباس: يُكرمون[٤]. وقال مجاهد: يُنَعَّمُون[٥].

وقال [الأوزاعي][٦]: هو السماع في الجنة، قال: إذا أخذوا في السماع لم تبق في الجنة شجرة إلا وردَّت[٧]، وليس أحد من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٩). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٨٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٨٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: اللسان (مادة: روض).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٨٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٨)، ومجاهد (ص: ٥٠٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٨٦) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) في الأصل: الأزاعي.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٨ ح٣٤٠٢١)، والترمذي (٤/ ٦٩٦ ح٢٥٦٥) كلاهما من حديث الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٩٣)، والسيوطي في الدر =

فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم[(١)].

وسئل يحيى بن معاذ الرازي: أي الأصوات أحسن؟ فقال: مزامير أنس في مقاصير قدس، [بألحان][(٢)] تحميد، في رياض تمجيد، في مقعد صدق عند مليك مقتدر[(٣)].

فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

قال المفسرون: لما ذكر الله تعالى تفريق المؤمنين والكافرين ومآل الفريقين، دلّهم على السبب الموصل لهم إلى الجنة، وهو تنزيهه عن كل سوء، والثناء عليه في هذه الأوقات لتجدد نعم الله تعالى فيها على عباده، فذلك قوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾.

ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالتسبيح: الصلاة، أي: سَبِّحوا الله «حين تمسون»: أي: تدخلون في وقت المساء، «وحين تصبحون»: أي: تدخلون في وقت الصباح، ﴿وحين تظهرون﴾: تدخلون في وقت الظهيرة.

قال ابن عباس: جمعت هذه الآية الصلوات الخمس ومواقيتها، «حين

=

(٦/ ٤٨٦) وعزاه لابن عساكر.

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٤/ ١٢).

(٢) في الأصل: في بالجنان. والمثبت من زاد المسير (٦/ ٢٩٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٩٣).

تُمسون»: المغرب والعشاء، «وحين تُصبحون»: الفجر، «وعَشِياً»: العصر، «وحين تُظهرون»: الظهر[1].

قوله تعالى: ﴿وله الحمد في السموات والأرض﴾: اعتراض.

وقرأ عكرمة: «حيناً [تمسون وحيناً تصبحون][2]»[3].

قال أبو الفتح ابن جني[4]: أراد: حيناً [تُمسون][5] فيه، فحذف «فيه» تخفيفاً. هذا مذهب صاحب الكتاب[6].

قُرئ على أبي المجد محمد بن محمد بن أبي بكر الهمذاني وأنا أسمع، أخبركم الشيخان أبو المحاسن عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد، وابن عمه [المطهر][7] بن عبدالكريم بن محمد [القومسانيان][8] فأقرَّ به قالا: أخبرنا عبدالرحمن بن حمد بن الحسن الدوني، أخبرنا القاضي أبو نصر أحمد بن الحسين بن الكسار الدينوري، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني، أخبرني إبراهيم بن محمد

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٨٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٢) في الأصل: يمسون وحيناً يصبحون. والتصويب من البحر المحيط (٧/ ١٦٢).

(٣) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ١٦٢).

(٤) المحتسب (٢/ ١٦٣).

(٥) في الأصل: يمسون. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٦) يعني: سيبويه.

(٧) في الأصل: المظفر. وهو خطأ. انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (ص:٣٣٧) ضمن حوادث ووفيات سنة ٥٨٠هـ. وقد سبق على الصواب كما أثبتناه.

(٨) في الأصل: القوسيانيان. والصواب ما أثبتناه. وقومسان: من نواحي همذان (معجم البلدان ٤/ ٤١٤).

الضحاك، حدثنا محمد بن سنجر، حدثنا عبدالله بن صالح أبو صالح[١]، حدثني الليث[٢]، عن سعيد بن بشير[٣]، عن محمد بن عبدالرحمن بن البيلماني[٤]، عن أبيه[٥]، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: « من قال حين يُصبح: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون... الآية كلها﴾، أدرك ما فاته في يومه، ومن قالها حين يُمسي أدرك ما فاته في ليلته »[٦].

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم

---

(١) عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني مولاهم، أبو صالح المصري، كاتب الليث بن سعد، صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٥/ ٢٢٥- ٢٢٨، والتقريب ص:٣٠٨).

(٢) الليث بن سعد ين عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، كان ثقة كثير الحديث، نبيلاً سخياً، من سادات أهل زمانه فقهاً وورعاً وعلماً وفضلاً، مات في يوم الجمعة نصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة (تهذيب التهذيب ٨/ ٤١٢-٤١٧، والتقريب ص:٤٦٤).

(٣) سعيد بن بشير الأنصاري النجاري، مجهول، روى عن محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني، وروى عنه الليث بن سعد، ولم يرو عنه غيره (تهذيب التهذيب ٤/ ١٠، والتقريب:٢٣٤).

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني الكوفي النحوي، مولى آل عمر، ضعيف، وقد اتهمه ابن عدي وابن حبان (تهذيب التهذيب ٩/ ٢٦١، والتقريب ص:٤٩٢).

(٥) عبد الرحمن بن البيلماني، مولى عمر، مدني نزل حران، ضعيف، مات في ولاية الوليد بن عبد الملك (تهذيب التهذيب ٦/ ١٣٥، والتقريب ص:٣٣٧).

(٦) أخرجه أبو داود (٤/ ٣١٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٤٠).

مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾ أي: ومن دلائل قدرته وعظمته أن خلق أصلكم يا بني آدم من تراب، ﴿ثم إذا أنتم بشر﴾ من لحم ودم ﴿تنتشرون﴾ في الأرض.

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ لأن حواء خلقت من ضلع آدم، والنساء خلقن من أصلاب الرجال. هذا قول قتادة(١).

وقال الكلبي: المعنى: خلق لكم أزواجاً من شكلكم وجنسكم(٢).

﴿لتسكنوا إليها﴾ أي: لتأووا إليها، ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ بواسطة عصمة النكاح من غير سابقة معرفة ولا نسب.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ يريد بالألسنة: اللغات، وقيل: أشكال النطق، فإن القدير الحكيم خالف بين مناطق عباده حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في جهارة، ولا همس، ولا فصاحة، ولا لكْنة، ولا صوت، ولا

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٣١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٩٥) عن الكلبي: جعل لكم آدميات مثلكم ولم يجعلهن من غير جنسكم.

نغمة، واختلاف الألوان ظاهر؛ لأن الخلق ما بين أبيض وأسود وأحمر وآدم.

وقيل: المراد باختلاف الألوان: اختلاف الصور. فسبحان من خالف بين الصور والألوان، حتى لا تكاد ترى أخوين توأمين متفرعين من أصل واحد متماثلين، ما ذاك إلا عن قدرة قادر وحكمة حكيم، فإنها لو اتفقت وتشاكلت لوقع الالتباس في الناس.

﴿إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ البر منهم والفاجر، والجن والإنس.

وقرأتُ لحفص عن عاصم: ﴿للعالِمين﴾ بكسر اللام[1]، جمع عالِم، وخص العالِمين وإن كانت الآية لكافة الناس عالمهم وجاهلهم؛ لموضع استدلالهم وتدبرهم.

ويؤيد هذه القراءة قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾، وبهذا رجح القُرَّاء هذه القراءة.

قوله تعالى: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾ قال أبو عبيدة[2]: المنام: من مصادر النوم، بمنزلة قامَ يقومُ قياماً ومَقَاماً، وقالَ يقولُ مَقَالاً.

قال الزمخشري[3]: هذا من باب اللف، وترتيبه: منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله وهو طلب الرزق بالنهار.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٧-٥٥٨)، والكشف (٢/ ١٨٣)، والنشر (٢/ ٣٤٤)، والإتحاف (ص:٣٤٨)، والسبعة (ص:٥٠٦-٥٠٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١٢٠).

(٣) الكشاف (٣/ ٤٨٠).

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ في «يـريكم» وجهـان: إضـمار؛ كقوله:

ألا أيُّهَذَا الزَّاجري أحْضُرُ الوغى ....[1]

وإنزال الفعل منزلة المصدر، وقد سبق تفسيره في الرعد.

قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بـأمره﴾ أي: بقولـه: كونـا قائمتين، فقامتا بغير علاقة ولا دعامة.

﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض﴾ وذلك حـين يـنفخ إسرافيـل في الـصور النفخة الأخيرة على صخرة بيت المقدس فيقول: يا أهل القبور قوموا، فـلا يبقـى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت لفصل القضاء.

﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ قال بعضهم: «إذا» الأولى للشرط، والثانية للمفاجأة، وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط[2].

---

(١) صدر بيت لطرفة، وعجزه: (وأن أشهد اللذات هـل أنـت مخلـدي)، انظـر: ديوانـه (ص:٣٢)، واللسان (مادة: أنن، دنا)، والبحـر (٧/ ١٦٣)، والـدر المصون (١/ ٢٧٥، ٥/ ٣٧٥)، والـسبع الطوال (ص:١٧٢)، والمقتضب (٢/ ١٣٤)، والهمع (١/ ٦)، والخزانة (١/ ١١٩).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٨١).

فإن قيل: بماذا يتعلق «من الأرض»؟

قلت: إما بـ«دَعَاكُم» أو بـ«دَعوَة» على معنى: دعوة كائنة من الأرض، أو بمحذوف في موضع الحال من الكاف والميم في «دعاكم»، تقديره: دعاكم خارجين من الأرض، ولا يجوز أن يتعلق بـ«تخرجون»؛ لأن ما بعد «إذا» لا يعمل فيما قبله.

وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وهو أهون عليه﴾ ذهب عامة المفسرين حسن وقتادة والربيع بن أنس إلى أن المعنى: وهو هَيِّن عليه[1].

وهو اختيار أبي عبيدة[2]، وأنشدوا قول الفرزدق:

إن الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا ... بيتاً دعائمُه أعزّ وأطول[3]

---

(١) ذكره الطبري (٢١/ ٣٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٩١) وعزاه لآدم بن أبي إياس والفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري والبيهقي في الأسماء والصفات عن مجاهد. ومن طريق آخر عن الحسن وعزاه لابن المنذر.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١٢١).

(٣) البيت للفرزدق، انظر ديوانه (٢/ ١٥٥)، واللسان (مادة: كبر، عزز)، والقرطبي (١٤/ ٢١)، والطبري (٢١/ ٣٧)، وزاد المسير (٣/ ٢٥٩، ٦/ ٢٩٧)، وروح المعاني (٧/ ١٣٥، ١٣/ ٩٠)، والدر المصون (٣/ ٣٤١)، وشرح المفصل (٦/ ٩٧-٩٩)، ومعاهد التنصيص (١/ ١٠٣)، ومجاز القرآن (٢/ ٢١)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢١٥).

أي: عزيزة طويلة.

وقول الآخر:

يـا بيـتَ عاتكـةَ الـذي أتعـزَّلُ   [حَذَرَ][١] العِدَى وبه الفؤاد مُوكَّل[٢]

[وقول][٣] الآخر:

....   فتلـكَ طريـقٌ لـستُ فيهـا بأوْحَـد[٤]

وقد سبق في سُبْحان.

وقد ذهب جمهور أهل العربية، منهم [الفراء][٥] والمبرد والزجاج[٦] إلى أن المعنى: وهو أهون عليه فيما يجب عندكم ويقتضيه معقولكم؛ لأنكم أقررتم أنه بدأ الخلق، وإعادة الشيء عند المخلوقين أهون من ابتدائه. وهذا معنى قول مقاتل[٧] والزمخشري[٨].

(١) في الأصل: نحذر. والتصويب من مصادر البيت.

(٢) البيت للأحوص يُشبّب بعاتكة بنت يزيد، وهو في: روح المعاني (١٥/ ٢٢٠)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٣)، واللسان (مادة: عزل).

(٣) في الأصل: قول.

(٤) عجز بيت لطرفة، وصدره: (تمنى رجالٌ أن أموت وإن أمت)، انظر: البحر (٦/ ٢٨٨)، والقرطبي (٢٠/ ٨٨)، والطبري (١٦/ ١٤١، ٣٠/ ٢٢٧)، وزاد المسير (٦/ ٢٩٨، ٩/ ١٥١)، وروح المعاني (١٧/ ٤٤، ٣٠/ ١٥١).

(٥) في الأصل: الفر.

(٦) معاني الفراء (٢/ ٣٢٤)، ومعاني الزجاج (٤/ ١٨٣)، والمقتضب (٣/ ٢٤٥).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ١٠).

(٨) الكشاف (٣/ ٤٨٢).

فعلى هذين التأويلين: الضمير في قوله: «عليه» يعود على الله تعالى.

وقد روي عن ابن عباس أنه يعود إلى الخلق[١]؛ لأن الله خلقه نطفة ثم علقة ثم مضغة، ويوم القيامة يقول له: كن فيكون، وذلك أهون عليه من تنقله من حال إلى حال. وهذا اختيار قطرب[٢].

﴿وله المثل الأعلى﴾ أي: الوصف الأعلى الذي لا يشارك فيه، قد وصف به في السموات والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل، وهو أنه القادر الذي لا يعجزه ما شاء من الإعادة والإنشاء وغيرهما.

وقال مجاهد: المثل الأعلى: قول: لا إله إلا الله[٣].

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾ أي: بين لكم شبهاً من أنفسكم، ﴿هل لكم﴾ أيها السادة ﴿من ما ملكت أيمانكم﴾ يعني: من عبيدكم ﴿من شركاء

---

(١) ذكره الطبري (٢١/ ٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٩٨).

(٢) انظر قول قطرب في: زاد المسير (٦/ ٢٩٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٠) كلاهما عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩١) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي حاتم عن قتادة.

فيما رزقناكم﴾. فـ«مِنْ» الأولى للمبتدأ، والثانية للتبعيض، والثالثة زائدة[١].

والمعنى: هل يشارككم عبيدكم فيما رزقناكم من المال والعبيد والأهل.

﴿فأنتم فيه﴾ أيها السادة والعبيد ﴿سواء﴾. وموضع قوله: ﴿فأنتم فيه سواء﴾: النصب؛ لأنه جواب قوله: ﴿هل لكم﴾، تقديره: هل لكم منهم شركاء فتستووا.

﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ قال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كإرث بعضكم بعضاً[٢].

وقيل: المعنى: تهابون عبيدكم وتخشون أن يستبدوا بالتصرف دونكم كما يهاب ويخشى بعضكم بعضاً.

ومعنى الكلام: إذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم، فكيف ترضونه لي وأنا المالك على الحقيقة، الموجد للخليقة، وكيف تجعلون لي من خلقي وعبيدي شركاء ولا تجعلون ذلك لأنفسكم.

قال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية في تلبية المشركين وقولهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك[٣].

قوله تعالى: ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم﴾ يشير إلى أن المشركين لم يأخذوا في شركهم بدليل نقلي ولا برهان عقلي، وإنما هو مجرد هوى.

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٧٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٢) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبراني (٨/ ٤٥ ح٧٩١٠) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٢) وعزاه للطبراني وابن مردويه عن ابن عباس، والماوردي (٤/ ٣١٠-٣١١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٩٨) كلاهما من قول سعيد بن جبير.

وقوله تعالى: ﴿بغير علم﴾ في موضع الحال، تقديره: اتبعوا أهوائهم جاهلين. وهذا غاية الذم؛ لأنهم لو اتبعوا أهواءهم عالمين لرُجِيَ رجوعهم، ولكانوا بسبيل من مراجعة رشدهم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً﴾ حال من المأمور أو من «الدين»[١]. والمعنى: قوّم وجهك للدين وعدّله ولا تلتفت يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه.

وقال أبو سليمان الدمشقي: المعنى: استقم بدينك نحو الجهة التي وجهك الله تعالى إليها[٢].

﴿فطرة الله﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله[٣].

﴿التي فطر الناس عليها﴾ والفطرة: الخَلْق، بدليل قوله: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٧٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٠٠).

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٨٤). وردّ هذا أبو حيان في البحر (٧/ ١٦٧) قال: وقول الزمخشري «أو عليكم فطرة الله» لا يجوز؛ لأن فيه حذف كلمة الإغراء، ولا يجوز حذفها لأنه قد حذف الفعل وعوض «عليك» منه، فلو جاز حذفه لكان إجحافاً، إذ فيه حذف العوض والمعوض منه.

قال الزجاج[١]: معناه: خِلْقَةَ الله التي خَلَقَ عليها البشر. قال[٢]: وقول النبي ﷺ: «كل مولود يُولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهوّدانه وينصّرانه [ويمجّسانه][٣]»[٤]، معناه: أن الله عز وجل فطر الخلق على الإيمان به، على ما جاء في الحديث: «أن الله تعالى أخرجهم من صلب آدم كالذر، وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم»[٥]، وذلك قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم... الآية﴾ [الأعراف:١٧٢] قال[٦]: فكل مولود هو من تلك الذرية التي شهدتْ [بأن][٧] الله تعالى خالِقُها.

فمعنى «فطرة الله»: دين الله التي فطر الناس عليها.

وقال الزمخشري وغيره[٨]: المعنى: أن الله تعالى خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام، غير نائين عنه ولا منكرين له؛ لكونه مجاوباً للعقل، مساوقاً للنظر الصحيح.

قوله تعالى: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ قال الزجاج[٩]: أكثر ما جاء في التفسير أن

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٨٤-١٨٥).

(٢) أي: الزجاج.

(٣) زيادة من الصحيحين.

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٤٥٦ ح١٢٩٢)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧ ح٢٦٥٨).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٢ ح٢٤٥٥).

(٦) أي: الزجاج.

(٧) في الأصل: باء. والتصويب من معاني الزجاج (٤/ ١٨٥).

(٨) الكشاف (٣/ ٤٨٤-٤٨٥).

(٩) معاني الزجاج (٤/ ١٨٥).

معناه: لا تبديل لدين الله، وما بعده يدل عليه، وهو قولـه تعـالى: ﴿ذلـك الـدين القيم﴾.

وقال الزمخشري[١]: المعنى: لا ينبغي أن تُبدل تلك الفطرة ولا أن تُغير.

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾: أنه خصاء البهائم[٢].

قوله تعالى: ﴿منيبين إليه﴾ أي: راجعين إلى الله، وهو حال من «فأقِم»[٣]؛ لأن خطاب النبي ﷺ خطاب لأمّته، كقوله تعالى: ﴿يا أيهـا النبـي إذا طلقـتم النـساء﴾ [الطلاق:١].

ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في الفعل العامل في «فطرة الله» النصب[٤]، تقديره: الزَمُوا فطرة الله منيبين، فيكون العامل وصاحب الحال مضمرين، كقوله تعالى: ﴿فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً﴾ [البقرة:٢٣٩] أي: فصلّوا رجالاً أو ركباناً.

وقوله تعالى: ﴿واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونـوا﴾ معطـوف عـلى الفعـل المضمر الذي هو: الزموا.

قوله تعالى: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ قال مقاتل[٥]: كل ملّة بما عندهم راضون.

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٢). وذكره الماوردي (٤/ ٣١٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٠٢).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٨٦)، والدر المصون (٥/ ٣٧٨).

(٤) مثل السابق.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ١٢).

وقال الزمخشري[1]: «من الذين فَارَقُوا» بدل من «المشركين». ويجوز أن يكون منقطعاً مما قبله. ومعناه: من المفارقين دينهم، كل حزب فرحين بما لديهم، ولكنه رفع «فرحون» على الوصف لـ«كل»[2]، كقوله:

وكلُّ خَليلٍ غيرِ هَاضمٍ نفسِه ....[3]

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

وما بعده مفسر فيما مضى إلى قوله تعالى: ﴿أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾. والمعنى: أم أنزلنا عليهم حجة مضيئة من السماء ناطقة بصحة شركهم، وتكلم السلطان مجاز عن الدلالة والشهادة كما تقول: هذا الكتاب ينطق بكذا.

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٨٥).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٨٦)، والدر المصون (٥/ ٣٧٨).

(٣) صدر بيت للشماخ، وعجزه: (لوصل خليل صارم أو معارز). انظر: ديوانه (ص:١٧٣)، والكتاب (٢/ ١١٠)، والبحر (٧/ ١٦٨)، والدر المصون (٥/ ٣٧٨)، واللسان (مادة: عرز)، وروح المعاني (٢١/ ٤٢).

و«ما» في قوله: ﴿بما كانوا به﴾ مصدرية أو موصولة.

ثم ذمّ الناس ببطرهم عند الرحمة من النعمة والرخاء، ويأسهم منها عند حلول السيئة من الفقر والمرض وغيرهما من أنواع البلاء فقال: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها... الآية﴾ وهذه حالة الكَفَرة والفَجَرة؛ لأن المؤمنين يشكرون الله على السراء ويرجون رحمته في الضراء.

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾ حقُّ القريب: بِرّه وصلته وزيارته والسلام عليه، وحقُّ المسكين: مواساته والصدقة عليه، وحقُّ ابن السبيل: ضيافته وإعانته بما يتوصل به إلى بلده.

وفي هذه الآية مستدل لمن يرى وجوب نفقة الأقارب إذا كانوا محتاجين.

﴿ذلك خير﴾ أي: إيتاء هؤلاء المذكورين حقهم خير ﴿للذين يريدون﴾ بعملهم ﴿وجه الله﴾ أي: ثوابه.

قوله تعالى: ﴿وما آتيتم من رباً﴾ قرأ ابن كثير: «أَتَيْتُم» بالقصر، جعله من باب

المجيء. وقرأ الباقون بالمد، جعلوه من باب الإعطاء[١].

﴿من رباً ليربوا في أموال الناس﴾ قرأ نافع: «لتُربوا» بتاء مضمومة وإسكان الواو على المخاطبة، بمعنى: لتصيروا ذوي ربا فيما أعطيتم. وقرأ الباقون: «ليَربوا» بياء مفتوحة وفتح الواو[٢]، على معنى: ليربوا ما آتيتم في أموال الناس.

﴿فلا يربوا عند الله﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وجمهور المفسرين: هو الرجل يُهدي الهدية أو يُعطي العطية ليُثاب أكثر منها، فهذا رباً حلال، ليس فيه أجر ولا وزر[٣].

وقال الحسن البصري: هو الربا المحرم[٤].

فعلى هذا يكون المعنى في هذه الآية كما في قوله: ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾ [البقرة:٢٧٦].

قوله تعالى: ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ قال الزجاج[٥]: ذوو الأضعاف من الحسنات، كما يقال: رجل مُقْوٍ، أي: صاحب قوّة، ومُوسِر، أي: صاحب يَسَار.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٨)، والكشف (٢/ ١٨٤)، والنشر (٢/ ٢٢٨)، والإتحاف (ص:٣٤٨)، والسبعة (ص:٥٠٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٥٩)، والكشف (٢/ ١٨٤)، والنشر (٢/ ٣٤٤)، والإتحاف (ص:٣٤٨)، والسبعة (ص:٥٠٧).

(٣) أخرجه البيهقي (٧/ ٥١ ح١٣١١١)، والطبري (٢١/ ٤٦)،، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩١)، ومجاهد (ص:٥٠١) بمعناه. وذكر نحوه السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٥-٤٩٦) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن عدة طرق أخرى.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٠٤).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ١٨٨).

وقال غيره: «فأولئك هم المضعفون»: التفات حَسَن، وهو أمدح من قوله: فأنتم المضعفون.

والمعنى: المضعفون به؛ لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى «ما»[١].

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ المراد بالفساد: قحط المطر، وقلة النبات، ومحق البركات، وعدم الربح أو قلّته في التجارات، وكثرة المضار وقلة المنافع في الجملة.

قال ابن عباس: البَرّ: البرية التي ليس عندها نهر، والبحر: ما كان من المدائن والقرى على شاطئ نهر[٢].

وقال عكرمة: لا أقول نهركم هذا، ولكن كل قرية عامرة[٣].

قال عكرمة: العرب تسمي الأمصار: البحار[٤].

---

(١) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٨٧).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣١٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٠٥)، والسيوطي في الدر (٦/ ٤٩٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٧) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقرئ شاذاً: «في البر والبحـور»[١]، وإلى هـذا المعنـى ذهـب قتـادة ومجاهـد وجمهور المفسرين.

وقال عطية: هو البحر المعروف، وإذا قلّ المطر قلّ الغوص[٢].

قال ابن عباس: تفتح الأصداف في البحر أفواهها، فما وقع فيها من ماء السماء فهو لؤلؤ[٣].

﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ أي: بشؤم معاصيهم، كما قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى:٣٠].

﴿ليذيقهم﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وقتادة: «لنـذيقهم» بـالنون، وبهـا قرأتُ ليعقوب الحضرمي رواية روح عنه[٤].

والمعنى: فعلنا بهم ذلك لنذيقهم في الدنيا وَبَالَ أو جزاء ﴿بعض الذي عملوا﴾ من المعاصي ﴿لعلهم يرجعون﴾ عنها.

وقال إبراهيم النخعي: لعلهم يرجعون إلى الحق[٥].

وقال الحسن: المعنى: لعل الذين من بعدهم يرجعون[٦].

---

(١) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ١٧١).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٦) وعزاه لابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧/ ١٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٩٦) وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب المطر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) النشر (٢/ ٣٤٥)، والإتحاف (ص:٣٤٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٠). وذكره الماوردي (٤/ ٣١٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٠). وذكره السيوطي في الـدر (٦/ ٤٩٧) وعـزاه لابـن أبي شـيبة وابـن جرير.

قال قتادة في هذه الآية: هذا قبل أن يبعث الله نبيه ﷺ، وقد امتلأت الأرض ظلماً وضلالة، فلما بعث الله تعالى نبيه ﷺ رجع راجعون من الناس[١].

ثم نبّههم على أن سبب هلاكهم شركهم؛ تحذيراً لهم منه، وتنفيراً لهم عنه فقال: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ برأيه.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ هو يوم القيامة، ﴿لا مردّ له﴾ مصدر بمعنى الرد.

وقوله تعالى: ﴿من الله﴾ متعلق بـ«يأتي» على معنى: من قبل أن يأتي من الله يوم لا مَرَدَّ له.

ويجوز أن يكون متعلقاً بـ«مَرَدَّ» على معنى لا مرد من جهة الله له[٢].

﴿يومئذ يصدعون﴾ أي: يتفرَّقون، فريق في الجنة وفريق في السعير.

قوله تعالى: ﴿من كفر فعليه كفره﴾ أي: وَبَالَ كفره وجزاؤه، ﴿ومن عمل صالحاً﴾ آمن بربه وأطاعه ﴿فلأنفسهم يمهدون﴾ أي: يوطئون.

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٨٥).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٨٠).

قال مجاهد: يفرشون ويسوون المضاجع في القبور[(١)].

قوله تعالى: ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ قال ابن عباس: معناه: ليثيبهم الله أكثر من ثواب أعمالهم[(٢)].

واللام في «لِيَجْزِيَ» متعلقة بـ«يمْهَدُون» تعليل له[(٣)].

﴿إنه لا يحب الكافرين﴾ لا يحبهم ولا يثني عليهم.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ قال الزمخشري[(٤)]: الرياح: هي الجنوب والشمال والصبا، وهي رياح الرحمة. وأما الدّبور فريح العذاب. ومنه قوله عليه السلام: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٣)، ومجاهد (ص:٥٠١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٨) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم في الحلية والبيهقي في عذاب القبر.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣٦).

(٣) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٨٠). وزاد وجهين آخرين، أحدهما: أنه متعلق بـ«يصدعون»، والثاني: أنه محذوف.

(٤) الكشاف (٣/ ٤٨٩-٤٩٠).

(٥) أخرجه الشافعي في مسنده (ص:٨١).

والمعنى: مبشرات بالغيث.

﴿وليذيقكم﴾ عطف على «مُبَشِّرَاتٍ» على المعنى، كأنه قيل: ليبشركم وليذيقكم. ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف، تقديره: وليذيقكم، [وليكون كذا وكذا][(١)] أرسلناها[(٢)]. والمعنى: وليذيقكم من رحمته بنزول الغيث وحصول الخصب، ﴿ولتجري الفلك بأمره﴾ فإن جَرْيها في البحر متوقف على إرسال الرياح.

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بطلب التجارة في البحر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ نِعَمَه فتوحِّدُوه.

ثم عزى نبيه ﷺ مبشراً له أن عاقبة الأمر له ولأصحابه، ومنذراً للكفار من غضبه وانتقامه، فقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾، وكان بعضهم يقف [على][(٣)]: «وكان حقاً» على معنى: وكان الانتقام من المجرمين حقاً، ثم يبتدئ «علينا نصر المؤمنين».

والأول أظهر؛ لما أخبرنا به أبو المجد محمد بن الحسين بن أحمد القزويني قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي، حدثنا الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا [عبدالواحد بن أحمد][(٤)] المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد

---

(١) في الأصل: ولتجري. وهو وهم من الناسخ. والمثبت من الكشاف (٣/ ٤٩٠).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٩٠). وانظر: الدر المصون (٥/ ٣٨١).

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) في الأصل: أحمد بن عبد الواحد، والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء =

بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو شيخ الحراني[١]، أخبرنا موسى بن أعين[٢]، عن ليث بن أبي سليم[٣]، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يردّ عن عرض أخيه، إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة، ثم تلا هذه الآية: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾»[٤].

ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ

(١٨/ ٢٥٥).

(١) هو عبد الله بن مروان، أبو شيخ الحراني، ثقة سكن بغداد وحدّث بها. قال ابن حبان في الثقات: يعتبر حديثه إذا بين السماع في خبره (تاريخ بغداد ١٠/ ١٥١، والثقات ٨/ ٣٤٥).

(٢) موسى بن أعين الجزري، أبو سعيد الحراني، مولى بني عامر بن لؤي، مات سنة سبع وسبعين ومائة، ثقة صالح صدوق (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٩٨، والتقريب ص:٥٤٩).

(٣) ليث بن أبي سليم بن زنيم القرشي مولاهم، أبو بكر الكوفي، ولد بالكوفة، وكان معلماً بها، كان رجلاً صالحاً عابداً، إلا أنه اختلط في آخر عمره حتى كان لا يدري ما يحدث به، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب ٨/ ٤١٧-٤١٨، والتقريب ص:٤٦٤).

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٩ ح٢٧٥٧٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٤٩٩) وعزاه لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

ثم دلّهم على وحدانيته وقدرته بما يشاهدونه من عجائب صنعته فقال: ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء﴾ أي: يجعله مُتَّصلاً في سَمْت السماء، كقوله تعالى: ﴿وفرعها في السماء﴾ [إبراهيم:٢٤].

﴿كيف يشاء﴾ على ما تقتضيه الحكمة الإلهية من قليل وكثير.

﴿ويجعله كِسَفاً﴾ قِطَعاً متفرقة. والمعنى: يجعله متصلاً تارة ومتفرقاً أخرى.

وقرأ أبو جعفر وابن ذكوان: «كِسْفاً» بسكون السين[1]، وقد ذكر معناه.

﴿فترى الوَدْقَ﴾ وهو المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي: من خلال السحاب، ﴿فإذا أصاب به﴾ أي: [بالودق][2] ﴿من يشاء من عباده﴾ والمعنى: أصاب بلادهم وأراضيهم.

قوله تعالى: ﴿من قبله﴾ توكيد لقوله: ﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾ ومعنى التوكيد: الإشارة إلى استحكام يأسهم من المطر لتطاول عهدهم.

﴿فانظر إلى أَثَرِ رحمة الله﴾ وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة إلا أبا بكر: «آثار» على

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٠)، والنشر (٢/ ٣٠٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٤٨)، والسبعة (ص:٥٠٨).

(٢) في الأصل: بأودق.

الجمع[١].

قال مقاتل[٢]: «آثار رحمة الله»: هو النبت، وهو أثر المطر، والمطر رحمة الله.

قوله تعالى: ﴿ولئن أرسلنا ريحاً﴾ هذه اللام في «ولئن أرسلنا» هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط[٣]، إذا أتت الريح بلفظ الواحد أريد بها العذاب، كما سبق آنفاً.

﴿فرأوْه﴾ يعني: أثر رحمة، وهو النبت ﴿مُصْفَرّاً﴾ قد ذهبت نضارته وخضرته.

وقيل: الضمير في قوله: «فرأوه» يعود إلى السحاب، على معنى: فرأوا السحاب مصفراً فإنه إذا كان كذلك لا يمطر.

قوله تعالى: ﴿لظلوا﴾ يعني: لصاروا، وهو جواب يسدّ مسدّ جوابي القسم والشرط.

﴿من بعده﴾ أي: من بعد اصفرار النبات أو السحاب ﴿يكفرون﴾ بأنعم الله السالفة، فهم في جميع أحوالهم مذمومون، إن أنعم عليهم بطروا، وإن ابتلوا كفروا.

۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضَعْف﴾ قرأ حمزة وأبو بكر: «ضَعْفٍ»

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦١)، والكشف (٢/ ١٨٥)، والنشر (٢/ ٣٤٥)، والإتحاف (ص:٣٤٨-٣٤٩)، والسبعة (ص:٥٠٨).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٥).

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٩٢).

بفتح الضاد في المواضع الثلاثة في هذه الآية. وقرأ الباقون بضم الضاد[١]، وهو اختيار أبي عبيد والزجاج[٢]، ولغة النبي ﷺ وقريش، والفتح: لغة تميم.

قال عطية: قرأتُ على عبدالله بن عمر: ﴿الله الذي خلقكم من ضُعْف ثم جعل من بعد ضُعْف قوة ثم جعل من بعد قوة ضُعْفاً وشيبة﴾، فقال ابن عمر: ﴿الذي خلقكم من ضَعْف ثم جعل من بعد ضَعْف قوة ثم جعل من بعد قوة ضَعْفاً وشيبة﴾، ثم قال: قرأتها على رسول الله ﷺ كما قرأتها، فأخذها كما أخذتها عليك[٣].

ومعنى الآية: خلقكم من ماء ذي ضَعف وهو المني، ثم جعل من ضعف الطفولية قوة الشباب، ثم جعل من بعد قوة الشباب ضعف الكبر والهرم، «وشَيْبَة» وهو التغير من صفة إلى صفة[٤]، وهيئة إلى هيئة أعدل شاهد وأظهر دليل على الصانع الحكيم.

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٢)، والكشف (٢/ ١٨٦)، والنشر (٢/ ٣٤٥)، والإتحاف (ص:٣٤٩)، والسبعة (ص:٥٠٨).

(٢) انظر: معاني الزجاج (٤/ ١٩١).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٥٨ ح٥٢٢٧).

(٤) قوله: «إلى صفة» مكرر في الأصل. وانظر النص في: الكشاف (٣/ ٤٩٣).

قوله تعالى: ﴿ما لبثوا﴾ أي: يحلفون ما لبثوا في قبورهم. وقيل: في الدنيا ﴿غير ساعة﴾.

فإن قيل: استقصارهم مدة اللبث في الدنيا ظاهر معلوم، فما معنى استقصارهم مدة اللبث في القبور وهم معذبون؟

قلتُ: يجوز أن يقولوا ذلك ناسين ما كانوا فيه؛ لما دهمهم من أهوال الطامة، أو صار عندهم عذاب القبور كلا عذاب بالنسبة إلى ما أفضوا إليه، وقد سبق هذا المعنى فيما مضى. ويجوز أن يكونوا قالوا ذلك وهم كاذبون.

﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ أي: مثل ذلك الصَّرْف كانوا يُصْرَفُون عن الصدق في الدنيا.

﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾ وهم الملائكة. وقيل: الأنبياء. وقيل: المؤمنون.

ويجوز عندي: أن يكون القول صادر من الجميع.

﴿لقد لبثتم في كتاب الله﴾ أي: في اللوح المحفوظ.

وقيل: في علم الله.

وقيل: فيما كتبه الله تعالى، أي: أوجبه بحكمته.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم.

﴿إلى يوم البعث فهذا يوم البعث﴾ الذي كنتم تنكرونه.

﴿فيومئذ لا ينفع الذين﴾ قرأ أهل الكوفة: «لا ينفع» بالياء للفصل، أو حملاً

على معنى المعذرة فإنها بمعنى العذر. وقرأ الباقون بالتاء؛ لتأنيث المعذرة[(١)].

وقد أشرنا إلى علّة القراءتين واستوفينا القول في نظائر ذلك فيما مضى.

قال ابن عباس: لا يقبل من الذين أشركوا عذر ولا عتاب ولا توبة ذلك اليوم[(٢)].

﴿ولا هم يستعتبون﴾ قال الواحدي وابن الجوزي[(٣)]: [أي: لا يطلب][(٤)] منهم العتبى والرجوع في الآخرة.

وقال الزمخشري[(٥)]: هو من قولك: استعتبني فلان [فأعتبته][(٦)]، أي: استرضاني فأرضيته.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ جائز أن يكون

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٢)، والكشف (٢/ ١٨٦)، والنشر (٢/ ٣٤٦)، والإتحاف (ص:٣٤٩)، والسبعة (ص:٥٠٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣٩).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٣٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣١٢).

(٤) في الأصل: ولا هم تطلب. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

(٥) الكشاف (٣/ ٤٩٤).

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

على ظاهره، على معنى: ضربنا لهم الأمثال تقريباً إلى أفهامهم وتنبيهاً لهم واحتجاجاً عليهم.

وجائز أن يكون المعنى: ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها [وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن][١] كصفة المبعوثين يوم القيامة [وقصتهم][٢] وما يقولون وما يقال لهم.

﴿ولئن جئتهم بآية﴾ خارقة ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ لقسوة قلوبهم ونبوّ طباعهم عن قبول الحق ومجّ أسماعهم حديث الآخرة.

﴿إن أنتم﴾ أي: ما أنتم يا محمد وأصحابك ﴿إلا مبطلون﴾.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الطبع ﴿يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ أي: على قلوب الجهلة بالله تعالى وبصفاته وبما جاءت به رسله.

﴿فاصبر﴾ يا محمد على أذاهم وعداوتهم ﴿إن وعد الله﴾ تعالى بصبرك وظهور دينك وإعلاء كلمتك ﴿حق﴾ لا بد من وقوعه وإنجازه.

﴿ولا يستخفنّك﴾ وقرأتُ ليعقوب بسكون النون وتخفيفها[٣].

والمعنى: لا يستخفنَّ رأيك وحلمك.

وقال الزجاج[٤]: لا يستفزَّنَّكَ عن دينك.

---

(١) زيادة من الكشاف (٣/ ٤٩٤).

(٢) مثل السابق.

(٣) النشر (٢/ ٢٤٦)، والإتحاف (ص:١٨٤).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ١٩٢).

﴿الذين لا يوقنون﴾ [بالبعث][١] والجزاء.

وبعض المفسرين يقول: الأمر بالصبر منسوخ بآية السيف. وقد سبق الكلام على أمثالها.

(١) في الأصل: بالبهت. والصواب ما أثبتناه. انظر: زاد المسير (٦/ ٣١٣).

سورة لقمان عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثلاث وثلاثون آية في المدني، وأربع وثلاثون آية في المكي، وهي مكية.

واستثنى قوم ثلاث آيات متواليات من قوله تعالى: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام﴾ فقالوا: نزلت بالمدينة[1].

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿هدى ورحمة﴾ قرأهما حمزة بالرفع، والباقون بالنصب[2].

فمن رَفَعَ فعلى معنى: هو هدى ورحمة، ومن نصب: فعلى الحال من «آيات»، والعامل فيها ما في «تلك» من معنى الفعل.

﴿للمحسنين﴾ يعني: الذين يعملون الحسنات المذكورة في الآية التي بعدها، كأنه قيل: مَن المحسنون؟ فقال: ﴿الذين يقيمون الصلاة ... الآية﴾.

ومثل هذا ما يروى: أن الأصمعي سئل عن الألمعي ما هو، فأنشد قول أوس:

---

(١) أخرجه النحاس في ناسخه (ص:٦١٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٠٣) وعزاه للنحاس. وانظر: الإتقان (١/ ٣٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٣)، والكشف (٢/ ١٨٧)، والنشر (٢/ ٣٤٦)، والإتحاف (ص:٣٤٩)، والسبعة (ص:٥١٢).

الألمعيُّ الذي يَظُنُّ بكَ الـ ـظن كأنْ قَدْ رَأى وقدْ سَمِعَا[١]

ولم يُرد.

ويجوز أن يكون المراد بالمحسنين: الذين يعملون الحسنات، ثم خص هذه الخصال الثلاث بالذِّكْر؛ لموضع اختصاصها بالفضل.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ قال ابن السائب ومقاتل[٢]: كان النضر بن الحارث يخرج تاجراً إلى فارس، فيشتري كتباً فيها أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشاً، ويقول لهم: إن محمداً يحدثكم حديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم حديث رستم [واسفنديار وأخبار][٣] الأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فنزلت هذه الآية[٤].

---

(١) البيت لأوس بن حجر. انظر: ديوانه (ص:٥٣)، واللسان (مادة: حظرب، لمع)، والبحر (٧/ ١٧٩)، والدر المصون (٥/ ٣٨٦)، والخصائص (٢/ ١١٢).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٨).

(٣) في الأصل: واسفندار وأخبا. والصواب ما أثبتناه. وانظر: مصادر التخريج.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٠٥) عن ابن عباس. وذكره الواحدي في أسباب نزول القرآن (ص:٣٥٦)، والوسيط (٣/ ٤٤٠-٤٤١)، والماوردي (٤/ ٣٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣١٥-٣١٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٠٣) وعزاه للبيهقي في الشعب عن ابن عباس.

وقال مجاهد: نزلت في شراء القِيان والمغنيات[١].

وروي: أن النضر كان يشتري المغنيات، فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به [إلى][٢] قينته فيقول: أطعميه واسقيه وغنّيه، ويقول: هذا خير لك مما يدعو إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في رجل اشترى جارية كانت تغنّيه ليلاً ونهاراً[٤].

وقد أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في مسنده من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن، وأثمانهن حرام»[٥].

وفي مثل هذا نزلت هذه الآية: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث... إلى آخر الآية﴾.

وقال أبو الصهباء: سألت ابن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية فقال: هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٢)، ومجاهد (ص:٥٠٣). وذكره الواحدي في أسباب نزول القرآن (ص:٣٥٦).

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٠٤) وعزاه لجويبر عن ابن عباس.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٧٩ ح٥١٠٤) عن ابن مسعود. وذكره الواحدي في أسباب نزول القرآن (ص:٣٥٧)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٠٨) وعزاه للبيهقي عن ابن مسعود.

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٧ ح٢٢٢٧٢).

(٦) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٥ ح٣٥٤٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن أبي شيبة (٤/ ٣٦٨ ح٢١١٣٠)، والبيهقي في شعبه (٤/ ٢٧٨ ح٥٠٩٦)، والطبري (٢١/ ٦١). وذكره =

وقال قتادة: هو كل لهو[١].

قال أهل المعاني: فيدخل في هذا كل من اختار اللهو واللعب والمعازف والمزامير على القرآن.

قوله تعالى: ﴿يشتري﴾ إما أن يكون على حقيقته -كما روينا عن النضر-، أو على مجازه، وهو إيثار اللهو، واختياره على ما أسلفنا في قوله: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ [البقرة:١٦].

قوله تعالى: ﴿ليُضلّ عن سبيل الله﴾ قرأ أهل الكوفة: «ليُضِلَّ» بضم الياء، على معنى: ليضل غيره، وقرأ الباقون بفتح الياء[٢]، على معنى: ليصير أمره إلى الضلال.

وقوله: ﴿بغير علم﴾ في محل الحال من الضمير في «يَشْتَرِي»[٣]، أو في «لِيُضِلَّ» فهو تجهيل للمُضِلّ أو تجهيل للمشتري حيث لم يهتد إلى التجارة الرابحة.

قوله تعالى: ﴿ويتَّخِذَها هزءاً﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص بنصب الذال، ورفعها الباقون.

فمن نَصَبَ عَطَفَ على «لِيُضِلَّ»، ومن رَفَعَ عَطَفَ على [«يَشْتَرِي»][٤]، والضمير المنصوب في «يتّخِذَها» يعود إلى الآيات، أو إلى «سبيل الله»، فإن السبيل

= السيوطي في الدر (٦/ ٥٠٥) وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب.

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٩٠).

(٢) الحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٣)، والنشر (٢/ ٢٩٩)، والإتحاف (ص:٣٤٩).

(٣) انظر: الدر المصون (٥/ ٣٨٦).

(٤) في الأصل: ليشتري.

يُؤنّث ويذكّر[١]، وقد ذكر فيما مضى.

ويجوز عندي: أن يعود الضمير إلى «الآخرة»، فإن تكذيبهم بها واستهزاءهم بما كانوا يتوعدون به فيها متداول مشهور بينهم.

قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليه﴾ أي: على المشتري لهو الحديث. وفي قوله: ﴿كأن لم يسمعها﴾ تحقيق لمعنى استكباره وعدم مبالاته بالله تعالى وآياته.

﴿كأنّ في أذنيه وقراً﴾ أي: ثِقلاً. والجملتان المصدريتان بـ«كأنّ» مستأنفتان.

ويجوز أن يكون الأولى حالاً من «مُسْتكْبِراً»، والثانية حالاً من «لم يسمَعْها»، والأصل في كأن المخففة: كأنّه، والضمير ضمير الشأن[٢].

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

وما بعده مفسّر إلى قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٨٧)، والدر المصون (٥/ ٣٨٦).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤٩٨). وانظر: التبيان (٢/ ١٨٧)، والدر المصون (٥/ ٣٨٦).

اعلم أن مقصود الكلام في لقمان يحصره فصول أربعة:

الفصل الأول:

اختلفوا هل كان حراً أو عبداً؟ فقال محمد بن إسحاق: هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح -وهو آزر-، وعاش ألف سنة، وأدرك زمان داود[١].

وقيل: كان ابن أخت أيوب. وقيل: ابن خالته.

وقال مجاهد: كان عبداً أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين[٢].

وقال سعيد بن المسيب: كان أسود نوبياً من سودان مصر، ذا مشافر[٣].

وقال ابن عباس: كان عبداً حبشياً[٤].

الفصل الثاني:

اختلفوا في صناعته؛ فروى الإمام أحمد بإسناده عن سعيد بن المسيب: أن لقمان كان خياطاً[٥].

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٤/ ٥٩).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٦٤)، وابن أبي شيبة (٧/ ٧٣ ح٣٤٢٩١)، والطبري (٢١/ ٦٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥١٠) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٠٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٠٩) وعزاه لابن أبي شيبة في الزهد وأحمد وابن أبي الدنيا في كتاب المملوكين وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥١٠) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن المنذر.

وقال خالد [الربعي][١]: كان عبداً حبشياً نجاراً[٢].

الفصل الثالث:

اختلفوا هل كان نبياً أم لا؟

فذهب الأكثرون، منهم ابن عباس: إلى أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً[٣].

وقال عكرمة: كان نبياً[٤].

والأول أكثر وأصح.

ويروى: أن لقمان عليه السلام خيّر بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة[٥].

الفصل الرابع: في الإشارة إلى نبذة يسيرة من حكمته:

روي: أن رجلاً وقف عليه فقال: ألست الذي كنت ترعى معي؟ فقال: بلى، فقال: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: صِدْق الحديث، والصمت عما لا يعنيني[٦].

ويروى: أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدروع وقد لَيَّنَ الله تعالى

---

(١) في الأصل: الربع. وهو خطأ. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل (٣/ ٣٢٢)، ولسان الميزان (٢/ ٣٧٤).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٦٥)، والطبري (٢١/ ٦٧)، وابن أبي شيبة (٧/ ٧٤ ح٣٤٢٩٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٧). وذكره الماوردي (٤/ ٣٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣١٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥١١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٧). وذكره الماوردي (٤/ ٣٣١)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥١١) وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة.

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٦٨)، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (١/ ٩٦، ٢٩٤) كلاهما عن عمرو بن قيس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥١٢) وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وابن جرير.

له الحديد كالطين، فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة، فلما انتهت لبسها، وقال: نعم لبوس الحربِ أنتِ، فقال لقمان: الصمت حِكَم وقليلٌ فاعله، فقال له داود: بحقٍّ ما سميت حكيماً[١].

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد[٢] له بإسناده عن مالك بن دينار قال: قال لقمان لابنه: يا بني! اتخذ طاعة الله تعالى تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة.

وبإسناده عن أبي عثمان -رجل من أهل البصرة يقال له: الجعد[٣]- قال: قال لقمان لابنه: لا ترغب في ود الجاهل فيرى أنك ترضى عمله، ولا تهاون بمقت الحكيم فيزهد فيك[٤].

وبإسناده عن عبيد بن عمير قال: قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني! اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم، فإن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تك عَيِياً يعلموك، وإن يطلع الله تعالى إليهم برحمة تصيبك معهم.

يا بني! لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر فيه الله عز وجل، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك عيّاً يزيدوك عياً، وإن يطلع الله عز وجل بعد ذلك

---

(١) أخرج نحوه الحاكم (٢/ ٤٥٨ ح٣٥٨٢)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٢٦٤ ح٥٠٢٦) كلاهما من حديث أنس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥١٣) وعزاه للعسكري في الأمثال والحاكم والبيهقي في الشعب عن أنس.

(٢) الزهد (ص:٦٤).

(٣) كذا في البداية والنهاية (٢/ ١٢٧)، وفي الدر المنثور (٦/ ٥١٦): الجعدي.

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١٣٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٣٨ ح٢٠١٣٥)، وابن المبارك في الزهد (ص:٤٨٤ ح١٣٧٤).

بسخط يصيبك معهم.

يا بني! لا تغبطن امرءاً رحب الذراعين يسفك دماء المؤمنين، فإن له عند الله قاتلاً لا يموت[١].

وبإسناده عن أبي سعيد قال: قال لقمان لابنه: يا بني! لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء[٢].

وبإسناده عن قتادة: أن لقمان قال لابنه: يا بني! اعتزل الشر كيما يعتزلك، فإن الشر للشر خُلق[٣].

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: حدثني حسين بن الجنيد قال: حدثنا سفيان قال: قال لقمان لابنه: يا بني! ما ندمت على الصمت قط، وإن كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب[٤].

عُدْنا إلى التفسير:

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ فَسَّرها عكرمة: بالنبوة[٥].

وقال مجاهد وعامة المفسرين: الحكمة هاهنا: الفقه والعقل والإصابة في

---

(١) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد. وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٥٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥١٧) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد.

(٢) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد. وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥١٧) وعزاه لعبد الله في زوائده.

(٣) أخرج أحمد في الزهد (ص:٦٥) طرفاً منه، وأخرجه البيهقي في شعبه (٥/ ٤٥٧ ح٧٢٧٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥١٦-٥١٧) وعزاه لأحمد.

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٦٥).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣١٧).

القول[١].

قوله تعالى: ﴿أنِ اشكر لله﴾ «أنْ» هي المفسرة؛ لأن إيتاء الحكمة في معنى القول، فنبّه بهذا على أن الحكمة الأصلية توحيد الله سبحانه وتعالى وشكره.

قال مقاتل[٢]: المعنى: قلنا له: أنِ اشكر الله فيما أعطاك من الحكمة.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ قال لقمان لابنه﴾ واسمه: أنعم.

وقال ابن السائب: اسمه أشكم[٣].

﴿وهو يعظه﴾ رُوي: أن ابنه وامرأته كانا كافرين، فما زال يعظهما حتى

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٦٤)، والطبري (٢١/ ٦٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٧)، ومجاهد (ص:٥٠٤).

وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥١١) وعزاه للفريابي وأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٠).

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٣٣٣) وفيه: مشكم.

أسلما[١].

﴿يا بُنَيَّ لا تشرك﴾[٢] وقرأتُ لابن كثير إلا من طريق ابن فليح: «يا بُنَيْ» بسكون الياء وتخفيفها أيضاً[٣]، كما خفَّفَ الشاعر:

قد كنتُ جَارَكَ حَوْلاً ما تُرَوِّعُنِي فيه روائعُ من إنسٍ ولا جان[٤]

فخفَّفَ النون.

قال أبو علي[٥]: خَفَّفَ ياء الإضافة، ثم خَفَّفَ فحذف الياء التي هي لام الفعل، وبقيت الياء التي هي ياء التصغير، فالياء الموقوف عليها في «بُنَيَّ» هي ياء التصغير.

﴿إن الشرك﴾ وجعل من لا نعمة له كمن لا نعمة إلا منه، ﴿لظلم عظيم﴾. وقد ذكرنا سبب نزوله.

قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن﴾ أي: تَهِنُ وَهْناً على وَهْن، أي: تَضْعُف ضَعْفاً على ضَعْف، كلما ازداد حملها زاد ضَعْفُها.

﴿وفصاله﴾ أي: فِطَامُه. وهو مبتدأ، خبره في الظرف على تقدير: يقعُ أو يحدث، ﴿في عامين﴾ أي: في انقضاء عامين.

---

(١) ذكره القرطبي (١٤/ ٦٢).

(٢) قوله: «لا تشرك» ذكرت في الأصل بعد قوله: «يا بنيْ» التالية.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٢-٢٧٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٤)، والكشف (١/ ٥٢٩)، والنشر (٢/ ٢٨٩)، والإتحاف (ص:٣٥٠)، والسبعة (ص:٥١٢).

(٤) البيت لعمران بن حطان، وانظر البيت في: اللسان، مادة: (جنن، ظلل)، والحجة للفارسي (٢/ ٣٩٧)، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية (٨/ ١٥٣).

(٥) الحجة (٢/ ٣٩٧).

والمقصود من ذلك: تهييج الإنسان على بِرِّ والديه بتذكيره ما عانت من الوهن زمن الحمْل، والمشقة مدة الرضاع.

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في كتاب الزهد(١) له بإسناده عن كعب بن علقمة: أن موسى عليه الصلاة والسلام لما خرج هارباً من فرعون قال: رب أوصني، قال: [أوصيك](٢) أن لا تعدل بي شيئاً أبداً إلا اخترتني عليه، فإني لا أرحم ولا أزكي من لم يكن كذلك، قال: وبماذا يا رب؟ قال: بأمك، فإنها حملتك وَهْناً على وَهْن، ثم قال: ثم ماذا يا رب؟ قال: بأبيك، قال: ثم ماذا يا رب؟ قال: أن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكرهُ لهم ما تكره لها، قال: ثم بماذا يا رب؟ قال: ثم إن وليتك شيئاً من أمر عبادي فلا تُعَنِّهِم(٣) إليك في حوائجهم [فإنك إنما تُعَنِّي روحي، فإني مبصر ومستمع ومشهد ومستشهد](٤).

﴿أن أشكر لي ولوالديك﴾ قال ابن عباس: المعنى: أطعني وأطع والديك(٥).

قال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما(٦).

وفي قوله: ﴿إليّ المصير﴾ ترغيب في الطاعة طلباً للمثوبة، وترهيب من الإضاعة هرباً من العقوبة.

---

(١) الزهد (ص:٨٧).

(٢) في الأصل: أصيك. والتصويب من الزهد، الموضع السابق.

(٣) من العناء والمشقة.

(٤) زيادة من الزهد (ص:٨٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٣).

(٦) ذكره القرطبي (١٤/ ٦٥).

قوله تعالى: ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ قال الزجاج[١]: أي مُصَاحَباً معروفاً، تقول: صَاحَبَه مُصَاحَباً ومُصَاحَبَةً. ومعنى المعروف: ما يُستحسن من الأفعال.

قوله تعالى: ﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾ أي: اسلك طريق من رجع إليّ، وهو طريق محمد ﷺ وأصحابه.

وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد: واتبع سبيل أبي بكر الصديق، وذلك أنه حين أسلم أتاه عبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وعثمان وطلحة والزبير فقالوا له: آمنت وصدقت محمداً؟ [قال][٢]: نعم، فأتوا رسول الله ﷺ فآمنوا وصدقوا، فأنزل الله تعالى يقول لسعد: ﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾ يعني: أبا بكر رضي الله عنه[٣].

يَـٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ١٩٧).

(٢) في الأصل: قالوا.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٣)، وأسباب نزول القرآن (ص:٣٥٨).

قال السدي: قال ابن لقمان لأبيه: أرأيت لو أن حبّة من خردل في مَقْل البحر[١] أكان الله تعالى يعلمها؟ فقال له ما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل﴾[٢].

قرأ نافع: «مثقالُ» بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب[٣].

فمن رَفَعَ جعل «كان» تامة لا تحتاج إلى خبر، فرفع «المثقال» بها، وأتى بالفعل على لفظ التأنيث حملاً على المعنى؛ لأن المثقال في معنى السيئة أو المظلمة، ومثله قوله تعالى: ﴿فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام:١٦٠] فأنَّث؛ لأن المعنى: فله عشر حسنات.

ومن نَصَبَ جعل «كان» ناقصة، فأضمر فيها اسمها، ونصب «المثقال» على الخبر، على معنى: إن تك المظلمة أو السيئة قدر مثقال حبة من خردل.

﴿فتكن في صخرة﴾ قال ابن عباس: هي صخرة تحت الأرضين السبع، وهي التي تكتب فيها أعمال الفجار، وخضرة السماء منها[٤].

قال السدي: هذه صخرة ليست في السماوات ولا في الأرض، هي تحت سبع أرضين، عليها ملك قائم[٥].

---

(١) مَقْل البحر: موضع المغاص من البحر الذي يغمره الماء (اللسان، مادة: مقل).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٢١).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٥)، والكشف (٢/ ١٨٨)، والنشر (٢/ ٣٢٤)، والإتحاف (ص:٣١٠-٣١١)، والسبعة (ص:٥١٣).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٩٢).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٣).

وقال قتادة: «فتكن في صخرة»: في جبل[(١)].

وقرأ عبدالكريم الجزري: «فَتكِنَّ» بكسر الكاف[(٢)]، من قولهم: كَنَّ الطائرُ يَكِنُّ وُكُوناً؛ إذا استقرّ [في][(٣)] وكنته، وهو مقره ليلاً، وهو أيضاً عُشّه الذي يبيض فيه ووَكْرِه[(٤)]، ومنه قول الشاعر:

وقد أغْتَدِي والطيرُ في وَكَنَاتِها ... بمنجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ هَيْكَل[(٥)]

﴿يأت بها﴾ يوم القيامة للحساب والجزاء، ﴿إن الله لطيف﴾ يصل علمه إلى كل خفي.

وقال قتادة: لطيف باستخراجها، ﴿خبير﴾ بمستقرها[(٦)].

قوله تعالى: ﴿واصبر على ما أصابك﴾ أي: على ما أصابك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى ما أصابك من المصائب.

﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ سبق تفسيره في آخر آل عمران[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٧٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ١٨٢)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٣٨٨).

(٣) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٠٣).

(٤) انظر: اللسان (مادة: وكن).

(٥) البيت لامرئ القيس من معلقته، انظر: ديوانه (ص:١٩)، والسبع الطوال (ص:٨٢)، والمحتسب (٢/ ٢٣٤)، والخصائص (٢/ ٢٢٠)، واللسان (مادة: قيد)، وروح المعاني (٢١/ ٩٨)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٦٦)، والدر المصون (٥/ ٣٩٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٧٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٧) عند الآية رقم: ١٨٦.

قوله تعالى: ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم: «تُصَعِّرْ» بتشديد العين من غير ألف. وقرأ الباقون: «تُصَاعِرْ» بألف مع تخفيف العين[1].

قال أبو علي[2]: هما لغتان، مثل: ضَاعَفَ وضَعَّف. وقال أبو الحسن: «تُصَاعِرْ» لغة أهل الحجاز، و«تُصَعِّر» لغة تميم. والمعنى فيه: لا تتكبر على الناس ولا تُعرض عنهم تكبراً عليهم.

قال أبو عبيدة[3]: أصل هذا من الصَّعَرِ الذي يأخذ الإبل في رؤوسها وأعناقها.

قال أبو علي[4]: كأنه يقول: لا تعرض عنهم، ولا تَزْوَرَّ كازْوِرَار الذي به هذا الدّاء الذي يلوي منه عنقه ويُعرِضُ بوجهه.

قال ابن عباس: هو الذي إذا سُلِّمَ عليه لوى عنقه كالمستكبر[5].

وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينه وبين أخيه الحِنَة -الصَّدّ- فيراه فيعرض عنه[6].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٥)، والكشف (٢/ ١٨٨)، والنشر (٢/ ٣٤٦)، والإتحاف (ص:٣٥٠)، والسبعة (ص:٥١٣).

(٢) الحجة (٣/ ٢٧٣).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٢٧).

(٤) الحجة (٣/ ٢٧٣).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٤) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٧٥).

وباقي الآية مفسر في سُبْحان[1] والنساء[2].

قوله تعالى: ﴿واقصدْ في مَشْيِكَ﴾ أي: اعدل فيه واجعله بين المشيين، لا تدبّ كدبيب المتهاوتين، ولا تثب وثب [الشطار][3]، وليكن قصداً خارجاً عن قانون الاختيال والإسراع المُذهِب بالوقار[4].

قال عطاء: امْشِ بالوقار والسكينة[5].

﴿واغضض من صوتك﴾ أي: انقص منه.

قال الزجاج[6]: ومنه: غَضَضْتُ بصَري، وفُلانٌ يَغُضُّ [بَصَرهُ][7] من فلان، [أي: يتنقَّصُه][8].

﴿إن أنكر الأصوات﴾ أقبح الأصوات[9]. قال الزجاج[10]: يقول: أتانا فُلانٌ بوجه مُنْكَر، أي: قبيح.

---

(١) عند الآية رقم: ٣٧.

(٢) عند الآية رقم: ٣٦.

(٣) في الأصل: الشياطين، والتصويب من الكشاف (٣/ ٥٠٤).

(٤) هذا كلام الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٠٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٢٣).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ١٩٩).

(٧) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٨) زيادة من معاني الزجاج (٤/ ١٩٩).

(٩) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٢٣): فإن قيل: كيف قال: «الصوت» ولم يقل: لأصوات الحمير؟

الجواب: أن لكل جنس صوتاً، فكأنه قال: إن أنكر أصوات الأجناس صوت هذا الجنس.

(١٠) معاني الزجاج (٤/ ١٩٩).

قال ابن زيد: لو كان رفع الصوت خيراً ما جعله الله للحمير[١].

وقرأ أبو المتوكل وابن أبي عبلة: «أن أنكر» بفتح الهمزة[٢].

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ وقرأ يحيى بن عمارة: «وأصْبَغَ» بالصاد[٣].

قال أبو الفتح[٤]: أصله السين إلا أنها أبدلت للغين بعدها صاداً، وذلك أن حروف الاستعلاء تجتذب السين عن سفالها إلى تعاليهن، والصاد مستطيلة، وهي أخت السين في المخرج وأحدي حروف الاستعلاء، ونحوه: قولهم في سطر: صطر.

وقال الزمخشري[٥]: هكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف، تقول

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٧٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٦/ ٣٢٣).

(٣) وهي قراءة ابن عباس أيضاً. انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ١٨٥)، والدر المصون (٥/ ٣٨٩-٣٩٠).

(٤) المحتسب (٢/ ٢٣٤).

(٥) الكشاف (٣/ ٥٠٥).

في سلخ: صلخ، وفي سقر: صقر، وفي سالغ: صالغ.

واختلف القراء في «نِعَمَهُ»؛ فقرأ الأكثرون: «نِعْمَةً» على التوحيد. وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وأبو جعفر: «نِعَمَهُ» على الجمع(١).

قال أبو علي(٢): من قرأ «نِعَمَهُ» على الجمع؛ فلأنّ نِعَم الله تعالى كثيرة. ومن قرأ «نِعْمَةً» على الإفراد؛ فلأن المفرد أيضاً يدل على الكثرة، قال: ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم:٣٤].

وروى جويبر عن الضحاك قال: سألت ابن عباس عن قول الله تعالى: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ فقال: هذا من مخزوني الذي سألت رسول الله ﷺ عنه، فقلت: يا رسول الله! ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ قال: أما الظاهرة: الإسلام وما حسن من خلقك، وما أفضل عليك من الرزق، وأما الباطنة: فما ستر عليك من سوء عملك يا ابن عباس(٣).

وقال الحارث المحاسبي: الظاهرة: نعيم الدنيا، [والباطنة](٤): نعيم العقبى(٥).

وقيل: الظاهرة: الرزق المكتسب، والباطنة: الرزق من حيث لا يحتسب.

وقيل: الظاهرة: ألوان العطايا، والباطنة: غفران الخطايا.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٥-٥٦٦)، والكشف (٢/ ١٨٩)، والنشر (٢/ ٣٤٦-٣٤٧)، والإتحاف (ص:٣٥٠)، والسبعة (ص:٥١٣).

(٢) الحجة (٣/ ٢٧٤).

(٣) أخرجه البيهقي في شعبه (٤/ ١٢٠ ح٤٥٠٥). وذكره الديلمي في الفردوس (٤/ ٤٠٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٢٥-٥٢٦) وعزاه لابن مردويه والديلمي وابن النجار.

(٤) في الأصل: والباطن.

(٥) ذكره القرطبي (١٤/ ٧٣).

ويروى: أن موسى عليه السلام قال: إلهي دلني على أخفى نعمتك على عبادك؟ فقال: أخفى نعمتي عليهم: النَّفَس[1].

ويروى: أن أيسر ما يعذب به أهل النار: الأخذ بالأنفاس[2].

قوله تعالى: ﴿أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ أي: إلى موجباته وأسبابه.

قال أبو عبيدة: جوابه محذوف، تقديره: أتتبعونه.

وقال صاحب الكشاف[3]: معناه: ولو كان الشيطان يدعوهم، أي: في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب.

وقال الأخفش[4]: لفظه لفظ استفهام، ومعناه التقرير.

۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله﴾ وقرأ علي بن أبي طالب وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو العالية وقتادة: «ومن يُسَلِّمْ» بالتشديد[5]. يقال: أَسْلِمْ أمركَ

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٠٦).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٠٦). قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص:١٣٠): لم أجده.

(٣) الكشاف (٣/ ٥٠٦).

(٤) معاني الأخفش (ص:٢٦٧).

(٥) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٢٥)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩٠).

وسَلِّم أمْرَكَ إلى الله تعالى، والمراد: التوكل عليه والتفوض إليه.

﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ هو مفسر في البقرة[1].

وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

وما بعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام﴾ سبب نزولها: ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن أحبار اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: أرأيت قول الله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء:٨٥] إيانا يريد أم قومك؟ فقال: كلا، فقالوا: ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء؟ فقال: إنها في علم الله تعالى قليل، فنزلت هذه الآية[2].

والمعنى: ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر، وكتبت

---

(١) عند الآية رقم: ٢٥٦.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٨١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٦) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم، والواحدي في أسباب نزول القرآن (ص:٣٥٨)، والماوردي (٤/ ٣٤٤).

بتلك الأقلام وبذلك المِدَاد كلمات الله، لما نفدت كلماته.

قال ابن قتيبة[١]: «يَمُدُّ» من المِدَاد لا من الإمْدَاد. يقال: مَددتُ دَوَاتي بالمِدَاد، وأمددتُه بالمال والرجال.

واختلف القراء في «البحر»: فرفعه الأكثرون، ونصبه أبو عمرو[٢].

قال الزجاج[٣]: النصب عطفٌ على «ما»، والرفع حسن على وجهين:

أحدهما: والبحر هذه حاله. ويجوز أن يكون معطوفاً على موضع «أن» مع ما بعدها.

وقال غيره: يجوز أن يكون النصب من باب قوله: ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ [يس:٣٩]، ﴿والسماء رفعها﴾ [الرحمن:٧]، فيكون منصوباً بمضمر، تقديره: يمدُّه من بعده.

وقال أبو علي والزمخشري[٤]: الرفع على الابتداء، والواو للحال، على معنى: ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدوداً. وهو الوجه الأول الذي ذكره الزجاج.

قال الزمخشري[٥]: فإن قلت: الكلمات جمع قلّة، والموضع موضع التكثير، فهلاّ قيل: كلم الله؟

---

(١) انظر قول ابن قتيبة في: زاد المسير (٦/ ٣٢٦).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٤-٢٧٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٦)، والكشف (٢/ ١٨٩)، والنشر (٢/ ٣٤٧)، والإتحاف (ص:٣٥٠)، والسبعة (ص:٥١٣).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٠).

(٤) الحجة (٣/ ٢٧٥)، والكشاف (٣/ ٥٠٧).

(٥) الكشاف (٣/ ٥٠٨).

قلتُ: معناه: أن كلماته لا تفي [بكتبتها][1] البحار، فكيف بكلمه؟

وقرأ ابن مسعود: «وبحر يمدُّه» على التكثير[2].

وقرئ: «تَمُدُّه» و«يَمُدُّه» بالتاء والياء[3]، ونعتها يشير إلى استواء القليل والكثير في قدرته.

قوله تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ معناه: إلا كحق نفس واحدة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الفُلْكَ﴾ وقرأ موسى بن الزبير: «الفُلُكَ» بضم اللام[4].

---

(١) في الأصل: بكتبة. والتصويب من الكشاف (٣/ ٥٠٨).

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ١٨٦)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩١).

(٣) مثل السابق.

(٤) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ١٨٨)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩١).

قال الزمخشري[١]: كل فُعْل: يجوز فيه فُعُل، كما يجوز في كل فُعُل فعل، على مذهب التعويض.

﴿ليريكم من آياته﴾ من عجائب مخلوقاته ودلائل قدرته.

﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار﴾ على الشدة والبلاء ﴿شكور﴾ في العافية والرخاء.

وقال أهل المعاني: أراد: لآيات لكل مؤمن؛ لأن الصبر والشكر من أفضل خصال المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل﴾ يريد: الكفار. وقيل: هو على عمومه.

ولما كان الموج يرتفع ويتراكم شُبِّهَ بالظُّلَل، وهو جمع ظلة، والظُّلَّة: كل ظُلَل من شجر أو سحاب أو غيرهما.

قوله تعالى: ﴿فمنهم مقتصد﴾ متوسط في الكفر والظلم.

قال مجاهد: مقتصد في القول مضمر للكفر[٢].

وقال الكلبي: مقتصد في القول من الكفار؛ لأن بعضهم أشد قولاً وأغلا في الافتراء من بعض[٣].

---

(١) الكشاف (٣/ ٥١٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٢٩) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٤٩٦).

وقيل: «مقتصد» بمعنى: مؤمن. قاله الحسن[١].

وقال ابن زيد: «المقتصد»: الذي هو على صلاح من الأمر[٢].

﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور﴾ قال ابن قتيبة[٣]: الخَتْرُ: أقبحُ الغدر وأشدُّه.

وأنشدوا قول عمرو بن معدي كرب:

فإنكَ لو رأيتَ أبا عُمَيرٍ ... مَلأْتَ يَدَيْكَ منْ غَدْرٍ وخَتْرْ[٤]

أخبرنا المؤيد بن محمد بن علي بن كنانة، أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا أبو نصر المهرجاني، أخبرنا عبيدالله بن محمد الزاهد، أخبرنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، حدثنا أبو الربيع الزهراني[٥]، حدثنا حماد بن زيد[٦]، عن أيوب، [عن][٧] ابن أبي مليكة قال: «لما

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٣٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٢٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٥).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٤٥).

(٤) البيت لعمرو بن معد يكرب. انظر: ديوانه (ص:١٠٩)، والدر المصون (٥/ ٣٩٢)، والطبري (٢١/ ٨٥)، والقرطبي (١٤/ ٨٠)، وروح المعاني (٢١/ ١٠٦)، والماوردي (٤/ ٣٤٨)، والبحر (٧/ ١٧٧)، ومجاز القرآن (٢/ ١٢٩).

(٥) هو سليمان بن داود العتكي، أبو الربيع الزهراني البصري الحافظ، ثقة صدوق، سكن بغداد، مات سنة أربع وثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ١٦٦، والتقريب ص:٢٥١).

(٦) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، أبو إسماعيل البصري الأزرق، مولى آل جرير بن حازم، كان ضريراً، ثقةً ثبتاً، كثير الحديث، مات سنة تسع وسبعين ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٩-١٠، والتقريب ص:١٧٨).

(٧) زيادة من مصادر التخريج.

كان فتح مكة هرب عكرمة بن أبي جهل فركب البحر، فَخَبَّ بهم البحر، فجعلت [الصَّراري][(١)] ومن معه في السفينة يدعون الله تعالى ويستغيثون به، فقال: ما هذا؟ قيل: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله. فقال عكرمة: وهذا إله محمد الذي كان يدعونا إليه، ارجعوا بنا، فرجع فأسلم»[(٢)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده﴾ أي: لا يقضي عنه شيئاً من جنايته ومظالمه، ومنه قول الراعي:

[وأجْزَأتْ][(٣)] أمرَ العالمينَ ولم يكن ... [ليجْزِي][(٤)] إلا كاملٌ وابنُ كامل[(٥)]

وقد سبق هذا المعنى، والفرق بين جزى وأجزى في البقرة.

﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ عن التزود لآخرتكم، ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ أي: لا يغرنكم بحلم الله وإمهاله الغَرُور.

---

(١) في الأصل: البصاري. والمثبت من مجمع الزوائد (٥/ ٥).
والصَّراري: الملاّح (اللسان، مادة: صرر).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ٣٧٢ ح١٠١٩). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٥)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٤٧).

(٣) في الأصل: وأجزاب. والتصويب من مصادر البيت.

(٤) في الأصل: لبحري. والتصويب من مصادر البيت.

(٥) البيت للراعي، وهو في: الماوردي (٤/ ٣٤٩)، والقرطبي (١/ ٣٧٨).

وهو الشيطان، في قول مجاهد[١].

والأمل بتمني المغفرة، في قول سعيد بن جبير[٢].

وقرأ سماك بن حرب: «الغُرور» بضم الغين[٣].

قال الكلبي: هو غرور الدنيا بخدعها الباطلة.

وقيل: غرور الدنيا بشهواتها الموبقة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من أهل البادية يقال له: الوارث بن عمرو بن حارثة أتى رسول الله ﷺ فقال: أخبرني عن الساعة متى قيامها، وإني قد ألقيت [حباتي][٤] في الأرض وقد [أبطأت عنّا][٥] السماء فمتى تمطر، وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها ذكراً أم أنثى، وإني عملت ما عملت أمس فما أعمل غداً، وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت؟ فنزلت

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٧)، ومجاهد (ص:٥٠٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠١) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٣٠) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٣٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ١٨٩)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩٢).

(٤) زيادة من الكشاف (٣/ ٥١١).

(٥) في الأصل: أنطأت عبا. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

هذه الآية[١].

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله، ولا يعلم متى [تغيض][٢] الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا تعلم نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله»[٣].

وقال ابن عباس: من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب، وإياكم والكهانة، فإن الكهانة تدعو إلى الشرك، والشرك وأهله في النار[٤].

وقال الزجاج[٥]: من ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه فقد كَفَرَ بالقرآن؛ لأنه خالفه.

ومعنى قوله تعالى: ﴿عنده علم الساعة﴾: علم قيامها.

﴿وينزل الغيث﴾ قال صاحب كشف المشكلات[٦]: هذه الآية تدل على أن الظرف يشبه الفعل، ألا ترى أنه قال: «عنده علم الساعة»، فجاء بالظرف وما

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٣٠) وعزاه لابن المنذر عن عكرمة. وذكره الواحدي في: أسباب النزول (ص:٣٥٩). وانظر لفظ المصنف في: الكشاف (٣/ ٥١١) واسم الرجل فيه: «الحارث» بدل: «الوارث»، والبحر المحيط (٧/ ١٨٩) واسم الرجل فيه: الحارث بن عمارة المحاربي.

(٢) في الأصل: غيض. والتصويب من الصحيح (٢/ ١٧٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٣٣ ح٤٤٢٠).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥١١-٥١٢).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٢).

(٦) كشف المشكلات (٢/ ٢١٨-٢١٩).

ارتفع به، ثم قال: «وينزل الغيث»، فعطف الفعل والفاعل على الظرف وما ارتفع به، ومثله: ﴿نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع﴾ [المؤمنون:٢١] فصدَّر بالفعل والفاعل، ثم عطف بالظرف، وأنشد:

نُقاسِمُهُم أسيافَنَا شَرَّ قسمةٍ   ففينا غَواشيها وفيهمْ صُدُورُها[١]

فصدَّرَ بالفعل والفاعل، ثم أتى بالظرف وما ارتفع به.

ويجوز أن يكون التقدير: وأن ينزل الغيث، أي: عنده علم الساعة وإنزال الغيث، فحذف «أنْ» كقوله:

.... أحْضُرَ الوغى   ....[٢]

والمعنى: وينزل الغيث في زمانه ومكانه.

﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ من ذكر أو أنثى، وتام وناقص، ومؤمن وكافر، وحسن وقبيح، وأبيض وأسود، إلى غير ذلك.

﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ من خير أو شر، وربما كانت عازمة على شيء فينقلب معكوساً، و«ماذا» ينتصب بقوله: «تكسب»، لا بقوله: «تدري»؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله.

﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ قال بعض العلماء: كم من نفس أقامت

---

(١) البيت لجعفر بن علبة الحارثي، وهو في اللسان (مادة: غشا)، وتاج العروس (مادة: غشا).

(٢) جزء من بيت لطرفة، وهو:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى   وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

انظر: ديوانه (ص:٣٢)، واللسان (مادة: أنن، دنا)، والبحر (٧/ ١٦٣)، والدر المصون (١/ ٢٧٥، ٥/ ٣٧٥)، والسبع الطوال (ص:١٧٢)، والمقتضب (٢/ ١٣٤)، والهمع (١/ ٦)، والخزانة (١/ ١١٩).

بأرض وضربت أوتادها وقالت: لا أبرح أو أقبر فيها، فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها بها ظنونها.

ويروى: أن مَلَكَ الموت عليه السلام مرّ على سليمان عليه السلام، فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه، فقال الرجل: من هذا؟ قال: ملك الموت، قال: [فكأنه][1] يريدني، وسأل سليمان أن يحمله على الريح وتلقيه ببلاد الهند، ففعل، ثم قال ملك الموت لسليمان: كان دوام نظري إليه تعجباً فيه لأني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك[2].

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إذا أراد الله عز وجل قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾»[3].

وقال هلال بن يساف: ما من مولود يولد إلا وفي سرته من تربة الأرض التي يدفن فيها[4].

فإن قيل: الأرض مؤنثة فكيف قال: «بأي أرض»؟

قلت: أراد بالأرض: المكان.

---

(١) في الأصل: فكا. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٧٠ ح٣٤٢٦٨)، وأحمد في الزهد (ص:٥٣).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٢٠٦ ح٨٤١٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٢). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٦) وعزاه للطبراني في الأوسط. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٣٢-٥٣٣) وعزاه للطيالسي وأحمد وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٣٥٠)، والمناوي في فيض القدير (٣/ ٥٣٣) وعزاه للدينوري في المجالس.

وقال الفراء[1]: اجتزأ بتأنيث الأرض من أن يظهر في أيّ تأنيث آخر.

وقال أبو عبيدة[2]: يقال: بأي أرض [كنت][3]، وبأية أرض كنت، لغتان.

وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب: «بأَيَّةِ أرضٍ» بتاء مكسورة[4].

قال الزمخشري[5]: شبّه سيبويه[6] تأنيث «أي» بتأنيث كل في قولهم: كلَّتهن.

قوله تعالى: ﴿إن الله عليم خبير﴾ قال الماوردي[7]: يحتمل وجهين:

أحدهما: عليم بالغيب خبير بالنية.

والثاني: عليم بالأفعال خبير بالجزاء. والله تعالى أعلم.

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٣٠).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١٢٩).

(٣) في الأصل: كتب. والتصويب من مجاز القرآن، الموضع السابق. وكذا وردت في الموضع التالي.

(٤) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٣١)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩٢).

(٥) الكشاف (٣/ ٥١٢).

(٦) انظر: الكتاب (٣/ ٤٠٧).

(٧) تفسير الماوردي (٤/ ٣٥٠-٣٥١).

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

وتسمى سورة المضاجع. وهي ثلاثون آية في المدني والكوفي، وهي مكية.

واستثنى الكلبي ثلاث آيات، وهي قوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمناً ... إلى آخرها﴾[1].

وقال مقاتل[2]: فيها آية مدنية: ﴿تتجافى جنوبهم ... الآية﴾.

وقال غيرهما: فيها آيات مدنيات من قوله تعالى: ﴿تتجافى﴾ إلى تمام خمس آيات.

قال الزجاج[3]: روى أحمد بن حنبل بإسناد له: « أن النبي ﷺ كان يقرأ في كل ليلة سورة السجدة «الم تنزيل الكتاب»، وسورة تبارك الملك ».

قرأت على أبي المجد محمد بن الحسين القزويني، أخبركم أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي فأقر به، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن ليث، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبدالله قال: «كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ تبارك والم تنزيل»[4].

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٤/ ٣٥٢)، وزاد المسير (٦/ ٣٣٢)، والإتقان (١/ ٣٦-٣٧)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٦٢٠).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٢٦).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٣).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٠ح١٤٧٠٠). وذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٥٠٤).

وبالإسناد قال البغوي: حدثنا المطهر بن علي، حدثنا أبو ذر محمد بن إبراهيم، أخبرنا عبدالله بن محمد المعروف بأبي الشيخ، حدثنا جعفر بن أحمد، حدثنا ابن عرعرة، حدثنا معتمر بن سليمان وفضيل بن عياض، عن ليث، عن أبي الزبير، عن جابر قال: « كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ تنزيل السجدة وتبارك »(١)، قال: هذا حديث رواه غير واحد عن ليث بن أبي سليم مثل هذا.

وروي عن كعب الأحبار أنه قال: « من قرأ سورة السجدة كتبت له سبعون حسنة، وحطّت عنه سبعون سيئة، ورفعت له سبعون درجة »(٢).

قال: ورفع ﴿تنزيل الكتاب﴾ على إضمار: الذي يتلو تنزيل الكتاب.

ويجوز أن يكون في المعنى خبراً عن ﴿الم﴾، أي: أن الم هو تنزيل الكتاب.

ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء، ويكون خبر الابتداء: «لا ريب فيه».

قال الزمخشري(٣): الوجه أن يرتفع «تنزيل» بالابتداء، وخبره: ﴿من رب العالمين﴾، و ﴿لا ريب فيه﴾: اعتراض لا محل له. والضمير في ﴿فيه﴾ راجع إلى مضمون الجملة، كأنه قيل: لا ريب في ذلك، أي: في كونه منزلاً من رب العالمين، ويشهد لوجاهته قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه﴾؛ لأن قولهم: هذا مفترى، إنكار لأن يكون من رب العالمين، وكذلك قوله تعالى: ﴿بل هو الحق من ربك﴾ وما فيه من تقدير أنه من الله.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١٦٥ ح٢٨٩٢).

(٢) أخرجه الدارمي (٢/ ٥٤٦ ح٣٤٠٩).

(٣) الكشاف (٣/ ٥١٣).

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه﴾ أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى: بل والهمـزة، فأضرب عن ذلك إلى قوله: «أم يقولون افتراه» إنكاراً لقولهم.

ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك.

﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ وهم قريش، فإن الله تعالى لم يبعث قبل محمد رسولاً.

وما بعده سبق تفسيره.

﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض... الآية﴾ في معناها قولان:

أحدهما: يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم من أيام الدنيا فيكون الملك قد قطع في يوم واحد من أيـام الـدنيا في نزولـه وصعوده مسافة ألف سنة من سير الآدمي.

الثاني: يدبر أمر الدنيا مدة أيام الدنيا فينـزل القـضاء والقـدر مـن الـسماء إلى

الأرض.

﴿ثم يعرج إليه﴾ أي: يعود إليه الأمر والتدبير حين ينقطع أمر الأمراء وأحكام الحكام وينفرد الله تعالى بالأمر، ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة﴾ وذلك في القيامة؛ لأن كل يوم من أيام الآخرة كألف سنة.

وقال مجاهد: يقضي أمر ألف سنة في يوم واحد، ثم يلقيه إلى الملائكة، فإذا مضت قضى لألف سنة أخرى، ثم كذلك أبداً[1].

فعلى هذه الأقوال: المراد: تدبير أمر الدنيا.

قال الزجاج[2]: ومعنى: «ثم يعرج»: يصعد، يقال: عَرَجْتُ في السُّلَّم أعْرُجُ، ويقال: عَرَجَ الرجل يَعْرُجُ؛ إذا صار أعْرَج[3].

﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٩٢-٩٣).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٤).

(٣) انظر: اللسان (مادة: عرج).

عامر: «خَلْقَهُ» بسكون اللام. وقرأ الباقون بفتحها[١].

قال الزجاج وأبو علي[٢]: من أسكن اللام جاز فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مصدراً دلَّ عليه ما تقدم من قوله تعالى: ﴿أحسن كل شيء﴾، فالمعنى: الذي خلق كل شيء خلقه.

الثاني: أن يكون بدلاً من «كل»، فيصير التقدير: الذي أحسن خَلْقَ كل شيء.

ومن فتح اللام فقال أبو علي[٣]: جعله فعلاً ماضياً وصفاً للنكرة المتقدمة، أي: كل شيء مخلوق.

قال الزجاج[٤]: فتأويل الإحسان في هذا أنه خَلَقَهُ على إرادته، فخَلَقَ الإنسان في أحسن تقويم، وخلق القرْد على ما أحب.

قال صاحب النظم: بيان ذلك: أنه لما طوّل رجل البهيمة والطائر طوّل عنقه؛ لئلا يتعذر عليه ما لا بد له من قوته، ولو تفاوت ذلك لم يكن له معاش، وكذلك كل شيء من أعضاء الحيوان مقدّر لما يصلح به معاشه[٥].

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿أحسن كل شيء خلقه﴾: جعله حسناً[٦].

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٨-٥٦٩)، والكشف (٢/ ١٩١)، والنشر (٢/ ٣٤٧)، والإتحاف (ص:٣٥١)، والسبعة (ص:٥١٦).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٤)، والحجة (٣/ ٢٧٦-٢٧٧).

(٣) الحجة (٣/ ٢٧٧).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٩٤).

وقال مجاهد: أحكمه وأتقنه[(١)].

والقولان متقاربان في المعنى، وهما مرويان عن ابن عباس[(٢)].

وقال السدي: أحسنه لم يتعلمه من أحد، كما يقال: فلان يحسن كذا؛ إذا [علمه][(٣)].

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿وقالوا﴾ يعني: منكري البعث ﴿أإذا ضللنا في الأرض﴾. وقرأ ابن محيصن: «ضَلِلْنا» بكسر اللام، وهما لغتان ضَلَّ يَضِلُّ ويَضَلُّ.

وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء بضم الضاد [وتشديد اللام][(٤)] وكسرها[(٥)].

وقرأ علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين وجعفر بن محمد عليهم السلام: «صَلِلْنا» بصاد مهملة وكسر اللام الأولى[(٦)]، ومثلهم قرأ الحسن إلا أنه فتح اللام[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٩٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٤)، وتفسير مجاهد (ص:٥٠٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٤)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣٤).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣٤). وما بين المعكوفين في الأصل: عمله. والتصويب من المصدرين السابقين.

(٤) في الأصل: وتشد. والتصويب والزيادة من زاد المسير (٦/ ٣٣٦).

(٥) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٣٦)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩٦).

(٦) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٣٥)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩٦).

(٧) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥١).

فمن قرأ بالضاد المعجمة؛ فقال قطرب[١] وغيره: معناه: غُيِّبْنا في الأرض، وأنشد قول النابغة:

وآبَ مُضِلُّوهُ بعينٍ جليَّة ....[٢]

وقال أكثر المفسرين: المعنى: صِرْنا تراباً وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا نتميز منه[٣]، من قولهم: ضَلَّ الماء في اللبن.

ومن قرأها بالصاد المهملة؛ فقال ابن جني[٤]: صَلَّ اللحم يَصِلُّ؛ إذا أَنْتَن[٥]، وَصَلَّ يَصَلّ أيضاً -بفتح الصاد-، والكسر في المضارع أقوى اللغتين.

وقيل: المعنى: صِرْنا من جنس الصَّلَّة، وهي الأرض اليابسة.

﴿أئنا لفي خلق جديد﴾ استفهام في معنى الإنكار.

وقد سبق القول في اختلاف القرّاء فيه، وأشرنا إلى العلة في ذلك.

قوله تعالى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ أي: وُكِّلَ بقبض أرواحكم.

قال مجاهد: حُوِيَت الأرض لملك الموت وجعلت له مثل الطشت يتناول منها

---

(١) انظر قول قطرب في: تفسير الماوردي (٤/ ٣٥٦).

(٢) صدر بيت للنابغة الذبياني، وعجزه:

"وغُودر بالجَولان حزمٌ ونائل". انظر: ديوانه (ص:٩٠)، واللسان (مادة: ضلل، جلا)، والبحر (٧/ ١٩٥)، والدر المصون (٥/ ٣٩٦)، والماوردي (٤/ ٣٥٦)، والقرطبي (١٤/ ٩١)، والطبري (٣/ ٣٠٩)، وروح المعاني (٢١/ ١٢٤).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٣٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣٥).

(٤) المحتسب (٢/ ١٧٤).

(٥) انظر: اللسان (مادة: صلل).

حيث يشاء[1].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولو ترى﴾ خطاب للنبي ﷺ.

ويجوز أن يكون المعنى: ولو ترى أيها السامع، وجوابه محذوف، تقديره: لرأيت أمراً فظيعاً، و«لو» و«إذ» كلاهما للمُضِيّ، وإنما جاز ذلك؛ لأن المترقب من الله بمنزلة الموجود، و«إذ» ظرف للرؤية[2].

﴿المجرمون﴾ مبتدأ، خبره: ﴿ناكسوا رؤوسهم﴾[3]، أي: مطأطئوها حياءً وندماً، ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا﴾ أي: أبصرنا صدق موعدك ووعيدك، وسمعنا منك صدق رُسُلك.

وقيل: المعنى: أبصرنا وسمعنا بعد أن كنا عُمْياً وصُمّاً.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٩٨)، ومجاهد (ص: ٥١٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٤٣) وعزاه للطبري.

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥١٧).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٩٤).

قال قتادة: أبصروا حين لم ينفعهم البصر، وسمعوا حين لم ينفعهم السمع[١].

وفيه إضمار، تقديره: يقولون ربنا أبصرنا. وموضعه من الإعراب: النصب على الحال، أو هو خبر ثان للمبتدأ.

وفي قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ إشعار بأن الإيمان والعمل الصالح منوط بمشيئة الله تعالى وتقديره وردٌّ لقولهم: ﴿ارجعنا نعمل صالحاً﴾.

﴿ولكن حق القول مني﴾ قال ابن السائب: سَبَقَ القول مني[٢].

وقال غيره: وَجَبَ القول مني.

﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ أي: من عُصاة الفريقين.

والقول الذي حق من الله: قوله تعالى لإبليس: ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ [ص:٨٥].

قوله تعالى: ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي: فذوقوا العذاب بترككم الاستعداد ليومكم هذا، أو بترككم الاستعداد ليومكم هذا، أو بترككم الإيمان به.

﴿إنا نسيناكم﴾ تركناكم في العذاب.

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٥-٣١٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٤٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣٥٩).

﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾

قوله تعالى: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها﴾ وُعظوا وخُوِّفُوا بها ﴿خروا سجداً﴾ سقطوا على وجوههم ساجدين، ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ قالوا: سبحان الله وبحمده، ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن تعفير وجوههم لله تعالى.

﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ ترتفع وتَنْبُو عنها، من قولك: جفا الشيء عن الشيء وتجافا عنه؛ إذا نبا عنه ولم يلزمه[1].

والمضاجع: فرش النوم، ومنه قول عبدالله بن رواحة:

يبيتُ يُجافي جَنْبَهُ عنْ فِرَاشِهِ   إذا استثقَلَتْ بالكافرينَ المضاجع[2]

﴿يدعون ربهم﴾ حال[3]، على معنى تتجافى جنبهم داعين ربهم ﴿خوفاً وطمعاً﴾ لأجل خوفهم من عقابه وطمعهم في ثوابه.

قال عطاء ومجاهد: هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة[4].

أخرج الترمذي عن أنس في قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ قال:

---

(١) انظر: اللسان (مادة: جفا).

(٢) البيت لعبد الله بن رواحة، وهو في: البحر (٧/ ١٩٧)، والدر المصون (٥/ ٣٩٨)، والطبري (٢١/ ١٠٢)، والقرطبي (٥/ ٢٠٩، ١٤/ ١٠٠، ١٥/ ٥٢)، والماوردي (٤/ ٣٦١)، وزاد المسير (٥/ ٣٦٢)، وروح المعاني (٢٣/ ٤٨).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٩٠)، والدر المصون (٥/ ٣٩٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٦) عن أنس رضي الله عنه. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٤٥-٥٤٦) وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أنس بن مالك. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن مردويه.

«نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى: العتمة»[١].

وأخرج أبو داود عنه قال: «كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء يصلون»[٢].

وقال أبو الدرداء: هم الذين يصلون العشاء والصبح في جماعة[٣].

وقال الحسن وكثير من المفسرين: هم المتهجدون بالليل[٤]، وهو اختيار الزجاج[٥]؛ لقوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ قال: لما كان قيام الليل عملاً يَسْتَسِرُّ الإنسان به جعل لفظ ما يجازى عليه أخفى.

وفي الحديث: « أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل: إن شئت أنبأتك بأبواب الخير؟ قلت: أجل يا رسول الله. قال: الصوم جُنّة، والصدقة تكفر الخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله. قال: ثم قرأ هذه الآية: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ »[٦].

قوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ قرأ حمزة ويعقوب والحلبي عن عبدالوارث عن أبي عمرو: «أُخْفِيْ» بسكون الياء، وحرّكها الباقون

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٦ ح٣١٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٣٥ ح١٣٢١) وفيه: «يتيقظون»، بدل: «يتنفلون».

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٣٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٣٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ١٠١). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٦٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٤٨) وعزاه لابن نصر وابن جرير.

(٥) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٢٠٧).

(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ١١ ح٢٦١٦)، وأحمد (٥/ ٢٣١ ح٢٢٠٦٩)، والحاكم (٢/ ٤٤٧ ح٣٥٤٨).

بالفتح[١]. فمن أسكن الياء جعله فعلاً مستقبلاً، على معنى: ما [أخفي][٢] أنا لهم، ومن فتحها جعله فعلاً ماضياً لم يُسَمّ فاعله.

و«ما» استفهامية، أو بمعنى: الذي.

وقرأ ابن مسعود وأبو الدرداء وأبو هريرة: «منْ قُرَّاتِ أعين» على الجمع[٣].

قال ابن عباس: هذا مما لا تفسير له، والأمر أعظم وأجلّ مما يُعرف تفسيره[٤].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾»[٥].

قال الزجاج[٦]: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾: مفعول له.

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٩)، والكشف (٢/ ١٩١)، والنشر (٢/ ٣٤٧)، والإتحاف (ص:٣٥٢)، والسبعة (ص:٥١٦).

(٢) في الأصل: أو خفي.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٤٠)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩٨)، والبناء في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٢).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١١٨٥ ح٣٠٧٢)، ومسلم (٤/ ٢١٧٤ ح٢٨٢٤).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٨).

لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ السبب في نزولها: ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أحدُّ منك سناناً، وأبسطُ منك لساناً، وأملأُ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت، فإنما أنت فاسق، فنزلت هذه الآية[1].

وقال شريك: نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل[2].

قال الزجاج[3]: «مَنْ» لفظها لفظ الواحد، وهي تدل على الواحد وعلى الجماعة، فجاء «لا يستوون» على معنى: لا يستوي المؤمنون والكافرون.

ويجوز أن يكون «لا يستوون» للاثنين؛ لأن معنى الاثنين معنى الجماعة.

ثم أخبر عن منازل المقربين فقال: ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى﴾.

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ١١٨)، والخطيب في تاريخه (١٣/ ٣٢١)، وأبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني (٥/ ١٥٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٤)، وأسباب النزول (ص:٣٦٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٥٣) وعزاه لأبي الفرج في كتاب الأغاني والواحدي وابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر من طرق عن ابن عباس.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤١).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٨).

وقرأ ابن مسعود: «جَنَّةُ المأوى»[١].

وقرأ الحسن والنخعي والأعمش: «نُزْلاً» بسكون الزاي[٢]، وذلك كله.

والذي بعده مُفَسَّرٌ إلى قوله: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ أخرج مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب في قوله: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ قال: « مصائب الدنيا، والروم، والبطشة أو الدخان. شَكَّ شُعبة في البطشة أو الدخان »[٣].

قال ابن مسعود وقتادة: ما أصابهم يوم بدر[٤].

وقال النخعي: سنون أخذوا بها[٥].

قال مقاتل[٦]: أخذوا بالجوع سبع سنين.

وقال مجاهد: القتل والجوع[٧].

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٤١)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٣٩٩).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٧ ح٢٧٩٩).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٩ ح٣٥٥١)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١٣ ح٩٠٣٨)، والطبري (٢١/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٠) كلهم عن ابن مسعود. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٥٤) وعزاه للفريابي وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والخطيب والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود.

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٠).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٣٠).

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٠)، ومجاهد (ص: ٥١١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٥٥) وعزاه للفريابي وابن جرير.

وكل هذه الأقوال داخلة في قول أبي بن كعب.

قال الزجاج[(١)]: وجملته: أن كل ما يعذَّبُ به في الدنيا فهو العذاب الأدنى، والعذاب الأكبر: عذاب الآخرة.

وقال البراء: العذاب الأدنى: عذاب القبر[(٢)].

وقال جعفر بن محمد: العذاب الأدنى: غلاء السعر، والأكبر: خروج المهدي بالسيف[(٣)].

﴿لعلهم يرجعون﴾ إلى الإيمان والطاعة.

قوله تعالى: ﴿ثم أعرض عنها﴾ قال صاحب الكشاف[(٤)]: «ثم» هاهنا للاستبعاد. والمعنى: أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد [في العقل والعادة][(٥)]، كما تقول لصاحبك: وجدت [مثل][(٦)] تلك الفرصة ثم لم تنتهزها؛ استبعاداً لتركه الانتهاز. ومنه «ثُمَّ» في بيت الحماسة:

لا يكشفُ [الغَمَّاءَ][(٧)] إلا ابن حُرَّةٍ   يَرَى غَمَراتِ الموْتِ ثُمَّ يَزُورُها[(٨)]

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٨).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤١).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٣٦٥).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٢٢).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: منك. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) في الأصل: الغمات. والتصويب من مصادر البيت.

(٨) البيت لجعفر بن علبة الحارثي. انظر: الحماسة البصرية (١/ ١٥٠)، والبحر المحيط (٧/ ١٩٩)، =

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن [رآها][(١)] واستيقنها واطلع على شدتها.

فإن قلت: هلاَّ قيل: إنا منه منتقمون؟

قلتُ: لما جعله أظلم من كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم، فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر [من][(٢)] الانتقام، ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ اختلفوا في تأويلها؛ فقال أبو العالية ومجاهد وقتادة: المعنى: فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى[(٣)].

قال المفسرون: وعد ﷺ أن يلقى موسى قبل أن يموت، ثم لقيه ليلة الإسراء

= والكشاف (٣/ ٥٢٢).

(١) في الأصل: زارها. والمثبت من الكشاف (٣/ ٥٢٢).

(٢) في الأصل: عن. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٢)، ومجاهد (ص:٥١١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٥٦) وعزاه لابن أبي حاتم عن أبي العالية. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

على ما صَحَّتْ به الأخبار[١].

قال الزجاج[٢]: الذي جاء في التفسير: لا تكن في شك من لقاء موسى، ودليله: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ [الزخرف:٤٥]، فالمعنى: فلا تكن يا محمد في مرية من لقائه، والخطاب للنبي ﷺ بمنزلة الخطاب له ولأمته في هذا الموضع، أي: فلا تكونوا في شك من لقاء النبي ﷺ موسى.

قال الزجاج[٣]: وقيل أيضاً: «فلا تكن في مرية من لقائه»: أي: من لقاء موسى الكتاب[٤]، وتكون الهاء «للكتاب»، ويكون في «لقائه» ذكر موسى.

ويجوز أن تكون الهاء لـ«موسى»، و«الكتاب» محذوف؛ لأن ذكر الكتاب قد جرى كما جرى ذكر موسى ﷺ.

قال[٥]: وهذا والله تعالى أعلم أشبه بالتفسير.

وقال أبو علي الفارسي[٦]: وفي ذلك مدح له ﷺ على امتثاله ما أمر به، وتنبيه

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٣٦٦)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٥).

ولقاء موسى عليه السلام بسيدنا محمد ﷺ تم في ليلة الإسراء والمعراج في السماء، وراجعه موسى عليه السلام عدة مرات في فريضة الصلاة حتى خففت من خمسين صلاة إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، وقد أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء (١/ ١٣٥-١٣٦ ح٣٤٢).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٩).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٠٩).

(٤) لقائه: بمعنى: تلقّيه.

(٥) أي: الزجاج (٤/ ٢٠٩).

(٦) لم أقف عليه في الحجة.

على الأخذ بمثل هذا الفعل.

وقيل: فلا تكن في مرية لقاء موسى ربه.

وقيل: من لقاء الأذى كما لقي موسى.

﴿وجعلناه﴾ يريد: الكتاب، في قول الحسن[١].

وموسى، في قول قتادة[٢].

﴿هدى لبني إسرائيل * وجعلنا منهم أئمة﴾ أي: من بني إسرائيل أئمة قادة في الخير، وهم العالمون العاملون.

وقيل: الأنبياء.

﴿يهدون بأمرنا﴾ يدعون الناس إلى العمل بها في التوراة، ﴿لما صبروا﴾. وقرأ حمزة والكسائي: «لِمَا» بكسر اللام وتخفيف الميم[٣]. وبها قرأتُ أيضاً ليعقوب من رواية رويس عنه.

ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود: «بما صبروا»[٤]، جعلوا «ما» مصدرية، على معنى: جعلناهم أئمة لصبرهم.

ومن شدَّد جعل «لمّا» بمعنى: حين.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٣٦٦)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٥) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٢). وذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٣٦٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٥٦).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٦٩)، والكشف (٢/ ١٩٢)، والنشر (٢/ ٣٤٧)، والإتحاف (ص:٣٥٢)، والسبعة (ص:٥١٦).

(٤) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٤٤)، وأبو حيان في: البحر (٧/ ٢٠٠).

وقال أبو علي[١]: جعله كالمجازاة، إلا أن الفعل المتقدم أغنى عن الجواب، كما أنك إذا قلت: أجيئُكَ إن جئت، تقديره: إن جئت أجِئْك، [فاستغنيت][٢] عن الجواب بالفعل المتقدم على الشرط.

قوله تعالى: ﴿إن ربك هو يفصل بينهم﴾ أي: بين الأنبياء وأممهم، أو بين المؤمنين والكافرين، ودخلت «هو» هاهنا فَصْلاً، ومثله: ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ [فاطر:١٠]، وقوله تعالى: ﴿هو يقبل التوبة عن عباده﴾ [التوبة:١٠٤].

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أو لم يَهْدِ لهم﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: «نَهْدِ» بالنون[٣]. وقد سبق تفسيره في آخر طه[٤].

والضمير في قوله: ﴿لهم﴾ لأهل مكة، ﴿يمشون﴾. وقرئ شاذاً: «يُمَشُّونَ» بالتشديد[٥]، ﴿في مساكنهم﴾ أي: يمرّون في متاجرهم على مساكنهم.

قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء﴾ المطر أو السيل ﴿إلى الأرض الجرز﴾

---

(١) الحجة (٣/ ٢٧٨).

(٢) في الأصل: فإن استغنيت. والتصويب من الحجة، الموضع السابق.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٤٤).

(٤) عند الآية رقم: ١٢٨.

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٦/ ٢٦٧)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٦٤).

قال الزمخشري[(١)]: هي التي جُرِزَ نباتها، أي: قُطِعَ؛ إما لعدم الماء، وإما لأنه رعـي وأزيل، ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ: جُرُز. ويدل عليـه قولـه: ﴿فنخـرج بـه زرعاً﴾.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ قد ذكرنا فيما مضى أن الفـتح يكـون بمعنى: القضاء والحكم، ويكون بمعنى: النصر.

فإن أريد الأول -وهو قول أكثر المفسرين- كان المعنى: ويقـول كفـار مكـة تكذيباً واستهزاء واسـتبعاداً: متـى هـذا القـضاء والقـصد الكـائن بـين المـؤمنين والكافرين[(٢)]. يريدون: يوم القيامة، أو يوم وقوع الحكم بعذابهم في الـدنيا، عـلى قول السدي[(٣)].

وإن أريد الثاني؛ فالمعنى: متى فتح مكـة ونـصركم عليهـا. وهـذا قـول ابـن السائب والفراء وابن قتيبة[(٤)].

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٢٣).

(٢) ذكره الطبري (٢١/ ١١٦)، والماوردي (٤/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤٤).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤٥).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٣٣٣)، وتفسير غريـب القـرآن لابـن قتيبـة (ص:٣٤٧)، وتفـسير المـاوردي (٤/ ٣٦٨)، وزاد المسير (٦/ ٣٤٥).

فإن قيل: كيف يصح هذا القول والله تعالى يقول: ﴿قل يـوم الفـتح لا ينفـع الذين كفروا إيمانهم﴾ وإيمان من آمن يوم فتح مكة نافع لهم؟

قلتُ: المعنى: لا ينفع الذين إيمانهم في حال القتل ومعاينة سلطان الموت، كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق.

وقال ابن عباس: المعنى: لا ينفع مـن قتـل مـن الكفـار يومئـذ إيمانهـم بعـد الموت[1].

وقيل: كان النبي ﷺ قال: « من أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سـلاحه فهـو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن »[2]، وكان خالد بن الوليد دخل من غير الطريق التي دخل فيها رسول الله ﷺ، فلقيه جماعة منهم سهيل بن عمرو فقاتلوه، فصاح خالد في أصحابه، فقتل منهم أربعة وعشرين رجلاً من قريش، وأربعة من هذيل وانهزموا، وجعل يقتل من لقـي، والنبـي ﷺ يرسـل إليـه: ارفـع السـيف، والقدرة الإلهية توقع في سمعه، ضع السيف[3].

إذا ثبت ذلك فنقول: يقال: آمنتُ فلاناً إيماناً وأماناً.

فالمعنى: لا ينفعهم إيمانهم الذي جعل لهم، ولا يدفع عـنهم العـذاب النـازل بهم.

﴿ولا هم ينظرون﴾ لا يمهلون لمعذرة أو توبة.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٠٧ ح١٧٨٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤٥).

﴿فأعرض عنهم﴾ قال ابن عباس: منسوخ بآية السيف[(١)].

﴿وانتظر﴾ النصرة عليهم ومواعيدي فيهم بالهلاك، ﴿إنهم منتظرون﴾ هلاكك.

وقرأ ابن السميفع: «إنهم مُنْتَظَرُون» بفتح الظاء[(٢)]، على معنى: إنهم أحق أن ينتظروا هلاكهم، أو أن الملائكة ينتظرونه.

والله تعالى أعلم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤٦).

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٢٠٠)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٠٠).

سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ثلاث وسبعون آية، وهي مدنية بإجماعهم.

أخبرنا شيخنا الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة، أخبرنا الشيخ أبو محمد عبدالقادر بن أبي صالح الجيلي، أخبرنا أحمد بن مظفر بن سوسن التمار، أخبرنا الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزاز، أخبرنا أبو بكر[1] محمد بن العباس بن نجيح، حدثنا يعقوب بن يوسف[2]، حدثنا القاسم بن الحكم[3]، حدثنا مسعر[4]، عن عاصم، عن زر[5]، عن أبي بن كعب قال: «كم آية تدعون

---

(١) في الأصل زيادة لفظة: «بن». وهو خطأ، انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٣/ ١١٨)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٥١٣-٥١٤).

(٢) يعقوب بن يوسف بن إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب بن الضحاك، أبو عمرو القزويني، كان ثقة (تاريخ بغداد ١٤/ ٢٨٦).

(٣) القاسم بن الحكم بن كثير بن جندب بن ربيع بن عمرو بن عبد الله بن إبراهيم بن كعب العرني، أبو أحمد الكوفي، قاضي همدان، صدوق فيه لين، مات سنة ثمان ومائتين (تهذيب التهذيب ٨/ ٢٧٩، والتقريب ص:٤٤٩).

(٤) مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالي العامري الرواسي، أبو سلمة الكوفي، أحد الأعلام، ثقة ثبت فاضل، مات سنة ثلاث أو خمس وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٠٢-١٠٣، والتقريب ص:٥٢٨).

(٥) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس بن بلال، وقيل: هلال الأسدي، أبو مريم، ويقال: أبو مطرف الكوفي، مخضرم أدرك الجاهلية، كان عالماً بالقرآن قارئاً فاضلاً، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث وثمانين (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٧٧، والتقريب ص:٢١٥).

سورة الأحزاب؟ قال: اثنين وسبعين أو ثلاثاً وسبعين، قال: فقال: كانت توازي سورة البقرة وأكثر. وقد قرأتُ فيها: الشيخ والشيخة [إذا زنيا فـ][(١)] ـارجموهما البتة نكالاً من الله»[(٢)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ أي: دُمْ على التقوى، أو ازْدَدْ منه، أو هو مما خوطب به النبي ﷺ، والمراد: أمته.

﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ لا تقبل لهم [رأياً][(٣)] ولا مشورة.

قال المفسرون: كان النبي ﷺ يحب إسلام اليهود: قريظة والنضير وبني قينقاع، وكان قد بايعه ناس منهم على النفاق، فكان يلين لهم جانبه ويسمع منهم، وقدم عليه في الموادعة أبو سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبو الأعور السلمي، فقالوا له: ارفض ذكر آلهتنا وقل: إنها تشفع وتنفع وندعك وربك، وأعانهم على ذلك القول رؤساء المنافقين.

ويروى: أن أهل مكة حين قدموا المدينة نزلوا على عبد الله بن أبيّ والجد بن قيس ومعتب بن قشير، فلما عرضوا على رسول الله ﷺ ما ذكرنا، همّ رسول الله ﷺ

---

(١) زيادة من مسند أحمد (٥/ ١٣٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٣٢ ح٢١٢٤٥).

(٣) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٢٧).

والمسلمون بقتلهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١].

فيُخَرَّجُ في قوله تعالى وجه آخر: أي: اتق الله في نقض العهد.

﴿إن الله كان عليماً﴾ بالصواب والخطأ، أو بما يكون منهم، ﴿حكيماً﴾ في تدبيره.

﴿واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما يعملون خبيراً﴾ قرأ أبو عمرو إلا عبد الوارث: «يعملون خبيراً» يريد: الكافرين والمنافقين، وكذلك: «بما يعملون بصيراً»[٢] بالياء فيهما على المغايبة، وقرأ الباقون بالتاء[٣].

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ قال ابن عباس: كان المنافقون يقولون: إن لمحمد قلبين، قلباً مع أصحابه وقلباً معنا، فنزلت هذه

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٣٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٤٧).

(٢) عند الآية رقم: ٩ من سورة الأحزاب.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٠)، والكشف (٢/ ١٩٣)، والنشر (٢/ ٣٤٧)، والإتحاف (ص:٣٥٢)، والسبعة (ص:٥١٨-٥١٩).

الآية[١].

وقال السدي وكثير من المفسرين: نزلت في جميل بن معمر الفهري[٢]، وكان وقاداً ظريفاً لبيباً حافظاً لما يسمع، وكان يقول: إن في جوفي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فكانت قريش تسميه ذا القلبين، فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم جميل بن معمر، فتلقاه أبو سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده وأخرى في رجله، فقال: يا معمر: ما حال الناس؟ قال: انهزموا. قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ فقال: ما شعرت إلا [أنهما][٣] في رجلي، فعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده[٤].

وقال الزجاج[٥]: أكثر ما جاء في التفسير: أن عبدالله بن خطل كانت تسميه قريش: ذا القلبين.

وروي أنه كان يقول: إن لي قلبين أفهمُ بكل واحد منهما أكثر ما يَفهم محمداً، فأكذبه الله تعالى فقال: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٨ ح٣١٩٩) وقال: هذا حديث حسن، وأحمد (١/ ٢٦٧ ح٢٤١٠)، والطبري (٢١/ ١١٨)، والحاكم (٢/ ٤٥٠ ح٣٥٥٥)، والضياء المقدسي في المختارة (٩/ ٥٣٩-٥٤٠ ح٥٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٦١) وعزاه لأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والضياء في المختارة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٢).

(٣) في الأصل: نهما.

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٦٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦/ ٣٤٩).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٢١٣-٢١٤).

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ١١٨) وذكره الماوردي (٤/ ٣٧٠).

ثم قَرَنَ هذا الكلام ما يقوله المشركون وغيرهم مما لا حقيقة له فقال تعالى: ﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ فأعلم الله تعالى أن الزوجة لا تكون أمّاً، وكانت الجاهلية تُطَلِّقُ بهذا الكلام، فأنزل الله تعالى كفارة الظِّهار في سورة المجادلة.

ومعنى الكلام: وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن كأمهاتكم في التحريم. وسيأتي إن شاء الله تعالى حكم الظِّهار وأحكامه في سورة المجادلة.

واختلف القُرّاء في قوله تعالى: ﴿اللائي﴾؛ فقرأ ابن عامر وأهل الكوفة بتحقيق الهمزة وياء ساكنة بعدها، وكذلك قالون وقنبل إلا أنهما اجتزءا بالكسرة عن الياء. وقرأ أبو عمرو والبزي ووَرْش بتخفيف الهمزة من غير ياء بعدها[1].

قال أبو علي[2]: القياس أن تُجْعَل بين بين.

وقال بعض أصحاب ابن مجاهد: كان ابن كثير وأبو عمرو يقرآن بتخفيف الهمزة فتصير ياء ساكنة، وزعم أنه كذلك ضبط، وكذلك اختلافهم في التي في المجادلة[3] والطلاق[4].

قال أبو علي[5]: من قرأ بإثبات الياء فهو القياس؛ لأن اللائي وزنه: فَاعِل، مثل: شائي.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٧٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧١)، والكشف (٢/ ١٩٣)، والنشر (١/ ٤٠٤)، والإتحاف (ص:٣٥٢)، والسبعة (ص:٥١٨).

(٢) الحجة (٣/ ٢٧٩-٢٨٠).

(٣) عند الآية رقم: ٢.

(٤) عند الآية رقم: ٣.

(٥) الحجة (٣/ ٢٧٩).

ومن حذف الياء فقال مكي[١]: اجتزأ بالكسرة عنها؛ كالقاض والغاز. والذين أسكنوا الياء [خفَّفُوا][٢] الهمزة على البدل، فأبدلوا منها ياء مكسورة، وأسكنوا الياء تخفيفاً. ومن كسر الياء أتى بها على أصل البدل.

وقرأ عاصم: «تُظاهِرون» بضم التاء والتخفيف مع الألف وكسر الهاء. وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء والهاء وتخفيف الظاء مع الألف، ومثلهما قرأ ابن عامر، إلا أنه شدد الظاء. وقرأ الباقون بتشديد الظاء والهاء من غير ألف[٣].

قوله تعالى: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ قال مجاهد: كان الرجل في الجاهلية يكون ذليلاً، فيأتي الرجل ذا القوة والشرف فيقول: أنا ابنك، فيقول: نعم، فإذا قبله واتخذه ابناً أصبح أعز أهلها، وكان زيد بن حارثة منهم، قد تبنّاه النبي ﷺ على ما كان يصنع أهل الجاهلية، فلما جاءت هذه الآية أمرهم الله تعالى أن يلحقوهم بآبائهم، فقال تعالى: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾[٤].

وقال جماعة من المفسرين: نزلت في زيد بن حارثة، وكان رسول الله ﷺ تبنّاه، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش -وكانت تحته-، قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٥].

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/ ١٩٣).

(٢) في الأصل: حققوا. والتصويب من الكشف، الموضع السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٢)، والكشف (٢/ ١٩٤)، والنشر (٢/ ٣٤٧)، والإتحاف (ص:٣٥٣)، والسبعة (ص:٥١٩).

(٤) أخرج مجاهد في تفسيره (ص:٥١٣) قال: نزلت في زيد بن حارثة، وكان النبي ﷺ تبناه.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٥١).

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر أنه قال: «ما كنا ندعوا زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾»[١].

والأدْعِياء: جمع دَعِيّ، وهو الذي يدعى ابناً لغير أبيه.

﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ أي: ذلكم النسب هو قولكم بأفواهكم لا حقيقة له ولا صحة.

﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ أي: الطريق المستقيم.

ثم قال ما هو من الحق وهدى، إلى ما هو من السبيل المستقيم؛ فقال تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ أي: انسبوهم إلى آبائهم الذين ولدوهم، ﴿هو أقسط عند الله﴾ أي: أعدل عند الله، ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿في الدين ومواليكم﴾ أي: أولياؤكم فيه فقل: يا أخي ويا مولاي. ولما نزلت هذه الآية نسبوا إلى آبائهم؛ كالمقداد كان ينتسب إلى الأسود، فرُدَّ إلى أبيه عمرو، وزيد رُدَّ إلى أبيه حارثة، ومن لم يكن له أب معلوم قيل له: مولى فلان؛ كسالم مولى أبي حذيفة.

﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ قال مجاهد: فيما أخطأتم من ذلك قبل النهي، ﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ بعد النهي[٢].

وقال قتادة: لو دعوتَ رجلاً لغير أبيه وأنت ترى أنه أبوه ليس عليك بأس، ولكن الإثم في الذي تعمدت قلوبكم من دعائهم إلى غير آبائهم[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٩٥ ح٤٥٠٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢١)، ومجاهد (ص:٥١٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٦٥) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٦٥) =

ويجوز عندي أن يكون المراد: ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به مما تبادرت إليه ألسنتكم من دعائكم إياهم لغير آبائهم جَرْياً على عادتكم، ولكن ما تعمدت قلوبكم من ذلك.

قوله تعالى: ﴿ما تعمدت﴾ في موضع جرّ عطفاً على «ما» الأولى.

﴿وكان الله غفوراً﴾ لما كان منكم قبل النهي، أو لما قلتموه خطأً ونسياناً على المعنى الذي ذكرته، أو لما كان منكم في الشرك، ﴿رحيماً﴾ بكم في الإسلام.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ قال ابن عباس: إذا دعاهم النبي ﷺ إلى شيء ودعتهم أنفسهم إلى شيء، كانت طاعة النبي ﷺ أولى بهم من طاعة أنفسهم[١].

وقال مقاتل بن حيان: أولى بهم من بعضهم ببعض[٢].

وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٥٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٥٢).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣٧٣).

وقال عكرمة: كان في الحرف الأول: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبوهم»[1].

وفي قراءة مجاهد: «وهو أبٌ لهم»[2].

وحكى النقاش: أن النبي ﷺ دعا الناس في غزوة تبوك، فقال ناس: نستأذن آباءنا وأمهاتنا، فنزلت هذه الآية[3].

قرأتُ على قاضي القضاة أبي صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبد القادر الجيلي الحنبلي، أخبرتكم شهدة بنت أحمد بن الفرج الكاتبة فأقرّ به، قالت: أخبرنا أبو الفضل محمد بن عبدالسلام بن أحمد الأنصاري، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي البرقاني قال: سمعت أبا القاسم عبدالله بن إبراهيم بن يوسف الجرجاني الأبندوني يقول: أخبرني محمد بن سعيد بن هلال الرسعني، حدثنا المعافى بن سليمان، حدثنا فليح، عن هلال بن علي، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن إلا وأنا [أولى][4] الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ فأيما مؤمن ترك مالاً فلورثته عصبته من كانوا، فإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٥). وذكره الماوردي (٤/ ٣٧٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٦٧) وعزاه لابن أبي حاتم. وفيهم: وهو أبٌ لهم.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢٢)، ومجاهد (ص:٥١٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٦٧) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٣٧٣).

(٤) زيادة من الصحيح. وقد كتب في الهامش: لعله: أولى.

مولاه»[١]. هذا حديث اتفق الشيخان على إخراجه في صحيحيهما، فرواه البخاري عن إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن فليح، عن أبيه، وعن عبدالله بن محمد، عن أبي [تميلة][٢]، عن فليح.

قوله تعالى: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ في تحريمهن ووجوب تعظيمهنّ وإكرامهنّ وهنّ أجانب فيما عدا تحريم النكاح في سائر الأحكام.

وإلى هذا المعنى أشارت عائشة رضي الله عنها في قولها لامرأة قالت لها: يا أمه: لست لك بأم، إنما أنا أم رجالكم[٣].

وإلى هذا المعنى ذهب عامة أهل العلم.

وقد حكى الماوردي[٤] في ثبوت المحرمية وإباحة النظر إليهن وجهاً لهم. وهو بعيدٌ من الصواب؛ لأن تحريم نكاحهن كان إجلالاً لرسول الله ﷺ وحفظاً له، فتبقى سائر الأحكام مقتضى الدليل الأصلي، وغير خافٍ على من له أنسة بعلم النقل ما كان عليه أزواج رسول الله ﷺ من التستر والاحتجاب بعد نزول الحجاب.

وكانت عائشة بعد الحجاب إذا أرادت دخول رجل عليها، أمرت أختها أسماء

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤٥ ح٢٢٦٩، ٤/ ١٧٩٥ ح٤٥٠٣)، ومسلم (٣/ ١٢٣٧ ح١٦١٩).

(٢) في الأصل: تمام، وهو خطأ. والصواب ما أثبتناه. وهو: يحيى بن واضح، أبو تميلة الأنصاري مولاهم المروزي الحافظ، ثقة محمود الرواية (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٥٨، والتقريب ص:٥٩٨).

(٣) أخرجه البيهقي في سننه (٧/ ٧٠ ح١٣٢٠٠)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٦٥، ٦٧، ١٧٨، ٢٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٦٧) وعزاه لابن سعد وابن المنذر والبيهقي في سننه.

(٤) تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٤).

أو غيرها ممن تنتشر حرمة الرضاع بينها وبينه برضاعه منها فترضعه استدلالاً بحديث امرأة أبي حذيفة في إرضاعها سالماً مولاه وهو رجل، وأبى ذلك -أعني: القول بانتشار حرمة مثل هذا الرضاع- سائر أزواج النبي ﷺ، وهو مذهب الأئمة الأربعة وعامة الفقهاء.

قوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام﴾ مُفسَّرٌ في آخر سورة الأنفال إلى قوله تعالى: ﴿من المؤمنين والمهاجرين﴾ يريد: أن ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرثوا بالهجرة والإيمان، كما كانوا يفعلون قبل النسخ.

فعلى هذا القول: «مِن» لابتداء الغاية. ويجوز أن يكون قوله: «من المؤمنين» بياناً «لأولي الأرحام» على معنى: الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضاً من الأجانب.

قوله تعالى: ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً﴾ قال الزمخشري[1]: هذا استثناء من أعم العام في معنى النفع والإحسان، كما تقول: القريب أولى من الأجنبي إلا في الوصية، تريد: أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك، إلا في الوصية.

والمراد بفعل المعروف: التوصية، فإنه لا وصية لوارث، وعُدّي «تفعلوا» بـ«إلى»، لأنه في معنى: تُسْدُوا وتزكوا. والمراد بالأولياء: المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين.

وقال الزجاج[2] -وهو مذهب عامة المفسرين-: هذا استثناء ليس من الأول.

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٣٢).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢١٦).

والمعنى: ليكن فعلكم إلى أوليائكم معروفاً.

﴿كان ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره في الآيتين جميعاً ﴿في الكتاب﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿مسطوراً﴾.

قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا﴾ أي: واذكر إذ أخذنا ﴿من النبيين ميثاقهم﴾ بتبليغ الرسالة، والدعاء إلى التوحيد والطاعة، وإيمان بعضهم ببعض، ﴿ومنك﴾ يا محمد، ﴿ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى﴾ ولما كان هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء المشهورين؛ قدّم أفضلهم، وهو محمد ﷺ.

وقال الزجاج[١]: جاء في التفسير: إني خُلِقْتُ قبل الأنبياء وبُعثتُ بعدهم.

قال[٢]: فعلى هذا القول لا تقديم في هذا الكلام ولا تأخير، وهو على نسقه.

وأخذَ الميثاق من حيث أخرجوا من صُلب آدم عليه السلام كالذَّر.

ومذهب أهل اللغة: أن الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن المذكور أولاً لا يستقيم أن يكون معناه التأخير. فالمعنى على مذهب أهل اللغة: ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى [ومنك][٣]. ومثله: قوله تعالى: ﴿واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ [آل عمران:٤٣].

قوله تعالى: ﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ أي: عهداً شديداً على الوفاء بما حملوا، وهو اليمين بالله.

وقيل: أراد بالميثاق: الذي قبله.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢١٦-٢١٧).

(٢) أي: الزجاج.

(٣) في الأصل: وصفك. والتصويب من معاني الزجاج (٤/ ٢١٧).

﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ أي: أخذنا ميثاقهم ليسأل الصادقين، وهم الأنبياء عن صدقهم في تبليغهم.

ومعنى سؤال الأنبياء وهو يعلم صدقهم: تبكيت مكذبيهم. وهذا معنى قول الزجاج[١].

وقيل: ليسأل الأنبياء عن الوفاء بالميثاق الذي أخذه عليهم.

﴿وأعدّ للكافرين﴾ عطف على ما دلّ عليه «ليسأل»[٢]، كأنه قال: فأثاب المؤمنين، وأعدّ للكافرين ﴿عذاباً أليماً﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ قال ابن عباس: يعني: يوم الأحزاب[٣]، حين أنعم عليهم بالصبر ثم بالنصر[٤].

﴿إذ جاءتكم جنود﴾ وهم الأحزاب الذين تحزبوا وتجمعوا على رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٢١٧).

(٢) ويجوز أن يكون معطوفاً على «أخذنا»؛ لأن المعنى: أن الله أكدّ على الأنبياء الدعوة إلى دينه لإثابة المؤمنين وأعد للكافرين (انظر: الدر المصون ٥/ ٤٠٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٦).

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٣٧٨).

من قريش وغطفان وبني قريظة أيام الخندق، وعليهم أبو سفيان بن حرب.

﴿فأرسلنا عليهم ريحاً﴾ قال مجاهد: هي الصبا، أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى كفأت قدورهم ونزعت فساطيطهم[١].

قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «نُصرت بالصّبا، وأهلكت عاد بالدّبور»[٢].

﴿وجنوداً لم تروها﴾ وقرأ النخعي وابن السميفع: «يَرَوْها» بالياء[٣]، وهم الملائكة عليهم السلام.

وفيما صنعوا أربعة أقوال؛ حكاها الماوردي[٤] وغيره:

أحدها: أنهم فرقوا كلمة المشركين وأقعدوا بعضهم عن بعض.

والثاني: أنهم أوقعوا الرعب في قلوبهم. حكاه ابن شجرة.

الثالث: أنهم قووا قلوب المسلمين من غير أن يقاتلوا معهم.

الرابع: أنهم قلعوا الأوتاد، وقطعوا الأطناب، وأطفؤوا النيران، وكبّروا في جوانب العسكر، فقال طلحة بن خويلد الأسدي: أما محمد فقد سحركم فالنجاء النجاء، فانهزموا من غير قتال.

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢٨)، ومجاهد (ص:٥١٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٣٤٢ ح٨٥٤٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٧٣) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٥٠ ح٩٨٨)، ومسلم (٢/ ٦١٧ ح٩٠٠).

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٦/ ٣٥٧)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٠٤).

(٤) تفسير الماوردي (٤/ ٣٧٩).

قال العلماء بالتفسير والسير: لما سمع النبي ﷺ بإقبالهم أمر بحفر الخندق، وكان ذلك من رأي سلمان الفارسي رضي الله عنه، ثم خرج في ثلاثة آلاف فضرب بعسكره الخندق بينه وبين المشركين، وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام[١]، واشتد الخوف، وظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من المنافقين، حتى قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ونحن لا نقدر نذهب إلى الغائط. وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة، وقائدهم أبو سفيان، وغطفان ومن تابعهم من أهل نجد في ألف، وقائدهم عيينة بن حصن، وعامر بن الطفيل في هوازن، وضامتهم قريظة والنضير، ومكثوا نحواً من شهر، ولم يجر بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة[٢].

وفي الحديث: «أن شاباً قال لحذيفة بن اليمان: هل رأيت رسول الله ﷺ قال: إي والله لقد رأيته، قال: والله لو رأيناه لحملناه على رقابنا وما تركناه يمشي على الأرض، فقال له حذيفة: يا ابن أخي، أفلا أحدثك عني وعنه؟ قال: بلى، قال: والله لو رأيتنا يوم الخندق وبنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه إلا الله، قام رسول الله ﷺ فصلى ما شاء الله من الليل، فقال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة، فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الخوف والجهد والجوع والبرد، ثم صلى ما شاء الله، ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة، قال حذيفة: فوالله ما قام منا أحد مما بنا من الجهد والخوف والجوع والبرد، فصلى رسول الله ﷺ ما شاء، ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة،

---

(١) الآطام: جمع أُطُم: حِصْنٌ مبنيٌ بالحجارة. وقيل: هو كل بيت مربّع مسطّح (اللسان، مادة: أطم).
(٢) أخرج نحوه الطبري (٢١/ ١٣٠-١٣١). وانظر: تاريخ الطبري (٢/ ٩٣-٩٤).

فوالله ما قام منا أحد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا حذيفة، فلم أجد بداً من إجابته، فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: اذهب فجئني بخبر القوم، ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع، قال: فأتيت القوم وكأني أمشي في حَمّام، فإذا ريح الله وجنوده تفعل بهم ما تفعل، لا يستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار، ولا تطمئن لهم قدر، فإني لكذلك إذ خرج أبو سفيان من رحله ثم قال: يا معاشر قريش لينظر أحدكم مَنْ جليسه، قال حذيفة: فبدأت بالذي إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان، قال: ثم دعا أبو سفيان براحلته، فقال: يا معاشر قريش! والله ما أنتم بدار مقام، لقد هلك الخف والحافر[1]، وأخلفتنا بنو قريظة، وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء، ولا تثبت لنا نار، ولا تطمئن قدر، ثم عجل وركب راحلته وإنها لمعقولة ما حلّ عقالها إلا بعدما ركبها، قال: فقلت في نفسي: لو رميت عدو الله فقتلته كنت قد صنعت شيئاً، فوترت قوسي ثم وضعت السهم في كبد القوس وأنا أريد أن أرميه فأقتله، فذكرتُ قول النبي ﷺ: لا تحدثن شيئاً حتى ترجع، قال: فحططت القوس ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وكأني أمشي في حَمّام، فأتيته وهو يصلي، فلما سمع وجسي فرج بين رجليه فدخلت تحته وأرسل عليّ طائفة من مَرْطه[2]، فركع وسجد، ثم قال: ما الخبر؟ فأخبرته، فضحك حتى بدت ثناياه في سواد الليل »[3].

---

(١) هلك الخف والحافر: خف الجمل وحافر الفرس. والمعنى: أنهم ذبحوا الجمال لأكلها وهلكت الفرسان لقلة المرعى ولوجودها في ساحة القتال.

(٢) المرط: كساء من خز أو صوف أو كتان (اللسان، مادة: مرط).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٢٧-١٢٨) عن محمد بن كعب القرظي. وذكره ابن هشام في: السيرة =

قوله تعالى: ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم﴾ أي: من فوق الوادي من قبل المشرق: قريظة والنضير وغطفان، ﴿ومن أسفل منكم﴾ من قبل المغرب من ناحية مكة: أبو سفيان ومن معه من قريش، ﴿وإذا زاغت الأبصار﴾ مَالَتْ عن كل شيء ولم تنظر إلا إلى عدوها مقبلاً من كل جانب.

وقيل: مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصاً.

﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ جمع حَنْجَرَة، وهي رأس الغَلْصَمَة وهي منتهى الحلقوم. والحلقوم: مدخل الطعام والشراب.

قال قتادة: شخصت عن مكانها[١].

قال الفراء[٢]: جَبُنُوا وَجَزَعَ أكثرهم، وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه: أن تنتفخ رئته، وإذا انتفخت الرئة رفعت القلب إلى الحنجرة، ولهذا يقال للجبان: انْتَفَخَ سَحْرُه.

وقيل: إنه مَثَلٌ مضروب لشدة الخوف، وإن لم تزل القلوب عن أماكنها.

قال أبو سعيد الخدري يوم الخندق: «يا رسول الله! هل من شيء نقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر، قال: قولوا: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، قال: فقلناها، [فضرب][٣] وجوه أعداء الله بالريح فهزموا»[٤].

= النبوية (٤/ ١٩٠-١٩٢)، والواحدي في: الوسيط (٣/ ٤٦٠-٤٦١).

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٣١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٧٦) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) معاني الفراء (٢/ ٣٣٦).

(٣) في الأصل: فضرت. والتصويب من مسند أحمد (٣/ ٣).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣ ح١١٠٠٩).

قوله تعالى: ﴿وتظنون بالله الظنون﴾ قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر: «الظُّنُونَـا» و«الرسولا» و«السبيلا» بألف فيهن في الوصل والوقف. وقرأ أبو عمـرو وحمـزة بغير ألف في الحالين. وقرأ الباقون بألف في الوقف دون الوصل[١].

قال أبو علي[٢]: حجة من أثبت الألف في هذه الكلم في الوصل والوقف: أنها في المصحف كذلك، وهي رأسُ آية، ورؤوس الآي مشبّه بالقوافي[٣] مـن حيـث كانت مقاطع، كما كانت القوافي مقاطع. وأنشد:

أَقِلِّي اللومَ عَاذِلَ والعِتَابَا ....[٤]

ومن حذف الألف منهن في الوصل والوقف فإنه أجرى ذلـك عـلى السنن الواضح المشهور في العربية، وأما كتابتها في المصحف بالألف؛ فإن في المصحف حروفاً كثيرة اللفظ بها مخالف لخطها، نحو قوله تعالى: ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ [التوبة:٤٧] خطها في المصحف: «ولأأوضعوا» بألف بعد «لا». ومن أثبت الألف في هذه الكلم في الوقف وحذفها في الوصل؛ فإنه أراد أن يجتمع له الأمران: اتباع المشهور من سنن العربية، وموافقة خط المصحف، فحذف الألف في الوصل على

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨١)، والحجة لابـن زنجلـة (ص:٥٧٢-٥٧٣)، والكـشف (٢/ ١٩٤)، والنشر (٢/ ٣٤٧-٣٤٨)، والإتحاف (ص:٣٥٣)، والسبعة (ص:٥١٩).

(٢) الحجة (٣/ ٢٨١).

(٣) في الحجة: تُشبه بالفواصل.

(٤) صدر بيت لجرير، وعجزه: (وقولي إن أصبت لقد أصابا). انظر: ديوانه (ص:٨٩)، والدر المصون (٥/ ٤٠٥)، وخزانـة الأدب (١/ ٦٩، ٣٣٨، ٣/ ١٥١)، وشرح أبيـات سـيبويه (٢/ ٣٤٩)، والكتـاب (٤/ ٢٠٥، ٢٠٨)، وهمـع الهوامـع (٢/ ٩٢)، واللـسان (مـادة: خنـا)، والخـصائص (١/ ١٧١)، وشرح المفصل (٤/ ١١٥)، والمقتضب (١/ ٣٧٥).

ما يوجبه القياس، وأثبتها في الوقف تشبيهاً بالقوافي.

قال الحسن: ظنوا ظنوناً مختلفة، ظن المنافقون أن يُستأصل محمد، وظن المؤمنون أن يُنصر[١].

وقال صاحب الكشاف[٢]: الخطاب للذين آمنوا. ومنهم الثبت القلوب والأقدام، والضعاف القلوب: الذين هم على حرف، والمنافقون: [الذين لم يوجد منهم الإيمان إلا بألسنتهم][٣]، فظنّ الأولون بالله أنه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال، وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم.

هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿هنالك ابتلي المؤمنون﴾ اختُبروا بضروب المحن من الحصر والجوع والبرد والخوف؛ ليتبين المخلص من المنافق، ﴿وزلزلوا﴾ زعجوا وحركوا ﴿زلزالاً شديداً﴾.

﴿وإذ يقول﴾ أي: واذكر إذ يقول ﴿المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ شك

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٣١-١٣٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٧٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) الكشاف (٣/ ٥٣٥).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

ونفاق، ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ من كون فارس والروم يفتحان علينا ﴿إلا غروراً﴾.

قال السدي: كان النبي ﷺ يحفر الخندق، فبينا هو يضرب فيه بمعوله إذ وقع المعول على صَفَا[1]، فطار منه كهيئة الشهاب من نار في السماء، وضرب الثاني فخرج منه مثل ذلك، وضرب الثالث فخرج منه مثل ذلك، فرأى ذلك سلمان، فقال له النبي ﷺ: رأيت ما خرج من كل ضربة ضربتها؟ قال: نعم يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: تُفتح لكم بِيضُ المدائن وقصور الروم ومدائن اليمن، ففشا ذلك في أصحاب النبي ﷺ فتحدثوا به، فقال رجل من الأنصار يدعى معتب بن قشير من الأوس: أيعدنا محمد أن تفتح لنا مدائن اليمن وبيض المدائن وقصور الروم وأحدنا لا يستطيع أن يقضي حاجته إلا قتل، هذا والله الغرور، فأنزل الله هذه الآية[2].

قوله تعالى: ﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ أي: من المنافقين والذين في قلوبهم مرض.

قال السدي: هو عبد الله بن أبي [بن][3] سلول وأصحابه[4].

وقال مقاتل[5]: بنو سالم من المنافقين.

---

(١) الصَّفَا: هو الحجر الأملس (اللسان، مادة: صفا).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٧٧-٥٧٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٣٨١)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٥٩).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨).

﴿يا أهل يثرب﴾ قال أبو عبيدة[١]: يَثْرِب: اسم أرض ومدينة النبي ﷺ في ناحية منها.

وقيل: يثرب: اسم المدينة.

﴿لا مقام لكم فارجعوا﴾ قرأ حفص: «مُقام» بضم الميم، وفتحها الباقون[٢].

قال أبو علي[٣]: من ضم الميم احتمل أمرين: يجوز أن يكون المُقام: المكان الذي يُقام فيه، أي: لا موضع إقامة لكم، وهذا أشبه؛ لأنه في معنى من فتح الميم. ويجوز أن يكون المقام مصدراً من أقامَ يُقيم، أي: لا إقامة لكم. فأما من فتح الميم فإن المَقام: اسم المكان من قَامَ يَقوم، أي: ليس لكم موضع تقومون فيه.

والمعنى: لا مقام لكم هاهنا في مركز القتال فارجعوا إلى المدينة.

وقال الفراء[٤]: المَقام -بالفتح-: الثبات على الأمر.

قال الحسن: قالوا: لا ثبات لكم على دين محمد فارجعوا إلى دين مشركي العرب[٥].

وقال ابن السائب: المعنى: فارجعوا إلى طلب الأمان[٦].

﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ في الرجوع إلى المدينة.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٣٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٤)، والكشف (٢/ ١٩٥)، والنشر (٢/ ٣٤٨)، والإتحاف (ص:٣٥٣)، والسبعة (ص:٥٢٠).

(٣) الحجة (٣/ ٢٨٢).

(٤) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظر قول الفراء في: تفسير الماوردي (٤/ ٣٨٢).

(٥) ذكره الماوردي (٤/ ٣٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٦٠).

(٦) مثل السابق.

قال السدي: استأذنه منهم رجلان من الأنصار من بني حارثة: أبو عوانة بن أوس وأوس بن قيظي[١].

قال الضحاك: ورجع ثمانون رجلاً بغير إذن[٢].

﴿يقولون إن بيوتنا عَوْرَة﴾ وقرأ جماعة، منهم أبو رجاء: «عَوِرَة» بكسر الواو في الموضعين[٣].

قال الزجاج[٤]: يقال: عَوِرَ المكانُ يَعْوَرُ عَوَراً فهو عَوِرٌ، وبيوت عَوِرة وعَوْرَة.

قال ابن السائب: المعنى: أن [بيوتنا][٥] خالية ليس فيها إلا العورة من النساء[٦].

قال الفراء[٧]: هو مأخوذ من قولهم: قد أعور الفارس؛ إذا كان فيه موضع خَلَل، ومنه قول الشاعر:

.... لَهُ الشَّدَّةُ الأولى إذا القِرْنُ أعْوَرَا[٨]

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٣٨٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٧٩) وعزاه لابن أبي حاتم، وفيها: «أبو عرابة» بدل: «أبو عوانة».

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣٨٢).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٣).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢١٩-٢٢٠).

(٥) في الأصل: بتونا. والتصويب من الماوردي (٤/ ٣٨٣).

(٦) ذكره الماوردي (٤/ ٣٨٣).

(٧) معاني الفراء (٢/ ٣٣٧).

(٨) انظر البيت في: معاني الفراء (٢/ ٣٣٧)، واللسان (مادة: عور)، والماوردي (٤/ ٣٨٣)، والبحر المحيط (٧/ ٢١٢)، والدر المصون (٥/ ٤٠٥).

وقال السدي: المعنى: أن بيوتنا مكشوفة الحيطان يخاف عليها السرق والطلب[(١)].

قال الماوردي[(٢)]: العرب تقول: قد أَعْوَرَ منزلُك؛ إذا ذهب ستره وسقط جداره. وكل ما كره انكشافه فهو عندهم عورة.

فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وما هي بعورة إن يريدون﴾ أي: ما [يريدون][(٣)] ﴿إلا فراراً﴾ من القتال ونصرة المؤمنين.

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾

﴿ولو دخلت عليهم﴾[(٤)] يعني: المدينة أو البيوت، ﴿من أقطارها﴾: جوانبها ونواحيها. أي: لو دخلت هذه العساكر المتحزّبة التي يفرَقون خوفاً منها بيوتهم ومدينتهم من جميع أقطارها، وجاءتهم من كل جانب، ﴿ثم سئلوا﴾ عند ذلك

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٣٨٣).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل: يردون.

(٤) في الأصل زيادة قوله: ﴿من أقطارها﴾ وستأتي بعد.

﴿الفتنة﴾ وهي الشرك، في قول ابن عباس[1].

أو قتال المسلمين، عند الضحاك[2] والزجاج[3].

﴿لأتوها﴾ قرأ نافع وابن كثير: «لأتوها» بقصر الهمزة، على معنى: لجاؤوها.

وقرأ الباقون: «لآتوها» بالمد، على معنى: لأعطوها[4].

وزاد هذه القراءة حسناً قوله تعالى: ﴿سئلوا﴾، فإن الإعطاء مع السؤال يتناسب.

والمعنى: لو دخلت عليهم ثم سئلوا وهم منهوبون مسلوبون تغشاهم السيوف ويفترسهم الخوف لأجابوا إلى الكفر وإلى قتال محمد وأصحابه مَقْتاً للإسلام وأهله، وحباً للكفر وحزبه.

﴿وما تلبثوا بها﴾ قال قتادة: ما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلا قليلاً[5].

وقال السدي: وما تلبثوا بالمدينة إلا يسيراً حتى يعذبوا[6].

قوله تعالى: ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل﴾ أي: من قبل الخندق ﴿لا يولون الأدبار﴾.

قال قتادة: عاهدوا الله قبل الخندق وبعد بدر حين سمعوا ما أعطى الله تعالى

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٦١).

(٢) ذكره القرطبي (١٤/ ١٥٠).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٢٠).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٤-٥٧٥)، والكشف (٢/ ١٩٦)، والنشر (٢/ ٣٤٨)، والإتحاف (ص:٣٥٤)، والسبعة (ص:٥٢٠).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٦١).

(٦) ذكره الماوردي (٤/ ٣٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٦٢).

أهل بدر من الكرامة[١].

وقال مقاتل[٢]: هم أهل العقبة، وكانوا سبعين رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على طاعة الله تعالى ونصرهم رسوله.

وهو قول فاسد؛ لأن الحديث عن المنافقين فكيف يصرف إلى أهل العقبة الذين هم أمثل أصحابه.

والصحيح: ما قاله محمد بن إسحاق: أنهم المنافقون الذين عاهدوا الله يوم أحد حين عابهم الله تعالى بما أنزل فيهم أن لا يفرُّوا[٣].

قال الواقدي: لما نزل يوم أحد ما نزل عاهد الله معتب بن قشير [وثعلبة][٤] بن حاطب لا نولي دبراً قط. فلما كان يوم الأحزاب نَافَقَا[٥].

﴿وكان عهد الله مسؤولاً﴾ مطلوباً مقتضى حتى يوفي.

وقيل: مسؤولاً عنه في الآخرة.

ثم أخبر أن الفرار لا يزيد في آجالهم فقال تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون﴾ بعد الفرار في الدنيا ﴿إلا قليلاً﴾ وهو مدة آجالهم.

﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله﴾ أي: من ذا الذي يجيركم ويمنعكم منه،

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ١٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٨٠) وعزاه لابن جرير.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٩).

(٣) أخرج نحوه الطبري (٢١/ ١٣٧) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان.

(٤) في الأصل: ثعلبة. والتصويب من زاد المسير (٦/ ٣٦٣).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٦٣).

﴿إن أراد بكم سوءاً﴾ قتلاً أو غيره من أصناف الشر، ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ نصراً على الأعداء أو غيره من أنواع الخير.

فإن قيل: كيف تساوقت الإرادتان على العصمة إلا من السوء؟

قلت: عنه جوابان:

أحدهما: أنه من باب:

وَعَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارداً .... (١)

تقديره: من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة.

الثاني: أن المراد بالعصمة: مطلق المنع، وبهذا التقرير يحسن تساوقهما عليه.

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ أي: المتثبّطين منكم عن رسول الله ﷺ، وهم المنافقون كانوا يقولون لإخوانهم من الأنصار: ما محمد وأصحابه إلا أَكَلَةُ رأس، ولو كانوا لحماً لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، فخلوهم وهلموا

---

(١) تقدم.

إلينا[1].

قال ابن زيد: انصرف رجل يوم الخندق من عند رسول الله ﷺ إلى أهله، فوجد أخاه لأبيه وعنده شواء ونبيذ، فقال له: أنت هاهنا ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف، فقال: هلم إليّ لقد أحيط بك وبصاحبك، والذي يحلف به لا يستقبلها محمد أبداً. فقال له أخوه: كذبت والذي يحلف به، أما والله لأخبرن رسول الله ﷺ بأمرك، فذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد جبريل قد نزل بهذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿يسيراً﴾[2].

وقال ابن السائب: كان عبد الله بن أبيّ ومعتب بن قشير [والمنافقين][3] الذين رجعوا من الخندق إلى المدينة إذا جاءهم منافق قالوا له: ويحك اجلس فلا تخرج، ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين في العسكر أن ائتونا بالمدينة، وكانوا لا يأتون العسكر إلا أن لا يجدوا بُداً، فيأتون ليرى الناس وجوههم، فإذا غُفِلَ عنهم عادوا إلى المدينة، فنزلت هذه الآية[4].

وقد سبق الكلام على «هَلُمّ» في الأنعام.

﴿ولا يأتون البأس إلا قليلاً﴾ أي: إتياناً قليلاً للرياء والسمعة، ولو كان لله لكان كثيراً.

---

(١) هو قول قتادة، أخرجه الطبري (٢١/ ١٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٨١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٨٠-٥٨١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) في الأصل: والمنافقون. والتصويب من زاد المسير (٦/ ٣٦٤).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٦٤).

قوله تعالى: ﴿أشحة عليكم﴾ قال الزجاج[١]: هو منصوب على الحال[٢].
المعنى: لا يأتون الحرب إلا تعذيراً بُخَلاء عليكم.

وقد ذكرنا فيما مضى أن الشُّحّ أشد البخل. والمراد: بخلاً عليكم بالنفقة في سبيل الله والنصرة.

﴿فإذا جاء الخوف﴾ أي: فإذا حضر القتال واشتملوا بالخوف ﴿رأيتهم ينظرون إليك﴾ في تلك الحالة ﴿تدور أعينهم كالذي﴾ أي: كعين الذي ﴿يغشى عليه من الموت﴾ أي: من سكرات الموت وأسبابه، فيرهب ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف، كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم لما يلحقهم من الخوف. ويقال للميت إذا شخص بصره: دارت عينه ودارت حَمَاليق عينه[٣]. ذكر هذا المعنى الواحدي[٤].

وقال الماوردي[٥]: «فإذا جاء الخوف» فيه قولان:

أحدهما: فإذا جاء الخوف من قتال العدو إذا أقبل. وهذا قول السدي.

والثاني: الخوف من النبي ﷺ إذا غلب هؤلاء. وهذا قول ابن شجرة.

﴿رأيتهم ينظرون إليك﴾ خوفاً من القتال، على القول الأول، ومن النبي ﷺ، على القول الثاني.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٢٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٩١)، والدر المصون (٥/ ٤٠٧).

(٣) حماليق العين: بياضها أجمع ما خلا السواد (اللسان، مادة: حملق).

(٤) الوسيط (٣/ ٤٦٣).

(٥) تفسير الماوردي (٤/ ٣٨٥).

«تدور أعينهم» فيه قولان:

أحدهما: تدور [أعينهم][١] لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر إلى جهة.

والثاني: تدور أعينهم لشدة الخوف حذراً أن يأتيهم القتل من كل جهة. هذا آخر كلام الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد﴾ قال الزجاج[٢]: معنى «سلقُوكُم»: خاطبوكم أشدَّ مخاطبة وأبلغها في الغنيمة، يقال: خطيبٌ مِسْلاقٌ؛ إذا كان بليغاً في خطبته[٣].

وقال الفراء[٤]: آذوكم بالكلام في الأمن، بألْسِنَةٍ سَليطةٍ ذَرِبَة[٥].

يقال: سَلَقَ فلاناً بلسانه؛ إذا أغلَظَ له في القول مجاهراً[٦].

قال الفراء[٧]: العرب تقول: «صَلَقُوكُم» بالصاد أيضاً، ولا يجوز في القراءة هذا.

وهذا الذي أنكر [الفرّاء][٨] قراءته قد قرأ به جماعة، منهم أبي بن كعب، وأبو

---

(١) زيادة من الماوردي (٤/ ٣٨٥).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٢١).

(٣) انظر: اللسان (مادة: سلق).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٣٣٩).

(٥) ذَرِبَة: أي: سليطة حادّة. وذَرَبُ اللسان: حِدّتُه (اللسان، مادة: ذرب).

(٦) انظر: اللسان (مادة: سلق).

(٧) معاني الفراء (٢/ ٣٣٩).

(٨) في الأصل: القراء. وهو خطأ.

الجوزاء، وأبو عمران الجوني[١].

قال قتادة: بسطوا ألسنهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون: أعطونا، فلستم بأحق بها منا. فأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق، وأما عند القسمة فأشح قوم، وهو قوله تعالى: ﴿أشحة على الخير﴾[٢].

والنصب فيه على الحال[٣]، أو على الذم، يريك بخلاً بالغنيمة يشاحون المؤمنين فيها عند القسمة.

وقيل: «أشحّة على الخير»: وهو ظفر النبي ﷺ.

وقيل: إنفاقهم في سبيل الله.

﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ لأنهم منافقون يُضْمِرُون من الكفر خلاف ما يظهرون من الإيمان، ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾.

قال مقاتل[٤]: أبطل الله تعالى جهادهم؛ لأنه لم يكن في إيمان.

﴿وكان ذلك﴾ الإحباط، أو ذلك النفاق ﴿على الله يسيراً﴾ هَيّناً.

وفي هذه الآية بيان واضح ودليل قاطع على أن الأعمال الصالحة لا تجدي نفعاً إلا [بانضمام][٥] الإيمان إليها، وأن الإيمان باللسان ليس بإيمان حتى يواطئه القلب.

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٦٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢١٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٤١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٨٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١٩١)، والدر المصون (٥/ ٤٠٨).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤١).

(٥) في الأصل: بانتضمام.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ أي: يظن المنافقون -لِمَا يداخلهم من الخوف المفرط وما عندهم من الجبن الشديد- أن الأحزاب لم يذهبوا راجعين إلى مكة.

﴿وإن يأت الأحزاب﴾ كرّة ثانية ﴿يودوا﴾ لما أصابهم في الكَرَّة الأولى ﴿لو أنهم بادون في الأعراب﴾ وقرأ ابن عباس: «لو أنهم بُدَّىً» بتشديد الدال والتنوين[1]، جمع باد؛ كغَازٍ وغُزَّىً. والمعنى: يحبوا لو أنهم في البادية مع الأعراب حذراً من القتال الذين لا يرجون بفعله ثواباً ولا يخافون بتركه عقاباً.

﴿يسألون﴾ كل وارد عليهم وداخل إليهم ﴿عن أنبائكم﴾ أما هلك محمد وأصحابه؟ ما فعل أبو سفيان وأحزابه؟.

وقرأت ليعقوب من رواية رويس: «يَسَّاءَلُوا» بالمد وتشديد السين[2]، على معنى: يتساءلون ويقول بعضهم لبعض: ماذا سمعت.

﴿ولو كانوا فيكم﴾ ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ﴿ما قاتلوا إلا قليلاً﴾ أي: لم يقاتلوا إلا تعللاً رياءً وسمعة.

وفي هذا الكلام تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين، وإعلام لهم أن حضور المنافقين للقتال وعدم حضورهم سِيّان؛ لكونهم لا غنى عندهم في الحرب ولا يقع فيهم.

---

(١) ذكر هذه القراءة السمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٠٩).

(٢) النشر (٢/ ٣٤٨)، والإتحاف (ص: ٣٥٤).

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله إِسْوَة حسنة﴾ وقرأ عاصم: «أُسْوَةٌ» بضم الهمزة، وكذلك اختلافهم في التي في الممتحنة[1].

قال الفراء وأبو علي[2]: هما لغتان بمعنى واحد.

قال المفسرون: المعنى: لقد كان لكم في رسول الله ﷺ قُدوة صالحة لو اقتديتم به في صبره على قتال الكفار كما فعل يوم أحد[3].

وقال الزمخشري[4]: إن قلت: ما حقيقة قوله: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾؟

قلت: فيه وجهان، أحدهما: أنه في نفسه أسوة، أي: قدوة، كما تقول: في البيضة عشرون منا حديد، أي: هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد.

الثاني: أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع، وهي المواساة بنفسه.

﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ من قولك: رجوت زيداً وفضله، أي: رجوت فضل زيد.

---

(١) عند الآية رقم: ٤.

(٢) معاني الفراء (٢/ ٣٣٩)، والحجة (٣/ ٢٨٣).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٤).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٣٩).

وقيل: لمن كان يخاف الله واليوم الآخر.

﴿وذكر الله كثيراً﴾ أي: استكثر من ذِكْره والعمل بطاعته رجاء ثوابه وخوف عقابه.

قوله تعالى: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ أي: شاهدوا تلك الشدائد والأهوال أيام الخندق، ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ في قوله: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ... الآية﴾ [البقرة:٢١٤]، ﴿وما زادهم﴾ ما رأوه ﴿إلا إيماناً وتسليماً﴾.

وقيل: المعنى: وما زادهم ما شاهدوه من تلك الأهوال إلا إيماناً وتسليماً، تصديقاً بما وعدهم به رسول الله ﷺ وهو يحفر الخندق أن أمته ظاهرة على مدائن كسرى والحيرة، وتسليماً لأمر الله تعالى.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال: « نرى هذه الآية نزلت في عمي أنس بن النضر: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ »[١].

وفي الصحيحين من حديث أنس قال: «غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر. فلما قدم قال: غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدني

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٩٥ ح٤٥٠٥).

الله عز وجل قتالاً ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أُحُد انكشف الناس، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء -يعني: المشركين-، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء -[يعني][١]: المسلمين-، [ثم مشى][٢] بسيفه، فلقيه سعد بن معاذ فقال: أي سعد، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، [واهاً][٣] لريح الجنة. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. [قال][٤] أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم قد مَثَّلُوا به، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه. قال أنس: فكنا نقول: أنزلت هذه الآية: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ فيه وفي أصحابه»[٥].

﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾ وروي عن علي عليه السلام: أنه ذكر طلحة بن عبيدالله فقال: ذاك رجل نزلت فيه آية من كتاب الله: ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ لا حساب عليه فيما يستقبل[٦].

وقد جعل بعض المفسرين هذا القدر من الآية في طلحة، وأولها في أنس بن النضر.

---

(١) زيادة من مصادر التخريج.

(٢) في الأصل: مشق. والتصويب والزيادة من مصادر التخريج.

(٣) في الأصل: وإنها. والمثبت من صحيح مسلم والبيهقي.

(٤) زيادة من البخاري.

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٣٢ ح٢٦٥١)، ومسلم (٣/ ١٥١٢ ح١٩٠٣). والحديث بلفظه في: سنن البيهقي (٩/ ٤٣).

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٦٧)، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٨٨) وعزاه لأبي الشيخ وابن عساكر.

ومعنى الآية: من المؤمنين رجال صدقوا [ما][(١)] عاهدوا الله فوفوا بها عاهدوه عليه، وهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام والنصرة وأن لا يفروا إذا لاقوا.

قال المفسرون: منهم عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، وسعيد بن زيد، وحمزة، ومصعب بن عمير[(٢)].

«فمنهم من قضى نحبه»: قال ابن عباس: حمزة ومن قتل معه، وأنس بن النضر وأصحابه[(٣)].

«ومنهم من ينتظر»: عثمان وطلحة.

قال ابن قتيبة[(٤)]: أصل النَّحْب: النَّذْر، كأن قوماً نذورا أنهم إن لقوا العدو قاتلوا حتى يُقتَلوا، أو يَفتح الله عليهم؛ [فقُتِلوا][(٥)]، فقيل: فلانٌ قضى نحبه؛ أي: قُتل.

فاستعير النَّحْب مكان الأجَل؛ لأن الأجل وقع بالنَّحْب، وكأنّ النحب سبباً له، ومنه قيل للعطية: مَنّ؛ لأن من أعطى فقد مَنّ.

وقال الزمخشري[(٦)]: فإن قلت: ما قضاء النَّحْب؟

قلت: وقع عبارة عن الموت؛ لأن كل حي لا بد له من أن يموت سوى الله عز

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ٣٠٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧١-٣٧٢).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٣٤٩).

(٥) في الأصل: قتلوا. والمثبت من تفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

(٦) الكشاف (٣/ ٥٤٠).

وجل. فكأنه نذر لازم في رقبته، فإذا مات فقد قضى نحبه، أي: نذره. وقوله: ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ محتمل موته شهيداً، ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله ﷺ.

﴿وما بدلوا تبديلاً﴾ أي: ما غيروا العهد كما غيّره المنافقون، لا المُستَشْهِد ولا المُنْتَظِر. ولقد ثبت طلحة مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبت يده فقال رسول الله ﷺ: « أوجب طلحة »[1].

قوله تعالى: ﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾ أي: صدق المؤمنون في عهودهم ليجزيهم الله بصدقهم، ﴿ويعذب المنافقين إن شاء﴾ الله تعالى.

قال السدي: يميتهم على نفاقهم إن شاء فيوجب لهم العذاب[2].

فمعنى شرط المشيئة في عذاب المنافقين: إماتتهم على النفاق إن شاء، ﴿أو يتوب عليهم﴾ بخروجهم من النفاق بالتوبة حتى يموتوا وهم تائبون[3].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٠١ ح١٦٩٢).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣٩٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٦).

(٣) فائدة: قال ابن جرير الطبري (٢١/ ١٤٨): إن قال قائل: ما وجه الشرط في قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ بقوله: ﴿إِنْ شَاءَ﴾ والمنافق كافر؟ وهل يجوز أن لا يشاء تعذيب المنافق، فيقال: ويعذّبه إن شاء؟

قيل: إن معنى ذلك: ويعذّب المنافقين بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم إن شاء، فيستوجبوا بذلك العذاب ، فالاستثناء إنما هو من التوفيق لا من العذاب إن ماتوا على نفاقهم. اهـ.

وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وردَّ الله الذين كفروا﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه من الأحزاب ﴿بغيظهم﴾ بحقدهم وغَمِّهم، ﴿لم ينالوا خيراً﴾ وهو ما كانوا يتوقعونه من الظفر بالنبي ﷺ وأصحابه.

وهما حالان[1]. ويجوز أن تكون الثانية بياناً للأولى [أو][2] استئنافاً[3].

﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بالريح والملائكة، ﴿وكان الله قوياً﴾ في سلطانه، ﴿عزيزاً﴾ في قدرته وانتقامه من أعدائه.

ثم ذكر ما صنع باليهود الذين أعانوا أبا سفيان على رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم﴾ أي: وأنزل بني قريظة الذين ظاهروا الأحزاب وكانوا معهم يداً واحدة على المؤمنين من حصونهم.

قال ابن قتيبة[4]: أصل الصَّياصي: قرون البقر؛ لأنها تمتنعُ بها، وتدفعُ عن

---

(١) انظر التبيان (٢/ ١٩٢)، والدر المصون (٥/ ٤١٢).

(٢) في الأصل: و. والتصويب من الكشاف (٣/ ٥٤١).

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٤١).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٣٤٩).

أنفسها، فقيل للحصون: الصَّيَاصِي؛ لأنها تَمنع[1].

قال الزجاج[2]: كل [قَرْن][3] صِيصِيَّة، وصِيصِيَّةُ الديك: شوكته؛ لأنه يتحصَّنُ بها أيضاً.

﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ الخوف الذي ملأ قلوبهم، ﴿فريقاً تقتلون﴾ وهم المقاتلة ﴿وتأسرون﴾ وقرأ ابن يعمر وابن أبي عبلة: «وتَأْسُرُون» بضم السين[4]، ﴿فريقاً﴾ وهم الذرية والنساء.

﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم﴾ عقارهم ومنازلهم وأموالهم المنقولة.

﴿وأرضاً لم تطئوها﴾ قال الحسن: فارس والروم[5].

وقال قتادة: مكة[6].

وقال السدي: خيبر[7].

وقال عكرمة: ما ظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة[8].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: صيا).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٢٣).

(٣) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٦/ ٣٧٥)، والدر المصون (٥/ ٤١٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٩٢).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٦). وذكره الطبري (٢١/ ١٥٥) بلا نسبة، والماوردي (٤/ ٣٩٣) من قول قتادة، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٩٢) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٥) عن ابن زيد. وذكره الماوردي (٤/ ٣٩٣) من قول السدي وابن زيد، والسيوطي في الدر (٦/ ٥٩٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٩٢) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

الإشارة إلى قصة بني قريظة:

أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل أتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعته، اخرج إليهم، قال النبي ﷺ: فأين؟ فأشار إلى بني قريظة»(١).

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها. وقال بعضهم: بل نصلي لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف أحداً منهم»(٢).

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أنس قال: «كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم موكب جبريل عليه السلام، حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة»(٣).

ونقل العلماء بالسير عن قتادة: أن جبريل أتاه صلى الله عليهما وسلم وهو عند زينب بنت جحش يغسل رأسه، فقال: عفا الله عنك، ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة، فانهض إلى بني قريظة، فإني قد قطعت [أوتادهم](٤)، وفتحت

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٥١١ ح٣٨٩٦)، ومسلم (٣/ ١٣٨٩ ح١٧٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٢١ ح٩٠٤)، ومسلم (٣/ ١٣٩١ ح١٧٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٥١٠ ح٣٨٩٢). ولم أقف عليه عند مسلم.

(٤) في الأصل: أوزارهم. والتصويب من الطبري (٢١/ ١٥٠)، والدر المنثور (٦/ ٥٩١).

أبوابهم، وتركتهم في زلزال وبِلْبَال[١]، فسار إليهم فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة -وقيل: خمس عشرة ليلة- أشد الحصار، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: أرسل إلينا أبا لبابة، فأرسله إليهم فشاوروه في أمرهم، فأشار إليهم أنه الذبح، ثم ندم وقال: خنت الله ورسوله[٢].

وقد ذكرنا قصته في سورة الأنفال[٣]. ثم نزلوا على التحكيم في أنفسهم.

وفيمن نزلوا على حكمه قولان:

أحدهما: أنهم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر بهم رسول الله ﷺ فكتفوا ونحّوا ناحية، وجعل النساء والذرية ناحية، وكلمت الأوس رسول الله ﷺ أن يهبهم لهم، وكانوا حلفاءهم، فجعل رسول الله ﷺ الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ. هكذا ذكره محمد بن سعد[٤].

الثاني: أنهم أولاً نزلوا على حكم سعد بن معاذ رجاء أن يأخذه فيهم هوادة للحلف الذي كان بينهم وبين الأوس، فحكم فيهم أن يقتل كل من جرت عليه المواسي، وأن تسبى ذراريهم ونساءهم، وأن تقسم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ لسعد: « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة »، ثم استنزلوهم فحبسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحارث -امرأة من بني النجار- ثم أخرجهم

---

(١) أي: تركهم في اضطراب وهياج واختلاط وتشتت من الأمر.

(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٩١) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) عند قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول...﴾ [٢٧].

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٧٤-٧٥).

إلى سوق المدينة فخندق بها خندقاً، وجلس رسول الله ﷺ وأصحابه، وأخرجوا إليهم أرسالاً فضربت أعناقهم، وكانوا ما بين الستمائة إلى السبعمائة، والمكثر يقول: من الثمانمائة إلى التسعمائة، وكان الذي يضرب أعناقهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، فقالوا لكعب [بن أسد][1] -وكان رأسهم-: ما تراه يصنع بنا؟ فقال كعب: آه، في كل موطن لا تعقلون، أما ترون الداعي لا ينزع، وأن من يذهب به منكم لا يرجع، هو والله القتل، فلما جيء بعد [بحُيَيّ][2] بن أخطب نظر إلى رسول الله ﷺ وقال: أما والله ما لمت نفسي على عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم جلس فضربت عنقه[3].

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري: أن الزبير بن باطا اليهودي القرظي -وكان يكنى أبا عبدالرحمن- كان قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث، أخذه فجزّ ناصيته ثم خلى سبيله، فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال: يا أبا عبدالرحمن، هل تعرفني؟ قال: وهل [يجهل][4] مثلي مثلك؟ قال: إني أريد أن أجزيك بيدك عندي؟ قال: إن الكريم يجزي الكريم، قال: ثم أتى ثابت رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله! كانت للزبير عندي يد وله عليّ منّة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه، فقال له رسول الله ﷺ: هو لك، فأتاه فقال له: إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك، قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع

---

(١) في الأصل: أسيد. والتصويب والزيادة من الطبري (٢١/ ١٥٣).

(٢) في الأصل: وحيي.

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧٤).

(٤) زيادة من مصادر التخريج.

بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فسأله أهله وولده، قال: هم لك، فأتاه فقال له: إن رسول الله ﷺ قد أعطاني امرأتك وولدك فهم لك، قال: أهل بيت بالحجاز ولا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ماله؟ قال: هو لك، فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد أعطاني مالك فهو لك.

قال -أي ثابت-: ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيه عذارى الحي كعب بن [أسد][1]؟ قال: قتل.

قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال: قتل.

قال: فما فعل مقدمتنا إذا اشتددنا وحاميتنا إذا كررنا [عزال بن شموال][2]؟ قال: قتل.

قال: فما فعل المجلسان -يعني: بني [كعب بن][3] قريظة وبني [عمرو][4] بن قريظة-؟ قال: ذهبوا قتلوا، قال: فإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ألحقتني بالقوم، [فوالله][5] ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فقدمه ثابت فضرب عنقه، ثم قال:

---

(١) في الأصل: أسيد. والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) في الأصل: اعزال شمول. والتصويب من البغوي (٣/ ٥٢٤).
وفي تاريخ الطبري: عزال بن شمويل. وعند ابن هشام: سموأل.

(٣) زيادة من مصادر التخريج.

(٤) في الأصل: عمر. والتصويب من مصادر التخريج.

(٥) في الأصل: فهوالله. والتصويب من مصادر التخريج.

وَفَتْ ذمّتي أني كريمٌ وأنني صبورٌ إذا ما القومُ حَادُوا عن الصبر
وكان زبير أعظم الناس منةً عليَّ فلما شدّ كُوعاهُ بالأسر
أتيتُ رسول الله كيما أفكّه وكانَ رسول الله بحراً لنا يجري[١]

قال محمد بن إسحاق: لم يقتل من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر، وقتل من المشركين ثلاثة نفر، وقتل يوم قريظة من المسلمين خلاد بن سويد بن ثعلبة، طُرحت عليه رحى فشدخته فقط[٢].

قالت عائشة رضي الله عنها: لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة قالت: والله إنها لعندي تتحدث معي وتضحك ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت: ويلك ما لَكِ؟ قالت: أُقتل، قلت: ولما؟ قالت: حدثٌ أحدثْته؟ قالت: فانطلق بها فضربت عنقها، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: ما أنسى عجباً منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفتْ أنها تقتل[٣].

قال الواقدي: واسم تلك المرأة: بنانة امرأة الحكم [القرظي][٤]، وكانت قد قتلت خلاد بن سويد[٥].

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (٤/ ٢٠٢-٢٠٣)، والطبري في تاريخه (٢/ ١٠٢)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٥٢٤).
(٢) ذكره الطبري في تاريخه (٢/ ١٠٣).
(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٣-١٥٤).
(٤) في الأصل: القرضي. والتصويب من البغوي (٣/ ٥٢٣).
(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٥٢٣).

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك ... الآية﴾ قال العلماء بالتفسير: إن أزواج النبي ﷺ وكن يومئذ تسعاً: عائشة وحفصة وسودة وأم حبيبة وأم سلمة وهؤلاء من قريش، وزينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وجويرة بنت الحارث المصطلقية، وهؤلاء من العرب، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية -من سبط هارون عليه السلام- [سألنه][1] شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه في الغيرة، فآلى رسول الله ﷺ منهن شهراً، فأنزل الله تعالى هذه الآية آية التخيير، فبدأ بعائشة فقال لها: يا عائشة، إني ذاكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك، فقالت: ما هو؟ فتلى عليها: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك ... الآية﴾ فقالت عائشة: أفيك أستأمر أبويّ، بل أختار الله ورسوله وأسألك أن لا تذكر ذلك لامرأة من نسائك، فقال: إن الله لم يبعثني متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً، لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا [خيّرتها][2]، ثم خيّر نساءه كلهن، فقلن مثل ما قالت عائشة[3].

قال ابن عباس: وكان آخر من عرض عليها منهن حفصة، فقالت: يا رسول

(١) في الأصل: سألته.

(٢) في الأصل: أخيرتها.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٨٧٣ ح٢٣٣٦)، ومسلم (٢/ ١١١٣ ح١٤٧٥).

الله مكان العائذ بك من النار، والله لا أعود لشيء تكرهه أبداً، أختار الله ورسوله، فرضي رسول الله ﷺ عنها[١].

قال المفسرون: فلما اخترنه أثابهن الله تعالى بثلاثة أشياء:

أحدها: تفضيلهنَّ على سائر النساء بقوله تعالى: ﴿لستن كأحد من النساء﴾.

الثاني: جعلهنَّ أمهات المؤمنين.

الثالث: أنه حرّم عليه طلاقهنّ والاستبدال بهن بقوله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد ... الآية﴾.

واختلف العلماء فيما فيه وقع التخيير على قولين:

أحدهما: أنه الطلاق والمقام مع رسول الله ﷺ. وهذا قول عائشة ومجاهد والشعبي[٢].

والثاني: الدنيا والآخرة، وأنهن إن اخترن الدنيا فارقهن، وإن اخترن الآخرة أمسكهن. وهذا قول الحسن وقتادة[٣]، والقولان متقاربان في المعنى[٤].

والمراد بقوله: ﴿أمتعكن﴾: متعة الطلاق، ﴿وأسرحكن﴾: أطلقكن. وقد ذكرنا أحكام المتعة ومعنى التسريح الجميل في البقرة.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٧).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ١٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٩٦-٥٩٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) وقد جمع الحافظ ابن حجر رحمه الله بينهما جمعاً حسناً فقال: والذي يظهر الجمع بين القولين؛ لأن أحد الأمرين ملزوم للآخر، وكأنهن خيرن بين الدنيا فيطلقهن، وبين الآخرة فيمسكهن، وهو مقتضى سياق الآية (فتح الباري ٨/ ٥٢١).

فصل

اختلف أهل العلم فيمن خَيَّر امرأته فاختارت نفسها، فذهب أكثرهم إلى أنه يقع بها طلقة واحدة رجعية. يروى ذلك عن عمر وابن مسعود وابن عباس، وإليه ذهب عمر بن عبدالعزيز، وبه قال ابن أبي ليلى وسفيان وأحمد والشافعي وإسحاق[١].

وذهب قوم إلى أنه يقع بها ثلاث طلقات. يروى ذلك عن زيد بن ثابت، وبه قال الحسن ومالك[٢].

أما إذا اختارتِ الزوجَ فلا يقع به شيء عند الأكثرين[٣].

قال مسروق: ما أبالي خيرت امرأتي واحدة أو مائة أو ألفاً بعد أن تختارني. قالت عائشة: خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه أو كان طلاقاً[٤]؟.

وقال الحسن: يقع به طلقة رجعية. وهو مذهب مالك.

ويروى عن علي وزيد: وإذا فوّض الرجل طلاق امرأته إليها فقال لها: طلقي نفسك، أو خيَّرها، أو قال لها: أمرك بيدك، وأراد به تفويض الطلاق وطلّقت نفسها في المجلس وقع، وإن طلقت بعد انقضاء المجلس لم يقع عند أكثر أهل العلم.

وقال الحسن وقتادة والزهري: يقع.

---

(١) انظر: المغني (٧/ ٣١٤)، والأم (٥/ ١٤٠).

(٢) انظر: موطأ مالك (٢/ ٥٦٣).

(٣) انظر: المغني (٧/ ٣١٤)، والأم (٥/ ١٤٠).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠١٥ ح٤٩٦٣)، ومسلم (٢/ ١١٠٤ ح١٤٧٧).

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿من يأت منكن﴾ «مَنْ» للبيان لا للتبعيض، ﴿بفاحشة مبينة﴾ قال ابن عباس: يريد: النشوز وسوء الخلق[1].

فإن قيل: الفاحشة السيئة البليغة في القبح، والنشوز وسوء الخلق لا يترقى إلى ذلك، فكيف سماه فاحشة؟

قلت: تعاظم ذلك وتفاحش لأجل رسول الله ﷺ، وكونه هو المعامل به.

وحكى الماوردي[2] عن السدي أن الفاحشة: الزنا.

وأظن الحامل له على ذلك هذا القول؛ أنه رأى هذه اللفظة لهذا المعنى في مواضع من القرآن، ورسول الله ﷺ بل سائر رسله معصومون من صحبة زوجة تزن بهذه الريبة -على ما قررناه فيما مضى- فلا وجه لنهيهن عما لا يجوز وقوعه منهن، إنما التفسير الصحيح ما قاله ابن عباس.

﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ أي: يجعل عذاب جرمها في الآخرة كعذاب جرمين، وإنما ضوعف عذابها؛ لزيادة قبح المعصية منها لو وجدت والعياذ بالله منها.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٣٩٧)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٧٨).

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٣٩٧).

واختلف اللغويون في الضعف؛ فقال أبو عبيدة[1] والأخفش: ضِعْفُ الواحد: اثنان، وضِعْفا الواحد: ثلاثة.

وقال ابن قتيبة[2]: المراد بالضِّعْف: المِثْل، وبالضِّعْفَين: المثلين[3].

وقال آخرون: إذا كان ضعف الشيء مثليه وجب أن يكون ضعفاه أربعة أمثاله.

واختلف القرّاء في قوله تعالى: «يُضَعِّفْ» فقرأ ابن كثير وابن عامر: «نُضَعِّفْ» بالنون [وتشديد][4] العين وكسرها من غير ألف، و«العذابَ» بالنصب، وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح العين «العذابُ» بالرفع. وقرأ الباقون بالياء وبالألف وتخفيف العين وفتحها، «العذابُ» بالرفع[5].

قال أبو الحسن: الخفيفة لغة أهل الحجاز، والمثقّلة لغة بني تميم.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٣٦-١٣٧).

قال العلامة الشوكاني: قوله: ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ أي: يعذبهن مثلي عذاب غيرهن من النساء إذا أتين بمثل تلك الفاحشة، وذلك لشرفهن وعلو درجتهن وارتفاع منزلتهن، وقد ثبت في هذه الشريعة في غير موضع أن تضاعف الشرف وارتفاع الدرجات يوجب لصاحبه إذا عصى تضاعف العقوبات (فتح القدير ٤/ ٢٧٦).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٣٥٠).

(٣) وضعّف هذا القول ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١/ ١٥٩). وقال النحاس في معانيه (٥/ ٣٤٤): «التفريق الذي جاء به أبو عمرو لا يعرفه أحد من أهل اللغة» يعني: التفرقة بين يضاعف ويضعف في المعنى، بل معناهما واحد.

(٤) في الأصل: وتشد. والصواب ما أثبتناه.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٥)، والكشف (٢/ ١٩٦)، والنشر (٢/ ٣٤٨)، والإتحاف (ص:٣٥٤-٣٥٥)، والسبعة (ص:٥٢١).

قوله تعالى: ﴿وكان ذلك﴾ يعني مضاعفة العذاب لهن ﴿على الله يسيراً﴾ هيناً.

وفي هذا إعلام بأن تزويجهن برسول الله ﷺ ليس بدافع عنهن العذاب، وكيف وهو السبب في مضاعفته لهن.

قوله تعالى: ﴿ومن يقنت﴾ قرأ ابن عامر من رواية الوليد، ويعقوب من رواية زيد عنه: «تقنت» بالتاء[١].

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿ويَعْمَل صالحاً يُؤْتِها﴾ بالياء فيهما[٢].

قال أبو علي[٣]: لم يختلفوا في «يقنت» أنها بالياء المنقطة من تحت، وذلك لأن الفعل مسند إلى ضمير «مَنْ» هو مذكّر، وكذلك من قرأ: «ويعمل» بالياء، حمل ذلك أيضاً على لفظ من دون معناها. ومن قرأ: «وتَعْمَل» بالتاء المنقوطة من فوق، فإنه لما لم يبين فاعل الفعل، وذكر بعده ما دلّ على أن الفعل لمؤنث حُمل على المعنى فأنَّث.

فأما الياء والنون في «نُؤْتِها»، فالياء لما تقدم من الغيبة في قوله تعالى: ﴿لله ورسوله﴾، والنون على الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، وقد ذكرنا أن القنوت: الطاعة.

﴿وتعمل صالحاً﴾ فيما بينها وبين ربها، ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾.

---

(١) ذكر هذه القراءة القرطبي في الجامع (١٤/ ١٧٦)، وأبو حيان في البحر (٧/ ٢٢١).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٦)، والكشف (٢/ ١٩٦)، والنشر (٢/ ٣٤٨)، والإتحاف (ص:٣٥٥)، والسبعة (ص:٥٢١).

(٣) الحجة (٣/ ٢٨٣-٢٨٤).

قال مقاتل[١]: مكان كل حسنة تثبت عشرين حسنة، ﴿وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾: حسناً، وهو الجنة.

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

ثم أظهر فضيلتهن على سائر النساء فقال تعالى: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾. قال الزجاج[٢]: لم يقل: كواحدة من النساء؛ لأن «أحداً» نفي عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة.

قال ابن عباس: ليس قدركنّ عندي مثل قدر غيركنّ من النساء الصالحات، أنتنّ أكرم عليّ وأنا بكنّ أرحم وثوابكنّ أعظم إن [اتقيتنّ][٣] الله. وشرط عليهن التقوى؛ بياناً أن فضلهنّ إنما يكون بالتقوى لا بمجرد اتصالهنّ بالرسول ﷺ[٤].

واختلفوا في جواب هذا الشرط؛ فقال قوم: جوابه مدلول قوله تعالى: ﴿لستن

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٢٤).

(٣) في الأصل: اتقتن.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٩).

كأحد من النساء﴾.

وقال أبو علي[١]: جوابه «فلا تخضعن»؛ لأن ليس عنده حرف وليس بفعل.

ومعنى قوله: ﴿فلا تخضعن بالقول﴾: لا تلينَّ ولا ترققن بالقول.

وقال ابن السائب: هو الكلام الذي فيه ما يهوى المريب[٢].

وقال الحسن: [لا تتكلمن][٣] بالرفث[٤].

﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ أي: زناً وفجور، والمرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في المقالة؛ لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة.

قرأ الأعرج وأبان بن عثمان: «فيطمَعِ الذي» بكسر العين[٥]، عطفاً على «فلا تخضعن»، ويكون النهي شاملاً لهما.

﴿وقلن قولاً معروفاً﴾ وهو ما يوجبه الدين والإسلام بغير خضوع مطمع.

قوله تعالى: ﴿وقَرْنَ في بيوتكن﴾ قرأ نافع وعاصم: «وقَرْنَ» بفتح القاف. وقرأ الباقون بكسرها[٦].

قال أبو علي[٧] وغيره: من قرأ بكسر القاف احتمل أمرين:

---

(١) لم أقف عليه في الحجة.

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٣٩٩) بلا نسبة.

(٣) في الأصل: تكلمن. والمثبت من الماوردي (٤/ ٣٩٩).

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٣٩٩).

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٢٢٢)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤١٤).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٤).

(٧) الحجة (٣/ ٢٨٤).

أحدهما: أن يكون أمراً من الوقار، فيكون قِرْنَ من الوقـار مثـل: عِـدْنَ مـن الوعد، وزِنَّ من الوزن، ونحو ذلك مما تُحذف منه الفـاء، وهـي واو. ويحتمـل أن يكون من [قرّ][1] في مكانه يَقِرُّ، فإذا أمر من هذا قال: اقرر، فيبدل من الراء الأولى التي هي عين الفعل الياء كراهة التضعيف، كما أبدل من إحدى النونين والياءين في دينار وقيراط، فيصير للياء المبدلة من الراء حركة الحرف المبدل منه وهي الكسرة، ثم تُلقى حركتها على فاء الفعل وهي القاف، استثقالاً للكسرة على اليـاء فتسكن الياء وبعدها الراء التي هي لام الفعل ساكنة، فيلتقي ساكنان، فتحذف الياء لالتقاء الساكنين، وتسقط ألف الوصل لتحرك ما بعدها فنقول: «وقِرْنَ».

فأما من فتح القاف فقال: «قَرْنَ» فهي لغة، يقال: قررْتُ بالمكان أقَرُّ، بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل. حكاهـا الكسائي وغـيره وأنكرهـا المـازني وغيره، فيكون الأصل: واقررن. ثم نقل على نحو ما ذكر ما قال أبو علي. فمـن لم يجوّز: قَرَرْتُ في المكان أقَرُّ بكسر العين في الماضي [وفتحها][2] في المستقبل لم يجوز «وقَرْنَ» بالفتح؛ لأن الأمر إنما هو من المستقبل، ومستقبل هذا الفعل لا فتحة فيه، وإنما فيه كسرة منقولة من الراء إلى القاف.

قال[3]: والوجه في القراءة: «قِرْنَ» بكسر؛ لأنه يجوز من وجهين لا إشكال في جوازه منهما: الوقار والقرار.

---

(١) في الأصل: قرّه. والتصويب من الحجة (٣/ ٢٨٤).

(٢) في الأصل: فتحها.

(٣) أي: أبو علي الفارسي في الحجة (٣/ ٢٨٤).

وقال الجوهري صاحب الصحاح[١]: يقال: قَرِرْتُ بالمكان -بالكسر- أَقَرُّ قَرَاراً، وقَرَرْتُ -بالفتح- أَقِرُّ قَرَاراً وقُرُوراً.

والوَقار: الحلمُ والرزانة، وقد وَقَرَ الرجل يَقِرُ وَقَاراً وقِرَةً فهو وَقور[٢].

قال أبو الضحى: حدثني من سمع عائشة تقرأ: «وقِرْنَ في بيوتكن» وتبكي حتى تبلّ خمارها[٣].

وقيل لسودة زوج النبي ﷺ: ما لك لا تحجّين ولا تعتمرين كما فعل أخواتك، فقالت: قد حججت واعتمرت، وأمرني الله أن أقرّ في بيتي، فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت، فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أُخرجت جنازتها[٤].

قوله تعالى: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية﴾ التَّبَرُّج: إظهار الزينة وإبداء ما تحت ستره من المحاسن.

وقيل: هو التبختر، وأصله: من بَرَجُ العين، وهو السَّعَة فيها[٥].

قال قتادة: كانت لنساء الجاهلية الأولى مِشْية تكسُّر وتَغَنُّج، فنُهين هؤلاء عن

---

(١) الصحاح (٢/ ٧٩٠).

(٢) الصحاح (٢/ ٨٤٩).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٢٠٥) عن أبي الضحى، وابن سعد في طبقاته (٨/ ٨٠) عن عمارة بن عمير. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠٠) وعزاه لابن أبي شيبة وابن سعد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر عن مسروق.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٣٤-٣٥).

وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٥٩٩-٦٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن محمد بن سيرين قال: نبئت أنه قيل لسودة ... فذكره.

(٥) انظر: اللسان (مادة: برج).

ذلك[١].

والجاهلية الأولى: هي القديمة.

قال الشعبي: هي ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام[٢].

وقال مقاتل[٣] وغيره: زمان إبراهيم عليه السلام، وكانت المرأة تلبس درعاً مفرجاً ليس عليها غيره وتمشي في الطريق تعرض نفسها على الرجال[٤].

وقال الحكم: ما بين آدم ونوح[٥].

وقيل: ما بين نوح وإدريس[٦].

وروى عكرمة عن ابن عباس: أن الجاهلية الأولى كانت ألف سنة[٧].

﴿وأقمن الصلاة وآتين الزكاة﴾ فخصهن الله تعالى بالأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع دخولهن في عموم الخطاب بذلك؛ لموضع اختصاصهن، وخصّ هاتين

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠٢) وعزاه لابن جرير.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥).

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٤٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨٠) عن الكلبي.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠١) وعزاه لابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤)، والحاكم (٢/ ٥٩٨ ح٤٠١٣)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٣٧٣ ح٥٤٥١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

العبادتين؛ لأنهما الأصل في عبادة [البدن][1] والمال، ثم عمَّمَ بقوله: ﴿وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله﴾ بتأديبكن وأمركن ونهيكن ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾.

قال ابن عباس: يعني: عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا[2].

﴿أهْلَ البيت﴾ نصب على المدح أو النداء.

واختلفوا في المراد بأهل البيت على ثلاثة أقوال:

أحدها: ما أخبرنا به المؤيد بن محمد بن علي الطوسي في كتابه قال: أخبرنا عبدالجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أخبرنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن السراج، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن علي بن عفان[3]، حدثنا أبو يحيى الحماني[4]، عن صالح [بن][5] موسى القرشي[6]، عن خصيف[7]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس

---

(١) في الأصل: البدين.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٩).

(٣) الحسن بن علي بن عفان العامري، أبو محمد الكوفي، صدوق، مات سنة سبعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦١، والتقريب ص:١٦٢).

(٤) عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني، أبو يحيى الكوفي، صدوق يخطئ، ورمي بالإرجاء، مات سنة اثنتين ومائتين (تهذيب التهذيب ٦/ ١٠٩، والتقريب ص:٣٣٤).

(٥) في الأصل: عن، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في التعليق التالي.

(٦) صالح بن موسى بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله الطلحي الكوفي، متروك الحديث (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٥٤، والتقريب ص:٢٧٤).

(٧) خصيف بن عبد الرحمن الجزري، أبو عون الحضرمي الحراني الأموي مولاهم، صدوق سيء الحفظ، خلط بأخرة، ورمي بالإرجاء، مات سنة سبع وثلاثين ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ١٢٣-١٢٤، والتقريب ص:١٩٣).

قال: أنزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[١].

وبالإسناد قال الواحدي: أخبرنا أبو حكيم[٢] عقيل بن محمد الجرجاني -فيما أجاز لي روايته عنه لفظاً-، أخبرنا المعافى بن زكريا القاضي، أخبرنا محمد بن جرير، حدثنا ابن حميد[٣]، حدثنا يحيى بن واضح[٤]، حدثنا الأصبغ بن علقمة[٥]، عن عكرمة، عن قول الله عز وجل: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ قال: ليس الذي تذهبون إليه، إنما هو في أزواج النبي ﷺ خاصة. قال: وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق[٦]. وهذا قول ابن السائب ومقاتل[٧] وسعيد بن جبير.

واحتجوا لصحته بما تقدم من الخطاب قبله وما تأخر، فإنه مختص بأزواج النبي ﷺ.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٦٩)، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٠٣) وعزاه لابن مردويه.

(٢) في الوسيط (٣/ ٤٧٠): أبو حليم.

(٣) محمد بن حميد بن حيان التميمي الحافظ، أبو عبد الله الرازي، حافظ ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٩/ ١١١-١١٤، والتقريب ص:٤٧٥).

(٤) تقدم.

(٥) أصبغ بن علقمة بن علي بن علقمة بن شريك بن الحارث بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة الحنظلي اليربوعي، من أهل مرو، وكنيته أبو المقدام، يروى عن سعيد بن المسيب وعكرمة، روى عنه ابن المبارك (الثقات ٦/ ٧٧).

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٠)، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٠٣) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥).

وإنما قال: «ليذهب عنكم»؛ لدخول رسول الله ﷺ معهن في الخطاب.

قال الزمخشري[(١)]: وفي هذا دليل بين على أن نساء النبي ﷺ من أهل بيته.

القول الثاني: أن المراد بأهل البيت: رسول الله ﷺ، وفاطمة، وعلي، والحسن، والحسين. قاله أبو سعيد الخدري وعائشة وأم سلمة.

والدليل على صحته: ما أخبرنا به الشيخ أبو المجد محمد بن الحسين بن أحمد القزويني بقراءتي عليه من أصل سماعه قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن أسعد، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي، أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن أحمد الأنصاري، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع[(٢)]، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة[(٣)]، حدثنا أبي[(٤)]، عن مصعب بن شيبة[(٥)]، عن صفية بنت شيبة

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٤٦).

(٢) الوليد بن شجاع بن الوليد بن قيس السكوني، أبو همام بن أبي بدر الكوفي، نزيل بغداد، ثقة صدوق يكتب حديثه، مات في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ١١/ ١١٩، والتقريب ص:٥٨٢).

(٣) يحيى بن زكريا بن أبي زائدة واسمه خالد بن ميمون بن فيروز الهمداني الوادعي مولاهم، أبو سعيد الكوفي، ثقة متقن صدوق، مستقيم الحديث، كان على قضاء المدائن، ومات بها سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ١٨٣، والتقريب ص:٥٩٠).

(٤) زكريا بن أبي زائدة واسمه خالد بن ميمون بن فيروز الهمداني الوادعي مولاهم، أبو يحيى الكوفي، كان ثقة كثير الحديث، وكان يدلس، مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٤، والتقريب ص:٢١٦).

(٥) مصعب بن شيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار العبدري المكي الحجبي، لين الحديث (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٤٧، والتقريب ص:٥٣٣).

الحجبية[1]، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: « خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجلس، فجاءته فاطمة فأدخلها فيه، ثم جاء علي فأدخله فيه، ثم جاء حسن فأدخله فيه، ثم جاء حسين فأدخله فيه، قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ »[2]. هذا حديث صحيح. أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر، عن زكريا عن مصعب.

وروت أم سلمة: « أن النبي ﷺ جَلَّلَ على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله! قال: إنك إلى خير »[3]. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

والصحيح عندي[4]: أن المراد بأهل بيته: نساؤه وآله. وهو قول الضحاك[5] واختيار الزجاج[6]؛ لأن اللفظ صالحٌ لهما عامٌ فيهما.

وظاهر القرآن والأحاديث يدل على صحة ما اخترته.

وفي أفراد مسلم من حديث زيد بن أرقم، أن النبي ﷺ قال: « وأهل بيتي

---

(١) صفية بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار العبدرية، لها رؤية (تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٥٨، والتقريب ص:٧٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٨٣ ح٢٤٢٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٩٩ ح٣٨٧١).

(٤) وهو القول الثالث.

(٥) ذكره الماوردي (٤/ ٤٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨١).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٢٢٦).

أُذكِّركم الله في أهل بيتي، فقيل لزيد: أليس نساؤه من أهل بيته؟ فقال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قيل: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس »[١].

فهذا اعتراف من زيد بن أرقم أن نساءه من أهل بيته.

﴿ويطهركم تطهيراً﴾ قال مجاهد: ويطهركم من الشرك[٢].

وقال قتادة: من السوء[٣].

وقال السدي: من الإثم[٤].

والمعنى: ويطهركم بإذهاب الرجس عنكم.

قال الزجاج[٥]: الرِّجْس في اللغة: كل مستنكر مُستقْذر من مأكول أو عمل أو فاحشة.

قوله تعالى: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله﴾ يعني: القرآن ﴿والحكمة﴾ قال قتادة: السنّة[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٧٣ ح٢٤٠٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٤٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨١).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٢٢٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٠٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن سعد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. وهذا هو الصواب، ولا ينافيه القول الثاني، فإن السنة تشتمل على أحكام الحلال والحرام أيضاً.

وقال مقاتل[١]: الحلال والحرام والحدود، على معنى: اذكرن ما يتلى في بيوتكن من الكتاب الجامع بين أمرين: هو آيات بينات، وحكمة علوم وشرائع.

وفائدة هذا: تنبيههن على موضع الشكر حيث جعل بيوتهن مقر الرسالة ومهبط الوحي.

وقيل: هذا حثٌ لهن على حفظ القرآن والسنة ومذاكرتهن بهما للإحاطة بحدود الشريعة، والخطاب وإن اختص بهنّ فغيرهنّ داخلٌ فيه؛ لأن مبنى الشريعة على هذين: القرآن والسنة، وبهما يوقف على حدود الله تعالى ومفترضاته.

﴿إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾ قال عطية العوفي: لطيفاً باستخراجها، خبيراً بموضعها[٢].

وقيل: خبيراً بمن يصلح لنبوته ومن يصلح لأن يكونوا أهل بيته، لطيفاً بكم حيث علمكم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم.

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات... الآية﴾ أخرج الترمذي من حديث أم

---

(١) ذكره مقاتل (٣/ ٤٥) بمعناه. وانظر: الماوردي (٤/ ٤٠١).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٠٢).

عمارة الأنصارية قالت: « أتيت رسول الله ﷺ فقلت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ إلى قوله: ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ »[١].

وروي نحوه عن أسماء بنت عميس وأم سلمة[٢].

والمسلم: المنقاد. وقيل: المفوض أمره إلى الله تعالى، ومنه: أسلم وجهه إلى الله.

والمؤمن: المصدق بما يجب التصديق به.

وقال الماوردي[٣]: في الإسلام والإيمان قولان:

أحدهما: أنه واحد في المعنى وإن اختلفا في الأسماء[٤].

الثاني: أنهما مختلفان، وفيها قولان:

أحدهما: أن الإسلام: الإقرار باللسان، والإيمان: التصديق بالقلب. قاله الكلبي.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٤ ح٣٢١١).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٧٠). وله شاهد صحيح من حديث أم سلمة أخرجه أحمد في مسنده عن أم سلمة قالت: قلت للنبي ﷺ: ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت: فلم يرعني منه يومئذ إلا ونداؤه على المنبر قالت: وأنا أسرح شعري، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرة من حجر بيتي، فجعلت سمعي على الجريد فإذا هو يقول على المنبر: يا أيها الناس! إن الله يقول في كتابه: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ... -إلى آخر الآية- أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ (مسند أحمد ٦/ ٣٠٥ ح٢٦٦٤٥).

(٣) تفسير الماوردي (٤/ ٤٠٢-٤٠٣).

(٤) والتحقيق أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فإذا ذكر الإيمان والإسلام في حديث أو آية فسر الأول بالاعتقادات الباطنة، وفسر الثاني بالأعمال الظاهرة، وإذا ذكر الإسلام مفرداً دخل فيه الإيمان وكذا العكس.

الثاني: أن الإسلام: هو اسم الدين، والإيمان: هو التصديق به والعمل عليه.

وقد سبق ذكر القانت، وأنه القائم بطاعة الله تعالى الدائم عليها.

والصادق: الذي يصدق في نيته وقوله وعمله.

والصابر: الذي يصبر على طاعة الله تعالى وعن معصيته.

والخاشع: المتواضع لله تعالى بقلبه وجوارحه.

وقيل: هو الذي إذا صلى لا يعرف من عن يمينه وشماله.

والمتصدّق: الذي يزكي ماله ولا يبخل بالنوافل.

وقد قيل: من تصدق في أسبوع بدرهم وصام أيام البيض من كل شهر فهو من المتصدقين والصائمين.

والذاكرين: الذاكر الله كثيراً: من لا يكاد يخلو من ذكر الله تعالى بقلبه أو لسانه أو بهما، أو يكثر من تلاوة القرآن.

أخرج مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمرّ على جبل له جمدان فقال: سيروا هذا جمدان سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»[١].

قرأتُ على الشيخ الإمام موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بدمشق، -وكنت سمعته عليه قبل ذلك غير مرة-، والإمام فخر الدين أبي عبدالله محمد بن أبي القاسم بن تيمية الخطيب بحران، وبرهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن المظفر الحربي الواعظ الحافظ بالموصل، وأبي الفرج يحيى بن سعد الله بن أبي تمام

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦٢ ح٢٦٧٦).

الزاهد التكريتي بتكريت، قلت لكل واحد من الأشياخ الثلاثة المقدم ذكرهم [على][1] انفراده: أخبركم أبو الفتح محمد بن عبدالباقي بن سلمان الحاجب المعروف بابن البطي فأقرَّ به.

وقلت أيضاً لشيخنا أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد على انفراده، ولأبي الفتوح الزاهد على انفراده: أخبركم الشيخ أبو الحسن علي بن عبدالرحمن بن محمد الطوسي فأقرَّ به.

قال ابن البطي والطوسي: أخبرنا أبو عبدالله مالك بن أحمد بن إبراهيم المالكي [البانياسي][2]، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت[3]، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي[4]، حدثنا خلاد بن أسلم[5]، حدثنا

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) في الأصل: النايباسي. وهو خطأ.

(٣) أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت المحبر، أبو الحسن، شيخ البانياسي، ضعفه البرقاني وقوّاه غيره، كان ديّناً صالحاً، ولد في سنة سبع عشرة وثلاثمائة، ومات في رجب سنة خمس وأربعمائة (لسان الميزان ١/ ٢٥٥).

(٤) إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي البغدادي، أبو إسحاق الهاشمي، كان أبوه أمير الحاج مدة، توفي بسامراء في أول المحرم سنة خمس وعشرين وثلاثمائة عن بضع وتسعين سنة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٧١-٧٢، والتقييد ص:١٩١).

(٥) خلاد بن أسلم البغدادي، أبو بكر الصفار، ثقة، أصله من مرو، مات بسامراء قبل الخمسين أو عام الخمسين (تهذيب التهذيب ٣/ ١٤٨، والتقريب ص:١٩٦).

النضر[١]، حدثنا شعبة[٢]، عن أبي إسحاق[٣] قال: سمعت الأغر[٤] قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ قال: « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده »[٥]. هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن ابن مثنى عن محمد بن جعفر عن شعبة.

قوله تعالى: ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ خبران. والتقدير في قوله تعالى: ﴿والذاكرات﴾ ﴿والحافظات﴾: والذاكراته، والحافظاتها، فحذف المفعول[٦].

والمعنى: أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم وأجراً عظيماً لعملهم.

---

(١) النضر بن شميل المازني، أبو الحسن النحوي البصري، نزيل مرو، كان إماماً في العربية والحديث، ثقة ثبت، مات في أول سنة أربع ومائتين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٩٠، والتقريب ص:٥٦٢).

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم، أبو بسطام الواسطي ثم البصري، كان ثقة مأموناً ثبتاً حجة، صاحب حديث، وكان من سادات أهل زمانه حفظاً وإتقاناً وورعاً وفضلاً، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين وجانب الضعفاء والمتروكين، وصار علماً يقتدى عليه بعده أهل العراق، ولد سنة اثنتين وثمانين، ومات سنة ستين ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩٧-٣٠٢، والتقريب ص:٢٦٦).

(٣) عمرو بن عبد الله بن عبيد، ويقال: علي، ويقال: بن أبي شعيرة، أبو إسحاق السبيعي، ثقة مكثر عابد، اختلط بأخرة، مات سنة تسع وعشرين ومائة. وقيل: قبل ذلك (تهذيب التهذيب ٨/ ٥٦-٥٨، والتقريب ص:٤٢٣).

(٤) الأغر أبو مسلم المدني، تابعي ثقة، نزل الكوفة (تهذيب التهذيب ١/ ٣١٩، والتقريب ص:١١٤).

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤ ح ٢٧٠٠).

(٦) انظر: الدر المصون (٥/ ٤١٦).

قال قتادة: وكانت هذه الآية أول آية نزلت في النساء، فذُكِرْن بخير[١].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين: نزلت في زينب بنت جحش وأخيها عبدالله، وكانا ابني عمة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ خطبها لزيد بن حارثة مولاه، فظنت أنه يخطبها لنفسه، فرضيت، فلما علمت أنه يريدها لزيد كرهت وكره أخوها، وقالا: لا نرضاه، وكانت زينب امرأة بيضاء جسيمة وسيمة، وكان فيها حدّة، فقالت: أنا ابنة عمتك وأتم نساء قريش، فكيف أرضاه لنفسي، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فبادرت بصريح إيمانها فقالت: أمري بيدك يا رسول الله، فزوّجها به[٢].

قال مقاتل[٣]: وساق لها عشرة دنانير وستين درهماً، وخماراً وملحفة، [ودرعاً وإزاراً][٤]، وخمسين مُدّاً من طعام، وعشرة أمداد من تمر.

وقال ابن زيد: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت وهبت

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٠٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ١١-١٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٠٩-٦١٠) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس.
ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني.
ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٧).

(٤) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

نفسها للنبي ﷺ فزوجها من زيد بن حارثة، فكرهت وكره أخوها[١].

والأول أكثر وأشهر.

والمعنى: «وما كان لمؤمن» عبدالله بن جحش وغيره، «ولا مؤمنة» زينب وغيرها من المؤمنين والمؤمنات.

﴿إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾ حكماً به ﴿أن تكون لهم الخيرة﴾ أي: الاختيار ﴿من أمرهم﴾.

وقرأ أهل الكوفة وهشام: «أن يكون» بالياء[٢].

﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ﴾ أخطأ وجار عن سبيل الهدى ﴿ضلالاً مبيناً﴾ ظاهراً.

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

ثم إن النبي ﷺ أتى بيت زيد بن حارثة فأبصر زينب قائمة، فوقعت في قلبه فقال: سبحان الله مقلب القلوب، وذلك أن نفسه قبل ذلك كانت تجفو عنها،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٦١٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٨)، والكشف (٢/ ١٩٨)، والنشر (٢/ ٣٤٨)، والإتحاف (ص:٣٥٥)، والسبعة (ص:٥٢٢).

فسمعت زينب تسبيحه فذكرته لزيد، ففطن، وألقى الله تعالى في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: أرابك منها شيء؟ فقال: لا والله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم عليّ لشرفها وتؤذيني، فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، ثم طلقها بعد، فلما اعتدّت قال رسول الله ﷺ: ما أجد أحداً أوثق في نفسي منك، اخطب عليَّ زينب.

قال زيد: فانطلقتُ وإذا هي تخمر عجينها، فلما رأيتها عظمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، حين علمت أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري، وقلت: يا زينب أبشري، إن رسول الله ﷺ يخطبك، ففرحت وقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن[(١)].

وفي الصحيح من حديث أنس: «أن زينب كانت تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات»[(٢)]، وفيها نزلت آية الحجاب.

وفي صحيح البخاري من حديث أنس أيضاً: «لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية»[(٣)].

وفي الترمذي من حديث عائشة: «لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي

---

(١) أخرج نحوه مسلم (٢/ ١٠٤٨ ح١٤٢٨) من حديث أنس.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٩٩ ح٦٩٨٤).

(٣) مثل السابق.

لكتم هذه الآية: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ »[1]، يعني: زيد بن حارثة أنعم الله عليه بالهدى والاختصاص بك حتى تبنيته وأحببته واصطفيته ﴿وأنعمت عليه﴾ بالعتق، ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ أي: اتق الله في أمرها فلا تطلقها.

وقيل: اتق الله فلا تذمها بنسبتها إلى الكبر وأذى الزوج.

وفي قوله تعالى: ﴿وتُخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ أربعة أقوال:

أحدها: تعلق قلبه الكريم بها ومحبته إياها. قاله ابن عباس[2].

الثاني: إيثاره طلاقها. قاله قتادة وابن جريج ومقاتل[3].

الثالث: إضماره في نفسه إن طلقها زيد تزوجتها. قاله [ابن][4] زيد[5].

الرابع: أن الله تعالى كان أعلمه أنها تكون زوجته، وأن زيداً سيطلِّقها، فلما قال له: ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾ عاتبه الله تعالى على ذلك[6]. قاله علي بن

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٣ ح٣٢٠٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣) عن قتادة. وذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ٤٨)، والماوردي (٤/ ٤٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨٧)، والسيوطي في الدر (٦/ ٦١٤) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن قتادة.

(٤) زيادة من زاد المسير (٦/ ٣٨٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣) بأطول منه. وذكره الماوردي (٤/ ٤٠٦) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٨٧).

(٦) وهو الصواب من القول في ذلك. وصحح الأثر الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٥٢٤) وقال: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك؛ خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من =

الحسين[1].

﴿وتخشى الناس﴾ أي: وتخشى قائلتهم ولائمتهم.

قال الحسن: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية أشد عليه منها[2].

قال الزمخشري[3]: إن قلت: الواو في قوله: ﴿وتخفي في نفسك﴾، ﴿وتخشى الناس والله أحق﴾ ما هي؟

قلتُ: واو الحال، أي تقول لزيد: أمسك عليك زوجك مخفياً في نفسك إرادة أن لا يمسكها، وتخفي خاشياً قالة الناس وتخشى الناس، حقيقاً في ذلك بأن تخشى الله. [أو واو][4] العطف، كأنه قيل: وإذ تجمع بين قولك: [أمسك][5]، وإخفاء خلافه، وخشية الناس، والله أحق أن تخشاه حتى [لا][6] تفعل مثل ذلك.

﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوّجناكها﴾ قال الزجاج[7]: الوَطَرُ والأَرَبُ في اللغة بمعنى واحد.

= أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً، ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية. والله أعلم.

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦١٤-٦١٥) وعزاه للحكيم الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٢) ذكره الطبري (٢٢/ ١٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٦)، والسيوطي في الدر (٦/ ٦١٤).

(٣) الكشاف (٣/ ٥٥١-٥٥٢).

(٤) في الأصل: وواو. والمثبت من الكشاف (٣/ ٥٥١).

(٥) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٥٢).

(٦) مثل السابق.

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٢٢٩).

وقال الخليل بن أحمد: معنى الوطر: كل حاجةٍ يكون لك فيها هِمَّةٌ، فإذا بلغها البالغ قيل: قد قضى وطره وأرَبَه.

قال المفسرون: وذكر قضاء الوطر هاهنا: للتبيين بأن امرأة المتَبَنَّى تحلّ وإن وطئها[1].

﴿لكيلا﴾ متعلق بـ«زوجناكها».

المعنى: زوجناكها لكيلا يكون على الناس ﴿حرج﴾ أي: ضيق في التزوج بأزواج أدعيائهم إذا قضى الأدعياء منهن وطراً.

قال الحسن: كانت العرب تظن أن حرمة المتبني كحرمة الابن، فبيّن الله تعالى أن حلائل الأدعياء غير محرمة على المتبني وإن أصابوهن، وهو قوله تعالى: ﴿إذا قضوا منهن وطراً﴾ بخلاف ابن الصلب، فإن امرأته تحرم بنفس العقد[2].

مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾ أي: فيما شرع له من تزويج [امرأة][3] دعيّه.

وقيل: فيما قسم له وأوجب، من قولهم: فرض لفلان في الديوان كذا.

وقال الضحاك: ما كان على النبي من حرج في أن ينكح ما شاء من عدد النساء

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٩٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٤).

(٣) في الأصل: بامرأة.

وإن حرم على أمته أكثر من أربع؛ لأن اليهود عابوا ذلك عليه[1].

﴿سنة الله﴾ مصدر مؤكد لما قبله، وهو قوله: «فرض».

قال ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين في قوله تعالى: ﴿سنة الله﴾: أي: سنّ الله تعالى لمحمد ﷺ في التوسعة عليه في باب النكاح كسُنَّته في الأنبياء الماضين، يعني: داود عليه الصلاة والسلام حين هوى المرأة التي فتن بها، فجمع الله تعالى بينه وبينها، كذلك جمع بين زينب وبين محمد ﷺ، وتزوج مائة امرأة وكانت له ثلاثمائة سرية، وأحل لسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية[2].

﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ قضاء مقضياً.

ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

ثم أثنى على الرسل الماضين فقال تعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات الله... الآية﴾، وهو في موضع جر، على الوصف للأنبياء الذين خَلَوا من قبل، أو في موضع[3] نصب أو رفع على المدح، أو على معنى: أعني.

قال المفسرون: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب قال المشركون واليهود: تزوج

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٠٧).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٠٨)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٩٢).

(٣) في الأصل زيادة قوله: الله.

محمد امرأة ابنه، فأنزل الله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ يريد: لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه تحريم المصاهرة(١).

﴿ولكن رسول الله﴾ أي: ولكن كان رسول الله ﴿وخاتم النبيين﴾.

قال المفسرون: يعني: أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان [نبياً](٢) ولم يكن خاتم الأنبياء(٣).

قال صاحب الكشاف(٤): فإن قلت: أما كان أبا الطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم؟

قلت: قد أخرجوا من حكم النفي بقوله تعالى: ﴿من رجالكم﴾ من وجهين:

أحدهما: أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال.

الثاني: أنه قد أضاف الرجال إليهم، وهؤلاء رجاله لا رجالهم.

فإن قلت: أما كان أباً للحسن والحسين؟

قلت: [بلى](٥)، ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ، وهما أيضاً من رجاله، وشيء آخر: وهو أنه إنما قصد ولده خاصة، لا ولد ولده؛ لقوله تعالى: ﴿وخاتم النبيين﴾، ألا ترى أن الحسن والحسين قد عاشا إلى أن نيف أحدهما على الأربعين والآخر على الخمسين.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٩٣).

(٢) في الأصل: نبينا. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٩٣).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٥٣).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

قرأتُ على شيخنا أبي البقاء لأبي عمرو من رواية القزاز [والحلبي][١] عن عبدالوارث عن أبي عمرو: «ولكنّ» بالتشديد، وقرأتُ للباقين «ولكنْ» بالتخفيف[٢]. وقرأ «رسولُ الله» بالرفع.

قال الزجاج[٣]: من نصبَ فعلى معنى: ولكن كان رسولَ الله وكان خاتمَ النبيين. ومن رفع فالمعنى: ولكن هو رسولُ الله.

قال الزمخشري[٤]: ومن شدّد فعلى حذف الخبر، تقديره: ولكن رسولَ الله من عرفتموه.

قال ابن جني[٥]: وعليه قول الفرزدق:

وَلَوْ كُنْتَ ضَبِّيّاً عَرَفْتَ قَرَابَتِي ... وَلَكِن زَنْجِياً غَلِيظَ المَشَافِرِ[٦]

أي: ولكن زنجياً غليظ المشافر لا يعرف قرابتي، كذلك هاهنا الخبر محذوف، تقديره: ولكن رسولَ الله محمد.

---

(١) في الأصل: الحلبي. والصواب ما أثبتناه.

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢٢٨)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤١٩).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٣٠).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٥٣).

(٥) المحتسب (٢/ ١٨١-١٨٢).

(٦) البيت للفرزدق. انظر: الكتاب (٢/ ١٣٦)، والمحتسب (٢/ ١٨٢)، وابن يعيش (٨/ ٨١)، والهمع (١/ ١٣٦)، والبحر (٧/ ٢٢٨)، والدر المصون (٥/ ٤١٩)، واللسان (مادة: شفر).
والمشافر: جمع مشفر، وهو للبعير كالشفة للإنسان. واستعاره منه لما قصد من تشنيع خلق من يهجوه. والقرابة التي بين الفرزدق وضبة: أنه من تميم بن مر بن أد بن طابخة. وضبة هو ابن أد بن طابخة. وهو هنا ينفي نسبته إلى ضبة.

وقرأ الأكثرون: «وخاتِم النبيين» بكسر التاء، على أنه اسم الفاعل، من ختمهم فهو خاتمهم، كما تقول: ضربهم فهو ضاربهم، فتحها عاصم[١]، وهي قراءة الحسن، على معنى: أنه آخر النبيين كالطابع عليهم.

ويروى أن الحسن قال: هم الخاتم الذي ختم به[٢].

قرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم أبو منصور الطوسي فأقرّ به قال: حدثنا أبو محمد البغوي، أخبرنا علي بن يوسف الجويني، أخبرنا محمد بن علي الخذاشاهي، أخبرنا عبدالله بن محمد الحوريذي، حدثنا يونس بن عبدالأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أنا أولى الناس بابن مريم، الأنبياء أولاد علات، وليس بيني وبين ابن مريم نبي »[٣].

قال: كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه وترك منه موضع لبنة، فطاف بها النظار يتعجبون من حسن بنائه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها، فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة، ختم بي البنيان وختم بي الرسل ».

وأخرج الإمام أحمد، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة. ومسلم عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق بالإسناد عن أبي هريرة، أن رسول الله

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٨)، والكشف (٢/ ١٩٩)، والنشر (٢/ ٣٤٨)، والإتحاف (ص:٣٥٥)، والسبعة (ص:٥٢٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧٠ ح٣٢٥٨)، ومسلم (٤/ ١٨٣٧ ح٢٣٦٥).

ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتاً فأحسنها وأكملها وأجملها، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون: ألا وضعت هاهنا لبنة فيتم بنيانك، فقال محمد ﷺ: فكنت أنا اللبنة»[١].

وأخرجاه في الصحيحين من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ أي: اذكروه بألسنتكم وقلوبكم.

قال مجاهد: هو أن لا تنساه أبداً[٣].

وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون »[٤].

﴿وسبحوه﴾ صَلُّوا له ﴿بكرة وأصيلاً﴾.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٢ ح ٨١٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٠٠ ح ٣٣٤٢)، ومسلم (٤/ ١٧٩٠ ح ٢٢٨٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٩٦).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٦٨ ح ١١٦٧١).

قال ابن السائب: أما «بكرة»: فصلاة الفجر، وأما «أصيلاً»: فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء[١]. وهذا مروي عن ابن عباس.

وقال قتادة: صلاة الصبح والعصر[٢].

وقيل: «سَبِّحُوه»: نَزِّهُوه.

قال مجاهد: قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله[٣].

قوله تعالى: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ أما الصلاة من الله: فالرحمة والمغفرة، في قول الحسن وأكثر المفسرين[٤].

وقال أبو العالية: الثناء، وأما صلاة الملائكة: فالدعاء والاستغفار[٥].

قال الزمخشري[٦]: لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن [ينعطف][٧] على غيره حنواً عليه وترؤفاً.

﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ قال مقاتل[٨]: من الكفر إلى الإيمان.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٢٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٣٩٨).

(٤) مثل السابق.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٢٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) الكشاف (٣/ ٥٥٥).

(٧) في الأصل: يتعطف. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ٤٩).

وقيل: من النار إلى الجنة.

﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ قال مقاتل[1]: يعني: تسليم الملائكة عليهم.

وقيل: تحية بعضهم بعضاً. وقد سبق تفسير ذلك.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ أي: شاهداً على من بعث إليهم مصدقهم ومكذبهم، وشاهداً على الأمم الخالية بتبليغ رسلهم ما بعثوا به.

«وشاهداً»: حال مُقدّرة.

﴿وداعياً إلى الله﴾ قال ابن عباس: إلى شهادة أن لا إله إلا الله[2].

وقيل: إلى الإسلام والطاعة.

﴿بإذنه﴾ بتيسيره وتسهيله.

فإن قيل: ما منعك من حمل الإذن على ظاهره؟

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٣١٢ ح١١٨٤١)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٣١٩ ح١٤١٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٢٤) وعزاه لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والخطيب وابن عساكر.

قلت: منعني من ذلك ﴿إنا أرسلناك﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وداعياً﴾، وهذا مشعر بالإذن في الدعاء.

وقيل: «بإذنه»: بأمره.

﴿وسراجاً منيراً﴾ يُستضاء بك في طلب الهدى، ووصفه بالإنارة؛ لكون بعض السرج لا تضيء.

قوله تعالى: ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ سبق تفسيره في أول السورة.

﴿ودع أذاهم﴾ قال ابن عباس: اصبر على أذاهم[(١)].

وقال الزجاج[(٢)]: تأويله: لا تجازِهِمْ عليه إلى أن تُؤمر فيهم بأمْر. وهذا منسوخ بآية السيف[(٣)].

وقال الضحاك: ﴿دعْ أذاهم﴾: وهو ما خاضوا فيه من الطعن عليه حين تزوج زينب[(٤)].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٩)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٤٠) كلاهما عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٢٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٣١).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٤٤)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٢٨).

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٤١١).

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ قال ابن عباس: كذبوا على ابن مسعود، وإن كان قالها فزلّة من عالم؛ في الرجل يقول: إن تزوجتُ فلانة فهي طالق، [يقول][1] الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن﴾، ولم يقل: إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن[2].

وقال سماك بن الفضل[3]: إنما النكاح عقدة والطلاق يَحُلُّها، فكيف تُحَلُّ عقدة لم تُعْقَد؟ قال معمر: فصار بهذه الكلمة قاضياً على صنعاء[4].

وقد أجمع العلماء على أن الطلاق إذا وقع قبل المسيس والخلوة فلا عـدّة فيـه، ويشطر الصداق، وأن التي لم يدخل بها تبينها الطلقة الواحدة.

﴿فمتعوهن﴾ متعة الطلاق. وقد ذكرنا أحكامها في سورة البقرة.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا

---

(١) في الأصل: بقول. والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٢٣ ح٢٨٢١)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٢٠ ح١٤٦٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٢٧) وعزاه للبيهقي.

(٣) سماك بن الفضل الخولاني اليماني الصنعاني، ثقة، يروي عن وهب بن منبه، روى عنه معمر بن راشد (الثقات ٦/ ٤٢٦، وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٠٦).

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٤٢٠ ح١١٤٦٩)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٢١ ح١٤٦٦٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٠٣).

فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك ... الآية﴾ قال المفسرون: ذكر الله تعالى أنواع الأنكحة التي أحلها الله لنبيه ﷺ فقال: ﴿أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ أي: مهورهن، وسُمِّي المهر أجراً؛ لوقوعه في مقابلة البضع. والمعنى: اللاتي تزوجهن بصداق.

﴿وما ملكت يمينك﴾ بالسبي ﴿مما أفاء الله عليك﴾ أي: رده عليك من الكفار؛ كصفية وجويرية، فإنه أعتقهما وتزوجهما.

﴿وبنات عمك وبنات عماتك﴾ يريد: نساء قريش، ﴿وبنات خالك وبنات خالاتك﴾ يريد: نساء بني زهرة، ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ إلى المدينة.

قال القاضي أبو يعلى: ظاهر هذا يدل على أن من لم تهاجر معه من النساء لا يحل له نكاحها[1].

وقالت أم هانئ: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه بعذر، ثم أنزل الله هذه الآية، فلم أحل له لأني كنت من الطلقاء[2]. وهذا قول جماعة من المفسرين.

وقيل: نسخ شرط الهجرة في التحليل ولم يذكر ناسخه.

وقيل: شرط الهجرة في التحليل له كان مختصاً ببنات عمه وببنات عماته وبنات

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٥ ح٣٢١٤) وقال: حديث حسن صحيح لا أعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي، والحاكم (٤/ ٥٨ ح٦٨٧٢)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٥٤ ح١٣١٢٨)، وابن سعد في طبقاته (٨/ ١٥٢)، والطبري (٢٢/ ٢١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٢).

خاله وبنات خالاته.

وقال صاحب الكشاف[١]: إن قلت: لم قال: ﴿اللاتي آتيت أجورهن﴾، و﴿مما أفاء الله عليك﴾، و﴿اللاتي هاجرن﴾ وما فائدة هذه التخصيصات؟

قلت: قد اختار الله تعالى لرسوله ﷺ الأفضل الأولى، واستخصه[٢] بالأطيب الأزكى، كما اختصه بغيرها من الخصائص، وآثره بما سواها من الأثر، وذلك أن تسمية المهر في العقد أولى وأفضل من ترك التسمية، وإن وقع العقد جائزاً، وله أن يماسّها وعليه مهر المثل إن دخل بها، والمتعة إن لم يدخل بها، وسوق المهر إليها عاجلاً أفضل من أن يسميه ويؤجله، وكان التعجيل [ديدن][٣] السلف وسنتهم، وكذلك [الجارية][٤] إذا كانت سبية مالكها، وخطبة سيفه ورمحه، ومما اغتنمه الله تعالى من دار الحرب أحل وأطيب مما يشتري من شق الجلب، وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله ﷺ من قرابته غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه، و«أحللنا لك» من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهراً من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك، ولذلك نكرها. واختلف [في][٥] اتفاق ذلك، فعن ابن عباس: لم يكن عند رسول الله ﷺ أحد منهن بالهبة[٦].

وقيل: الموهوبات أربع: ميمونة، وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية،

(١) الكشاف (٣/ ٥٥٨-٥٥٩).
(٢) في الكشاف (٣/ ٥٥٨): واستحبه.
(٣) في الأصل: دين. والتصويب من الكشاف (٣/ ٥٥٨).
(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.
(٥) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٥٩).
(٦) انظر: الطبري (٢٢/ ٢٢-٢٣).

وأم شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم.

وقرأ أبي بن كعب والحسن: «أَن وهبت» بفتح الهمزة[١]، أي: لأن وهبت.

وقرأ ابن مسعود: «وامرأة مؤمنة وهبت»، بغير «إن»[٢].

وقوله تعالى: ﴿إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ أي: إن آثر ذلك، أي: أحللناها لك إن وهبت نفسها وأردت نكاحها. وإنما خاطبه بقوله: «إنا أحللناها لك»، ثم عدل إلى الغيبة بقوله: «إن أراد النبي -ﷺ- أن يستنكحها» يعني: الواهبة، ثم خاطبه بقوله تعالى: ﴿خالصة لك﴾ الإشعار باختصاص ذلك به، والتنويه باسم النبي ﷺ للإيذان بأنها السبب في إكرامه بما خص به وتكريره بقوله: ﴿إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي﴾ للتفخيم والتعظيم، كقول الشاعر:

لا أرى الموتَ يسبِقُ الموتَ شيءٌ نَغَّصَ الموتُ ذا الغِنَى والفقيرا[٣]

فصل

اختلف العلماء في جواز النكاح بلفظ الهبة لغير النبي ﷺ، وفي جوازه بلفظ البيع والتمليك، فأجازه جماعة؛ منهم: النخعي وأبو حنيفة وأصحابه، واختلف أصحابه في النكاح بلفظ الإجارة[٤]، واحتجوا بهذه الآية نظراً إلى أن الأصل مساواة الأمّة للرسول ﷺ في الأحكام، إلا ما خصه الدليل.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٦).

(٢) ذكر هذه القراءة الزمخشري في: الكشاف (٣/ ٥٥٩).

(٣) البيت لعدي بن زيد. انظر: ديوانه (ص:٦٥)، والكتاب (١/ ٩٢)، والخصائص (٣/ ٥٣)، والخزانة (١/ ١٨٣)، والدر المصون (١/ ٢٣٥)، والطبري (٤/ ٤٢)، والقرطبي (١/ ٤١٧، ٤/ ٦٢، ٨/ ١٤٩)، وزاد المسير (١/ ٢٢٧)، واللسان (مادة: نغص).

(٤) انظر: المغني (٧/ ٦٠)، والتمهيد لابن عبد البر (٢١/ ١١١).

ولم يجزه الأكثرون، منهم: سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء ومالك والشافعي وأحمد[١]؛ لقوله تعالى: ﴿إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾، ولقطع المشاركة بين النكاح وغيره من العقود في اللفظ، كما لا تنعقد سائر العقود بلفظ الإنكاح والتزويج.

قوله تعالى: ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ قال ابن عباس: يقول: لا يحل هذا لغيرك وهو لك حلال، [وهذا][٢] من خصائصه في النكاح[٣].

و«خالصة» مصدر مؤكد، أي: خلص لك ذلك خالصة بمعنى خلوصاً.

قوله تعالى: ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم﴾ أي: قد علمنا ما أوحينا وحكمنا على المؤمنين في أزواجهم، وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع، وأنه لا ينعقد نكاحهم إلا بالأولياء والشهود ﴿وما ملكت أيمانهم﴾.

وقوله تعالى: ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ متعلق بقوله: ﴿خالصة لك﴾، أي: أخلصنا لك ذلك لكيلا يكون عليك حرج، وما بينهما جملة اعتراضية تفيد الإشعار باختصاص الله تعالى بعلم ما يشرع للنبي ﷺ مختصاً به، وما حد للمؤمنين فيما فرض عليهم.

۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ

---

(١) انظر: المغني (٧/ ٦٠)، والتمهيد لابن عبد البر (٢١/ ١١١).

(٢) زيادة من الوسيط (٣/ ٤٧٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٧).

ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ نزلت مبيحة للنبي ﷺ مصاحبة نسائه ومعاشرتهن كيف شاء من غير حرج عليه؛ تخصيصاً له وتفضيلاً.

قوله تعالى: ﴿ترجي﴾ أي: تؤخر. ومن القُرّاء السبعة من يهمزه، ومنهم من لا يهمزه[1]. وقد سبق ذكره.

والمعنى: تؤخر من تشاء بالطلاق. قاله ابن عباس[2].

وقال مجاهد: تؤخر من تشاء فتعزلها عن أزواجك فلا تأتيها[3].

قال المفسرون: كان القسم والتسوية بينهن واجباً عليه، فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهن[4].

قال أبو رزين: كان ممن آوى: عائشة وأم سلمة وزينب وحفصة، وكان ممن أرجأ: سودة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة، وكان يقسم لهن ما شاء، وكان أراد أن يفارقهن فقلن: اقسم لنا ما شئت من نفسك ودعنا نكون على حالنا[5].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٨)، والنشر (١/ ٤٠٦)، والإتحاف (ص:٣٥٦)، والسبعة (ص:٥٢٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٣٣) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٦)، ومجاهد (ص:٥١٩) بالمعنى. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٣٥) وعزاه للفريابي وابن سعد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٨).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٥٠١)، والطبري (٢٢/ ٢٥).

أخبرنا أبو القاسم السلمي وأبو الحسن البغداديان، أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا زكريا بن يحيى[1]، حدثنا أبو أسامة[2]، حدثنا هشام[3] عن أبيه[4]، عن عائشة قالت: «كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ فأقول: تهب المرأة نفسها، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء... الآية﴾ قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك»[5].

وأخرجه مسلم[6] عن أبي كريب عن أبي أسامة.

قوله تعالى: ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ أي: ومن طلبت ممن

---

(١) زكريا بن يحيى بن صالح بن سليمان بن مطر البلخي، أبو يحيى اللؤلؤي، ثقة حافظ، كان صاحب سنّة وفضل ممن يرد على أهل البدع، مات سنة ثلاثين أو اثنتين وثلاثين (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٩، والتقريب ص:٢١٦).

(٢) حماد بن أسامة بن زيد القرشي مولاهم، أبو أسامة الكوفي، ثقة ثبت ربما دلّس، مات في شوال سنة إحدى ومائتين (تهذيب التهذيب ٣/ ٣، والتقريب ص:١٧٧).

(٣) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو المنذر، وقيل: أبو عبد الله، كان ثقةً ثبتاً، كثير الحديث، حجة، مات سنة خمس أو ست وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٤٤-٤٥، والتقريب ص:٥٧٣).

(٤) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي، أبو عبد الله المدني، كان ثقةً كثير الحديث، فقيهاً عالماً، ثبتاً مأموناً، مات سنة أربع وتسعين على الصحيح (تهذيب التهذيب ٧/ ١٦٣-١٦٥، والتقريب ص:٣٨٩).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٩٧ ح٤٥١٠).

(٦) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٨٥ ح١٤٦٤).

عزلتهن من نسائك عن القسم [وأردت][1] ضَمَّها وإيوائها إليك فلا إثم عليك، ولا حرج عليك في ذلك ولا عتب، ﴿ذلك﴾ التخيير الذي خيرناك والتفويض إلى مشيئتك ﴿أدنى أن تقر أعينهن﴾ أقرت قرة أعينهن ورضاهن جميعاً لكونه منزلاً من عند الله.

قال قتادة: إذا علمن أن هذا جاء من الله تعالى كان أطيب لأنفسهن وأقلّ لحزنهن[2].

قرأ الأكثرون: «كُلُّهن» برفع اللام، أي: يرضين كلهن. وقرئ شاذاً: «كُلَّهن» بالنصب[3]، تأكيداً لـ «هُنَّ» في «آتيتهن»، والمعنى واحد.

﴿لَّا تَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ قرأ أبو عمرو: «لا تَحِلُّ» بالتاء، لتأنيث الجمع، والباقون بالياء[4]؛ لأن تأنيث الجمع غير حقيقي، وإذا جاز بغير فصل كقوله تعالى: ﴿وقال نسوة﴾ كان مع الفصل أجوز من بعد، أي: من بعد التسع.

قال الشعبي: لما خيرهن النبي ﷺ فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك

(١) في الأصل: وأرت.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٨). وذكره الماوردي (٤/ ٤١٦).

(٣) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر (٧/ ٢٣٥)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٢٣).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٧٩)، والكشف (٢/ ١٩٩)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٥٦)، والسبعة (ص:٥٢٣).

فقصره عليهن، وأنزل هذه الآية. وهذا قول ابن عباس وقتادة والحسن[١].

وقال أبي بن كعب: المعنى: لا تحل لك من بعد المذكورات في قوله: ﴿إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن... الآية﴾. وهو قول الضحاك أيضاً[٢].

وقال مجاهد: المعنى: لا تحل لك نساء اليهوديات والنصرانيات من بعد المسلمات[٣].

﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ ينبني على الأقوال المذكورة، فعلى الأول يكون المعنى: ولا يحل لك أن تستبدل بزوجاتك سواهن[٤].

وعلى قول مجاهد يكون المعنى: ولا أن تبدل الكتابيات بالمسلمات، يقول: لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية.

وقال أبو هريرة وابن زيد: كانت عادة الجاهلية التبادل بالأزواج، فيعطي أحدهم زوجته لرجل ويعطي الآخر زوجته بدلاً منها، فنهوا عن ذلك[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٨-٢٩) عن قتادة. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٨) عن الشعبي، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٣٧) وعزاه لأبي داود في ناسخه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن أنس.

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤١٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤١٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٧)، وابن أبي شيبة (٣/ ٥٣٨).
وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٣٧) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) وهو اختيار ابن جرير الطبري (٢٢/ ٣١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣١) عن ابن زيد. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٣٨) وعزاه للبزار وابن مردويه عن أبي هريرة.
وأنكر هذا القول ابن جرير فقال: والذي قاله ابن زيد فقول لا معنى له، لأنه لو كان بمعنى المبادلة
=

قوله تعالى: ﴿ولو أعجبك حسنهن﴾ في محل الحال من الفاعل المضمر في «تَبَدَّلَ»، لا من المفعول الذي هو «من أزواج»؛ لتوغله في «إلا» التنكير.

﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ يعني: فإنهن غير محصورات بعدد. أو يكون المعنى: إلا ما ملكت يمينك من الكتابيات.

ويجيء على قول أبي هريرة وابن زيد: أن يكون إلا ما ملكت يمينك فلك الاستبدال بها.

فصل

اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ هل نسخ أم لا؟ فروي عن علي وابن عباس وعائشة وأم سلمة أنه نسخ بقوله تعالى: ﴿إنا أحللنا لك أزواجك﴾[1].

= لكانت القراءة والتنزيل: ولا أن تبادل بهن.

(١) انظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٤٤)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٣١-٤٣٣).

وذهب ابن جرير الطبري (٢٢/ ٣٠) إلى إحكام الآية فقال: وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال: معنى ذلك: لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ...﴾ إلى قوله: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِي﴾. وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية؛ لأن قوله: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾ عقيب قوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾، وغير جائز أن يقول: قد أحللت لك هؤلاء، ولا يحللن لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه، وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين قبل الأخرى منهما، فإن كان ذلك كذلك، ولا دلالة ولا برهان على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى، ولا تقدم تنزيل إحداهما قبل صاحبتها، وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة، لم يجز أن يقال: إحداهما ناسخة للأخرى. اهـ.

وأورد مكي بن أبي طالب إحكام الآية بأدلته عن ابن عباس وسهل وقتادة والحسن وابن سيرين. =

قالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء[١].

قال أبو سليمان الدمشقي: يعني: نساء جميع القبائل من المهاجرات وغير المهاجرات[٢].

وقال جماعة، منهم الحسن وابن سيرين: أنها محكمة ما نسخت[٣].

قال الزهري: قبض رسول الله ﷺ وما نعلمه تزوج النساء بعد[٤].

وفي قوله: ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ تحذير من مجاوزة حدود الله عز وجل.

= انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (ص:٣٣٧).

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٦ ح٣٢١٦)، وأحمد (٦/ ٤١ ح٢٤١٨٣)، والشافعي في الأم (٥/ ١٤٠) وله رأي في قول عائشة، قال الشافعي رضي الله عنه: كأنها تعني اللاتي حظرن عليه في قوله: ﴿لا يحل لك النساء من بعد ... الآية﴾.

ثم قال: وأحسب قول عائشة رضي الله عنها: «أحل له النساء» بقول الله عز وجل: ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك﴾ إلى قوله: ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ فذكر الله عز وجل ما أحل له، فذكر أزواجه اللاتي آتى أجورهن وذكر بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي قال: فدل ذلك على معنيين:

أحدهما: أنه أحل له مع أزواجه من ليس له بزوج يوم أحل له، وذلك أنه لم يكن عنده ﷺ من بنات عمه ولا بنات عماته ولا بنات خالاته امرأة وكان عنده عدد نسوة، وعلى أنه أباح له من العدد ما حظر على غيره.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤١١).

(٣) مثل السابق.

(٤) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٨/ ١٩٥). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٧٨).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي... الآية﴾ أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس قال: « كان النبي ﷺ عروساً بزينب، فقالت لي أم سليم: لو أهدينا إلى رسول الله ﷺ هدية، فقلت لها: افعلي، فعمدت إلى تمر وسمن وأقط فاتخذت حيسة في [بُرْمَة][(١)] فأرسلت بها معي، فانطلقت بها إليه فقال: ضعها، ثم أمرني فقال: ادع لي رجالاً سماهم، وقال: ادعُ لي من لقيت، قال: ففعلت الذي أمرني، فرجعت فإذا البيت غاصٌّ[(٢)] بأهله، ورأيت النبي ﷺ وضع يده في تلك الحيسة وتكلم بما شاء، ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول

---

(١) في الأصل: رمه. والتصويب من البخاري (٥/ ١٩٨١).

والبُرْمَة: قِدْرٌ من حجارة. والجمع: بُرَم وبِرام وبُرْم. وقيل: القدر مطلقاً. وهي في الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن (اللسان، مادة: برم).

(٢) أي: ممتلئ بهم. وغَصَّ المكان بأهله: ضاق (اللسان، مادة: غصص).

لهم: اذكروا اسم الله، وليأكل كل رجل مما يليه، حتى تصدعوا كلهم [عنها][(١)]، فخرج [منهم][(٢)] من خرج وبقي[(٣)] نفر يتحدثون. ثم خرج النبي ﷺ نحو الحجرات وخرجت في إثره، فقلت: إنهم [قد ذهبوا][(٤)]، فرجع فدخل البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة وهو يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي -إلى قوله تعالى-: والله لا يستحيي من الحق﴾، فخرج رسول الله ﷺ وقرأهن على الناس »[(٥)]. وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طرق.

وقال ابن عباس: كان ناس من المؤمنين يتحيّنون [طعام][(٦)] النبي ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم، فنزلت هذه الآية[(٧)].

وفي الصحيحين من حديث عمر قال: « قلت: يا رسول الله! إن نساءك يدخل عليهن البَرّ والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب »[(٨)].

وقالت عائشة: كان عمر يقول لرسول الله ﷺ: « احجب نساءك فلا يفعل، فخرجت سودة ليلة، فقال عمر: قد عرفناك يا سودة، حرصاً على أن ينزل

---

(١) زيادة من البخاري (٥/ ١٩٨١).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل زيادة قوله: من بقي. وهي غير موجودة في البخاري.

(٤) في الأصل: تذهبوا. والتصويب من البخاري (٥/ ١٩٨١).

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٨١ ح٤٨٦٨)، ومسلم (٢/ ١٠٥١ ح١٤٢٨).

(٦) في الأصل: طام. والتصويب من زاد المسير (٦/ ٤١٣).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤١٣).

(٨) أخرجه البخاري (١/ ١٥٧ ح٣٩٣)، ولم أقف عليه عند مسلم.

الحجاب، فنزل »[1].

قوله تعالى: ﴿إلا أن يؤذن لكم﴾ في معنى الظرف، تقديره: وقت أن يؤذن لكم، و ﴿غير ناظرين إناه﴾ حال [من][2] «لا تدخلوا»، والاستثناء واقع على الوقت والحال معاً، تقديره: لا تدخلوا إلا وقت الإذن، ولا تدخلوها إلا غير ناظرين إناه[3]، أي: نضجه وبلوغه. يقال: أَنَى يَأْني إذا حان وأدرك[4].

﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ معطوف على «ناظرين»، فيكون مجروراً، أو هو منصوب، على معنى: ولا تدخلوها مستأنسين[5].

قوله تعالى: ﴿فيستحيي منكم﴾ لا بد فيه من تقدير المضاف، أي: فيستحيي من إخراجكم.

﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ أي: لا يترك ما يبيّن لكم أنه الحق.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٦٧ ح١٤٦)، ومسلم (٤/ ١٧٠٩ ح٢١٧٠).

(٢) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٦٣).

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٦٣). وانظر: الدر المصون (٥/ ٤٢٤).

قال أبو حيان في البحر (٧/ ٢٣٧): فقوله: ﴿إلا أن يؤذن﴾ في معنى الظرف، وتقديره: وقت أن يؤذن لكم، وأنه أوقع الاستثناء على الوقت فليس بصحيح، وقد نصوا على أنّ «أنْ» المصدرية لا تكون في معنى الظرف، تقول: أجيئك صياح الديك وقدوم الحاج، ولا يجوز: أجيئك أن يصيح الديك ولا أن يقدم الحاج. وأما أن الاستثناء وقع على الوقت والحال معاً؛ فلا يجوز على مذهب الجمهور، ولا يقع بعد إلا في الاستثناء إلا المستثنى، أو المستثنى منه، أو صفة المستثنى منه، وأجاز الأخفش والكسائي ذلك في الحال، أجازا: ما ذهب القوم إلا يوم الجمعة راحلين عنا، فيجوز ما قاله الزمخشري في الحال.

(٤) انظر: اللسان (مادة: أني).

(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ٤٢٤)، والتبيان (٢/ ١٩٤).

قال بعض العلماء: هذا أدبٌ أدَّبَ الله به الثُّقلاء[١].

قالت عائشة رضي الله عنها: حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال: ﴿فإذا طعمتم فانتشروا﴾[٢].

﴿وإذا سألتموهن متاعاً﴾ أي: حاجة، والضمير لنساء النبـي ﷺ ولم يـذكرن؛ لأن الحال ناطقة بهن.

﴿ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ من الريبة، ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ في شيء من الأشياء، ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾.

قال ابن عباس: كان رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لو توفي رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة، فأنزل الله سبحانه وتعالى ما أنزل[٣].

قال مقاتل بن سليمان[٤]: هو طلحة بن عبيدالله.

قال الزجاج[٥]: أعلم الله تعالى أن ذلك محرم بقوله: ﴿إن ذلكم كان عنـد الله عظيماً﴾.

فصل

اختلف الفقهاء في وجوب [الاعتداد][٦] على أزواج النبي ﷺ على وجهين:

---

(١) ذكره القرطبي (١٤/ ٢٢٤) عن إسماعيل بن أبي حكيم.

(٢) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ٣١٣)، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢٣٧).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (٧/ ٦٩ ح١٣١٩٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٤٣) وعزاه لابن مردويه.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٥٣).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٢٣٥).

(٦) في الأصل: الاعتاد.

أحدهما: أن عليهن العدة لدخولهن في عموم الأدلة الدالة على وجوبها.

والثاني: لا عدة عليهن؛ لأن العدة مدة تتربص بها الإباحة، وتحريمهن على التأبيد، فلا فائدة في شرعيتها عليهن.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

قال المفسرون: لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ﷺ: ونحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب، فأنزل الله تعالى: ﴿لا جناح عليهن في آبائهن﴾[1].

قال قتادة: «لا جناح عليهن في آبائهن»: في ترك الحجاب[2].

وقال مجاهد: في وضع الجلباب[3].

﴿ولا نسائهن﴾ يريد: نساء المسلمات. وقيل: الجميع[4]. وقد ذكر في سورة

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٢١)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤١٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٢). وذكره الماوردي (٤/ ٤٢٠).

وهذا القول هو اختيار ابن جرير الطبري.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤١). وذكره الماوردي (٤/ ٤٢٠).

(٤) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤١٧-٤١٨): فان قيل: ما بال العمِّ والخال لم يُذْكَرا؟

فعنه جوابان:

أحدهما: لأن المرأة تَحِلُّ لأبنائهما، فكره أن تضع خمارها عند عمِّها وخالها، لأنهما ينعتانها لأبنائهما، =

النور(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾، وقرئ: «وملائكتُهُ» بالرفع(٢)، عطفاً على محل إن واسمها. وقد ذكر آنفاً معنى صلاة الله والملائكة عليه.

﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ أخرجا في الصحيحين من حديث كعب بن عجرة قال: «قلنا: يا رسول الله! قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»(٣).

ومعنى قولهم: «قد عرفنا السلام عليك»: ما يقال في التشهد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وهو معنى قوله: ﴿وسلموا تسليماً﴾.

وقيل: المعنى: وسلِّمُوا لأمره تسليماً.

وحكى مقاتل قال(٤): لما نزلت هذه الآية قال المسلمون: فما لنا يا رسول الله؟

= وهو قول الشعبي وعكرمة.

والثاني: لأنهما يجريان مجرى الوالدين فلم يُذْكَرا. قاله الزجاج.

(١) عند الآية رقم: ٣١.

(٢) وهي قراءة ابن عباس. انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٢٣٩)، والدر المصون (٥/ ٤٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٠٢ ح٤٥١٩)، ومسلم (١/ ٣٠٥ ح٤٠٦).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٥٤).

فنزل: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته... الآية﴾[١].

أخرج الإمام أحمد من حديث عبدالرحمن بن عوف قال: «خرج رسول الله ﷺ فاتبعته حتى دخل نخلاً، فسجد فأطال السجود، حتى خفت أو خشيت أن يكون الله عز وجل قد توفاه أو قبضه. قال: فجئت أنظر فرفع رأسه فقال: ما لك يا عبدالرحمن؟ قال: فذكرت ذلك له. قال: فقال: إن جبريل عليه السلام قال لي: ألا أبشرك، إن الله عز وجل يقول لك: من صلّى عليك صلاة صليتُ عليه، ومن سلّم عليك سلّمتُ عليه »[٢].

وفي حديث أنس بن مالك عن أبي طلحة قال: «دخلت على النبي ﷺ فلم أره أشد استبشاراً منه يومئذ ولا أطيب نفساً، قلت: يا رسول الله! ما رأيتك قط أطيب نفساً ولا أشد استبشاراً منك اليوم؟ قال: وما يمنعني وقد خرج آنفاً جبريل من عندي قال: قال الله تعالى: من صلى عليك صلاة صليت بها عليه عشر صلوات، ومحوت عنه عشر سيئات، وكتبت له عشر حسنات»[٣].

وفي مسند الإمام أحمد من حديث الحسين بن علي: أن النبي ﷺ قال: «البخيل من ذكرتُ عنده ثم لم يُصَلِّ عليّ»[٤].

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٧٦)، والماوردي (٤/ ٤٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٩١ ح١٦٦٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٩ ح١٦٣٩٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٥١ ح٣٥٤٦) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (١/ ٢٠١ ح١٧٣٦).

فصل

ذهب بعض أهل العلم إلى أن الصلاة على النبي ﷺ واجبة كلما ذُكر، وذهب بعضهم إلى وجوبها في كل مجلس مرة واحدة، وذهب بعضهم إلى وجوبها في العمر مرة واحدة[(١)].

وأما الصلاة عليه في الصلاة واجبة عند الإمام أحمد، ومنهم من يجعلها شرطاً لصحة الصلاة، ومنهم من يجعلها سنة.

واختلفوا في الصلاة على غيره ؛ فسوغها قوم؛ لقوله ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى»[(٢)]، وكرهها آخرون؛ لكونها شعاراً للنبي ﷺ، إلا أن يكون تبعاً؛ كقولك: اللهم صل على محمد وآل محمد وأصحابه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ قال ابن عباس: هم الذين طعنوا على رسول الله ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي[(٣)].

---

(١) انظر: المبسوط للسرخسي (١/ ٢٩)، وبدائع الصنائع (١/ ٢١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥٤٤ ح١٤٢٦)، ومسلم (٢/ ٧٥٦ ح١٠٧٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٥٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال عكرمة: هم أصحاب [التصاوير][١].

وقال يحيى بن سلام: هم قوم من المنافقين كانوا يكذبون على النبي ﷺ ويبهتونه[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿يؤذون الله﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه وصفه بما لا يليق بجلاله وما يجب تنزيهه عنه.

أخبرنا أبو علي بن عبدالله بن سعادة في كتابه أخبرنا أبو القاسم الشيباني، أخبرنا [أبو][٣] علي بن المذهب، أخبرنا أبو بكر بن مالك، أخبرنا عبدالله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن أبي عبدالرحمن -هو السلمي-، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «ما من أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عز وجل، يدعون له ولداً ويعافيهم ويرزقهم»[٤].

أخرجه البخاري عن مسدد، عن يحيى، عن سفيان. وأخرجه مسلم عن أبي بكر، عن أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش.

الثاني: أن المعنى: يؤذون نبي الله، فجعل أذى نبيه أذى له؛ تشريفاً لمنزلته.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٥٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم. وما بين المعكوفين في الأصل: البضايير. والتصويب من المصادر السابقة.

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٢٢).

(٣) زيادة على الأصل. انظر ترجمته في: العبر (٢/ ٢٨٥)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٧١).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٦٢ ح٥٧٤٨)، ومسلم (٤/ ٢١٦٠ ح٢٨٠٤)، وأحمد (٤/ ٤٠١ ح١٩٦٠٤).

الثالث: أن المعنى: يؤذون أولياء الله[١]. وأما أذى الرسول فهو ما ذكرناه في سبب النزول.

وقال الواحدي[٢]: هو أنهم كذبوا رسول الله وشَجُّوا وجهه وكسروا رباعيته، وقالوا: مجنون؛ شاعر، ساحر، كذاب.

﴿لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾ قال المفسرون: لعنتهم في الدنيا: القتل والجلاء، وفي الآخرة: عذاب النار[٣].

قوله تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ أي: بغير جناية توجب استحقاق الأذى.

قيل: إنها نزلت في الذين تكلموا في أهل الإفك، وهو قول الضحاك[٤].

وقال ابن السائب: نزلت في الزناة، كانوا يمشون في الطريق فيرون المرأة فيغمزونها[٥].

وحكى مقاتل[٦] والنقاش: أنها نزلت في قوم كانوا يؤذون علي بن أبي طالب

---

(١) ذكر هذه الأقوال: الماوردي في تفسيره (٤/ ٤٢٢).

(٢) الوسيط (٣/ ٤٨٢).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٢٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢٠).

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٤٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢١).

(٥) ذكره الماوردي (٤/ ٤٢٣) عن الضحاك، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٧٧) عن الضحاك والسدي وابن السائب الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢١) عن السدي.

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٥٤). وذكره الماوردي (٤/ ٤٢٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢١).

ويكذبون عليه.

ويروى: أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قرأ ليلة هذه الآية فأفزعته، فانطلق إلى أبيّ بن كعب فقال: يا أبا المنذر! إني قرأت آية من كتاب الله فوقعت مني كل موقع: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾، وإني لأعاقبهم وأضربهم، فقال: إنك لست منهم، إنما أنت مُؤدِّب، إنما أنت معلِّم[(١)].

وقال الفضيل: لا يحل لك أن تؤذي كلباً أو خنزيراً بغير حق، فكيف [تؤذي مسلماً][(٢)]؟

وكان ابن عون لا يكري الحوانيت إلا من أهل الذمة؛ لما فيه من الروعة عند كراء الحول[(٣)].

وقال الحسن وقتادة: إياكم وأذى المؤمن فإنه حبيب ربه، أَحَبَّ الله تعالى فأحبه، وغضبَ لربه فغضب الله له، وإن الله يحوطه ويؤذي من آذاه[(٤)].

وفي حديث الرؤيا: «رأيت رجالاً يعلقون بألسنتهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يرمون المؤمنين [و][(٥)] المؤمنات بغير ما اكتسبوا»[(٦)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٥٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٧)، والزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٦٩). وما بين المعكوفين زيادة من سير أعلام النبلاء.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٦٩).

(٤) ذكر نحوه الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٢).

(٥) زيادة على الأصل.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ۞لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ يرخينها عليهن، ويغطين بها وجوههن وأعطافهن. و«مِنْ» للتبعيض.

قال ابن قتيبة[(١)]: قل لهن يلبَسْنَ الأرْدِئة.

وقال غيره: يغطين رؤوسهن ووجوههن.

قال ابن مسعود والحسن: الجلباب: الرداء[(٢)].

وقال سعيد بن جبير: القناع[(٣)].

وقال قطرب: هو [كل][(٤)] ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها[(٥)].

وقال الزمخشري[(٦)]: هو ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٥٢).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٢٣)، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٦١) وعزاه لابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) زيادة من الماوردي (٤/ ٤٢٤).

(٥) انظر قول قطرب في: الماوردي (٤/ ٤٢٤).

(٦) الكشاف (٣/ ٥٦٩).

على رأسها ويبقى ما ترسله على صدرها.

وقيل: هو ما تستتر به من كساء أو غيره.

قال أبو زبيد:

.... مُجَلْبَبٌ منْ سوادِ الليل جِلْبَابا[(١)]

﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ قال السدي: كانت المدينة ضيقة المنازل، وكانت النساء يخرجن بالليل لقضاء الحاجة، وكان فُسَّاق من فُسَّاق المدينة يخرجون، فإذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا: هذه حُرَّة فتركوها، وإذا رأوها بغير قناع قالوا: هذه أَمَة فكابروها[(٢)].

ثم الله تعالى توعد هؤلاء الفساق فقال تعالى: ﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ أي: عن نفاقهم، ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ وهم أهل الفجر.

وقيل: هم قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات.

﴿والمرجفون في المدينة﴾ قال قتادة: هم الذين يذكرون من الأخبار ما تضعف به قلوب المؤمنين وتقوى به قلوب المشركين[(٣)].

﴿لنغرينك بهم﴾ أي: لنُحرِّشَنَّكَ ولنحملنك على مؤاخذتهم، ﴿ثم لا يجاورونك فيها﴾ أي: في المدينة ﴿إلا قليلاً﴾ أي: زماناً قليلاً، ثم يهلكون.

---

(١) انظر البيت في: اللسان (مادة: جلب)، وروح المعاني (٢٢/ ٨٨)، والكشاف (٣/ ٥٦٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٦١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٦٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿ملعونين﴾ نصب على الذم أو على الحال[1]، أي: لا يجاورونك إلا ملعونين.

وقيل: إن «قليلاً» نصب على الحال أيضاً[2]، على معنى: لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين.

﴿سنة الله﴾ في موضع مصدر مؤكد، أي: سَنّ الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيث ما ثقفوا، أي: الحكم فيهم هذا على جهة الأمر.

قال قتادة: ذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله تعالى في هذه الآية فكتموه[3].

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ قال الكلبي: سأل أهل مكة النبي ﷺ

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٤٢٥).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

عن الساعة وعن قيامها، فقال الله تعالى: ﴿قل إنما علمها عند الله﴾[(١)]. أي: هو المستأثر بعلمها لم يطلع عليها ملكاً ولا نبياً.

ثم خوَّفهم فقال: ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾ أي: شيئاً قريباً، أو ذكر لأن الساعة في معنى اليوم، أو في معنى البعث، أو لأن تأنيثها غير حقيقي.

قوله تعالى: ﴿إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾ وقرأ ابن عامر: «ساداتِنا» على الجمع مع كسر التاء[(٢)].

قال أبو علي[(٣)]: سَادَة: جمع سَيِّد، وسادات: جمع سَادَة. وهم رؤساء الكفر الذين زينوه لهم.

وقال مقاتل[(٤)]: هم المطعمون في غزوة بدر.

﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ عذاب الضلال وعذاب الإضلال، ﴿والعنهم لعناً كثيراً﴾.

قرأ عاصم: «كبيراً» بالباء المعجمة بواحدة[(٥)].

قال الزجاج[(٦)]: ومعناهما قريب.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٣).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٠)، والكشف (٢/ ١٩٩)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٥٦)، والسبعة (ص:٥٢٣).

(٣) الحجة (٣/ ٢٨٧).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٥٦).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٠)، والكشف (٢/ ١٩٩)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٥٦)، والسبعة (ص:٥٢٣).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٢٣٧).

وقال أبو علي[١]: الكثرة أشبه بالمعنى؛ لأنهم يُلْعَنُون مرةً بعد مرة.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا﴾ قيل: نزلت في شأن زيد وزينب بنت جحش، وما سمع فيه من قالة بعض الناس.

والأشبه على هذا القول: أن يراد بأذى موسى: ما جرى له من حديث المُومِسَة[٢] التي حملها قارون على قذفه بنفسها، وقد ذكرته في القصص[٣].

وقال أبو وائل: قسم رسول الله ﷺ قسماً، فقال رجل من الأنصار: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فذكر ذلك للنبي ﷺ فغضب وقال: رحم الله موسى، لقد أوذي أكثر من هذا فصبر[٤].

وقيل: أذى موسى: ما اتهموه من قتل [هارون][٥]، وقد ذكرناه في المائدة. قاله علي عليه السلام[٦].

---

(١) الحجة (٣/ ٢٨٧).

(٢) المومسة: الفاجرة جهاراً (اللسان، مادة: ميس).

(٣) عند الآية رقم: ٨١.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٤٩ ح٣٢٢٤)، ومسلم (٢/ ٧٣٩ ح١٠٦٢) كلاهما رفعه من طريق أبي وائل عن ابن مسعود.

(٥) في الأصل: فرعون. وهو خطأ. والتصويب من المصادر التالية.

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٧-٣١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٦) وعزاه لابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه.

وقيل: هو ما أخبرنا أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: حدثنا أبو الوقت عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إسحاق بن [نصر][١]، حدثنا عبدالرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر. فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، ففرّ الحجر بثوبه، فجمح موسى في أثره يقول: ثوبي يا حجر، ثوبي يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، وقالوا: والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضرباً.

قال أبو هريرة: والله إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة»[٢]. أخرجه مسلم أيضاً عن محمد بن رافع عن عبدالرزاق.

وفي رواية أخرى للبخاري: «فذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى... الآية﴾»[٣].

والآدر: العظيم الخصيتين[٤].

قوله تعالى: ﴿وكان عند الله وجيهاً﴾ يقال: وَجُهَ الرجُلُ يُوجَهُ وَجَاهَةً فهو

---

(١) في الأصل: نصير. والتصويب من البخاري (١/ ١٠٧). وانظر: ترجمته في: التهذيب (١/ ١٩٢)، والتقريب (ص:٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٠٧ ح٢٧٤)، ومسلم (١/ ٢٦٧ ح٣٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٤٩ ح٣٢٢٣).

(٤) انظر: اللسان (مادة: أدر).

وجيه؛ إذا كان ذا جَاهٍ وقَدْر[١].

قال ابن عباس: كان عند الله حظياً لا يسأله شيئاً إلا أعطاه[٢].

وقال الحسن: كان مستجاب الدعوة[٣].

وقرأ ابن مسعود والأعمش: «وكان عبداً لله وجيهاً»[٤].

قال ابن خالويه[٥]: صليتُ خلف ابن [شنبوذ][٦] في شهر رمضان فسمعته قرأها.

وقراءة العامة أوجه؛ لأنها مفصحة عن [وجاهته][٧] عند الله، لقوله تعالى: ﴿عند ذي العرش مكين﴾ [التكوير:٢٠] وهذه ليست كذلك[٨].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿وقولوا قولاً سديداً﴾ قال ابن عباس: صواباً[٩].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: وجه).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٧) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٦).

(٥) المختصر في شواذ القرآن (ص:١٢١).

(٦) في الأصل: سنبوذ. وهو خطأ. والتصويب من الكشاف (٣/ ٥٧٢).

(٧) في الأصل: وجاة. والتصويب من الكشاف (٣/ ٥٧٢).

(٨) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٧٢).

(٩) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢٧).

وقال ابن قتيبة[1]: قصْداً.

قال قتادة: عدلاً في جميع الأقوال والأعمال[2].

قال عكرمة: قولوا: لا إله إلا الله[3].

والمراد من ذلك: حفظ اللسان من الخوض فيما لا يجوز.

﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ قال مقاتل[4]: يزكيها.

وقال ابن عباس: يتقبل حسناتكم[5].

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعامة المفسرين: الأمانة: هي الفرائض والأحكام التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب[6].

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٥٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٨) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٥٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢٧).

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٨) =

ويدخل في هذا القول: جميع ما ذكره المفسرون من أنواع الأمانات.

قال الحسن: عرضت الأمانة على السموات السبع الطباق التي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم، فقيل لهن: أتأخذن الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قيل: إن [أحسنتن جزيتن][1]، وإن أسأتن عوقبتن؟ قلن: لا، ثم عرضت على الأرضين السبع اللاتي شدت بالأوتاد وذللت للمهاد وأسكنت العباد، فقيل لهن: أتأخذن الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قيل: إن أحسنتن جزيتن، وإن أسأتن عوقبتن؟ قلن: لا، ثم عرضت على الجبال الشوامخ البواذخ الصلاب الصعاب، فقيل لهن: أتأخذن الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قيل: إن أحسنتن جزيتن، وإن أسأتن عوقبتن؟ قلن: لا، فذلك قوله: ﴿فأبين أن يحملنها﴾[2].

وقال ابن جريج: قالت السماء: يا رب خلقتني وجعلتني سقفاً محفوظاً، وأجريت فيّ الشمس والقمر والنجوم، لا أتحمل فريضة ولا أبتغي ثواباً ولا عقاباً[3].

وروى السدي عن أشياخه: أن آدم عليه السلام لما أراد الحج قال للسماء: احفظي ولدي بالأمانة، فَأَبَتْ، وقال للأرض فَأَبَتْ، وقال للجبال فَأَبَتْ، وقال لقابيل فقال: نعم تذهب وتجيء وتجد ولدك كما يسرّك، فلما انطلق آدم قتل قابيل

= وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد عن ابن عباس.

(١) في الأصل: ختتن خربتن. والتصويب من الماوردي (٤/ ٤٣٠)، والوسيط (٣/ ٤٨٤).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٩) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري.

هابيل، فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه، فذلك حيث يقول: ﴿إنا عرضنا الأمانة ... الآية﴾(١).

قال جمهور المفسرين: ركب الله تعالى العقل في هذه الأعيان وأفهمهنَّ خطابه وأنطقهنّ بالجواب(٢).

وقال الحسن: المراد: عرضنا الأمانة على أهل السموات والأرض وأهل الجبال من الملائكة ولم يكن إباؤهن مخالفة، وإنما كان خشية من خوف الخيانة؛ لأن العرض كان على وجه التخيير لا على وجه الإلزام، وهو قوله تعالى: ﴿وأشفقن منها﴾(٣)، أي: خِفْنَ من حملها العقاب بتقدير ترك الأداء.

﴿وحملها الإنسان﴾ قال ابن عباس: يريد: آدم، عرض الله تعالى عليه أداء الفرائض، الصلوات الخمس في مواقيتها، وأداء الزكاة عند محلها، وصيام رمضان، وحج البيت على أن له الثواب وعليه العقاب، فقال آدم: بين أذني وعاتقي(٤).

قال مقاتل بن حيان: قال الله تعالى لآدم: أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها؟ قال آدم: وما لي عندك؟ قال: إن أحسنت وأطعت ورعيت الأمانة فلك الكرامة وحسن الثواب في الجنة، وإن عصيت وأسأت فإني معذبك ومعاقبك، قال: قد رضيت رب وتحملتها، فقال: قد حملتكها، فذلك قوله تعالى: ﴿وحملها

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٦-٥٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢٨).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢٨-٤٢٩).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٥).

الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾[1].

قال مجاهد: ما كان بين أن يحملها وبين أن خرج من الجنة إلا قدر ما بين الظهر إلى العصر[2].

وقال الزجاج[3]: حقيقة هذه الآية -والله تعالى أعلم وهو موافق للتفسير-: أن ائتمان بني آدم على ما افترضه عليهم، وائتمان السموات والأرض والجبال؛ لقوله تعالى: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت:١١].

واعلم أن من الحجارة ما يهبط من خشية الله، وأن الشمس والقمر والنجوم والجبال والملائكة وكثيراً من الناس يسجدون له، فعرّفنا سبحانه أن السموات والأرض والجبال لم تحمل الأمانة، أي: أدَّتْها، وكل من خان الأمانة فقد احتملها، وكذلك كل من أثِمَ فقد احتمل الإثم. قال الله تعالى: ﴿وليحملُن أثقالهم﴾ [العنكبوت:١٣]، فأعلم أن من باء بالإثم يسمى حاملاً للإثم، والسموات والأرض والجبال أبين أن يحملن الأمانة وأدّينها، وأداؤها طاعة الله تعالى فيما أمر به وترك المعصية.

﴿وحملها الإنسان﴾ الكافر والمنافق حمل الأمانة، أي: خانا ولم يطيعا. هذا آخر كلام الزجاج.

قال المقاتلان[4]: إنه كان ظلوماً لنفسه، جهولاً بعاقبة أمره.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٦٩) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٣٨).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٥).

وقال ابن السائب: ظلمه حين عصى ربه، فأخرج من الجنة وحمله حين احتملها[١].

وعلى قول السدي: «الإنسان»: قابيل[٢].

قال ثعلب: جميع الناس[٣].

قوله تعالى: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات﴾ أي: ليعذبهم بما خانوا الأمانة وكذبوا الرسل، ونقضوا الميثاق الذي أخذ عليهم حين استخرجهم من ظهر آدم.

قال ابن قتيبة[٤]: المعنى: عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافقين وشرك المشركين فيعذبهم الله ويعاقبهم، ويظهر إيمان المؤمنين فيتوب الله عليهم، أي: يرجع عليهم بالرحمة والمغفرة إن حصل منهم تقصير في بعض الطاعات.

وقرأ الأعمش: «ويتوبُ» بالرفع على الاستئناف[٥].

﴿وكان الله غفوراً﴾ للمؤمنين ﴿رحيماً﴾ بهم.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٧).

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٢٩).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:٣٣٨).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٦).

سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي أربع وخمسون في العدد الكوفي والمدني، وهي مكية بإجماعهم.

واستثنى الضحاك وابن السائب ومقاتل آية، وهي قوله تعالى: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك﴾ فقالوا: نزلت بالمدينة[1].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾[2] يعني:

---

(١) قال السيوطي في الإتقان (١/ ٥٢): روى الترمذي عن فروة بن مسيك المرادي قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر من قومي ... الحديث، وفيه: وأنزل في سبأ ما أنـزل، فقـال رجل: يا رسول الله وما سبأ ... الحديث (الترمذي ٥/ ٣٦١). قال ابن الحصار: هذا يدل على أن هذه القصة مدنية، لأن مهاجرة فروة بعد إسلام ثقيف سنة تسع. قال: ويحتمـل أن يكـون قولـه: «وأنزل» حكاية عما تقدم نزوله قبل هجرته.

(٢) في هامش الأصل: قوله: ﴿الحمد لله... إلخ﴾ قال ابن جرير (٢٢/ ٥٩): يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السماوات السبع ومـا في الأرضين السبع دون كل ما يعبدونه، ودون كل شيء سواه لا مالك لشيء من ذلك غيره، فالمعنى الذي هو مالك جميعه، ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ يقول: وله الشكر الكامل في الآخرة كالذي هو له ذلـك في الدنيا العاجلة؛ لأن منه النعم كلها على كل من في السماوات والأرض في الدنيا، ومنه يكون ذلـك في الآخرة، فالحمد لله خالصاً دون ما سواه، في عاجل الدنيا وآجل الآخرة؛ لأن النعم كلها من قبله =

مُلْكاً وخَلْقاً، ﴿وله في الحمد في الآخرة﴾[1] يريد: أن أهل الجنة يحمدونه إذا أخذوا منازلهم، كقوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ [الزمر:٧٤]، ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ [فاطر:٣٤]، ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾[2] [الأعراف:٤٣].

﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ أي: ما يدخل فيها من مطر، أو يُجَنّ فيها من ميت، ﴿وما يخرج منها﴾ من زرع ونبات.

وقال النقاش: ما يخرج منها من كنوز الذهب والفضة والمعادن كلها[3].

﴿وما ينزل من السماء﴾ من مطر وزق وملك قضاء، ﴿وما يعرج فيها﴾[4] من القضاء والدعاء والأعمال والملائكة.

= لا يشركه فيها أحد من دونه، ﴿وهو الحكيم﴾ في تدبيره خلقه وصرفه إياهم في تقديره، خبير بهم وبما يصلحهم، وبما عملوا وما هم عاملون، محيط بجميع ذلك.

يعلم ما يدخل الأرض وما يغيب فيها من شيء، ﴿وما يَنزِلُ من السماء وما يَعْرُجُ فيها﴾ وذلك خبر من الله أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض، مما ظهر فيها وما بطن، ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ بأهل التوبة من عباده أن يعذبهم بعد توبتهم، الغفور لذنوبهم إذا تابوا منها.

(١) زيد في هامش الأصل بخط مغاير قوله تعالى: ﴿وهو الحكيم الخبير﴾.

(٢) قال الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٧٦): فإن قلت: ما الفرق بين الحمدين؟

قلت: أمّا الحمد في الدنيا فواجب؛ لأنه على نعمة متفضل بها، وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب. وأمّا الحمد في الآخرة فليس بواجب؛ لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها، وإنما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم، يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٢).

(٤) زيد في هامش الأصل بخط مغاير قوله تعالى: ﴿وهو الرحيم الغفور﴾.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿قل بلى وربي لتأتينكم﴾ وقرئ شاذاً: «لَيَأْتِيَنَّكُمْ» بالياء[١].

قال ابن جني[٢]: جاز التذكير؛ لأن [المخوف][٣] منها إنما هو عقابها، وعليه قولهم: ذهبَتْ بعض أصابعه؛ لأن بعض أصابعه إصبع في المعنى.

وحكى الأصمعي عن أبي عمرو قال: سمعت رجلاً من اليمن يقول: فلانٌ لَغُوبٌ[٤]، جَاءَتْهُ كتابي فاحتقرها، فقلت له: أتقول: جاءته كتابي؟ فقال: نعم، أليس [بصحيفة][٥]. وهذا من أعرابيّ جافٍ هو الذي نبّه أصحابنا على انتزاع [العلل][٦]، وكذلك ما يجري مجراه، فاعرفه.

---

(١) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٢٤٨)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٢٨).

(٢) المحتسب (٢/ ١٨٦).

(٣) في الأصل: المحذوف. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٤) اللغوب: الأحمق (اللسان، مادة: لغب).

(٥) في الأصل: تصحيفة. والتصويب من المحتسب (٢/ ١٨٦).

(٦) في الأصل: العامل. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

قوله تعالى: ﴿عَالِمِ الغيب﴾ قرأ نافع وابن عامر: «عالمُ» بالرفع على معنى: هو عالم، أو على الابتداء، والخبر: ﴿لا يعزب﴾. وقرأ الباقون بالجر، نعتاً للرب الله، إلا أن حمزة والكسائي قرءا: [عَلاّم][1] بالتشديد[2]، على وزن [فعّال][3].

وقرأ ابن السميفع والأعمش: «ولا أصغرَ» «ولا أكبرَ» بالفتح[4]، على نفي الجنس؛ كقولك: لا حول ولا قوة إلا بالله.

قوله تعالى: ﴿ليجزي الذين آمنوا﴾ اللام متعلقة بقوله تعالى: ﴿لتأتينكم﴾.

وقال ابن جرير[5]: المعنى: أثبت مثقال الذرة وأصغر منه ليجزي.

قوله تعالى: ﴿من رجز أليم﴾ قرأ ابن كثير وحفص: «أليمٌ» بالرفع، هاهنا وفي الجاثية[6]. وقرأ الباقون بالجر[7].

قال أبو علي[8]: من قرأ بالجر جعله صفة للرجز، ومن قرأ بالرفع جعله صفة للعذاب، أي: لهم عذاب أليم من رجز، والجر في «أليم» أبين؛ لأن الرجز العذاب.

---

(١) في الأصل: إعلام. وهو خطأ. والتصويب من المصادر التالية.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨١)، والكشف (٢/ ٢٠١)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٥٧)، والسبعة (ص:٥٢٦).

(٣) في الأصل: فقال. وهو خطأ. انظر المصادر السابقة.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٦٢).

(٦) عند الآية رقم: ١١.

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٨-٢٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٢)، والكشف (٢/ ٢٠١)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٥٧)، والسبعة (ص:٥٢٦).

(٨) الحجة (٣/ ٢٨٩).

فالمعنى: لهم عذاب من عذاب أليم، فإذا وصف العذاب الثاني بأليم، كان العذاب الأول أليماً، وإذا أجريت الأليم على العذاب الأول كان المعنى: لهم عذاب أليم من عذاب، فالأول أكثر فائدة.

قوله تعالى: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ وهم أصحاب النبي ﷺ، في قول قتادة[١].

[ومؤمنوا][٢] أهل الكتاب؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه، في قول مجاهد[٣].

قال الزجاج[٤] وغيره: موضع «يرى» نصب عُطِفَ على قوله: «ليجزي»، و«الحق» مفعول ثان لـ«يرى»، وهو هاهنا فَصْل، ويسميه الكوفيون: العِمَاد[٥].

فإن قيل: ما فائدة الفَصْل؟

قلت: شيئان:

أحدهما: التفصلة بين الخبر والصفة.

والثاني: التأكيد، في نحو قولك: زيد هو المنطلق، أي: لا منطلق إلا هو.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿ويرى﴾ كلاماً مستأنفاً خارجاً مخرج الثناء على الذين

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) في الأصل: ومونوا. والتصويب من زاد المسير (٦/ ٤٣٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦١) عن الضحاك. وذكره الطبري (٢٢/ ٦٢) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٣٣) عن ابن عباس، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٧٤) وعزاه لابن أبي حاتم عن الضحاك.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٤١).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ١٩٥)، والدر المصون (٥/ ٤٣٠). والعماد هو: ضمير الفَصْل.

أوتوا العلم، والذم لمن لم يكن على مثل ما هم عليه من العلم والإيمان.

﴿ويهدي﴾ يعني: القرآن ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ وهو دين الإسلام.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ۝٨ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٩

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا﴾ منكري البعث، قال بعضهم لبعض: ﴿هل ندلّكم على رجل﴾ وهو محمد ﷺ ﴿ينبئكم﴾ أي: يخبركم أنكم ﴿إذا مزقتم﴾ وأكلتكم الأرض ﴿كل ممزق﴾ مصدر في معنى التمزيق.

قال مقاتل[1]: إذا تفرقتم في الأرض وذهبت الجلود والعظام وكنتم تراباً.

وقوله: «إذا» منصوب بفعل مضمر، يدل عليه قوله: ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ تقديره: إذا مزّقتم كل ممزّق بعثتم ولا ينتصب بـ«جديد»؛ لأن ما بعد «إنَّ» لا يعمل فيما قبلها، ولا ينتصب بقوله: «ينبئكم»؛ لأن الأخبار ليس في ذلك الوقت، ومثله: ﴿أئذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد﴾ [الرعد:٥]، ومثله: ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ [العاديات:٩-١١] حملوا هذه الآي على إضمار فعل ينتصب به «إذا»، ولم يحملوه على ما بعد

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٥٩).

«إنّ»، ألا ترى أنك لو قلت: عمراً إنّ زيداً ضارب، لا ينتصب عمراً بضارب.

قوله تعالى: ﴿أفترى على الله كذباً﴾ هذا قول منكري البعث، قال بعضهم لبعض على وجه التعجب [والإنكار][1] لما أخبرهم به من البعث بعد الموت: ﴿أفترى على الله كذباً﴾، وهذه همزة الاستفهام دخلت على همزة الوصل، وحذفت التي للوصل لوقوع الاستغناء عنها، وإنما لم تسقط في قوله: «السحر» لخوف الالتباس، لكون همزة الخبر مفتوحة كهمزة الاستفهام، و«أَمْ» معادلة لهمزة [الاستفهام][2].

فردَّ الله عليهم فقال: ﴿بل﴾ أي: ليس الأمر على ما قالوه من الافتراء أو الجنون، ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب﴾ يعني: في الآخرة ﴿والضلال البعيد﴾ عن الهدى في الدنيا.

وقال السدي: «الضلال البعيد»: هو الشقاء الطويل[3].

قوله تعالى: ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾ استفهام في معنى التقرير لهم بإحاطة السماء والأرض بهم حيث نظروا وتوجهوا.

ومقصود ذلك: [تذكيرهم][4] بقدرة الله تعالى عليهم وتخويفهم من سطوته وبطشته، ألا تراه يقول: ﴿إن يشأ يخسف بهم الأرض﴾. وهذا المعنى قول قتادة

---

(١) في الأصل: والإكار.

(٢) في الأصل: الاسم ستفهام.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٤).

(٤) في الأصل: تذكرهم.

وجمهور المفسرين[١]. لكن لي فيه حسن السفارة [بإيضاح][٢] المعنى في أحسن صورة.

وقال أبو صالح: المعنى: أفلم يروا إلى ما بين أيديهم ممن أهلكهم الله من الأمم في أرضه، وما خلفهم من أمر الآخرة في سمائه[٣].

﴿إن يشأ يخسف بهم الأرض﴾ التي تحتهم كما خسفنا بقارون ﴿أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾ التي هي فوقهم.

قرأ الأكثرون: «نخسِفْ» «ونُسْقِط» بالنون فيهما، حملاً على قوله: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾. وقرأهما حمزة والكسائي بالياء، رداً على قوله: ﴿أفترى على الله كذباً﴾. وقرأ الكسائي: «يخسف بهم» بإدغام الفاء في [الباء][٤].

قال أبو علي[٥] وغيره: لا يجوز إدغام الفاء في الباء، وإن جاز إدغام الباء في الفاء؛ لأن الفاء فيها زيادة صوت؛ لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦١-٣١٦٢) كلاهما عن قتادة بمعناه. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٤-٦٧٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة بمعناه.

(٢) في الأصل: بإضاح.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٤).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٣)، والكشف (٢/ ٢٠٢)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٥٧)، والسبعة (ص:٥٢٧).

وما بين المعكوفين في الأصل: الياء. وكذا وردت في المواضع التالية.

(٥) الحجة (٣/ ٢٨٩-٢٩٠).

[الثنايا][١] العليا، فانحدر الصوتُ بها إلى الفم حتى اتصلت بمخرج الثاء، ولهذا جاز إبدال الثاء بالفاء، نحو: الحدث، والحدف، والمغافير، والمغاثير، فتعاقبا للمقاربة التي بينهما، فكما لا يجوز إدغام التاء في الباء، لا يجوز إدغام الفاء في الباء؛ لزيادة صوتها على صوت الباء.

﴿إن في ذلك﴾ الذي يرونه من السماء والأرض ﴿لآية﴾ دالة على وحدانية الله وقدرته على البعث ﴿لكل عبد منيب﴾ راجع إلى طاعة الله.

قال قتادة: هو المقبل بتوبته[٢].

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾ وهو ما أعطي من النبوة والزبور والملك في الدنيا، ﴿يا جبال﴾ أي: وقلنا إظهاراً لشرفه ومنزلته وكرامته علينا: يا جبال ﴿أوبي معه﴾ رجِّعي معه التسبيح، وكان داود إذا سبَّح سبَّحت الجبال معه.

وقرأتُ لأبي عمرو من رواية [عبد الوارث عنه: أُوْبي][٣]، بضم الهمزة

---

(١) زيادة من الحجة (٣/ ٢٨٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) في الأصل: عبد الورث عنه وأبي. وانظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٨).

وتخفيف الواو وتسكينها[١]، من الأوْب، وهو في معنى: أوِّبي.

قرأ الأكثرون: ﴿والطيرَ﴾ بالنصب، عطفاً على موضع «الجبال»، كقوله:

ألا يا زيد والضحاكَ سِيَرا ....[٢]

قال الزجاج[٣]: كل منادى -عند البصريين كلهم- في موضع نصب.

ويجوز أن يكون منصوباً على معنى: «مع»، كما تقول: قمت وزيداً، أي: مع زيد[٤].

وحكى أبو عبيدة[٥] معمر بن المثنى عن أبي عمرو ابن العلاء: أنه منصوب على معنى: وسخرنا له الطير، فيكون عطفاً على «فَضْلاً».

وقرأتُ لأبي عمرو من رواية عبدالوارث عنه وليعقوب من رواية زيد عنه: «والطيرُ» بالرفع[٦]، عطفاً على «جبال»، أي: يا جبال ويا أيها الطير أوبي معه.

﴿وألنّا له الحديد﴾ كان إذا أخذه صار في يده كالعجين والطين والشمع، يتصرف فيه كيف شاء من غير نار ولا ضرب مطرقة، وإنما أتته القدرة الإلهية مع قطع النظر إلى الأسباب.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٨).

(٢) صدر بيت وعجزه: (فقد جاوزتما خَمَرَ الطريق). انظر: ابن يعيش (١/ ١٢٩)، والهمع (٢/ ١٤٢)، والدر المصون (١/ ٥٣٥، ٥/ ٤٣٤)، والطبري (٢٢/ ٦٦)، والقرطبي (٣/ ٥١).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٤٣).

(٤) قال أبو حيان في البحر (٧/ ٢٥٣): وهذا لا يجوز؛ لأن قبله «معه» ولا يقتضي الفعل اثنين من المفعول معه إلا على البدل، أو العطف.

(٥) مجاز القرآن (٢/ ١٤٣).

(٦) النشر (٢/ ٣٤٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٨).

وقيل: لاَنَ له في يده ما أُتي من شدة القوة أن يعمل سابغات.

قال الزجاج[١]: «أن اعمل» في تأويل التفسير، كأنه قيل: وألنّا له الحديد ﴿أن اعمل سابغات﴾.

والمعنى: اعمل دروعاً كوامل يجرّها لابسها على الأرض.

قال قتادة: وكان أول من عملها، وإنما كانت قبله صفائح[٢].

﴿وقدّر في السَّرْد﴾ السَّرْد: نسج الدروع، ومنه قيل لصانعها: سَرَّاد وزرَّاد، على إبدال السين زاياً. والمعنى: اجعله على القصد وقدر الحاجة.

قال ابن عباس وعامة المفسرين واللغويين في معناه: لا [تدقق][٣] المسامير فتفلق، ولا غلاظاً فتفصم الحلق[٤].

والفَصْم -بالفاء-: الكسر من غير إبانة[٥]، وبالقاف: الكسر مع الإبانة[٦]، تقول: فصم وما قصم. قال الله تعالى: ﴿لا انفصام لها﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقال الله تعالى: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾ [الأنبياء:١١] لما كان موضع استئصال.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٤٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) في الأصل: تجعل. والتصويب من المصادر التالية.

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٨)، ومجاهد (ص:٥٢٣)، والحاكم (٢/ ٤٥٩ ح٣٥٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٦) وعزاه لعبد الرزاق والحاكم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) انظر: اللسان (مادة: فصم).

(٦) انظر: اللسان (مادة: قصم).

﴿واعملوا صالحاً﴾ خطاباً لداود وأهله.

قال ابن عباس وغيره: اشكروا الله تعالى بما هو أهله[١].

وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾

ثم ذكر سليمان وما اختصه به من الكرامة فقال: ﴿ولسليمان الريحَ﴾ قال الفراء[٢]: نصب «الريحَ» على «وسخرنا».

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «الريحُ» بالرفع[٣].

وقرأ أبو جعفر: «الرياحُ» بالرفع أيضاً والجمع[٤].

قال أبو علي[٥]: من رفع فوجهه: أن الريح إذا سُخِّرت لسليمان، جاز أن يقال: له الريحُ، على معنى: له تسخير الريح، فالرفع على هذا يؤول إلى معنى النصب.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٨).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٣٥٦).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٣-٥٨٤)، والكشف (٢/ ٢٠٢)، والنشر (٢/ ٣٤٩)، والإتحاف (ص:٣٥٨)، والسبعة (ص:٥٢٧).

(٤) النشر (٢/ ٢٢٣)، والإتحاف (ص:١٥١).

(٥) الحجة (٣/ ٢٩١).

﴿غدوّها شهر ورواحها شهر﴾ قال قتادة: تسير مسيرة شهر إلى نصف النهار، وتروح مسيرة شهر إلى آخر النهار، فهي تسير في اليوم مسيرة شهرين[(١)].

قال الحسن: كان يغدو من دمشق[(٢)] فيقيل بإصطخر[(٣)] وبينهما مسيرة شهر للمسرع، ويروح من إصطخر فيبيت بكابل[(٤)] وبينهما مسيرة شهر للمسرع[(٥)].

﴿وأسلنا له عين القطر﴾ أذبنا له عين النحاس.

قال المفسرون: أجريت له عين الصُّفْر[(٦)] ثلاثة أيام ولياليهن كجري الماء، وإنما يعمل الناس اليوم بما أعطي سليمان. والقِطْر: النحاس المذاب[(٧)].

قال قتادة: هي عين بأرض اليمن[(٨)].

﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ قال ابن عباس: سخرهم الله تعالى لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به[(٩)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) دمشق: البلدة المشهورة قصبة الشام (معجم البلدان ٢/ ٤٦٣).

(٣) اصطخر: بلدة من بلاد الفرس (معجم البلدان ١/ ٢١١)، إيران حالياً.

(٤) كابل: اسم يشمل الناحية بين الهند ونواحي سجستان (معجم البلدان ٤/ ٤٢٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٩) بأقصر منه. وذكره الماوردي (٤/ ٤٣٧)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٣٨).

(٦) الصُّفر: النحاس الجيد (اللسان، مادة: صفر).

(٧) ذكره الطبري (٢٢/ ٦٩)، والماوردي (٤/ ٤٣٧)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٧٨).

(٨) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٩) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٩).

﴿ومن يزغ منهم﴾ يعدل منهم ﴿عن أمرنا﴾ بطاعة سليمان ﴿نذقه من عذاب السعير﴾.

قال ابن عباس: كان معه مَلَكٌ بيده سوط من نار، كل من استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني[1].

وقيل: المعنى: ومن يزغ منهم عن طاعتنا وعبادتنا نذقه في الآخرة من عذاب النار.

قال الماوردي[2]: وفي قوله: ﴿ومن الجن﴾ دليلٌ على أن فيهم غير مسخر.

قوله تعالى: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب﴾ وهي الأبنية الرفيعة والقصور. وقد ذكرنا المحراب في سورة آل عمران[3].

قال المفسرون: بنوا له الأبنية العجيبة باليمن؛ صِرْوَاح، ومرواح، وبينون، وهندة، وهنيدة، وقلثوم، وغُمْدان، وهذه حصون باليمن عملتها الشياطين[4].

وقال الحسن وقتادة: عملوا له آلة المساجد[5].

﴿وتماثيل﴾ جمع تمثال، وهو كل شيء مثلته بشيء، يعني: صوراً من نحاس وزجاج ورخام كانت الجن [تعملها][6]، قالوا: وهي صور الأنبياء والملائكة كانت

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٨) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٩).

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٨).

(٣) عند الآية رقم: ٣٧.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٩).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٧٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٦) في الأصل: تعلمها.

تصوّر في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة[١].

وقال الضحاك: طواويس وعقباناً ونسوراً تكون على كرسيه ودرجات سريره لكي يهابه من شاهده[٢].

قال الحسن: لم تكن يومئذ محرمة[٣].

﴿وجفان كالجواب﴾ الجِفَان: القِصَاع، والجَوَاب: الحياض الكبار، سميت بذلك؛ [لأن][٤] الماء يجبى فيها، أي: يجمع.

قال المفسرون: كان يجتمع على القصعة الواحدة ألف رجل، يأكلون منها[٥].

﴿وقدور راسيات﴾ ثابتات لها قوائم لا تحرك عن أماكنها لعظمها.

قال ابن جريج: [ذكر لنا][٦] أن تلك القدور باليمن [أبقاها][٧] الله تعالى آية وعبرة[٨].

﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ حكاية ما قيل لآل داود. [وانتصب «شكراً» على

---

(١) وقد استدل بالآية على أن التصوير كان مباحاً في شرع سليمان، ونسخ ذلك بشرع نبينا محمد ﷺ (فتح القدير ٣/ ٣١٧).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٣٩).

(٣) مثل السابق.

(٤) في الأصل: ولأن.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤٠).

(٦) في الأصل: ذكرنا. والتصويب من الماوردي (٤/ ٤٣٩).

(٧) في الأصل: أبقا. والتصويب من الماوردي، الموضع السابق.

(٨) ذكره الماوردي (٤/ ٤٣٩).

أنه][1] مفعول لأجله، أو حال؛ أي: شاكرين، أو على معنى: اشكروا شكراً؛ لأن «اعملوا» فيه معنى: اشكروا، من حيث أن العمل للمنعم شُكر له. أو هو مفعول به، على معنى: إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكراً على طريق المشاكلة[2].

﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ الكثير الشكر.

قال ابن عباس: قليل من عبادي من يشكر على أحواله كلها[3].

أخرج الإمام في كتاب الزهد له بإسناده عن ثابت قال: «كان داود عليه السلام جَزَّأَ ساعات الليل والنهار على أهله، فلم يكن يأتي ساعة من ليل أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي»[4].

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿فلما قضينا عليه الموت ... الآية﴾ قال أهل التفسير[5]: كانت الإنس في زمن سليمان تزعم أن الجن تعلم الغيب، فلما مات سليمان مكث قائماً

(١) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٨٢).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٨٢). وانظر: التبيان (٢/ ١٩٦)، والدر المصون (٥/ ٤٣٥).

(٣) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ٣٢٣).

(٤) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد. وأخرجه البيهقي في الشعب (٣/ ١٥٥ ح٣١٨٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤١).

على عصاه حولاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة التي كانت تعملها في حياة سليمان وهم لا يشعرون بموته، حتى أكلت دابة الأرض -وهي الأَرَضَة- [عصا سليمان، فخرَّ ميتاً، فعلموا بموته، وعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب](١).

وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء والجحدري: «دابة الأَرَض» بفتح الراء، جمع أَرَضة(٢).

﴿تأكل منسأَته﴾ أي: عصاه.

قرأ أبو عمرو ونافع: «منسَاتَه» بألف من غير همز. وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة، وابن ذكوان يسكن الهمزة(٣).

قال الزجاج(٤): المِنْسَأة: العصا ينسأ بها، أي: يطرد [ويزجر](٥).

قال المبرد(٦): بعض العرب يبدل من همزتها ألفاً، وأنشد:

إذا دَبَبْتَ على المنساةِ منْ كِبَرٍ ... فقدْ تباعدَ عنكَ اللهوُ والغزل(٧)

---

(١) زيادة من الوسيط (٣/ ٤٨٩)، وزاد المسير (٦/ ٤٤١).

(٢) ذكر هذه القراءة الماوردي (٤/ ٤٤١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤١).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٤)، والكشف (٢/ ٢٠٣)، والنشر (٢/ ٣٤٩-٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٨)، والسبعة (ص:٥٢٧).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٤٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤١).

(٥) في الأصل: ويزجي. وفي معاني الزجاج: ويؤخر. والتصويب من زاد المسير، الموضع السابق.

(٦) انظر قول المبرد في: الوسيط (٣/ ٤٨٩).

(٧) انظر البيت في: اللسان (مادة: نسأ، نسا)، والماوردي (٤/ ٤٤١)، والطبري (٢٢/ ٧٤)، والقرطبي (١٤/ ٢٧٩)، والبحر المحيط (٧/ ٢٤٦)، وروح المعاني (٢٢/ ١٢١)، والمحتسب (٢/ ١٨٧)، ومجاز القرآن (٢/ ١٤٥)، والدر المصون (٥/ ٤٣٦)، والوسيط (٣/ ٤٨٩). وفي بعض المصادر «هرم» بدل «كبر».

قال مكي[١]: من همز أتى به على الأصل. وقد حكى سيبويه[٢] في تصغير المنسأة: مُنَيْسِئَة، بالهمز، قال: يردّها إلى أصلها، ولا يجعل البدل فيها لازماً، وقد قالوا في جمعها: «مناسيء» بالهمز؛ لأن التصغير والجمع يردّ الأشياء إلى أصولها في أكثر الكلام.

وأما من أسكن الهمزة فهو بعيد في الجواز، إنما يجوز الإسكان للاستثقال لطول الكلمة.

﴿فلما خرّ﴾ سقط ميتاً ﴿تبيَّنَتِ الجن﴾ وقرأتُ ليعقوب الحضرمي من رواية رويس: «تُبُيِنت» بضم التاء والباء وكسر الياء، على ما لم يسم فاعله[٣].

قال أكثر المفسرين: ظهرت وانكشفت للناس وبان جهلها وأنها لا تعلم الغيب[٤].

قال صاحب كشف المشكلات[٥]: التقدير: فلما خَرَّ تبيَّن أمر الجن، فحذف المضاف.

وقوله تعالى: ﴿أن لو كانوا يعلمون﴾ بدل من أمر الجن، وتبين لازم هاهنا.

وقال الماوردي[٦]: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: تبينت الجن أن الشياطين -وهم كانوا المسخرين في العمل- لو كانوا

---

(١) الكشف (٢/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٢) الكتاب (٣/ ٤٥٩).

(٣) النشر (٢/ ٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٨).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤١).

(٥) كشف المشكلات (٢/ ٢٣٧).

(٦) تفسير الماوردي (٤/ ٤٤٢).

يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين [سنة][1].

الثاني: ما روى سفيان عن عمر وعن ابن عباس أنه كان يقرأ في التلاوة: «فلما خَرَّ تبيّنت الإنسُ أن الجنَّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين سَنَة».

الثالث: أن الجن دخلت عليهم شبهة توهموا بها أنهم يعلمون الغيب، فلما خرّ تبينوا أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.

قال الماوردي[2]: وروي عن النبي ﷺ: أن سليمان وقف في محرابه فصلى متوكئاً على عصاه فمات، وبقي على حاله قائماً على عصاه سنة، والجن لا تعلم بموته، وقد كان سأل الله تعالى أن لا يعلموا بموته حتى تمضي عليه سنة.

واختلفوا في سبب سؤال ذلك على قولين:

أحدهما: أن الجن كانوا يذكرون للإنس أنهم يعلمون الغيب، فسأل الله تعالى ذلك ليعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، وهذا قول مأثور.

الثاني: أن داود عليه السلام كان قد أسس بناء بيت المقدس ثم مات، فبناه سليمان صلى الله عليه بعده، وسخّر الجن في عمله، وكان قد بقي من إتمامه بعد موته بناء سنة، فسأل الله تعالى أن لا تَعلم الجن بموته حتى يتمّوا البناء، [فأتمّوه][3].

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

---

(١) زيادة من الماوردي (٤/ ٤٤٢).

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٤٤١).

(٣) زيادة من الماوردي، الموضع السابق.

سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال﴾ قد ذكرنا سبأ في سورة النمل[١].

وقد أخرج الترمذي بإسناده عن فروة بن مسيك المرادي قال: «قال رجل: يا رسول الله! وما سبأ، أرض أو امرأة؟ فقال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل وَلَدَ عشرة من العرب، فتيامن[٢] منهم ستة، وتشاءم[٣] منهم أربعة. فأما الذين تشاءموا: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة. وأما الذين تيامنوا: فالأزد، [والأشعريون][٤]، وحمير، وكندة، ومذحج، وأنمار. فقال رجل: وما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة»[٥].

والمراد هاهنا بسبأ: القبيلة، الذين هم من أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «مسكِنِهم» على التوحيد، إلا أن الكسائي يكسر الكاف، وقرأ الباقون: «مساكنهم» على الجمع[٦].

---

(١) عند الآية رقم: ٢٢.

(٢) أي: سكنوا اليمن.

(٣) أي: سكنوا الشام.

(٤) في الأصل: والأشعرون. والتصويب من الترمذي (٥/ ٣٦١).

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦١ ح٣٢٢٢).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٥)، والكشف (٢/ ٢٠٤)، والنشر =

قال أبو علي[١]: من جمع أتى باللفظ وفقاً للمعنى؛ لأن لكل ساكن مسكناً، والمساكن: جمع مسْكَن؛ الذي هو اسمٌ للموضع من سكن يسكن. وقرئ: «في مسكنهم» على الإفراد والكاف مفتوحة، فيشبه أن يكون جعل المسكن مصدراً، وحذف المضاف، والتقدير: في مواضع مسكنهم، أي: في مواضع سكناهم؛ لما جعل المسكن كالسكنى والسكون أفرد، كما تُفْرَد المصادر، وهذا أشبه من أن تحمله على نحو قوله:

كُلوا في نصف بطنكم تَعيشُوا ....[٢]

ونحو ذلك مما لا يكاد يجيء إلا في الشعر.

ومن قال: «في مسْكَنِهِم» على الإفراد أيضاً والكاف مكسورة، فإن فتح الكاف أشبه؛ لأن اسم المكان من فَعَلَ يَفْعُلُ على مَفْعَل، مفتوح العين، وكذلك المصدر منه، وقد يشذُّ عن القياس المطَّرد نحو هذا، كما جاء المسجد والمطْلِع، من [طلع][٣] يطْلُع، إلى حروف أخر، فيكون المسْكَن كذلك.

والمعنى: لقد كان لسبأ في مساكنهم علامة دالة لهم على قدرة الله تعالى وأنه هو المنعم عليهم.

= (٢/ ٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٨-٣٥٩)، والسبعة (ص:٥٢٨).

(١) الحجة (٣/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٢) صدر بيت، وعجزه: (فإن زمانكم زمن خميص). ويروى: «تعفّوا» بدل: «تعيشوا». انظر: الكتاب (١/ ٢١٠)، وأمالي ابن الشجري (١/ ١٠٨)، والمحتسب (٢/ ٨٧)، وشرح المفصل لابن يعيش (٥/ ٨)، والهمع (١/ ٥٠)، والدر المصون (١/ ١٠٨)، والحجة للفارسي (٣/ ١٣٠)، وزاد المسير (١/ ٢٨، ٤/ ٤٥٢)، والطبري (١/ ١٦٠).

(٣) في الأصل: مطلع. والتصويب من الحجة (٣/ ٢٩٣).

و«جنتان» بدل من «آية»، أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: الآية جنتان[١].

قال الزمخشري[٢]: وفي الرفع معنى المدح، تدل عليه قراءة من قرأ: «جَنَّتَيْن» بالنصب.

قال[٣]: ولم يجعل الجنتين في أنفسهما آية، وإنما جعل قصتهما، وأن [أهلهما][٤] أعرضوا عن شكر الله عليهما فخرّبهما، [وأبدلهم][٥] عنهما الخمط والأثل، آية وعبرة لهم، ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم.

فإن قلت: كيف عظم الله جنتي أهل سبأ وجعلهما آية، ورُبَّ قرية من قريات العراق يحتفّ بها من الجنات ما شئت؟

قلت: لم يرد بستانين اثنين فحسب، وإنما أراد جماعتين من البساتين: جماعة عن يمين بلدهم، وأخرى عن شمالها، وكل واحدة من الجماعتين في [تقاربها][٦] وتضامها كأنها جنّة واحدة، كما تكون بلاد الريف العامرة [وبساتينها][٧]، أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله، كما قال: ﴿جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب﴾ [الكهف:٣٢].

قلتُ: المعنى الأول هو قول عامة المفسرين.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ١٩٦)، والدر المصون (٥/ ٤٣٩).

(٢) الكشاف (٣/ ٥٨٥).

(٣) أي: الزمخشري.

(٤) في الأصل: أهلها. والمثبت من الكشاف (٣/ ٥٨٥).

(٥) في الأصل: وأبدلهما. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: تقاربهما. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

قال مقاتل[(١)]: كانت المرأة تخرج فتحمل مكتلها على رأسها وتمرّ، فيمتلئ مكتلها من ألوان الفواكه من غير أن تمس شيئاً بيدها.

﴿كلوا من رزق ربكم﴾ على إضمار القول، ﴿واشكروا له﴾ بالعمل بطاعته، ﴿بلدة طيبة﴾ يعني: أرض سبأ.

وقال مجاهد: هي صنعاء طيبة غير سَبَخَة[(٢)].

قال ابن عباس: كانت أخصب البلاد وأطيبها[(٣)].

وقال ابن زيد: لم يكن فيها شيء مُؤْذٍ من بعوض وذباب وبرغوث ولا عقرب، ويمر الغريب ببلدتهم في ثيابه القمل فتموت كلها لطيب هوائها[(٤)].

﴿ورب غفور﴾ وقرئ شاذاً: «بلدة طيبة ورباً غفوراً» بالنصب على المدح[(٥)].

وقال ثعلب: على معنى: اسكنوا بلدة واعبدوا رباً[(٦)].

قوله تعالى: ﴿فأعرضوا﴾ يعني: تولوا عن أمر الله واتباع رسله، ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾.

الإشارة إلى قصتهم:

ذكر العلماء بالتفسير والسير: أن قوم بلقيس كانوا يقتتلون على ماء واديهم،

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٦٢).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٤٤). ومعنى قوله: «غير سَبَخَة»: أي: غير مالحة (اللسان، مادة: سبخ).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٨٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٧٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٥). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٨٧) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) ذكر هذه القراءة الزمخشري في: الكشاف (٣/ ٥٨٥).

(٦) انظر قول ثعلب في: الكشاف، الموضع السابق.

فنهتهم فلم يطيعوها، فانطلقت مغاضبة إلى قصرها فنزلته، فلما كثر الشرّ بينهم ندموا، فأتوها وأرادوها على الرجوع إلى ملكها فأبتْ، فقالوا: ترجعين وإلا قتلناك، فقالت: إنكم لا تطيعونني وليست لكم عقول، فقالوا: إنا نطيعك، فجاءت إلى واديهم، وكان إذا مطروا أتاه السيل من مسيرة أيام، فأمرت به فردم وسدّ ما بين الجبلين بالصخر والقار، وحقنت به ماء العيون والأمطار، وجعلت له منافذ بعضها فوق بعض على [مقدار](١) حاجتهم، فلم تزل على ذلك إلى آن من حديثها مع سليمان عليه السلام ما كان(٢).

ثم أرسل الله تعالى إليهم ثلاثة عشر نبياً على عدد قراهم، فكذبوا الرسل ولم يُقروا بنعم الله، فأرسل الله عليهم [جرذاً](٣) نقب ذلك الردم حتى انتقض، فدخل الماء جنتيهم فغرقهما، ودفن السيل بيتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ وهو جمع عرمة، وهي الحجارة المركومة، ويقال للكَدْس من الطعام: عَرَمَة، والمراد: المُسَنَّاة(٤) التي عقدوها سَكْراً(٥)، وهذا قول مجاهد وعامة اللغويين(٦).

---

(١) في الأصل: مقار.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٧٩) من حديث المغيرة بن حكيم.

(٣) في الأصل: جراداً. والتصويب من زاد المسير (٦/ ٤٤٥). والجُرذ: الذَّكَر من الفأر (اللسان، مادة: جرذ).

(٤) المُسَنَّاة: ضفيرة تُبنى للسيل لتردّ الماء؛ سميت بذلك لأن فيها مفاتيح للماء بقدر ما تحتاج إليه مما لا يَغْلِب (اللسان، مادة: سنا).

(٥) السَّكْر: اسم ذلك السِّداد الذي يجعل سَدّاً للشق ونحوه.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤٣-٤٤٥).

وقال ابن عباس: العَرِم: السيل الشديد[(١)].

وقال في رواية أخرى: العَرِم: اسم الوادي. وهو قول قتادة والضحاك ومقاتل[(٢)].

قال الزجاج[(٣)]: وقيل: إن العَرِم اسم الجُرَذ الذي نقب السَّكْرَ عليهم، وهو الذي يقال له: الخُلْد.

﴿وبدلناهم بجنتيهم﴾ اللتين تطعمان الفواكه ﴿جنتين ذواتي أكلٍ خمطٍ﴾ قرأ أبو عمرو: «أكُلِ خَمْطٍ» بالإضافة من غير تنوين. وقرأ الباقون: «أُكُلٍ» بالتنوين[(٤)].

قال الواحدي[(٥)]: القراءة الجيدة بالإضافة؛ لأن الخمط عند المفسرين اسم شجر وقالوا: هو الأراك، وأُكُله: جَنَاهُ، وهو البَرِير.

قال أبو عبيدة[(٦)]: الخَمْط: كل شجرة مرّة ذات شوك.

قال الأخفش[(٧)]: الأحسن في مثل هذه: الإضافة، مثل: دار آجر، وثوب خز.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٨٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٩٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٧٩). وذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ٦٢)، والسيوطي في الدر (٦/ ٦٩٠-٦٩١) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن الضحاك وعزاه لابن جرير.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٤٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٧)، والكشف (٢/ ٢٠٥)، والنشر (٢/ ٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٩)، والسبعة (ص:٥٢٨).

(٥) الوسيط (٣/ ٤٩١).

(٦) مجاز القرآن (٢/ ١٤٧).

(٧) انظر قول الأخفش في: الوسيط (٣/ ٤٩١).

وقال ابن الأعرابي: الخمط: ثمر شجر يقال له: فَسْوةُ الضَّبع، على صورة الخَشْخَاش، يَتفَرَّكُ ولا يُنتفع به[١].

وقال المبرد والزجاج[٢]: يقال لكل نبت قد أخَذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله: خَمْطٌ.

وعلى هذا يحسن التنوين في «أُكُلٍ» إذا جعلت الخمْط اسماً للمأكول.

﴿وأثْلٍ﴾ وهو الطرفاء. وقيل: شجر يشبه الطرفاء أعظم منه.

﴿وشيء من سدر قليل﴾ أي: وشيء قليل من السدر، وهو شجر النَّبق.

قال الحسن: قلّل السدر لأنه أكرم ما بدلوا[٣].

وقال قتادة: بينما شجرهم من أحسن الشجر وخير الشجر، إذ صيره الله تعالى من شر الشجر[٤].

وقرئ شاذاً: «وأثْلاً وشيئاً» بالنصب، عطفاً على «جنتين»[٥].

﴿ذلك جزيناهم بما كفروا﴾ أي: ذلك التبديل بكفرهم، ﴿وهل يُجازى إلا الكفور﴾.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص: «نجازي» بالنون وكسر الزاي وياء بعدها،

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٤٧)، واللسان (مادة: خمط).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٤٩). وانظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧/ ٢٦٠).

(٣) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ٣٢٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٩٢). وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٢٦١)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٤٠).

«الكفورَ» بالنصب[١].

والمعنى: وهل نجازي مثل هذا الجزاء [الفظيع][٢]، أو وهل يجازى بكل عمله إلا الكفور، فإن المؤمن يكفّر عنه ذنوبه أو معظمها بطاعته، والكافر يجازى بجميع سيئاته.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿وجعلنا بينهم﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿لقد كان لسبأ﴾، يعني: وكان من قصتهم أنّا جعلنا بينهم ﴿وبين القرى التي باركنا فيها﴾ بالماء والشجر، وهي قرى الشام.

ويروى: أنها كانت أربعة آلاف وسبعمائة قرية[٣].

﴿قرى ظاهرة﴾ متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها قرى ظاهرة لأعين الناظرين. وهذا معنى قول الحسن[٤].

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٧)، والكشف (٢/ ٢٠٦)، والنشر (٢/ ٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٩)، والسبعة (ص:٥٢٨-٥٢٩).

(٢) في الأصل: الفضيع.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٤٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٨٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٧) بمعناه. وذكر نحوه السيوطي في الدر (٦/ ٦٩٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وراكبه تتبين الطريق ظاهرة للسائلة، وكان شجرهم من أرض اليمن إلى الشام.

﴿وقدرنا فيها السير﴾ قال الحسن وقتادة وغيرهما: كانوا يغدون [فيقيلون][(١)] في قرية ويروحون فيبيتون في قرية، لا يخافون جوعاً ولا عطشاً ولا عدوّاً، ولا يحتاجون إلى حمل زاد ولا ماء[(٢)].

وقال ابن قتيبة[(٣)]: «وقدرنا فيها السير»: جعلنا بيْن القرية والقرية مقداراً واحداً.

﴿سيروا فيها﴾ أي: وقلنا لهم سيروا فيها ﴿ليالي وأياماً﴾ أي: إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار، فإن الأمن فيها لا يختلف.

قال المفسرون: آمنين من الجوع والعطش والسباع والعدو، فبطروا النعمة، وملُّوا العافية، وطلبوا الكدّ والتعب، كما طلب بنوا إسرائيل البصل والثوم مكان المنّ والسلوى[(٤)].

﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام: «بَعِّدْ» بتشديد العين وكسرها وسكون الدال من غير ألف، على لفظ السؤال. وقرأ

(١) في الأصل: فيقلون. والتصويب من المصادر التالية.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٨٤-٨٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٦٩٢-٦٩٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن. ومن طريق آخر عن قتادة وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٣٥٦).

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٤٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٤٨).

الباقون «بَاعِدْ» بالألف، على لفظ السؤال أيضاً[(١)].

وقرأت ليعقوب: «رَبُّنا» برفع الباء، «بَاعَدَ» على صيغة الماضي[(٢)]، وهو خلاف المعنى الأول.

﴿وظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والمعاصي. وقيل: بسؤالهم، ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ يتحدث الناس بهم ويتعجبون منهم، ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أي: فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق، وذلك أنهم بعد أن خربت مساكنهم وذهبت جناتهم، تبدَّدُوا في البلاد، فضربت العرب بهم المثل فقالت: تفرقوا أيدي سبأ، وأيادي سبأ.

قال كثير:

أيادي سَبَا يا عَزَّ ما كنتُ بعدكُم ... فلم يَحْلُ بالعينين بَعْدَكِ منظَرُ[(٣)]

﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار﴾ عن معصية الله تعالى ﴿شكور﴾ لنعمه.

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٣١﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٨)، والكشف (٢/ ٢٠٧)، والنشر (٢/ ٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٩)، والسبعة (ص:٥٢٩).

(٢) النشر (٢/ ٣٥٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٥٩).

(٣) البيت لكثير، وهو في: اللسان (مادة: سبأ)، وفيه: «منزل» بدل: «منظر»، والبحر (٧/ ٢٦٢)، وروح المعاني (٢٢/ ١٣٣)، والكشاف (٣/ ٥٨٧).

﴿ولقد صَدَقَ﴾ وقرأ أهل الكوفة: «صدّق» بتشديد الدال[١].

قال أبو علي[٢]: من قرأ بالتخفيف فمعناه: أنه صَدَقَ ظَنُّهُ الذي ظَنَّهُ بهم من متابعتهم إياه إذا أغواهم، وذلك نحو قوله: ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ [الأعراف:١٦]، ﴿ولأغوينهم أجمعين﴾ [الحجر:٣٩] فهذا ظَنُّه الذي [صدَّقوه][٣]؛ لأنه لم يقل ذلك على تيقن وإنما ظن ظناً، فكان كما ظن، فـ«ظنّه» على هذا ينتصب انتصاب المفعول به، ويجوز أن ينتصب انتصاب الظرف، أي: صَدَقَ عليهم إبليس في ظنه، ولا يكون على هذا متعدياً [بـ«صَدَق»][٤] إلى مفعول به، وقد يقال: أصابَ الظنُّ، وأخطأ الظن.

ومن قال: «صَدَّقَ» بالتشديد، فإنه ينصب الظن على أنه مفعول به، وعَدَّى «صَدَّقَ» إليه. قال الشاعر:

فإن لم أُصَدِّقْ ظنّكم بتيقُّن فلا سَقَتِ الأوصَالَ مِنِّي الرَّواعِد[٥]

وقال غيره في قراءة من خفَّف: هو متعد؛ كقولك: صدقت فلاناً في الحديث. قال الأعشى:

فَصَدَقْتُهُ وكذبْتُه والمرءُ ينفعُهُ كِذَابُه[٦]

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٨)، والكشف (٢/ ٢٠٧)، والنشر (٢/ ٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٩)، والسبعة (ص:٥٢٩).

(٢) الحجة (٣/ ٢٩٦-٢٩٧).

(٣) في الأصل: صدقه. والتصويب من الحجة (٣/ ٢٩٦).

(٤) زيادة من الحجة، الموضع السابق.

(٥) انظر البيت في: الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٧)، والجمل في النحو للخليل (ص:٢١٧).

(٦) البيت للأعشى. وهو ليس في ديوانه. وهو في: الدر المصون (٦/ ٤٦٦)، وابن يعيش (٦/ ٤٤)، =

وقال الزجاج[١]: من خفَّف نصب الظن مصدراً، على معنى: صَدَقَ عليهم [ظناً][٢] ظنه، وصدق في ظنه.

وقرأ الزهري: «صَدَقَ» مخففة، «إبليسَ» نصب، «ظَنُّهُ» رفع[٣].

قال أبو الفتح ابن جني[٤]: معناه: أن إبليس سَوَّلَ له ظنه شيئاً [فيهم][٥] [فصدقه][٦] ظَنُّه.

والضمير في «عليهم» وفي «فاتبعوه»: لأهل سبأ، أو لبني آدم.

﴿إلا فريقاً من المؤمنين﴾ [قال][٧] ابن عباس: يعني: المؤمنين كلهم، وهم الذين قال الله: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾[٨] [الحجر:٤٢].

﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ أي: من تسلط واستيلاء بالوسوسة [والاستغواء][٩]، ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ مفسَّرٌ في

= والطبري (٣٠/ ٢٠)، والقرطبي (١٩/ ١٨١)، وزاد المسير (٩/ ١٠)، وروح المعاني (٣٠/ ١٦).
وفي الكل الشطر الأول: فصدقتها وكذبتها.

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٥١-٢٥٢).

(٢) في الأصل: ظن. والتصويب من معاني الزجاج (٤/ ٢٥٢).

(٣) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٢٦٣)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٤٢).

(٤) المحتسب (٢/ ١٩١).

(٥) زيادة من المحتسب، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: قصدقه. والتصويب من المحتسب (٢/ ١٩١).

(٧) في الأصل: قاله.

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٩٣).

(٩) في الأصل: الاستغواء. والتصويب من الكشاف (٣/ ٥٨٨).

أول العنكبوت[١].

وقرأ الزهري: «لِيُعْلَمَ» بياء مضمومة؛ على البناء للمفعول[٢].

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾ أي: قل يا محمد للمشركين الذين أنت بين أظهرهم: ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله [ليدفعوا][٣] عنكم ضرراً، أو يجلبون لكم نفعاً.

ثم أخبر عن عجزهم بقوله تعالى: ﴿لا يملكون مثقال ذرّة﴾ حبَّة، يعني: من خير أو شر ﴿في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما﴾ أي: في هذين الجنسين، يعني: السموات والأرض ﴿من شرك﴾ في الخلق ولا في الملك ولا في التدبير، ﴿وما له منهم من ظهير﴾ أي: ما لله من الآلهة من ظهير، أي: معين يعينه على الخلق والتدبير، فكيف دعوتموهم آلهة عبدتموهم ورجوتموهم من دون الله.

فإن قيل: أين مفعولا «زعم»؟

قلتُ: هما محذوفان، التقدير: زعمتموهم آلهة.

---

(١) عند الآية رقم: ٣.

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٥٠).

(٣) في الأصل: ليدعوا.

قال الزمخشري[١]: حذف الراجع إلى الموصول كما حذف في [قوله][٢]: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ [الفرقان:٤١]، [استخفافاً][٣]، لطول الموصول بصلته[٤]، وحذف «آلهة» لأنه موصوف، صفته «من دون الله»، والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوماً، فإذاً مفعولا «زعم» محذوفان [جميعاً][٥] بسببين مختلفين.

قوله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وأبو بكر: «أُذِنَ» بضم الهمزة، وفتحها الباقون[٦].

والمعنى: لا تنفع شفاعة ملك ولا نبي حتى يؤذن له في الشفاعة.

وقيل: المعنى: إلا من أذن الله أن يشفع له.

وقيل: اللام في «أذن له» بمعنى: لأجله، بمعنى: لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله.

وقال صاحب الكشاف[٧]: وهذا وجه لطيف، وهو الوجه.

فإن قلت: بما اتصل قوله تعالى: ﴿حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم﴾ ولأي شيء

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٨٩).

(٢) في الأصل: قولهم. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: واستخفافاً. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الكشاف: لصلته.

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٩)، والكشف (٢/ ٢٠٧)، والنشر (٢/ ٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٥٩)، والسبعة (ص:٥٢٨-٥٢٩).

(٧) الكشاف (٣/ ٥٨٩).

وقعت «حتى» غاية؟

قلت: بما فُهِم من هذا الكلام أن ثم انتظاراً للإذن وتوقفاً وتمهلاً وفزعاً من الراجين للشفاعة والشفعاء، هل يؤذن لهم أو لا يؤذن؟ وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملي من الزمان، وطول من التربص، كأنه قيل: يتربصون ويتوقفون ملياً [فزعين][1] وهلين، ﴿حتى إذا فزّع عن قلوبهم﴾ أي: كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن تباشروا بذلك، وسأل بعضهم بعضاً: ﴿ماذا قال ربكم﴾.

وقرأ ابن عامر: «فَزَّعَ» بفتح الفاء والزاي[2]، على معنى: خلّى الله الفزع عن قلوبهم.

وقرأ الحسن: «فُرِّغَ» بالراء المهملة والغين المعجمة[3]، وهو يرجع إلى معنى قراءة العامة؛ لأن المعنى: فرغت من الفزع.

﴿قالوا الحق﴾ أي: وقال الحق.

قال الواحدي[4]: ثم أخبر الله تعالى عن خوف الملائكة قال: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾، قال: وهذا دليل على أنه [قد][5] يصيبهم فزع شديد من شيء يحدث

---

(١) زيادة من الكشاف (٣/ ٥٨٩).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٨٩)، والكشف (٢/ ٢٠٥)، والنشر (٢/ ٣٥١)، والإتحاف (ص:٣٥٩-٣٦٠)، والسبعة (ص:٥٣٠).

(٣) وهي قراءة قتادة وابن يعمر أيضاً. انظر هذه القراءة في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٠)، وزاد المسير (٦/ ٤٥٢).

(٤) الوسيط (٣/ ٤٩٤).

(٥) زيادة من الوسيط، الموضع السابق.

من أقدار الله تعالى، ولم يذكر ذلك الشيء؛ لأن إخراج الفزع يدل على حصوله، فكأنه قد ذكر.

قال[١]: والمفسرون ذكروا ذلك الشيء.

قال مقاتل[٢] وقتادة والكلبي: لما كانت الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، وبعث الله تعالى محمداً ﷺ، أنزل جبريل بالوحي، فلما نزل ظنت الملائكة أنه نزل [بشيء][٣] من أمر الساعة، فصعقوا لذلك، فجعل جبريل يمرّ بكل سماء ويكشف عنهم الفزع، وقال بعضهم [لبعض][٤]: «ماذا قال ربكم قالوا الحق»[٥].

وقال الماوردي[٦]: فزعوا عند سماع الوحي من الله تعالى؛ لانقطاعه ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وكان لصوته صلصلة كوقع الحديد على الصفا، فخرُّوا عنده سُجَّداً مخافة القيامة.

قال[٧]: وهذا معنى قول كعب.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن ابن [روزبة][٨] البغداديان

---

(١) أي: الواحدي.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٦٤).

(٣) في الأصل: لشيء. والتصويب من الوسيط (٣/ ٤٩٤)، وزاد المسير (٦/ ٤٥٣).

(٤) زيادة من الوسيط (٣/ ٤٩٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٩٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٥٣).

(٦) تفسير الماوردي (٤/ ٤٤٨).

(٧) أي: الماوردي.

(٨) في الأصل: رزبة. وهو خطأ. انظر ترجمته في: السير (٢٢/ ٣٨٧-٣٨٩)، والتقييد (ص:٤١٩).

قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن[١]، أخبرنا عبدالله[٢]، أخبرنا محمد[٣]، حدثنا محمد[٤]، حدثنا الحميدي[٥]، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو، سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة [يقول][٦]: أن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صَفْوان[٧]، فإذا فُزّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير»[٨]. انفرد بإخراجه البخاري.

وفي سنن أبي داود من حديث ابن مسعود قال: «إذا تكلم الله تعالى بالوحي سمع أهل السماء [للسماء][٩] صلصلة كجرّ السلسلة على الصَّفا[١٠]، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا فزع عن قلوبهم فيقولون: يا جبريل ما قال [ربك][١١]؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحق الحق»[١٢].

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد الداودي. تقدمت ترجمته.

(٢) هو عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي. تقدمت ترجمته.

(٣) هو محمد بن يوسف الفربري. تقدمت ترجمته.

(٤) هو محمد بن إسماعيل البخاري.

(٥) هو عبد الله بن الزبير الحميدي.

(٦) زيادة من الصحيح (٤/ ١٨٠٤).

(٧) الصَّفْوان: العريض من الحجارة الأملس، ومثله: الصَّفا (اللسان، مادة: صفا).

(٨) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٠٤ ح٤٥٢٢).

(٩) زيادة من سنن أبي داود (٤/ ٢٣٥).

(١٠) الصَّفا: هو كالصفوان بمعنى واحد.

(١١) في الأصل: ربكم. والتصويب من سنن أبي داود (٤/ ٢٣٥).

(١٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٥ ح٤٧٣٨).

۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿قل﴾[1] أي: قل لكفار مكة محتجاً عليهم: ﴿من يرزقكم من السموات﴾ المطر ﴿والأرض﴾ النبات والثمر، ﴿قل الله﴾ فإنهم لا جواب لهم سواه، فلا حاجة لك إلى استنطاقهم به.

قوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ كلام وارد مورد الإنصاف كقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾ [العنبكوت:٥٢]، وكقول حسان:

.... فشرُّكُما لخيركُما الفداء[2]

وقال الزجاج[3]: رُوي في التفسير: «وإنا لعلى هدى وإنكم لفي ضلال مبين»، وهذا في اللغة غير جائز، ولكنه في التفسير يؤول إلى هذا المعنى. والمعنى: إنا لعلى

---

(١) في الأصل زيادة قوله تعالى: ﴿من يرزقكم﴾ وستأتي بعد قليل.

(٢) عجز بيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه، وصدره: (أتهجوه ولست له بكفء)، انظر: ديوانه (ص:٧٦)، واللسان (مادة: ندد)، والبحر (٧/ ٢٦٧)، والدر المصون (٥/ ٤٤٥)، والطبري (١٨/ ٨٨).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٥٣).

هدى أو في ضلال مبين، أو إنكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، وهذا كما يقول القائل: إذا كانت الحال تدل على صدقه، [أحدُنا صادق وأحدُنا كاذب، والمعنى][1]: أحدنا [صادق][2] أو كاذب.

وما بعده ظاهر أو مفسر إلى قوله تعالى: ﴿قل أروني الذين ألحقتم به شركاء﴾. قال الزجاج[3]: معناه: [ألحقتموهم][4] به، ولكنه حذف؛ لأنه في صلة «الذين»[5].

قال الزمخشري[6]: فإن قيل: ما معنى قوله: «أروني» وكان يراهم ويعرفهم؟

قلت: أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله، وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه والإشراك به.

ويحتمل عندي: أن يكون هذا على مذهب العرب في الازدراء بالرأي، كقول الشاعر:

ولو أني بليت بهاشمي ... خؤولته بنو عبد المدان

لهان عليّ ما ألقى ولكن ... تعالي فانظري بمن ابتلاني[7]

---

(١) زيادة من معاني الزجاج (٤/ ٢٥٣).

(٢) في الأصل: صادقاً. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٥٤).

(٤) في الأصل: ألحقتوهم. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) حذف العائد بعد فعل مُتَعَدٍ.

(٦) الكشاف (٣/ ٥٩٢).

(٧) البيتان في: سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠٠)، وتاريخ بغداد (٨/ ٣٧٣) مع اختلاف في بعض اللفظات، والمستطرف (١/ ٤٥٤).

﴿كلا﴾ ردع وزجر لهم عن مذهبهم الذي لا يثبت على محك النظر، ولا عند حاكم العقل.

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ قال الزجاج[١]: معنى «كافة» في اللغة: الإحاطة[٢]. والمعنى: أرسلناك جامعاً للناس بالإنذار والإبلاغ، وأُرسل ﷺ إلى العرب والعجم.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٥٤).

(٢) انظر: اللسان (مادة: كفف).

قوله تعالى: ﴿ولا بالذي بين يديه﴾ يريدون: التوراة وغيرها من الكتب، حملهم على هذا القول ما سمعوه من علماء أهل الكتاب من صفة محمد ﷺ.

﴿ولو ترى﴾ أيها الرسول أو أيها السامع ﴿إذ الظالمون موقوفون عند ربهم﴾ محبوسون للحساب يوم القيامة وهم يتجادلون. وجواب «لو» محذوف، أي: [لرأيت][1] عجباً.

قوله تعالى: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ قال المبرد والزجاج والزمخشري[2] وعامة اللغويين: المعنى: بل مكركم في الليل والنهار، اتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه.

وقيل: جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي.

وقرأ قتادة: «بل مكرٌ» بالتنوين، «الليلَ والنهارَ» بنصب الظرفين[3].

قال الزمخشري[4]: وقرئ: «بل مكر الليل والنهار» بالرفع والنصب، أي: تَكُرُّونَ الإغواء مَكَرّاً دائماً لا تفترون عنه.

فإن قلت: ما وجه الرفع والنصب؟

قلتُ: هو مبتدأ أو خبر، على معنى: بل سبب ذلك مكركم، أو مكركم سبب ذلك، والنصب على معنى: بل تكُرُّون الإغواء مَكَرّ الليل والنهار.

---

(١) في الأصل: لو رأيت.

(٢) المقتضب (٤/ ٣٣١)، ومعاني الزجاج (٤/ ٢٥٤)، والكشاف (٣/ ٥٩٤).

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٥٨)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٤٨).

(٤) الكشاف (٣/ ٥٩٤).

قوله تعالى: ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ مفسر في يونس[١].

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير﴾ هذه الآية تسلية لرسول الله ﷺ.

﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ افتخروا وظنوا أن الله خوّلهم ذلك كرامتهم عليه، وقاسوا على تقدير كونها وصحة وجودها على أمر الدنيا، فذلك قولهم: ﴿وما نحن بمعذبين﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ إبطال لما توهموه من أن كثرة أموالهم وأولادهم يقتضي كرامتهم على الله، فإن بسط الرزق وقدره ابتلاء وامتحان من الله حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية، وكم من فاسق موسّع عليه، وطائع مضيّق في رزقه، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ذلك.

---

(١) عند الآية رقم: ٥٤.

ثم صرّح بإبطال ما قالوه وأكذبهم فيه، فقال تعالى: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ قال الفراء[١]: يصلح أن تقع «التي» على الأموال والأولاد جميعاً؛ لأن الأموال جمع، والأولاد جمع.

وإن شئت وجهت «التي» إلى الأموال، واكتفيت بها من ذكر الأولاد؛ كقوله:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأيُ مختلف[٢]

وقال الزجاج[٣]: المعنى: وما أموالكم بالتي تقربكم ولا أولادكم بالذين يقربونكم، [فحذف][٤] اختصاراً.

وقال الزمخشري[٥]: أراد: وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تقربكم، وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث.

وقرأ الحسن: «باللاتي»؛ لأنها جماعات[٦].

قال الأخفش[٧]: «زلفى» اسم المصدر، كأنه أراد بالتي تقربكم عندنا [إزلافاً][٨].

﴿إلا من آمن﴾ استثناء منقطع.

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٦٣).

(٢) تقدم.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٥٥).

(٤) في الأصل: فحذ.

(٥) الكشاف (٣/ ٥٩٥).

(٦) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٦٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢٧٢).

(٧) معاني الأخفش (ص: ٢٧٠).

(٨) في الأصل: تقريباً. والمثبت من معاني الأخفش، الموضع السابق.

وقال الزمخشري[١]: مِنْ «كُمْ» في «تُقَرِّبُكُم». والمعنى: أن الأموال لا تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرب أحداً إلا من علمهم الخير، وفقَّهَهُم في الدين، ورشَّحهم للصلاح والطاعة.

﴿فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا﴾ قرأتُ على شيخنا أبي البقاء لرويس عن يعقوب: «جزاءً» بالنصب والتنوين، «الضعفُ» بالرفع[٢].

وقرأتُ للقراء السبعة من جميع طرقهم الثلاثة الذين ألحقوا بهم: «جزاء الضِّعْف» برفع «جزاء» والإضافة.

وتقدير القراءة الأولى: فأولئك لهم الضعف جزاؤهم في الغرفات.

وقرأ حمزة: «في الغُرْفَة» على التوحيد[٣]، يريد: الجنس؛ كقوله تعالى: ﴿يجزون الغرفة﴾ [الفرقان:٧٥].

والمعنى في القراءتين واحد.

والمراد: وهم في غرفات الجنة آمنون من الموت والغير والخروج وكل مخوف.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ قال سعيد بن جبير: وما أنفقتم من شيء من غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه[٤].

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٩٥).

(٢) النشر (٢/ ٣٥١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٠).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٠)، والكشف (٢/ ٢٠٨)، والنشر (٢/ ٣٥١)، والإتحاف (ص:٣٦٠)، والسبعة (ص:٥٣٠).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٣١ ح٢٦٥٩٨)، والطبري (٢٢/ ١٠١). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧٠٦) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير.

[وقال الكلبي: وما أنفقتم في الخير والبر فهو يخلفه][١] إما أن يعجله في الدنيا أو يدخره [لكم][٢] في الآخرة[٣].

وأخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن الصوفي، أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا محمد البخاري[٤]، حدثنا إسماعيل[٥]، حدثني أخي[٦]، عن سليمان هو ابن بلال[٧]، عن معاوية بن أبي [مزرد][٨]، عن أبي الحباب[٩]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من

---

(١) زيادة من الوسيط (٣/ ٤٩٧)، وزاد المسير (٦/ ٤٦١).

(٢) مثل السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٩٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٦١).

(٤) تقدم هذا الإسناد آنفاً.

(٥) هو إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو عبد الله بن أبي أويس، ابن أخت مالك ونسيبه، صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه، مات في رجب سنة ست أو سبع وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ٢٧١-٢٧٢، والتقريب ص:١٠٨).

(٦) هو عبد الحميد بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو بكر بن أبي أويس المدني الأعشى، ثقة، مات ببغداد سنة اثنتين ومائتين (تهذيب التهذيب ٦/ ١٠٧، والتقريب ص:٣٣٣).

(٧) سليمان بن بلال التيمي القرشي مولاهم، أبو محمد، ويقال: أبو أيوب المدني، ثقة، مات سنة سبع وسبعين (تهذيب التهذيب ٤/ ١٥٤، والتقريب ص:٢٥٠).

(٨) في الأصل: مرزد. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: التهذيب (١٠/ ١٩٦)، والتقريب (ص:٥٣٨).

(٩) هو سعيد بن يسار، أبو الحباب المدني، مولى ميمونة، وقيل: مولى شقران أو مولى الحسن بن علي، وقيل: مولى بني النجار، وقيل أن اسمه: سعيد بن مرجانة، وهو ثقة متقن، مات سنة سبع عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٩٠، والتقريب ص:٢٤٣).

يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً »[١].

وأخرجه مسلم عن القاسم بن زكريا، عن خالد بن مخلد[٢]، عن سليمان بن بلال.

قرأتُ على محمد بن أبي عبدالله الصوفي، أخبركم محمد بن أسعد، حدثنا الحسين بن مسعود الفراء[٣]، أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي[٤]، أخبرنا أبو طاهر الزيادي، أخبرنا محمد بن الحسين القطان، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى قال: أنفقْ يُنْفَقْ عليك، قال: وقال رسول الله ﷺ: يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سَحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لا ينقص ما في يمينه، قال: وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض، يرفع ويخفض »[٥]. هذا حديث متفق على صحته، أخرجه محمد البخاري عن علي بن عبدالله. وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع، كلاهما عن

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٢٢ ح١٣٧٤)، ومسلم (٢/ ٧٠٠ ح١٠١٠).

(٢) خالد بن مخلد القطواني، أبو الهيثم البجلي مولاهم الكوفي، ثقة صدوق كثير الحديث، وفيه تشيع، مات سنة ثلاث عشرة ومائتين، وقيل بعدها (تهذيب التهذيب ٣/ ١٠١، والتقريب ص:١٩٠).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٥٦).

(٤) حسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي الخالدي، أبو علي المنيعي المروروذي، كان ذا تهجد وصيام واجتهاد، مات في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وأربعمائة (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٦٦-٢٦٧).

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٩٩ ح٦٩٨٣)، ومسلم (٢/ ٦٩١ ح٩٩٣).

عبدالرزاق.

﴿وهو خير الرازقين﴾ أكرمهم وأعلاهم وآمنهم؛ لأن كل ما رزق من سلطان يرزق جنوده، أو سيد يرزق عبيده، أو رجل يرزق عياله، فهو من رزق الله، أجراه على أيدي هؤلاء.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ يعني: المشركين.

وقال مقاتل[١]: الملائكة ومن [عَبَدَها][٢].

﴿ثم نقول للملائكة﴾ وقرئ: «يحشُرُهُم»، «ثم يَقُولُ» بالياء فيهما[٣]، حملاً على «قل إن ربي يبسط الرزق».

﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ استفهام في معنى التقريع والتوبيخ للعابدين، ونحوه: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [المائدة:١١٦]، وقد علم الله سبحانه وتعالى أن الملائكة وعيسى مبرؤون مما وجه عليهم من السؤال،

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٦٨).

(٢) في الأصل: بعدها. والتصويب من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٠)، والنشر (٢/ ٢٥٧)، والإتحاف (ص:٣٠٦)، والسبعة (ص:٥٣٠).

وهو وارد على المثل السائر: «إيّاكِ أعني واسمعي يا جارة».

﴿قالوا﴾ يعني: الملائكة إظهاراً لبراءتهم من الرضى بعبادتهم ﴿سبحانك أنت ولينا من دونهم﴾ الذي نواليك من دونهم، ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ يريدون: الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله تعالى، ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ أي: أكثر المشركين بالجن الشياطين مصدقون، أي: يصدقونهم فيما يخبرونهم به من الباطل.

﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض﴾ يعني: العابدين والمعبودين ﴿نفعاً ولا ضراً﴾؛ لأن الأمر في الثواب يوم القيامة لله وحده، لم يفوض إلى أحد من خلقه فيه أمراً، ولم يجعل له سلطاناً كحال الدنيا.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ هذا إيذان بفرط جهل العرب وإشعار أن ردهم وتكذيبهم لم يصدر عن تثبت وفكر وعلم، على ما هو المتعامل من عادة ذوي البصائر المضيئة بنور العلم، فإنهم إن صدر منهم تكذيب فلشبهة تقوم في نظرهم يضعف قوى علمهم عن دفعها.

وقال الفراء[١]: من أين كذبوك ولم يأتهم كتاب ولا نذير بهذا الذي فعلوه.

﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار﴾ أي: وما بلغ هؤلاء مِعْشَار ما آتينا أولئك، والمِعْشَار والعُشْر والعَشِير بمعنىً.

وقيل: المعشار: عُشْر العُشْر، وقيل: عُشْر العَشِير، والعَشِير: عُشْر العُشْر.

قال الماوردي[٢]: وهو الأظهر؛ لأن المراد به المبالغة في التقليل.

والمعنى: وما بلغوا معشار ما آتيناهم من طول الأعمار واشتداد القوى وكثرة الأموال. هذا معنى قول ابن عباس[٣].

وقال الحسن: ما عملوا معشار ما أمروا به[٤].

﴿فكذبوا رسلي﴾ المعنى: فأخذناهم ولم يغن عنهم ما كانوا فيه، فكيف بهؤلاء؟

﴿فكيف كان نكير﴾ النكير: اسم بمعنى الإنكار.

۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ أي: إنما آمركم وأوصيكم بخصلة واحدة، ثم فَسَّرها بقوله تعالى: ﴿أن تقوموا لله﴾ وليس المراد به المثول على الأقدام،

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٦٤).

(٢) تفسير الماوردي (٤/ ٤٥٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٠٣-١٠٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨) بمعناه. وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧٠٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، بمعناه.

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٤٥٥).

وإنما المراد به: الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمم.

والمعنى: أن تقوموا لوجه الله خالصاً متفرقين.

﴿مثنى وفرادى﴾ اثنين اثنين وواحداً واحداً، ﴿ثم تتفكروا﴾ في أمر محمد ﷺ وما جاء به، ويعرض كل واحد منكم محصول ما أداه فكره إليه على شريطة المناصعة وعزل الهوى، أو يراجع رشده إذا خلا بنفسه وأمعن النظر، فإنكم إن فعلتم ذلك هجم بكم الفكر الصالح على النظر الصحيح وأصبتم طريق الحق.

فإن قيل: لم أمرهم بالقيام مثنى وفُرادى فقط؟

قلت: لغرض صحيح نعرفه عن استعداء العادات، وهو أن الجموع الوافرة والعصب المتكاثرة يوجب اضطراب آرائها واختلاف أهوائها اختلاط القول وتوقد ثائرة التعصب، وهذا أمر لا يجامعه الإنصاف غالباً وظاهراً.

وفي قوله تعالى: ﴿ما بصاحبكم من جِنَّة﴾ إشعار بأن هذا الأمر العظيم الذي ينتظم في سلك المبعوث به سياسة الملك ورئاسة الدين، لا يتصدى لادعاء مثله إلا أحد رجلين؛ مجنون لا يبالي عند ظهور عجزه عن إثبات صحة ما ادعاه بالافتضاح، أو عاقل مؤيد بالعجز [مصطفىً][1] للنبوة، وإلا فما يحمل العاقل على مثل هذه الدعوى التي يبقى صاحبها بعرضة السخرية والاستهزاء إذا لم يثبت، وقد علمتم أن محمداً ﷺ ما به من جِنَّة، بل علمتموه أرزن قريش حلماً، وأغزرهم مروءة، وأصلهم رأياً، وأصدقهم لساناً، وأجمعهم لمكارم الأخلاق.

﴿إن هو إلا نذير لكم﴾ أي: ما هو إلا مخوف لكم ﴿بين يدي عذاب شديد﴾

---

(١) في الأصل: مطفىً.

يشير إلى قرب الساعة، كما قال ﷺ: « بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار إلى أصبعيه السبابة والوسطى »[١].

قال صاحب الكشاف[٢]: إن قلت: «ما بصاحبكم» بم يتعلق؟

قلتُ: يجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً تنبيهاً من الله عز وجل على طريقة النظر في أمر رسول الله ﷺ. ويجوز أن يكون المعنى: ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة. وقد جوَّز بعضهم أن تكون «ما» استفهامية.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ هذا كقول القائل: ما لي في هذا فقد وهبتكه، يريد: ليس لي فيه شيء.

فالمعنى هاهنا: ما سألتكم عليّ بتبليغ الرسالة من أجر.

﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ قال مقاتل[٣]: يتكلم بالحق، وهو القرآن والوحي. يريد: أنه يلقيه وينزله على أنبيائه، أو يرمي به الباطل فيدمغه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠٣١ ح٤٩٩٥)، ومسلم (٢/ ٥٩٢ ح٨٦٧).

(٢) الكشاف (٣/ ٥٩٩).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٦٩).

﴿علاّم الغيوب﴾ قال الزجاج[(١)]: الرفع في «عَلاَّم» صفة على موضع «إن ربي»؛ لأن تأويله: قل ربي علام الغيوب يقذف بالحق، و«إنَّ» مؤكدة. ويجوز الرفع على البدل مما في «يقذف»[(٢)].

المعنى: قل إن ربي يقذف هو بالحق علام الغيوب.

وقال غيره: يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف[(٣)].

وقرأ أبو رجاء: «عَلاَّمَ» بالنصب[(٤)]، صفة لـ«ربي».

وقرئ: «الغيوب» بالحركات الثلاث على الغين، وقد ذكرنا هذا الأصل في سورة البقرة، وأن الضم هو الأجود، والكسر لا بأس به من أجل الياء، فإن الكسر أشد موافقة للياء من الضمة. وأما فتح الغين فشاذّ، وهو الأمر الذي خفي وغاب جداً.

﴿قل جاء الحق﴾ القرآن ودين الإسلام، ﴿وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾.

قال الزجاج[(٥)]: «ما» في موضع نصب، على معنى: وأيّ شيء يُبدئ الباطل وأيّ شيء يعيد. والأجود أن يكون «ما» نفياً [على معنى: ما يبدئ الباطل وما يعيد][(٦)]، و«الباطل» هاهنا: إبليس. والمعنى: وما يبدئ إبليس وما يعيد، أي: وما

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ١٩٨)، والدر المصون (٥/ ٤٥٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٦٦)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٥٣).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٢٥٨).

(٦) زيادة من الزجاج (٤/ ٢٥٨).

يبعث ولا يخلق.

قلت: وهذا معنى قول قتادة[١].

وقال الضحاك: الباطل هاهنا: الأصنام لا تبدئ خلقاً ولا تحيي[٢].

وقيل: الباطل هو الذي يضاد الحق. فالمعنى: ذهب الباطل بمجيء الحق ولم يبق منه بقية يبدي بها أو يعيد.

قال الزمخشري[٣]: الحي إما أن يبدئ فعلاً أو يعيده، فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة، فجعلوا قولهم: لا يبدئ ولا يعيد مثلاً في الهلاك، ومنه قول عبيد:

أَقْفَرَ منْ أَهْلِهِ عَبيدُ   [فاليومَ][٤] لا يُبدي ولا يُعيد[٥]

والمعنى: جاء الحق وهلك الباطل؛ كقوله تعالى: ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ [الإسراء:٨١].

أخبرنا أبو القاسم السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان، أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا صدقة بن الفضل[٦]، أخبرنا ابن عيينة، عن ابن أبي

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧١١) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٦٦).

(٣) الكشاف (٣/ ٦٠٠).

(٤) في الأصل: فالقوم. والتصويب من مصادر تخريج البيت.

(٥) البيت لعبيد بن الأبرص، انظر: ديوانه (ص:٤٥)، واللسان (مادة: قفر)، والبحر المحيط (٧/ ٢٧٨)، والدر المصون (٥/ ٤٥٣)، وروح المعاني (٢٢/ ١٥٦)، والكشاف (٣/ ٦٠٠).

(٦) صدقة بن الفضل، أبو الفضل الحافظ المروزي، وثقه النسائي وغيره، مات سنة ثلاث أو ست =

نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله رضي الله عنه قال: « دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد »[1]. هذا حديث متفق على صحته. وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن سفيان بن عيينة.

والنُّصُب: الصنم المنصوب للعبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿وما ذُبح على النصب﴾ [المائدة:٣].

﴿قل إن ضللت﴾ كما تزعمون يا كفار قريش، فإنهم كانوا يقولون له: ضللت بترك دين آبائك.

﴿فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إليّ ربي﴾ من الحكمة والبيان، ﴿إنه سميع قريب﴾ ما تقولون وأقول.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت﴾ أي: لو ترى إذ فزعوا يا محمد.

= وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٦٦، والتقريب ص:٢٧٥).

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٧٦ ح٢٣٤٦)، ومسلم (٣/ ١٤٠٨ ح١٧٨١).

قال مجاهد: يوم القيامة[١].

وقال قتادة: حين يرون بأس الله في الدنيا[٢].

قال السدي: هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم، فلم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة[٣].

وقال الحسن: هو فزعهم في القبور من الصيحة[٤].

«فلا فَوْتَ»: قال ابن عباس: فلا نجاة[٥].

وقال مجاهد: فلا مَهْرَب[٦].

﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ وهو من الموقف إلى النار، أو من القبور إلى الموقف، أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا.

وروي عن ابن عباس قال: نزلت في خسف البيداء، وذلك أن ثمانين ألفاً يغزون الكعبة ليخربوها، فإذا دخلوا البيداء خسف بهم.

فعلى هذا يكون المعنى: وأخذوا من مكان قريب، أي: من تحت أقدامهم.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧١١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧١١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٥٨)، والسيوطي في الدر (٦/ ٧١١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧١١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٠٨). وذكره الماوردي (٤/ ٤٥٨).

(٦) ذكره الماوردي (٤/ ٤٥٨).

وعن ربعي بن حراش[١] قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب: « فبينا هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين، جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، [ويفتضون][٢] بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها أكثر من ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة [فيخربون][٣] ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هدى من الكوفة، [فتلحق][٤] ذلك الجيش منها على ليلتين فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويحل جيشه الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله تعالى جبريل فيقول: يا جبريل! اذهب فأبِدْهُم، فيضربها برجله ضربة فيخسف الله تعالى بهم، فذلك قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾، فلا [ينفلت][٥] منهم إلا رجلان، أحدهما بشير والآخر نذير،

---

(١) ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو بن عبد الله بن بجاد العبسي، أبو مريم الكوفي، قدم الشام وسمع خطبة عمر بالجابية، قال العجلي: تابعي ثقة من خيار الناس، لم يكذب كذبة قط. مات سنة مائة (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٠٥، والتقريب ص:٢٠٥).

(٢) في الأصل: ويقتضون. والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: فيخرجون. والتصويب من الطبري (٢٢/ ١٠٧).

(٤) في الأصل: فتحلق. والتصويب من الطبري، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: يلتفت. والتصويب من الطبري، الموضع السابق.

وهما من جهينة »[١].

وجواب: «ولو ترى» محذوف، تقديره: لرأيت أمراً عظيماً.

قوله تعالى: ﴿وقالوا آمنا به﴾ قال مجاهد: بالله[٢].

وقال الحسن: بالبعث[٣].

وقال قتادة: بالرسول ﷺ[٤].

وقد سبق ذكره في قوله تعالى: ﴿ما بصاحبكم من جِنَّة﴾، وهذا يكون منهم في الآخرة، أو عند معاينة نزول بأس الله تعالى بهم.

﴿وأنى لهم التناوش﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: «التناؤُشُ» بالمد والهمز، وقرأ الباقون بغير همز[٥].

قال صاحب كشف المشكلات[٦]: الأصل الهمزة، من قوله:

تمنَّى نئيشاً أن يكونَ أطاعني ... وقدْ حدثتْ بعدَ الأمور أُمور[٧]

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٠٧)، ومن طريقه الثعلبي في تفسيره (١١/ ٢٢٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٨)، ومجاهد (ص:٥٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧١٤) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٦٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٦٩).

(٤) مثل السابق.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٢٩٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٠-٥٩١)، والكشف (٢/ ٢٠٨)، والنشر (٢/ ٣٥١)، والإتحاف (ص:٣٦٠)، والسبعة (ص:٥٣٠).

(٦) كشف المشكلات (٢/ ٢٤١).

(٧) البيت لنهشل بن حرّي. وهو في: اللسان (مادة: نأش)، والبحر (٧/ ٢٤٦)، والدر المصون (٥/ ٤٥٥)، والطبري (٢٢/ ١٠٩)، وروح المعاني (٢٢/ ١٥٨)، ومعاني الفراء (٢/ ٣٦٥).

فنصب «نئيشاً» على الظرف، أي: تمنى مدة مديدة؛ لأن النئيش: التأخير.

ومن قال: «التناوُش»: فإنه يكون على تليين الهمزة وإبدالها واواً.

ويجوز أن يكون الأصل: «التناوش» بالواو، من قوله:

فهي تنوشُ الحوضَ نَوْشاً منْ علا ....[1]

فتكون الهمزة مثلها في «[أجوه][2]» و «أقتت».

وقال غيره: التناوش: التناول، تفاعلَ من النوْش الذي هو التناول، ومن همز فَلأنّ واو «التناوُش» مضمومة، وكل واو ضمها لازمة جاز إبدال الهمزة منها، نحو: أجوه وأدور.

وقال مكي[3]: من همز جعله مشتقاً من نَأَشَ؛ إذا طَلَبَ. والمعنى: وكيف لهم طلب الإيمان في الآخرة، وهو المكان البعيد.

ويجوز أن يكون من نَاشَ يَنُوشُ؛ إذا تناول، لكن لما انضمت الواو [أبدلوا][4] منها همزة، فالمعنى: وكيف [يكون][5] لهم تناول الإيمان.

---

(١) صدر بيت لغيلان بن حريث يصف إبلاً وردت حوضاً وتناولت ما فيه تناولاً من فوق، مستغنية عن المبالغة فيه. وعجزه: (نوْشاً به تَقْطَعُ أجْوازَ الفَلا). انظر: الكتاب (٣/ ٤٥٣)، وشرح المفصل لابن يعيش (٤/ ٧٣)، ومجاز القرآن (٢/ ١٥٠)، و اللسان (مادة: نوش، علا)، والبحر (٧/ ٢٤٦)، والدر المصون (٥/ ٤٥٤)، والماوردي (٤/ ٤٥٩)، والقرطبي (١٤/ ٣١٦)، والطبري (٢٢/ ١١٠)، وروح المعاني (٢٢/ ١٥٨).

(٢) في الأصل: أوجوه. وفي الكشف: وجوه و وقتت. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) الكشف (٢/ ٢٠٨).

(٤) في الأصل: بدلوا. والمثبت من الكشف (٢/ ٢٠٨).

(٥) زيادة من الكشف، الموضع السابق.

﴿من مكان بعيد﴾ وهو الآخرة. وعليه معنى القراءة الثانية.

﴿وقد كفروا به﴾ أي: بالله أو بالبعث، أو بالرسول ﷺ، ﴿من قبل﴾ يعني: في الدنيا، ﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾.

وقال الحسن: يرجمون بالظن فيقولون: لا جنة ولا نار(١).

وقال مجاهد: هو طعنهم في رسول الله ﷺ بأنه شاعر أو ساحر(٢).

قوله تعالى: ﴿وحِيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ أي: حِيلَ بينهم وما يشتهون في الآخرة من الرجعة إلى الدنيا، في قول ابن عباس(٣).

أو من الإيمان، على قول الحسن(٤).

أو ما يشتهون من قبول التوبة منهم، [على قول مقاتل](٥).

﴿كما فُعل بأشياعهم من قبل﴾ بنظرائهم من الكفار الذين لم تقبل منهم توبة وإنابة عند معاينة العذاب من قبل هؤلاء.

فإن قيل: «ولو ترى إذ فزعوا»، «وأخذوا»، «وقالوا»، «وحيل بينهم» جميعها

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٩) كلاهما عن قتادة. وذكره الماوردي (٤/ ٤٦٠) عن الحسن، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٠) عن الحسن وقتادة، والسيوطي في الدر (٦/ ٧١٥) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ١١٢)، ومجاهد (ص:٥٢٩). وذكره الماوردي (٤/ ٤٦٠).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٤٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٠).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ١١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٦٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٩٨ ح٣٥٣٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٦/ ٧١٥) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) زيادة من الوسيط (٣/ ٤٩٩). وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٧٠).

متمحضة للاستقبال على ما ذكر في التفسير، وما تقدم من التقرير، فلم جاءت بصيغة الماضي؟

قلت: لأنها في تحقق وجودها والقطع بكونها حيث أخبر الله الصادق في خبره بأنها كائنة، كالشيء الذي وُجد ومضى.

﴿إنهم كانوا في شك مريب﴾ من البعث.

وقال مقاتل[1]: من نبيهم.

«مُريب»: مُوقعٌ لهم في الريبة والتهمة.

قال الزجاج[2]: قد أعلمنا الله تعالى أنه يُعذِّب على الشك، وقد قال قوم من الضُّلال: إن الشاكّين لا شيء عليهم، وهذا كُفْر ونقض للقرآن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾ [ص:٢٧]. والله تعالى أعلم.

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٦٠) وعزاه لمقاتل. وفي تفسير مقاتل: (٣/ ٧٠): «إنهم كانوا في شك» من العذاب بأنه غير نازل بهم في الدنيا. ولم يذكر المعنى الذي ذكره المصنف. والله أعلم.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٥٩).

سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى سورة الملائكة، وهي ست وأربعون آية في العدد المدني، وخمس في الكوفي[1]، وهي مكية بإجماعهم.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾

قال الله تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾ أي: مبتدئها ومبتدعها على غير مثال سابق.

قال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتُها، أي: ابتدأتها[2].

﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾ رسلاً يُرسلهم إلى النبيين وإلى ما شاء من الأمور.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء اللغوي وأبي عمرو الياسري من رواية الحلبي والقزاز، عن عبد الوارث عن أبي عمرو: «جاعلٌ» بالرفع والتنوين، «الملائكةَ» بالنصب[3].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢١٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٧٠)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٢٥٨ ح١٦٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣) وعزاه لأبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٢-٤٧٣)، وأبو حيان في البحر (٧/ ٢٨٤).

﴿أولي أجنحة﴾: أصحاب أجنحة.

قال الزمخشري[١]: و«أولوا»: اسم جمع لـ«ذو»، كما أن «أولاء» اسم جمع لـ«ذا»، ونظيرهما في المتمكنة: المخاض والخلفة.

يريد: أن الخلفة وهي الحامل من النوق واحد، والمخاض: اسم جمع للخلفة، وهي الحوامل.

﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ صفات للأجنحة. وقد ذكر في سورة النساء[٢].

قال قتادة[٣]: بعضهم له جناحان، وبعضهم ثلاثة أجنحة، وبعضهم له أربعة أجنحة[٤].

﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ أي: في خلق الأجنحة وغيرها ما تقتضيه مشيئته وحكمته. والأصل: الجناحان؛ لأنهما بمنزلة اليدين.

قال ابن عباس: رأى رسول الله ﷺ ليلة المعراج جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح[٥]. وهذا المعنى قول عامة المفسرين واختيار الفراء[٦] والزجاج.

وقال الزهري وابن جريج: هو الصوت الحسن[٧].

---

(١) الكشاف (٣/ ٦٠٤).

(٢) عند الآية رقم: ٣.

(٣) في الأصل زيادة قوله: بن يزيد، وهو وهم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ١١٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٠).

(٦) معاني الفراء (٢/ ٣٦٦).

(٧) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٣١)، والشعب (١/ ١٣٥ ح١١٥)، وابن أبي حاتم =

وقال قتادة: الملاحة في العينين[١].

وقيل: تجعد الشعر وحسنه[٢].

وقيل: الخط الحسن[٣].

والصحيح: أن الآية مطلقة تشمل كل زيادة في الخلق: من صباحة في الوجه، وملاحة في العين، وفصاحة في اللسان، وسماحة في النفس، وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي، وجرأة في القلب، إلى غير ذلك من أنواع الزيادة مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا

= (١٠/ ٣١٧٠) كلهم عن الزهري. وذكره الماوردي (٤/ ٤٦٢)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن الزهري.

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ١٣٥ ح١١٦). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤) وعزاه للبيهقي.

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٤٦٢) حكاية عن النقاش.

(٣) ذكره القرطبي (١٤/ ٣٢٠).

يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦

قوله تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ أي: ما يطلق الله تعالى من نعمة مطر أو رزق أو صحة أو [أمن][1] أو غير ذلك، أي: لما يمسكه.

وقرئ شاذاً: «فلا مرسل لها»[2]، رجوعاً إلى الرحمة من بعده من النعم التي لا يحاط بعددها.

﴿فلا ممسك لها وما يمسك﴾ من ذلك ﴿فلا مرسل له [من بعده][3]﴾ أي: من بعد إمساكه؛ كقوله تعالى: ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ [الجاثية:٢٣] أي: من بعد هدايته[4]، ﴿وهو العزيز﴾ القادر على الفتح والإمساك، ﴿الحكيم﴾ في فتحه وإمساكه على من يريد.

قوله تعالى: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أي: اشكروها بمعرفة حقها وطاعة موليها.

والظاهر: أنه خطابٌ لجميع الناس لانغمارهم في نِعَم الله تعالى.

وقال ابن عباس وغيره: يريد: يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث

---

(١) في الأصل: من. والتصويب من الكشاف (٣/ ٦٠٦).

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٢٨٦).

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦٠٦).

قال أبو حيان في البحر (٧/ ٢٨٦): وهو تقدير فاسد لا يناسب الآية، جرى فيه على طريقة الاعتزال.

أسكنكم حرمه وأمنكم، [ومنعكم][1] من الغارات والناس يتخطفون من حولكم[2].

﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «غيرِ الله» بالجر[3].

وقرئ شاذاً: «غيرَ الله» بالنصب[4].

فالرفع والجر على الصفة لفظاً ومحلاً، والنصب على الاستثناء، وقد سبق تعليل ذلك في الأعراف[5].

﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ صفة لـ«خَالِقٍ». والمعنى: هل من خالق غير الله يرزقكم ﴿مِن السماء﴾ المطر، ﴿و﴾ من ﴿الأرض﴾ النبات، ﴿لا إِلَهَ إلا هُوَ فَأنى تُؤْفكُونَ﴾.

قال الزجاج[6]: من أين يقع الإفك والتكذيب بتوحيد الله وإنكار البعث وأنتم تقرؤون بأن الله خلقكم ورزقكم.

ثم عزى نبيه بقوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾، ثم أوعد ووعد بقوله تعالى: ﴿وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأمُورُ﴾.

قال صاحب الكشاف[7]: إن قلت: ما وجه صحة جزاء الشرط؟ ومن حق

---

(١) في الأصل: ومعنكم. والتصويب من الكشاف (٣/ ٦٠٧).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦٠٧).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٢)، والكشف (٢/ ٢١٠)، والنشر (٢/ ٣٥١)، والإتحاف (ص:٣٦١)، والسبعة (ص:٥٣٤).

(٤) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٢٨٧)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٥٩).

(٥) عند الآية رقم: ٥٩.

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٢٦٣).

(٧) الكشاف (٣/ ٦٠٨).

الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له؟

قلتُ: معناه: وإن يكذبوك فتأسَّ بتكذيب الرسل من قبلك، فوضع: «فقد كذبت رسل من قبلك» موضع: فتأسَّ، استغناء بالسبب عن المسبب، أعني: بالتكذيب عن التأسي.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ قال ابن عباس: نزلت في أبي جهل ومشركي مكة[١].

وقال سعيد بن جبير: نزلت في أصحاب الأهواء والملل التي خالفت الهدى[٢].

والمعنى: أفمن زين سوء عمله ففارق النهي ووافق الهوى وأطلق عنان نفسه في ميادين شهواتها، حتى رأى القبيح حسناً، والحسن قبيحاً، كما قال أبو نواس لأبي العتاهية حين وعظه وزجره عما كان مساكناً له من اللذات التي استهوته وسلبته لباس التقوى:

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٥).

(٢) مثل السابق.

أتُــــراني يـــــا عتَـــاهِي تاركــــاً تلـــكَ الملاهِـــي

أتـــراني مُفْـــسِداً بالنُّـــسْك عنـــدَ القـــوم جـــاهِي [(١)]

كمن لم يزين، أو كمن هداه الله لقوله.

قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾.

وقرأتُ لأبي جعفر: «فلا تُذْهِبْ» بضم التاء وكسر الهاء، و«نَفْسَكَ» بالنصب[(٢)].

قال الزمخشري[(٣)]: «حسرات»: مفعول له، معناه: فلا تهلك نفسك للحسرات.

و«عليهم» صلة «تَذْهَب»، كما تقول: هَلَكَ عليه حُبّاً، ومات عليه حُزْناً. [أو هو][(٤)] بيان للمتحسّر عليه. ولا يجوز أن يتعلق بـ«حسرات»، لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ

---

(١) البيتان في: الأغاني (٤/ ١٠٦)، وتاريخ دمشق (١٣/ ٤٤٢).

(٢) النشر (٢/ ٣٥١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦١).

(٣) الكشاف (٣/ ٦٠٩-٦١٠).

(٤) في الأصل: وهو. والتصويب من الكشاف (٣/ ٦٠٩).

ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾

فإن قلت: ما يريد بقوله تعالى: ﴿والله الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً﴾، لم جاء «فتثير» على المضارعة دون ما قبله وبعده؟

قلتُ: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح [السحاب][١]، ويستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع [تمييز][٢] وخصوصية، بحال تستغرب، أو تهمّ المخاطب، أو غير ذلك، كما قال تأبّط شراً[٣]:

بأنّي قد لقيتُ الغولَ تَهْوي ... بِشُهْبٍ كالصحيفةِ صَحْصَحَانِ[٤]

فأضْربها بلا دَهَشٍ فخَرَّت ... صريعاً لليدينِ وللجِرَانِ[٥]

---

(١) في الأصل: والسحاب. والتصويب من الكشاف (٣/ ٦١٠).

(٢) في الأصل: تميز. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) هو من فحول الشعراء في الجاهلية وفرسانها المشهورين، كنيته أبو زهير، وبتلقيبه بتأبّط شراً أقوال؛ المشهور منها: أنه تأبّط سيفاً وخرج، فقيل لأمه: أين هو؟ فقالت: تأبّط شراً وخرج (بلوغ الأرب ٢/ ٣٤٥).

(٤) الصحصحان: المكان المستوي (اللسان، مادة: صحح).

(٥) البيتان لثابت بن جابر الفهمي، الملقب بتأبط شراً، من أبيات قالها يزعم ضربه الغول، انظر: بلوغ الأرب (٢/ ٣٤٢)، والدر المصون (٥/ ٤٦٠)، والبحر (٧/ ٢٨٩).

قصد أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول، كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها، مشاهدةً للتعجب من جراءته على كل هول، وثباته عند كل شدة. وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها؛ لما [كانا][1] من الدلائل على القدرة الباهرة قيل: فَسُقْنَا، وأَحْيَيْنا؛ [معدولاً][2] بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه.

والكاف في قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ في محل الرفع، أي: مثل إحياء الموات نشور الأموات.

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه من حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله! كيف يحيي الله الموتى؟ قال: أما مررت بوادي قومك مَحلاً ثم مررت به خضراً؟ قلت: بلى. قال: كذلك يحيي الله الموتى، أو قال: ﴿كذلك النشور﴾»[3].

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فللـه العِـزَّةُ جَمِيعـاً﴾ قال المفسرون: كان المشركون يعتزون بالأصنام، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ الله آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً﴾ [مريم:٨١]، وكان المنافقون يتعززون بالمشركين، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لله جَمِيعاً﴾ [النساء:١٣٩]، فبيَّن الله تعالى أن لا عِزّة إلا له جلَّت عظمته ولأوليائه، فقال تعالى: ﴿ولله العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].

---

(١) في الأصل: كنا. والتصويب من الكشاف (٣/ ٦١٠).

(٢) في الأصل: معدلاً. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١١ ح١٦٢٣٧).

ومعنى الآية: من كان يبتغي العزة فليطلبها عند الله، فوضع قوله: «فلله العزة» موضعه، استغناء به عنه لدلالته عليه؛ لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ربكم يقول كل يوم: أنا العزيز فمن أراد عز الدنيا [فليطع][1] العزيز»[2].

ثم إن الله تعالى أعلم عباده أن الذي يطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح، فقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

وقرأ ابن مسعود وأبو عبدالرحمن السلمي والنخعي: «الكلامُ الطيبُ»، وبها قرأتُ للشيزري عن الكسائي[3].

والكلم الطيّب: التوحيد والثناء على الله تعالى.

قال علي ابن المديني: «الكلم الطيب»: لا إله إلا الله، «والعمل الصالح»: أداء الفرائض واجتناب المحارم[4].

وفي هاء «يرفعه» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلى الكلم الطيب، والعمل الصالح هو الرافع. قاله ابن

---

(١) في الأصل: فليطلع. والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٦/ ٦٠، ٨/ ١٧١). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٢)، والديلمي في الفردوس (٥/ ٢٥٣)، والسيوطي في الدر (٢/ ٧١٧) وعزاه للحاكم في التاريخ والديلمي وابن عساكر عن أنس.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٧-٤٧٨).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٨).

عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير[١].

المعنى: أن هذه الكلمة الطيبة التي هي «لا إلـه إلا الله» لا تـصعد إلى الـسماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المتقبلة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّين﴾ [المطففين:١٨] إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها.

وكان الحسن يقول: يعرض القول على الفعل، فإن وافق القول الفعـل قُبِـلَ، وإن خالفه رُدَّ[٢].

القول الثاني: أنها تعود إلى العمل الصالح، والكلام الطيب هو الرافع؛ لأنه لا يتقبل عملٌ إلا من مُوحّد، كما قال تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتَّقين﴾ [المائـدة:٢٧] يريد: الذين يتَّقُون الشرك. وهذا عكس القول الأول.

القول الثالث: أنها تعود إلى الله تعالى، على معنى: يرفعه الله تعالى لصاحبه. قاله قتادة والسدي[٣].

ويؤيد القولين الثاني والثالث قراءة من قرأ: «والعملَ الصالِحَ» بالنصب[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٢١)، ومجاهد (ص:٥٣١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٩) وعزاه لآدم بن أبي إياس والبغوي والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقـي في الأسـماء والـصفات عـن مجاهد. ومن طريق آخر عن سعيد بن جبير وعزاه للفريابي. ومن طريق آخر عن الحـسن، وعـزاه لابن المبارك وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه ابن المبـارك في الزهـد (١/ ٣٠ ح٩١). وذكـره ابـن الجـوزي في زاد المـسير (٦/ ٤٧٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٩) وعزاه لابن المبارك وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٣٠) عن قتـادة. وذكـره المـاوردي (٤/ ٤٦٤)، والواحـدي في الوسيط (٣/ ٥٠٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٠) وعزاه لابن المبارك عن قتادة.

(٤) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر (٧/ ٢٩٠)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٦١).

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَات﴾ قال الزمخشري[(١)]: إن قلت: «مكر» فعل غير مُتعدّ، لا يقال: مكر فلان عمله، فبم نصب «السيئات»؟

قلتُ: هذه صفة للمصدر، أو لما في حكمه، كقوله تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ [فاطر:٤٣] أصله: والذين مكروا المَكْرات السيئات، أو أصْناف المَكْرات السيئات.

يريد الزمخشري بقوله: «أو لما في حكمه»: [ما][(٢)] أضيف إلى المصدر.

قال أبو العالية: هم الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة[(٣)].

وقال قتادة: هم الذين يعملون السيئات[(٤)].

﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ﴾ الذين مكروا بك ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ﴿هُوَ يَبُورُ﴾ أي: يفسد ويهلك.

وقيل: يكسد ويفسد دون مكر الله حين زين لهم أسباباً استدرجهم بها، فجمع لهم المكرات الثلاث اللاتي راموا كيد رسول الله ﷺ بها، فأخرجهم من مكة، وقتلهم يوم بدر، وأثبت جيف القتلى منهم في القَلِيب، والأسرى في وثاق. اللهم أعذنا من وبال مَكْرِك، وأعِنَّا على ذكرك وشكرك.

قوله تعالى:﴿ثم جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً﴾ أي: أصنافاً.

---

(١) الكشاف (٣/ ٦١٢).

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٧٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٧٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقيل: ذكراناً وإناثاً.

وقال قتادة: زوّج بعضكم بعضاً[١].

قوله تعالى: ﴿إِلا بِعِلْمِهِ﴾ في محل الحال، تقديره: إلا معلومةً له[٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ أي: ما يعمر من أحد، وسماه معمّراً باعتبار ما يؤول إليه.

﴿وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ قال الفراء[٣]: يريد: آخر غير الأول، فكُنّي عنه. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

قال الزمخشري[٤]: هذا من الكلام المتسامح فيه، ثقة في تأويله بإفهام السامعين، واتكالاً على تسديدهم معناه بعقولهم، وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول [والقصر][٥] في عمر واحد. وعليه كلام الناس المستفيض: لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بحق.

قال[٦]: [وفيه تأويل][٧] آخر: وهو أنه لا يطول عمر إنسان ولا ينقص إلا في كتاب، وصورته: أن يكتب في اللوح: إن حج فلان أو غزا فعمره أربعون سنة، وإن حج وغزا فعمره ستون سنة، فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عَمَّر. وإذا أفرد

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٢٢). وذكره الماوردي (٤/ ٤٦٥).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ٤٦٢).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٣٦٨).

(٤) الكشاف (٣/ ٦١٣).

(٥) في الأصل: والعرض. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) أي: الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦١٣).

(٧) في الأصل: وفي تأيل. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

أحدهما فلم يتجاوز به الأربعون، فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون. وإليه أشار رسول الله ﷺ في قوله: «إن الصدقة والصلة يعمران الديار وتزيدان في الأعمار»[١].

وقيل: المعنى: وما يعمر من معمر قدّر الله تعالى مدة أجله إلا كان ما نقص منه في كتاب.

قال سعيد بن جبير: مكتوب في أمّ الكتاب: عُمْر فلان كذا وكذا، ثم يكتب في أسفل من ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، ذهب ثلاثة، حتى يأتي على آخر عمره[٢].

﴿إِنَّ ذلِكَ﴾ إشارة إلى كتابة الآجال. وقيل: التعمير والنقصان ﴿عَلَى الله﴾ تعالى ﴿يَسِيرٌ﴾ هيّن.

وقال الكلبي: المعنى: أن حفظ ذلك بغير كتاب على الله يسير[٣].

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى

(١) أخرج نحوه أحمد في المسند (٦/ ١٥٩ ح٢٥٢٩٨) من حديث عائشة، أن النبي ﷺ قال لها: إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩١٨-٩١٩ ح٤٥٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١١-١٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٣) ذكره الماوردي (٤/ ٤٦٦).

ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي البَحْرَانِ﴾ يعني: العذب والملح.

ثم ذكرهما منبهاً على المعنى الذي بسببه وقع التفاوت بينهما، فقال تعالى: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ... الآية﴾ وقد سبق تفسيرها وتفسير ما بعدها إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ وهذا على سبيل الفرض والتقدير.

وحاصل ذلك: ما ذكره المفسرون فيه أن المعنى: ولو سمعوا لم يكن عندهم إجابة. ولم يذكر أحد منهم مانع الإجابة ما هو، غير أن صاحب الكشاف[1] قال: ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ لأنهم لا يدعون ما تدعون من الإلهية، ويتبرؤون منها.

ويحتمل عندي أن يكون المعنى: ولو سمعوا بأن يخلق الله لها سمعاً ما استجابوا لكم؛ لتوقف حصول الإجابة على أسباب؛ منها: القدرة على النفع والدفع. أو يكون التقدير: ولو سمعوا دعاءكم ما أجابوكم، لانتفاء قدرتهم على الكلام، إذ لا يلزم من وجود [السمع][2] وجود النطق، ألا تراه يقول: ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: ويوم القيامة إذ أفهمهم وأنطقهم وركَّب فيهم الميز ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾، أي: بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم، وهو قولهم: ﴿ما كُنتم

---

(١) الكشاف (٣/ ٦١٥).

(٢) زيادة على الأصل.

إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس:٢٨].

﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: لا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به. يشير إلى نفسه جلَّت عظمته، وأن ما أخبرهم به من حال الأصنام هو الحق.

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ﴾ أي: المحتاجون إليه في رزقه ومغفرته ورحمته.

﴿والله هو الغني﴾ عن عبادتكم ﴿الحَمِيدُ﴾ عنكم بإحسانه إليكم.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا﴾ أي: نفس مثقلة بالذنوب إلى حملها الذي حملته ﴿لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذا قُرْبَى﴾ أي: ولو كان المدعو ذا قرابة.

قال ابن عباس: يقول الأب والأم: يا بني احمل عني، فيقول: حسبي ما عليّ[1].

قال أهل المعاني: لما غضب الله عليهم في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أتبعه

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٣).

الإنذار بيوم القيامة وذكر أهوالها فقال: ﴿إنما تُنْذِرُ﴾، كأن رسول الله ﷺ أسمعهم ذلك، فلم ينفع، فنزل قوله تعالى: ﴿إنما تُنْذِرُ﴾[1].

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٢٢ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأعْمَى وَالبَصِيرُ﴾ يعني: الكافر والمؤمن.

﴿ولا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ﴾ أي: ولا [الضلالات][2] ولا الهدى.

﴿ولا الظل ولا الحَرُور﴾ أي: ولا الحق ولا الباطل.

وقال مجاهد والكلبي: الظل: الجنة، والحرور: النار[3].

وقال الفراء[4]: الحرور بمنزلة السموم، وهي الرياح الحارة، والحرور تكون بالنهار وبالليل، والسموم لا تكون إلا بالنهار.

وقال عطاء: يعني: [الظل بالليل][5]، والسموم بالنهار[6].

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦١٧).

(٢) في الأصل: الضلات.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٤) عن الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٣) عن مجاهد.

(٤) لم أقف عليه في معاني الفراء. وهو في: الماوردي (٤/ ٤٦٩)، وزاد المسير (٦/ ٤٨٣) عنه.

(٥) في الأصل: ظل الليل. والمثبت من الوسيط (٣/ ٥٠٤).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٣).

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين.

قال قتادة: هذه أمثال ضربها الله تعالى للكافرين والمؤمنين، يقول: لا تستوي هذه الأشياء، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن(١).

ودخول «لا» المقارنة لواو العطف في سياق النفي، يفيد توكيد معنى النفي، فلذلك قال تعالى: ﴿ولا الظلمات ولا النُّور * ولا الظل ولا الحَرُور * وما يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾.

﴿إِنَّ الله يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ يريد: أنه قد علم من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل فيه، فهو يضلهم ويهديهم بعلمه فيهم، وأما أنت يا محمد فيخفى عليك أمرهم، ولذلك تحرص على هداية من أضلَّه الله، ومثلك في ذلك مثل من يريد أن يسمع المقبورين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ﴾.

فإن قيل: هلاَّ قيل: «وما أنت بمسمع الموتى»؟

قلتُ: هذا أدخل في المقصود وأوغل في نفي الإسماع؛ لأنه قد انضم إلى كونهم موتى تغييبهم تحت أطباق الثرى، فانتفى الإسماع لانتفاء سببه، وزاده تأكيداً وجود مانعه، بخلاف ميّت موسّد بين أهله، فإنه لقرب العهد بمجاورته والأُنس بمجاورته، يُخيّل إلى مخاطبه أن روح الحياة تتردد فيه مع علمه بوجود منافيه. وهذا المعنى من نفائس الخصائص، ومن الجواهر التي لم يظفر بها قبلي غائص.

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ قوله: «بالحق» حال من أحد الضميرين.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٧٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

يعني: محقاً أو محقين، أو صفة للمصدر، أي: إرسالاً [مصحوباً][١] بالحق[٢]، ﴿بشيراً﴾ بالجنة، ﴿ونذيراً﴾ بالنار، ﴿وإن من أمة﴾ أي: وما من أهل عصر ﴿إلا خلا فيها﴾ أي: سَلَفَ فيها ﴿نذير﴾.

وهذا يدل على أنه لا تخلو الأرض من قائم لله بالحجة، فإنه لا يذهب عصرٌ إلا وفيه رسول أو نبي أو رباني يقوم بأعباء النذارة والبشارة، نيابة عن الرسول المبعوث بهما.

فإن قيل: هلاَّ قال: «وإن من أمة إلا خلا فيها بشير ونذير» ليكون عجز الآية مطابقاً لصدرها؟

قلتُ: البشارة والنذارة متلازمان، فذكر أحدهما ذكر لهما.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

وما بعده مُفسر فيما مضى إلى قوله تعالى: ﴿مختلفاً ألوانها﴾ أي: أجناسها؛ من

---

(١) في الأصل: محصوباً. والتصويب من الكشاف (٣/ ٦١٧).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦١٧).

الرمان والتفاح، وغيرهما مما لا يحصر، أو هيئاتها من الحُمْرة والصفْرة والخضْرة ونحوها.

قوله: ﴿ومن الجبال﴾ أي: ومما خلقنا من الجبال ﴿جدد بيض وحمر﴾ قال ابن قتيبة[١] والمبرد: الجُدَد: الخطوط [والطَّرائقُ][٢] تكون في الجبال، فبعضها بِيضٌ وبعضها حُمرٌ وبعضها غرابيب سود.

قال الفراء[٣]: هي في الجبال كالعُروق، بيض وسود وحمر، واحدها: جُدَّة.

قال الفراء[٤]: «وغرابيب سود» على التقديم والتأخير، تقديره: وسود غرابيب؛ لأنه يقال: أسود غِرْبيب، وقلّ ما جاء: غربيب أسود.

قال الزمخشري[٥]: إن قلت: الغربيب تأكيد للأسود، يقال: أسود غربيب، وأسود حُلْكُوك، وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه. ومنه: الغراب، ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد؛ كقولك: أصفر فاقع، وأبيض يَقَق، وما أشبه ذلك؟

قلتُ: وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر، كقول النابغة:

والمؤمنِ العائذاتِ الطير ....

ولم يتمم [الزمخشري][٦] البيت وهو:

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٣٦١).

(٢) في الأصل: والطريق. والتصويب من تفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

(٣) معاني الفراء (٢/ ٣٦٩).

(٤) لم أقف عليه في معاني الفراء. وهو في: الوسيط (٣/ ٥٠٤)، وزاد المسير (٦/ ٤٨٥-٤٨٦).

(٥) الكشاف (٣/ ٦١٨-٦١٩).

(٦) في الأصل: الزمخشر.

والمؤمنِ العائذاتِ الطيرَ تمسحُها رُكْبانُ مكةَ بين الغَيْلِ والسَّنَدِ[١]

وهما موضعان، وتقديره: أقسم بالله المؤمن الطير العائذات.

رجعنا إلى كلام الزمخشري؛ قال[٢]:

وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد، حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعاً[٣]، ولا بد من تقدير [حذف][٤] المضاف في قوله: ﴿ومن الجبال جدد﴾، بمعنى: ومن الجبال ذو جُدد بيض وحمر وسود، حتى يؤول إلى قولك: ومن الجبال مختلف ألوانه، كما قال تعالى: ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾.

وقرأ الزهري: «جُدُدٌ بيضٌ» بالضم[٥]، جمع جَديدَة، وهي الجدّة. يقال: جديدةٌ وجُدُدٌ وجَدائدُ، كسفينةٌ وسُفُنٌ وسفائن.

وقد فسر بها قول أبي ذؤيب:

.... جَوْنُ السَّراةِ له جدائدُ أربع[٦]

---

(١) البيت للنابغة الذبياني. انظر: ديوانه (ص:٣٥)، وشرح المفصل لابن يعيش (٣/ ١١)، والبحر (٧/ ٢٩٧)، والدر المصون (٤/ ٢٥٠، ٤٦٧)، والقرطبي (١٨/ ٤٦)، وروح المعاني (١٣/ ١٨٢، ٢٢/ ١٩٠).

(٢) الكشاف (٣/ ٦١٩).

(٣) قال أبو حيان في البحر (٧/ ٢٩٧): وهذا لا يصح إلا على مذهب من يجيز حذف المؤكد. ومن النحويين من منعه، وهو اختيار ابن مالك.

(٤) زيادة من الكشاف (٣/ ٦١٩).

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر (٧/ ٢٩٦)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٦٦).

(٦) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي. وصدره: (والدهرُ لا يبقى على حدثانه). انظر: ديوان الهذليين =

هذا آخر كلام الزمخشري.

وقال أبو الفتح ابن جني[١]: قراءة الزهري «جَـدَدٌ» بفتحتـين، ولم يثبتـه أبـو حاتم ولا قطرب. وعلى أن له معنى وهو الطريق الواضح [المسفر][٢].

وقرئ: «والدواب» بالتخفيف[٣]، ونظيره التخفيف في قراءة من قـرأ: ﴿ولا الضأَلين﴾ [الفاتحة:٧] وعلتهما: الفرار من التقاء الساكنين.

قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ قال ابن عباس: يريد: إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني[٤].

وقال ابن عباس: من خشي الله تعالى فهو عالم[٥].

وقال مجاهد: العالم من خاف الله تعالى[٦].

وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم[٧].

وقال مسروق: كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً[٨].

= (١/ ٤)، والمفضليات (ص:٨٥٨)، والأغاني (٦/ ٢٨٨)، والبحـر (٧/ ٢٩٦)، والـدر المـصون (٥/ ٤٦٦).

(١) المحتسب (٢/ ٢٠٠).

(٢) في الأصل: المسفور. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٣) وهي قراءة الزهري أيضاً. انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٢٩٧)، والدر المصون (٥/ ٤٦٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٤).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٦).

(٧) ذكره الماوردي (٤/ ٤٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٦).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٠) وعزاه لعبد بن حميد.

ويقال: إن فاتحة الزبور: رأس الحكمة خشية الله[١].

وقرأ أبو حنيفة: «إنما يخشى اللهُ» بالرفع «العلماءَ» بالنصب، على معنى: إنما يعظم الله العلماء.

وتروى هذه القراءة عن عمر بن عبدالعزيز[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾ أي: يكثرون تلاوته.

وقيل: يتبعون ما فيه فيعملون به.

وقال السدي: هم أصحاب محمد ﷺ[٣].

﴿ليوفيهم أجورهم﴾ وهو الثواب الذي قرره لهم في مقابلة تلاوة كتابه.

﴿ويزيدهم من فضله﴾ على النصيب المقدر لهم ...[٤].

«ليوفيهم» متعلق بـ«لن تبور»، أي: تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٤/ ٤٧١).

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٢٩٨)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٦٨).

قال أبو حيان: ولعل ذلك لا يصح عنهما، وقد رأينا كتباً في الشواذ ولم يذكروا هذه القراءة، وإنما ذكرها الزمخشري، وذكرها عن أبي حيوة أبو القاسم يوسف بن جبارة في كتابه (الكامل).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦٢١)، وأبو حيان في البحر (٧/ ٢٩٨).

(٤) كلمة أو كلمتين غير ظاهرة في الأصل.

ليوفيهم بنفاقها أجورهم.

وقيل: «يرجون» حال من الضمير في «وأنفقوا»[١]، أي: فعلوا جميع ذلك راجين ليوفيهم، وخبر «إنَّ» على القول الأول «يرجون تجارة»، وعلى القول الثاني قوله تعالى: ﴿إنه غفور شكور﴾.

قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿ويزيدهم من فضله﴾: يفسح لهم في قبورهم[٢].

وقال أبو وائل: يشفعهم فيمن أحسن إليهم في الدنيا[٣].

وكان مطرف يقول في هذه الآية: [هذه آية][٤] [القراء][٥]، يشير بذلك إلى دلالتها على فضلهم وتنويهها بذكرهم.

قرأتُ على الصاحب أبي الكرم محمد بن علي بن مهاجر رحمه الله بمدينة إرْبل[٦]، ثم قرأت عليه ثانياً وعلى ابن عمه أبي الحزم مهاجر بن أحمد بن مهاجر بالموصل، أخبركم أبو الفرج يحيى بن محمود الثقفي الأصبهاني فأقرّا به، أخبرنا أبو طاهر عبد الواحد بن محمد الصباغ[٧]، أخبرنا أبو الفتح علي بن محمد بن

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٤٦٨).

(٢) ذكره الماوردي (٤/ ٤٧٢).

(٣) مثل السابق.

(٤) زيادة من المصادر التالية.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣٣). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٣). وما بين المعكوفين في الأصل: والقراء. والتصويب من الطبري، والدر المنثور.

(٦) إربل: مدينة كبيرة تعد من أعمال الموصل، وبينهما مسيرة يومين (معجم البلدان ١/ ١٣٨).

(٧) عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن الهيثم الأصبهاني، أبو طاهر الصباغ، المعروف بالدشتج، من أهل أصبهان. كان شيخاً صالحاً، ولد سنة نيف وعشرين وأربعمائة، وتوفي يوم الاثنين الحادي عشر من =

عبدالصمد، حدثنا محمد بن إبراهيم المقرئ، حدثنا إبراهيم بن جعفر بن خليد المقرئ بمكة، حدثنا محمد بن عبدالرحمن بن قراد[١]، حدثنا مالك، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله خاصة من الناس، قلنا: من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن أهل الله وخاصته»[٢].

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ۝٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ۝٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ اختلف العلماء في المراد بالكتاب على قولين:

أحدهما: أنه اسم جنس. فعلى هذا؛ فالمراد بالمصطفين قولان:

أحدهما: أنهم الأنبياء وأتباعهم. قاله الحسن[٣].

فيكون التقدير: والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق، ثم كنا أورثنا الكتاب الأنبياء قبلك؛ كقول الشاعر:

شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وخمسمائة بأصبهان (التحبير في المعجم الكبير ص:٤٩٧).

(١) محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، ويعرف أبوه بقراد، قال الدارقطني وغيره: كان يضع الحديث، وقال ابن عدي: له عن ثقات الناس بواطيل (لسان الميزان ٥/ ٢٥٥، والكامل لابن عدي ٦/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٧٨ ح٢١٥)، وأحمد (٣/ ١٢٧ ح١٢٣٠١).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٧).

قُلْ لمنْ سَادَ ثم سَادَ أبوه ....[1]

فعلى هذا؛ يكون المعنى: فمن أممهم ظالم لنفسه... الآية.

الثاني: أنهم أمة محمد ﷺ، على معنى: أورثناهم الإيمان بالكتب كلها.

قال ابن عباس: أورث الله تعالى أمة محمد ﷺ كل كتاب أنزله الله تعالى[2].

فعلى هذا؛ تقدير الآية: أنزلنا الكتب المتقدمة ثم أورثنا أمة محمد ﷺ الإيمان بها.

ويؤيد هذا القول: أن حقيقة الإرث: [انتقال الشيء][3] من قوم إلى قوم.

القول الثاني: أن المراد بالكتاب: القرآن.

والمعنى: ثم نقلنا العلم والحكم إلى الذين اصطفينا من عبادنا، وهم أمة محمد ﷺ، وهو قول جمهور المفسرين[4].

ثم قسمهم فقال تعالى: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ قال الضحاك: هم المنافقون[5].

وقال السدي: أصحاب المشأمة[6].

---

(١) صدر بيت لأبي نواس، وعجزه: (ثم قَدْ سَادَ قَبْلَ ذلك جَدُّه)، وهو في مدح العباس بن عبيد الله. انظر البيت في: تفسير ابن كثير (١/ ٦٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣٣-١٣٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث.

(٣) في الأصل: الانتقال. والتصويب والزيادة من الماوردي (٤/ ٤٧٢)، وزاد المسير (٦/ ٤٨٨).

(٤) ذكره الطبري (٢٢/ ١٣٤)، والماوردي (٤/ ٤٧٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٣).

(٥) ذكره الماوردي (٤/ ٤٧٣) بلا نسبة.

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٢)، ومجاهد (ص:٥٣٢) كلهم عن مجاهد. وذكره الماوردي (٤/ ٤٧٣) عن السدي.

وقال مجاهد: الجاحد[١].

فيكون المراد بالاصطفاء على هذه الأقوال: تكريمهم وتشريفهم بإنزال الكتاب عليهم، كما قال تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ [الزخرف:٤٤] وإن أبوا ذلك ولم يقبلوه.

وقال ابن عباس في رواية عطاء: «فمنهم ظالم لنفسه»: وهو الذي مات على كبيرة لم يتب منها[٢].

وقال الحسن: «الظالم لنفسه»: الذي ترجَّحَتْ سيئاته على حسناته، و«المقتصد»: الذي استوت حسناته وسيئاته، و«السابق»: من ترجحت حسناته على سيئاته[٣]. وهذا القول أشهر الأقوال في التفسير، وأشبه بالأحاديث والآثار.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له[٤]. ورواه أيضاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ[٥].

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: سابقنا أهل جهادنا، ومقتصدنا أهل حضرنا، وظالمنا أهل بدونا[٦].

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٧٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٩).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٩-٤٩٠).

(٤) ذكره الماوردي (٤/ ٤٧٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٥) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في البعث.

(٥) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٥) وعزاه للعقيلي وابن لال وابن مردويه والبيهقي.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٥) وعزاه لسعيد بن منصور =

وقال أسامة بن زيد: قال رسول الله ﷺ: «كلهم من هذه الأمة»[(١)].

وقال عقبة بن صهبان: سألت عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية فقالت: كلهم من أهل الجنة، السابق مضى على عهد رسول الله ﷺ فشهد له بالجنة والرزق، والمقتصد من اتبع أثره حتى لحق [به][(٢)]، والظالم لنفسه مثلي ومثلك ومن اتبعنا[(٣)].

فَرَضِيَ الله عن أم المؤمنين الصّدّيقة بنت الصّدّيق، كانت تعلم بشهادة الله تعالى لها في قوله تعالى: ﴿أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ [النور:٢٦] أنها من أهل الجنة، ولكن المؤمن يهضم نفسه، ونظيره قول أبيها: «وُلِّيتُكم ولستُ بخيركم».

وقد أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال في هذه الآية: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة»[(٤)].

فإن قيل: لم أَخَّرَ السابق ومن حَقِّهِ أن يكون مُقدَّماً على ذكر الظالم؟

قلت: قد ذكر الثعلبي[(٥)] عنه أجوبة:

= وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ١٦٧ ح٤١٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٤) وعزاه للطبراني والبيهقي في البعث.

(٢) زيادة من الماوردي (٤/ ٤٧٤). وانظر: المصادر التالية.

(٣) أخرجه الطيالسي (١/ ٢٠٩ ح١٤٨٩)، والحاكم (٢/ ٤٦٢ ح٣٥٩٣)، والطبراني في الأوسط (٦/ ١٦٧ ح٦٠٩٤). وذكره الماوردي (٤/ ٤٧٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٤) وعزاه للطيالسي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والحاكم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٣ ح٣٢٢٥).

(٥) تفسير الثعلبي (٨/ ١٠٧).

أحدها: ليكون أقرب إلى الجنات والثواب قبله، وقدَّم الظالم لئلا ييأس من الرحمة، وأَخَّرَ السابق لئلا يعجب بعمله.

وقال جعفر الصادق عليه السلام: بدأ بالظالم إخباراً أنه لا يتقرب إليه إلا بصرف كرمه، ثم ثنّى عنه بالمقتصد؛ لأنه بين الخوف والرجاء، ثم خَتَمَ بالسابق لئلا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الإخلاص[١].

وقال الزمخشري[٢]: قدَّم الظالم للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل.

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى توريث الكتاب. وقيل: إلى السبق بالخيرات، ﴿هو الفضل الكبير﴾.

جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾

قال الزمخشري[٣]: إن قلت: فكيف جعلت «جناتُ عدن» بدلاً من «الفضل الكبير»، الذي هو السبق بالخيرات المشار إليه بذلك؟

قلتُ: لما كان السبب في نيل الثواب، نزل منزلة المسبب، كأنه هو الثواب،

---

(١) ذكره القرطبي (١٤/ ٣٤٩-٣٥٠)، والبغوي (٣/ ٥٧٢).

(٢) الكشاف (٣/ ٦٢٣).

(٣) الكشاف (٣/ ٦٢٢-٦٢٣).

فأبدلت عنه جنات عدن، وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر.

وقرئ: «جنة عدن» على الإفراد[١]، كأنها جنة مخصوصة بالسابقين. و«جناتَ عدنٍ» بالنصب[٢] على إضمار فعل يفسره الظاهر، أي: يدخلون جنات عدن يدخلونها. هذا آخر كلام الزمخشري.

وقال مقاتل[٣]: يعني: الأصناف الثلاثة.

وقرأ أبو عمرو: «يُدْخَلُونَهَا» بضم الياء وفتح الخاء؛ لأن الله تعالى هو الذي يُدخلهم. وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الخاء[٤]؛ لأنهم إذا أدخلهم الله دخلوها.

والآية مفسرة في سورة الحج[٥].

ولما استقرت بهم الدار وتخلصوا من تلك الشدائد قالوا: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ [قال][٦] ابن عباس: هو خوف النار[٧].

---

(١) وهي قراءة زر بن حبيش والزهري. انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٢٩٩)، والدر المصون (٥/ ٤٦٩).

(٢) وهي قراءة الجحدري. انظر هذه القراءة في المصدرين السابقين.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٧٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٢-٥٩٣)، والكشف (٢/ ٢١١)، والنشر (٢/ ٣٥٢)، والإتحاف (ص:٣٦٢).

(٥) عند الآية رقم: ٢٣.

(٦) في الأصل: وقال.

(٧) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٣)، والحاكم (٢/ ٤٦٣ ح٣٥٩٥) كلهم بلفظ: حزن النار. وذكره الماوردي (٤/ ٤٧٥)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

وقال قتادة: هموم الدنيا وتعبها[١].

وقال سعيد بن جبير: هَمّ الخبز في الدنيا[٢].

وقال الزجاج[٣]: أذهب الله تعالى عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو معاد.

﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ غفر سيئاتهم وشكر حسناتهم.

﴿الذي أَحَلَّنَا دار المقامة من فضله﴾ قال مقاتل[٤]: أنزلنا دار الخلود فأقاموا فيها أبداً لا يحزنون ولا يتحولون عنها أبداً.

﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ قال قتادة: وَجَع[٥].

وقال غيره: تَعَب.

﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ وهو الإعياء من التعب.

قال الزمخشري[٦]: النَّصَب: نفس المشقة والكلفة. واللُّغوب: نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٣٩) بمعناه. وذكره الماوردي (٤/ ٤٧٥).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٩٢) ثم قال: ومن القبيح تخصيص هذا الحزن بالخبز وما يشبهه، وإنما حزنوا على ذنوبهم وما يوجبه الخوف.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٧٠).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٧٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٠) وعزاه لابن جرير.

(٦) الكشاف (٣/ ٦٢٤).

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿فيموتوا﴾ جواب النفي، ونصبه بإضمار «أَنْ».

وقرىء: «فيموتون» عطف على «يُقْضَى»[(١)]، وإدخالاً له في حكم النفي.

قوله تعالى: ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ يَفتعلون من الصراخ، وهو الاستغاثة بجهدٍ وشدة.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ قال عطاء وقتادة ووهب: يريد: ثماني عشرة سنة[(٢)].

وقال الحسن: أربعين سنة[(٣)].

أنبأنا أبو اليمن زيد بن حسن الكندي وغيره قالوا: أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي، أخبرنا أبو محمد بن علي المقرئ، أخبرنا أحمد بن محمد بن

---

(١) وهي قراءة الحسن وعيسى. انظر هذه القراءة في البحر (٧/ ٣٠١)، والدر المصون (٥/ ٤٧٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٥). وذكره الماوردي (٤/ ٤٧٦) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٩٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣١-٣٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣١) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم. وهو اختيار ابن جرير؛ قال: لأن في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه، وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله في حال الأربعين (انظر: تفسير الطبري ٢٢/ ١٤٢).

الصلت، حدثنا أحمد بن جعفر المنادي، حدثنا حامد بن محمد[١]، حدثنا سريج بن يونس[٢]، حدثنا علي بن ثابت، عن عمرو بن شهر، عن أبي سنان، عن عمرو بن مرة، عن شهر، عن عبادة بن الصامت قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: إن الله عز وجل أمر الحافظين فقال لهما: ارفقا بعبدي في حداثته، حتى إذا بلغ الأربعين [فاحفظا][٣] وحققا»[٤].

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد عن مسروق قال: «إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله»[٥].

وقال عمر بن عبد العزيز: لقد تمت حجة الله على من بلغ أربعين سنة فمات لها[٦].

وقال ابن عباس في رواية مجاهد: ستين سنة، قال: وهو العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم[٧].

---

(١) حامد بن محمد بن شعيب بن زهير، أبو العباس البلخي المؤدب، ثقة صدوق، سكن بغداد، ومات يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وثلاثمائة (تاريخ بغداد ٨/ ١٦٩).

(٢) سريج بن يونس بن إبراهيم، أبو الحارث المروروذي، ثقة، سكن بغداد، ومات في ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ومائتين (تاريخ بغداد ٩/ ٢١٩).

(٣) في الأصل: فاحفضا. والتصويب من الحدائق (٣/ ١٦٩)، والدر (٧/ ٤٤٢).

(٤) أخرجه ابن الجوزي في الحدائق (٣/ ١٦٨-١٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٤٢) وعزاه لابن الجوزي في كتاب الحدائق بسند ضعيف.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٤٢٠).

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٣٤-٣٣٥).

(٧) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٤١).

أخبرنا الشيخان أبو القاسم [بن][1] عبدالله بن عبدالصمد، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبدالله البغداديان قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا عبدالسلام بن مطهر[2] قال: حدثنا [عمر بن علي][3]، عن [معن][4] بن محمد الغفاري، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله إلى من أخر أجله حتى بلغه ستين سنة»[5]. انفرد بإخراجه البخاري.

وقال وهب بن منبه: قرأتُ في بعض الكتب: أن منادياً ينادي من السماء الرابعة كل صباح: يا أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده، أبناء الخمسين ما قدّمتم وماذا أخّرتم، أبناء الستين لا عذر لكم، ليت الخلق لم يخلقوا، وإذ خلقوا علموا لماذا خلقوا، قد أتتكم الساعة فخذوا حذركم[6].

---

(١) زيادة على الأصل. وانظر ترجمته في: التقييد (١/ ١٤٦)، والسير (٢٢/ ٨٤).

(٢) عبد السلام بن مطهر بن حسام الأزدي، أبو ظفر البصري، صدوق، مات سنة أربع وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٦/ ٢٨٩، والتقريب ص:٣٥٥).

(٣) في الأصل: علي بن عمر. وهو خطأ. انظر ترجمته في: التهذيب (٧/ ٤٢٧)، وتهذيب الكمال (٢١/ ٤٧٠-٤٧٣).

(٤) في الأصل: محمد. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: التقريب (ص:٥٤٢)، وتهذيب الكمال (٢٨/ ٣٤١).

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٦٠ ح٦٠٥٦).

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٣). وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ١٥٧)، وأبو الفرج بن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٥٥٢) وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول.

قوله تعالى: ﴿وجاءكم النذير﴾ قال جمهور المفسرين: هو النبي ﷺ[١]. ويؤيده قراءة من قرأ: «جاءتكم النُّذُر».

وقيل: الحمى. وقيل: موت الأهل والأقارب[٢].

وفي حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «الأمراض والأوجاع كلها بريد ملك الموت ورسل الموت، فإذا جاء الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال: يا أيها العبد! كم خبر بعد خبر، وكم رسول بعد رسول، وكم بريد بعد بريد، أنا الخبر ليس بعدي خبر، وأنا الرسول ليس بعدي رسول، أجب ربك طائعاً أو مكرهاً، فإذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال: على من يصرخون؟ وعلى من يبكون؟ فوالله ما ظلمتُ له أجلاً، ولا أكلتُ له رزقاً، بل دعاهُ ربّه، فليبْكِ الباكي على نفسه، فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقي منكم أحداً»[٣].

وقال ابن [عمر][٤] وعكرمة وسفيان بن عيينة: النّذير: الشّيب[٥].

المعنى: أو لم نعمركم حتى شبتم.

أخبرنا عبد العزيز بن منينا، أخبرنا أبو بكر بن عبدالباقي الأنصاري، أخبرنا

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٣٢) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي. ومن طريق آخر عن ابن زيد وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) ذكر هذين القولين: الماوردي في تفسيره (٤/ ٤٧٦).

(٣) لم يسنده المصنف، وروي نحوه في الجامع الصغير (٢/ ٨٥٤) وهو حديث ضعيف.

(٤) زيادة من زاد المسير (٦/ ٤٩٤).

(٥) أخرجه البيهقي في سننه (٣/ ٣٧٠ ح٦٣١٣) عن ابن عباس، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٥) عن عكرمة. وذكره الطبري (٢٢/ ١٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٩٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٣٢) وعزاه لابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن عكرمة.

الخطيب أبو بكر بن ثابت، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد النيسابوري، أخبرنا محمد بن عبدالله بن شاذان الرازي قال: سمعت أبا عبدالله القرشي يقول: كان لي جار شاب وكان أديباً، وكان يهوى غلاماً أديباً، فنظر يوماً إلى طاقات شعر بيض في عارضيه، فوقع له شيء من الحق، فهجر الغلام وقلاه، فلما نظر الغلام إلى هجره كتب إليه:

مالي جُفيتُ وكنتُ لا أُجْفَى ودلائلُ الهجران ما تَخفى

وأراكَ تشربُني وتمزُجُني ولقد عهدتُك شاربي صَرْفا

قال: فقلبت الرقعة على ظهرها وكتبت:

التَّصابي مع الشَّمط سمتني خطةً شَطَط

لا تلمني على جَفايَ فحسبي بها فرط

أنا رهن بما جنيتُ فذرني من الغَلَط

قد رأينا أبا الخلائق في زلَّةٍ هَبَط[1]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٣٩﴾﴾

وما بعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ الخلائف: جمع خليفة، والخليفة والخليف: المستخْلَف، وهو التالي للمتقدم،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في كتاب ذم الهوى (ص:٢٦٩).

ولذلك قيل لأبي بكر: خليفة الله، فقال: لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله ﷺ.

قال بعض السلف: إنما يستخلف من يغيب أو يموت، والله تعالى لا يغيب ولا يموت[1].

والمعنى: أنه جعلكم خلفاء في الأرض وسلّطكم على ما فيها وملّككم مقاليد التصرف لتوحدوه وتعبدوه.

﴿فمن كفر﴾ منكم أو غمط هذه النعمة ﴿فعليه كفره﴾ أي: وبال كفره.

فعلى هذا: الخطاب لعموم بني آدم.

وقيل: الخطاب للذين بعث إليهم محمد ﷺ.

أي: خلقكم خلائف خلفتم من قبلكم من الأمم، ورأيتم وسمعتم آثار غضبي عليهم حين كفروا بوحدانيتي وعصوا رسلي.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿أَرُوني﴾ بدل من «أرأيتم»[2]؛ لأن معنى أرأيتم: أخبروني عن

---

(١) ذكره الماوردي (٤/ ٤٧٧).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦٢٦). وردّه أبو حيان في البحر (٧/ ٣٠٢) فقال: لا يصح؛

هؤلاء الشركاء أروني ما خلقوا من الأرض دوني.

﴿أم لهم شرك﴾ أي: شركة ﴿في﴾ خلق ﴿السماوات أم آتيناهم كتاباً﴾ فجاؤكم به من عندي ينطق بأنهم شركائي.

وجمهور المفسرين على أنّ الضمير في «آتيناهم» للمشركين؛ كقوله تعالى: ﴿أم أنزلنا عليهم سلطاناً﴾ [الروم:٣٥].

قال مقاتل(١): المعنى: هل أعطينا أهل مكة ﴿فهم على بينة منه﴾ [بأن مع الله عز وجل شريكاً من الملائكة](٢).

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم والكسائي: «بيناتٍ» على الجمع(٣).

ثم استأنف فقال: ﴿بلْ إنْ يَعِدُ الظالمون بعضهم﴾ وهم الرؤساء ﴿بعضاً﴾ وهم الأتباع ﴿إلا غروراً﴾ وهو قولهم: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ [يونس:١٨].

قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا﴾ قال الزمخشري(٤): أي: كراهة أن تَزُولا، أو يكون المعنى: يمنعهما أن تزولا؛ لأن الإمساك منع.

﴿ولئن زالتا﴾ وقرئ: «ولو زالتا». و﴿إن أمسكهما﴾ جواب القسم في «ولئن زالتا» سدّ مسد الجوابين(٥)، و«من» الأولى مزيدة لتأكيد النفي، والثانية للابتداء.

= لأنه إذا أبدل مما دخل عليه الاستفهام فلا بد من دخول الأداة على البدل.

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٧٩).

(٢) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠١-٣٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٤)، والكشف (٢/ ٢١١)، والنشر (٢/ ٣٥٢)، والإتحاف (ص:٣٦٢)، والسبعة (ص:٥٣٥).

(٤) الكشاف (٣/ ٦٢٦).

(٥) قوله: «سَدَّ مَسَدَّ الجوابين»، أي: أنه دلَّ على جواب الشرط المحذوف.

=

و﴿من بعده﴾ من بعد إمساكه.

﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ غير معاجل بالعقوبة، حيث يمسكهما، وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدّاً، لعظم كلمة الشرك، كما قال الله تعالى: ﴿تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض﴾ [مريم:٩٠].

وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

= قال أبو حيان في البحر (٧/ ٣٠٣): وكلامه إن أُخذ كلامه على ظاهره لم يصح؛ لأنه لو سَدّ مسدّهما لكان له موضع من الإعراب باعتبار جواب الشرط، ولا موضع له من الإعراب باعتبار جواب القسم. والشيء الواحد لا يكون معمولاً غير معمول.

قلت: قصد أبو حيان أن جملة «إن أمسكهما» إن جعلت سادّة مسدّ الجوابين كانت معمولة، إن هي في محل جزم باعتبارها جواب الشرط، وغير معمولة لأنه لا محل لها باعتبارها جواب القسم.

وانظر في سد الجملة مسدّ جوابي الشرط والقسم: الأشموني (٤/ ٢٩).

قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله﴾ يعني: كفار مكة حلفوا بالله قبل أن يرسل الله تعالى محمداً ﷺ حين سمعوا ما قوبل به أهل الكتاب من اللعنة والعذاب، ﴿لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾ يعني: اليهود والنصارى وغيرهم. ﴿فلما جاءهم نذير﴾ وهو محمد ﷺ ﴿ما زادهم﴾ مجيئه ﴿إلا نفوراً﴾ عن الهدي.

وهذا من الإسناد المجازي؛ لأنه كان السبب في أن زادوا أنفسهم نفوراً.

﴿استكباراً في الأرض﴾ مصدر، أو بدل من «نُفُوراً»، أو مفعول له، أو حال بمعنى: مستكبرين وماكرين(١).

قيل: «ومَكْرَ السيء» معطوف على «نُفُوراً»(٢)، ومكر السيء سبق القول عليه.

وقيل: هو من باب إضافة الاسم إلى صفته؛ كقوله تعالى: ﴿والدار الآخرة﴾ [الأعراف:١٦٩]، ﴿لحق اليقين﴾ [الحاقة:٥١].

قرأ حمزة: «السَّيْء» بسكون الهمزة، وقلبها في الوقف ياء(٣).

قال أبو علي(٤): هو على إجراء الوصل مجرى الوقف، ويحتمل أنه خفف آخر الاسم لاجتماع الكسرتين والياءين، كما خففوا الباء من «إبل» لتوالي الكسرتين.

﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ قال ابن عباس: عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك(٥).

---

(١) انظر: البحر (٧/ ٣٠٥)، والدر المصون (٥/ ٤٧٣).

(٢) مثل السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٤)، والكشف (٢/ ٢١٢)، والنشر (٢/ ٣٥٢)، والإتحاف (ص:٣٦٢)، والسبعة (ص:٥٣٥-٥٣٦).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٣).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٩٨).

=

﴿فهل ينظرون إلا سُنّة الأولين﴾ أي: فهل ينتظرون إلا نزول العذاب بهم كما نزل بالأمم المكذبة قبلهم. وجعل استقبالهم لذلك انتظاراً له منهم.

ثم أخبر أن ذلك كائن لا محالة فقال تعالى: ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿فإن الله كان بعباده بصيراً﴾ قال ابن جرير[1]: بصير بمن يستحق العقوبة منهم ومن يستحق الكرامة[2].

= فائدة: قال أبو حيان في البحر (٧/ ٣٠٥): قال أبو عبد الله الرازي: فإن قلت: كثيراً نرى الماكر يفيده مكره ويغلب خصمه بالمكر، والآية تدل على عدم ذلك؟

فالجواب من وجوه:

أحدها: أن المكر في الآية هو المكر بالرسول، من العزم على القتل والإخراج، ولا يحيق إلا بهم حيث قتلوا ببدر.

وثانيها: أنه عام؛ وهو الأصح، فإنه عليه السلام نهى عن المكر وقال: «لا تمكروا ولا تعينوا ماكراً، فإنه تعالى يقول: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾، فعلى هذا يكون ذلك الممكور به أهلاً فلا يرد نقضاً.

وثالثها: أن الأمور بعواقبها، ومن مكر به غيره ونفذ فيه المكر عاجلاً في الظاهر، ففي الحقيقة هو الفائز، والماكر هو الهالك. انتهى.

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٢/ ١٤٨).

(٢) في الأصل: آخر الجزء الثالث. يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع من أول سورة يس إلى آخر القرآن.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين وهو حسبي ونعم الوكيل.

سورة يس

وهي اثنان وثمانون آية في المدني، وثلاث في الكوفي.

وهي مكية في قول..[1] وعامة المفسرين. وقيل: مدنية وليس بصحيح. واستثنى .. وهي قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾ .. واستثنى ابن عباس آية أخرى لم أرها في التفاسير، وهي قوله تعالى: ﴿إنا نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ فإنها مدنية .. إن شاء الله تعالى.

أخبرنا أبو المجد محمد بن محمد بن أبي بكر البناني، أخبرنا الشيخان أبو المحاسن عبد الرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه المطهر بن عبد الكريم بن محمد قالا: أخبرنا عبدالرحمن [بن][2] حمد الدوني، أخبرنا أبو نصر أحمد الكسار، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني، أخبرنا عبدالله بن أحمد [بن][3] عبدان، حدثنا زيد بن الحريش[4]، حدثنا الأغلب بن تميم[5]، عن أيوب ويونس

---

(١) تعرضت اللوحة الأولى والثانية من المخطوط لرطوبة مما تسبب عنه تآكل أطراف اللوحتين، وقد وضعنا نقطتين اثنتين مكان التآكل.

(٢) زيادة على الأصل.

(٣) زيادة من عمل اليوم والليلة (ص:٣١٨).

(٤) زيد بن الحريش الأهوازي، يروى عن عمران بن عيينة، ثنا عنه عبد الله بن أحمد بن موسى القاضي عبدان، ربما أخطأ (الثقات ٨/ ٢٥١).

(٥) أغلب بن تميم بن النعمان سنان، أبو حفص. حدّث عن سليمان التيمي، قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء (لسان الميزان ١/ ٤٦٤).

وهشام، عن الحسن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ يس في يوم وليلة ابتغاء وجه الله عز وجل غفر الله له»[١].

وأخرج الإمام أحمد في المسند من حديث معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً، واستخرجت ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ من تحت العرش فوصلت بها، أو فوصلت بسورة البقرة، ويس قلب القرآن، لا يقرؤها رجل يريد الله عز وجل والدار الآخرة إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم»[٢].

وقال يحيى بن أبي كثير: .. من قرأ يس حين يصبح لم يزل في فرج الله حتى يمسي، ومن قرأها حين يمسي لم يزل في فرج [الله][٣] حتى يصبح.

وقد حدثني من جربها ..

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٧﴾

قال الله تعالى: ﴿يس﴾ اختلف القُرّاء فيها؛ فقرأ السبعة والأكثرون «يس» على الوقف.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٢١ ح٣٥٠٩)، والصغير (١/ ٢٥٥ ح٤١٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣١٨).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦).

(٣) زيادة على الأصل.

وقرأ أبو المتوكل وأبو رجاء: بفتح النون[١].

وقرأ الحسن وأبو الجوزاء وأبو السَّمَّال: بكسر النون[٢].

وقرأ ابن عباس بالرفع وقال: هي بلغة طيء: يا إنسان[٣].

وقد ذكرنا وجه قراءة ..

وأما الفتح فإما أن يكون كأين وكيف، أو يكون مفعولاً على معنى: اتْلُ ياسين.

وأما الرفع فعلى معنى: هذه ياسينُ .. الكسر والتقاء الساكنين.

واختلف القراء .. وابن كثير .. على النون.

واختلف المفسرون .. أقوال:

أحدها: يا إنسان. قاله ابن عباس[٤] .. أن يكون .. اقتصروا على ..

الثاني: أنه اسم من أسماء الله أقسم الله تعالى به. رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٥].

الثالث: أنه اسم من أسماء القرآن. قاله قتادة[٦].

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٧٤).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (٣٦٣). وانظر: زاد المسير (٧/ ٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٤٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤١) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) مثل السابق.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٤٨). وذكره الماوردي (٥/ ٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣).

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٤٨). وذكره الماوردي (٥/ ٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤).

الرابع: أنه اسم من أسماء النبي ﷺ. قاله محمد بن الحنفية وسعيد بن جبير[١].

وأنشدوا للسيد الحميري:

يا نفسُ لا تَمْحَضِي بالنصح مُجتهداً   على المودَّة إلا آل ياسينا[٢]

ثم أقسم بالقرآن الحكيم .. فقال تعالى: ﴿والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين﴾ وهذا تكذيب لهم في قولهم: .. ﴿على صراط مستقيم﴾ خبر بعد خبر، أو صلة «للمرسلين»[٣].

قوله: ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ قرأ .. وأهل الكوفة: «تنزيل»، والباقون بالرفع[٤].

فمن فتح فعلى معنى ..، ومن رفع فعلى: هذا تنزيل.

وقرئ شاذاً: .. بالقرآن.

قوله تعالى: ﴿لتنذر﴾ .. إنك لمن المرسلين، ﴿قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ .. في قول .. العلماء ويؤيده قوله تعالى: ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾، وقوله: ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ فيكون وصفاً أي: .. فهم غافلون لعدم إنذارهم.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٥) من قول محمد بن الحنفية، والسيوطي في الدر (٧/ ٤١) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن محمد بن الحنفية.

(٢) البيت للسيد الحميري. وهو في: البحر (٧/ ٣١٠)، والقرطبي (١٥/ ٤)، وروح المعاني (٢٢/ ٢١١).

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٥-٥٩٦)، والكشف (٢/ ٢١٤)، والنشر (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٣٦٣)، والسبعة (ص:٥٣٩).

وقيل: .. مثل إنذار آباءهم. وقيل: موصولة منصوبة ..

قال السدي: وجب العذاب(١).

وقال الضحاك: سبق القول بكفرهم(٢).

﴿على أكثرهم﴾ .. عن إرادة الله تعالى ..

إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

﴿في أعناقهم﴾ .. وإنما حصل تصميمهم على .. نسيانهم عن الإنفاق من ..

﴿فهي إلى الأذقان﴾ ..

والإنفاق عليها. قاله الفراء والزجاج.

قال .. يؤيد والله أعلم أن الأيدي غلت إلى الأعناق .. لوجود الأذقان ..

الزمخشري أن يكون، فهي كناية عن الأيدي محتجاً .. ابن عباس: «إنا جعلنا في

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٦) عن السدي، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٠٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٥) كلاهما بلا نسبة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٨). وذكره الماوردي (٥/ ٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٥) بلا نسبة، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

أيديهم».

وقراءة ابن مسعود: «في أيمانهم» وقال: فهي يعني الأغلال والله إلى الأذقان .. إليها .. مقمحون.

قال الفراء والزجاج[١]: المُقْمَح: الغاضّ بصره بعد رفع رأسه. يقال: أقْمَحَ البعير رأسه وقَمَحَ؛ إذا رفعه ولم يشرب الماء[٢]، وأنشدوا لشاعر يذكر سفينة كانوا فيها:

ونحنُ على جوانبها قُعودٌ   نغُضُّ الطَّرْف كالإبل القِمَاح[٣]

قال الأزهري[٤]: أراد الله تعالى أن أيديهم لما غُلَّتْ عند أعناقهم رَفَعَتِ الأغلالُ أذقانهم ورؤوسهم صُعُداً، فهم مرفوعوا الرؤوس برفع الأغلال إياها.

قوله تعالى: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص: «سَدّاً» بفتح السين في الحرفين، وضمَّها الباقون[٥]. وقد أشرنا إلى الفرق بينهما في الكهف[٦].

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٧٣)، والزجاج (٤/ ٢٧٩).

(٢) انظر: اللسان، مادة: (قمح).

(٣) البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي. انظر: ديوانه (ص:٤٨)، والبحر المحيط (٧/ ٣١١)، واللسان، مادة: (قمح)، ومجاز القرآن (٢/ ١٥٧)، وتهذيب اللغة (٤/ ٨١)، والدر المصون (٥/ ٤٧٦)، وزاد المسير (٧/ ٤٤)، وروح المعاني (٢٢/ ٢١٤).

(٤) تهذيب اللغة (٤/ ٨٢).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٦)، والكشف (٢/ ٢١٤)، والنشر (٢/ ٣١٥)، والإتحاف (ص:٢٩٥)، والسبعة (ص:٥٣٩).

(٦) آية رقم: ٩٤.

وفي معنى الكلام وجهان:

أحدهما: منعناهم بموانع سَدَّتْ عليهم مسالك الهدى.

الثاني: سددنا عليهم طريق الوصول إلى الرسول حين مكروا به وأجمعوا على قتله ﷺ. وهذا معنى قول السدي[١].

﴿فأغشيناهم﴾ أي: أغشينا بصائرهم بالأكنّة الصادرة لها من النظر إلى الهدى. وهذا على الوجه الأول.

وقال السدي: فأغشينا أبصارهم بظلمة الليل فهم لا يبصرون النبي ﷺ[٢].

يشير إلى أنهم أرادوا اغتياله ليلاً فحالت الظلمة بينهم وبينه.

وقرأ ابن عباس وعكرمة وقتادة والحسن وسعيد بن جبير: «فأعشيناهم» بالعين المهملة[٣]، من عَشِيَ يَعْشَى؛ إذا ضَعُفَ بصرُه[٤].

والآية .. هذه إخبار بأن الإنذار وعدمه سيان بالنسبة إليهم حيث أغشيت أبصارهم وشدت عليهم .. الإيمان.

وقد ثبت بطرق صحيحة[٥]: أن عمر بن عبد العزيز دعا غيلان القدري فقال: يا غيلان! بلغني أنك تتكلم في القدر؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنهم يكذبون عليّ، فقال: يا غيلان، اقرأ أول سورة يس، فقرأ: ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ إلى قوله تعالى:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٩). وذكره الماوردي (٥/ ٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) مثل السابق.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٣). وانظر: زاد المسير (٧/ ٨).

(٤) انظر: اللسان، مادة: (عشا).

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ١٢٢).

﴿وسواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ فقال غيلان: والله يا أمير المؤمنين لكأني ما قرأتها قط قبل اليوم، أشهدك يا أمير المؤمنين أني تائب مما كنت أقول في القدر، فقال عمر بن عبد العزيز: اللهم إن كان صادقاً فتُب عليه وثبِّتْه، وإن كان كاذباً [فسلّط عليه من](١) لا يرحمه واجعله آية [للمؤمنين. قال: فأخذه](٢) هشام فقطع يديه ورجليه.

قال ابن عون: أنا رأيته مصلوباً على باب دمشق.

فإن قيل: .. الزهري وابن محيصن: أنذرتهم .. ينبغي أن .. الاستفهام آية .. الكميت:

طربْتُ وما شَوقاً إلى البيض أطْرَبُ ولا لَعِباً مني وذو الشيْب يلعبُ(٣)

معناه: أو ذو الشيب يلعب.

ويدل على .. الخبر لقال: أو لم تنذرهم.

فإن قيل: أم هذا .. وكقولهم .. قيل: إن قدرت ذلك نفي ذلك.

قوله تعالى: ﴿سواء عليهم﴾ .. لا ثاني له .. خبر سواء اثنان فقد علمته بهذا أن قول .. مجاهد على الخبر لا وجه له.

قال الزجاج(٤): إن من أضله الله تعالى هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار.

---

(١) غير ظاهر في الأصل. والمثبت من تفسير الثعلبي (٨/ ١٢٢).

(٢) غير ظاهر في الأصل. والمثبت من تفسير الثعلبي، الموضع السابق.

(٣) البيت لكميت، وهو في: الخصائص لابن جني (٢/ ٢٨١)، ومغني اللبيب (ص:٢٠)، والأغاني (١٧/ ٣٠).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٠).

إنما ينفع الإنذار من ذكر في قوله تعالى: ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾ يعني: القرآن، ﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ خاف الله تعالى في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿إنا نحن نحيي الموتى﴾ أي: نحييهم بالإيمان بعد الكفر. قاله الضحاك[١].

وقال غيره: .. جهنم للجنة.

﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ ما عملوا من خير أو شر.

و«آثارهم» قال سعيد بن جبير: ما أثروا من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها من بعدهم[٢].

وقال مجاهد: «آثارهم»: خطاهم إلى المساجد[٣].

أخرج الإمام أحمد في الزهد بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال: «كانت الأنصار منازلهم بعيدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا فيكونوا قريباً من المسجد، فنزلت ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾، فقالوا: لا بل نثبت في مكاننا»[٤].

.. أن هذه الآية مدنية.

وفي أفراد مسلم من حديث جابر قال: «خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: إنه بلغني

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٩).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٥٣-١٥٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٠). وذكره الماوردي (٥/ ٩)، والسيوطي في الدر (٧/ ٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد. وقد أخرجه ابن ماجه (١/ ٢٥٨ ح٧٨٥).

أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك، فقال: يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم»[١].

وفي رواية أخرى: «إن لكم بكل خطوة درجة»[٢].

قوله تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه﴾ .. بيَّناه وحفظناه ﴿في إمام مبين﴾ وهو اللوح المحفوظ.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٦٢ ح٦٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٤٦١ ح٦٦٤).

قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية﴾، قال الزجاج[١]: «مَثَلاً» مفعول به[٢]، ومعنى قول الناس: عندي من هذا الضَّرْب شيء كثير، أي: من هذا المثال، وتقول: هذه الأشياء على ضَرْب واحد، أي: على مثال واحد، فمعنى اضْرِبْ لهم مثلاً: مَثِّل لهم مَثَلاً.

والقرية: أنطاكية، وأصحابها: أهلها الثَّاوونَ بها.

و «إذ» بدل من «أصحاب القرية»[٣].

و«المرسلون» رُسُل عيسى عليه السلام، في قول قتادة وابن جريج[٤].

وقال كعب ووهب: هم رسل الله تعالى[٥]، وهو ظاهر القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾.

قال ابن عباس: اسمهما: صادق وصدوق[٦].

وقيل: شمعون ويوحنا[٧].

---

(١) معاني القرآن الزجاج (٤/ ٢٨١).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٢)، والدر المصون (١/ ١٦٣).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ١١١)، والدر المصون (٤/ ٤٩٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩١) كلاهما عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٤٩) وعزاه لابن المنذر عن ابن جريج.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٥٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٥٦) وفيه: صادق ومصدوق. وذكره الماوردي (٥/ ١٠).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٢) عن شعيب الجبائي. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٠) وعزاه لابن أبي حاتم عن شعيب الجبائي.

قال ابن عباس: فضربوهما وسحبوهما[١].

﴿فعزَّزْنا بثالث﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: «فَعَزَزْنا» بالتخفيف[٢]، أي: فقوَّيْنا [وشددنا][٣] الرسالة برسول ثالث.

قال ابن عباس: واسمه: [شلوم][٤].

وقال غيره: يونس[٥].

وقيل: شمعون الصفا[٦].

وكان ملك أنطاكية أحد الفراعنة، وكان يعبد الأصنام، فبعث عيسى ﷺ إليهم بإذن الله عز وجل رجلين من الحواريين، فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنماً له، وهو حبيب بن إسرائيل النجار صاحب يس، فسلَّما عليه، فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ فقالا: رسولا عيسى يدعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال: معكما آية؟ فقالا: نعم، نشفي المرضى ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، فقال الشيخ: إن لي ابناً مريضاً منذ سنين، قالا: فانطلق بنا إلى منزلك نطلع حاله، فأتى

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١١) وفيه: فضربوهما وسجنوهما.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٧)، والكشف (٢/ ٢١٤)، والنشر (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٣٦٣)، والسبعة (ص:٥٣٩).

(٣) في الأصل: وشدنا.

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٥٦) وفيه: سلوم. وذكره الماوردي (٥/ ١٠). وما بين المعكوفين في الأصل: شلوه. والتصويب من الماوردي.

(٥) هو قول شعيب الجبائي. ذكره الماوردي (٥/ ١٠).

(٦) ذكره القرطبي (١٥/ ١٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١١) عن مقاتل، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٠).

بهما إلى منزله، فمسحا ابنه فقام في الوقت صحيحاً بإذن الله تعالى، وفشى خبرهما في المدينة، فشفى الله تعالى بهما خلقاً كثيراً من المرضى، وآمن حبيب وجعل يعبد ربه متخفياً في غار، فدعا بهما الملك وسمع كلامهما، وأفضى الحال إلى أن ضُربا وحُبسا وكُذِّبا، فبعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفا لينصرهما، فدخل البلدة متلطفاً[1] حتى دخل على الملك، فلما أنس به قال له: أيها الملك! بلغني أنك حبست رجلين وضربتهما حين دعوك إلى دينهما، فإن رأى الملك أن يتطلع ما عندهما، فدعاهما الملك، فقال لهما شمعون -يقصد استرواح الملك بألطف الطرق-: من أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال: صِفَاهُ لي وأوجزا. قالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال: وما آيتكما؟ فقالا: ما يتمنّاه، فأمر الملك بغلام مطموس العينين فأحضر، فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من الطين فوضعاها في حدقتيه، فصارتا مُقلتين يُبصر فيهما، فعجب الملك، فقال شمعون -رأس الحواريين- للملك: سَلْ إلهك أن يصنع مثل هذا فيكون لك البشرى والملك، فقال له الملك: ليس لي عندك سراً، إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع، ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون يدخل على الصنم مع الملك فيصلي كثيراً ويبكي ويتضرع، حتى ظنوا أنه على ملّتهم، فقال الملك للرسولين: إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به، فقالا: إن إلهنا قادر على كل شيء، فقال الملك: إن هاهنا ميتاً مات منذ سبعة أيام ابن دُهْقَان[2]، وقد أَخَّرْتُ دفنه حتى يقدم أبوه، وكان غائباً، فجاؤوا بالميت وقد تغير، فجعلا يدعوان ربهما،

---

(١) أي: متخفياً ومتنكراً.

(٢) الدُّهْقَان: التاجر، فارسي معرّب.

وجعل شمعون يدعو ربه سراً، فقام الميت فقال: اللهم إني قد متّ منذ سبعة أيام، فوجدت مشركاً، وأدخلت في سبعة أودية من نار، وأنا أُحذِّرُكم مما أنتم فيه فآمنوا، ثم قال: فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة، وأشار إلى شمعون وصاحبيه، فتعجب الملك، فلما علم شمعون الصفا أن [قوله][1] قد أثَّر في قلب الملك أخبره بالحال، فآمن قوم فيهم الملك وكَفَرَ آخرون[2].

وقال ابن إسحاق عن كعب ووهب: بل كَفَرَ الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم، فذكَّرَهم ودعاهم إلى طاعة المرسلين، فقالوا له: وأنت تخالف ديننا ومؤمن بإله هؤلاء، فقال: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ إلى قوله: ﴿فاسمعون﴾، فلما قال لهم ذلك وثبوا إليه وثبة رجل واحد فقتلوه[3].

قال عبدالله بن مسعود: وطئوه بأرجلهم حتى خرجت قُصبه[4] من دبره[5].

وقال السدي: رمُوه بالحجارة حتى قطعوه[6].

وقال الحسن: خرقوا خرقاً في حلقه وعلقوه في سور المدينة، وقبره بسوق أنطاكية[7]، فأوجب الله تعالى له الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿قيل ادخل الجنة﴾.

---

(١) زيادة من البغوي (٤/ ٨).

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٧-٩).

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٩، ١٠). وأخرج الطرف الأخير منه: الطبري (٢٢/ ١٦١).

(٤) القُصب: المِعَى. وقيل: هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء (اللسان، مادة: قصب).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٦١). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٢).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٣).

(٧) ذكره القرطبي (١٥/ ١٩)، وأبو حيان في البحر (٧/ ٣١٦)، ولفظهم: حرقوه حرقاً، وعلقوه في

وجميع ما أسقطت تفسيره هاهنا إما لظهوره، أو لكونه سابقاً. وفي غضون ذلك مواضع أذكرها سؤالاً وجواباً، وهي:

إن قيل: ما معنى قولهم: ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾، وهل يقوم بذلك حجة عليهم؟

قلتُ: لم يصدر ذلك من الرسول ابتداء، وإنما قالوه بعد إظهار العجز..[1] هذا العنت منهم، فهو كلام خارج مخرج الالتجاء إلى الله تعالى والتفويض إليه، وشواهده كثيرة في القرآن، وقرأت منه قوله تعالى: ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً﴾ [العنكبوت:٥٢]، أو هو في معنى التوكيد والتحقيق.

فإن قيل: ما معنى: ﴿طائركم معكم﴾؟

قلتُ: الطائر أنهم كانوا أصيبوا ببلاء فتطيروا بهم، كما تطيروا بموسى عليه السلام فقالوا لهم: ﴿طائركم معكم﴾ أي: شُؤمكم معكم، وهو الكفر، فمنه أُتيتم وبسببه ابتليتم.

قرأ أبو جعفر: «أَأَن ذكرتم» بفتح الهمزة الثانية وتليينها مع الفصل بألف، «ذُكِرْتُم» بالتخفيف، على معنى: من أجل أن ذكرتم، أو لأن ذكرتم تشاءمتم، وقرأ الباقون على أصولهم المعروفة. وقرأ ابن كثير بهمزة واحدة مفتوحة بعدها ياء، ومثله أبو عمرو إلا أنه كان يَمُدّ[2].

= باب المدينة، وقبره في سور أنطاكية.

(١) ثلاث كلمات غير مقروءة في الأصل.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٦)، والنشر (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٣٦٤)، والسبعة (ص:٥٤٠).

قال أبو علي[1]: هي «إِنْ» التي للجزاء، إذ دخلت عليها ألف الاستفهام، فكأنهم قالوا: أئن ذُكِّرتم تشاءمتم! فحذف الجواب لتقدم ما يدلُّ عليه.

وقرئ: «أَنْ ذُكِّرْتُمْ» بفتح الهمزة من غير استفهام على الخبر[2].

فإن قيل: ما وجوه قراءة [أبي][3] جعفر: «ذُكِرْتُم» بالتخفيف؟

قلتُ: معناه: طائركم معكم لئن ذكرتم وروسلتم فلم تؤمنوا.

وقرئ: «أَيْنَ ذُكِرْتُم»، أي: حيث جرى ذكركم[4].

فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ وكان وجه الكلام أن يقول: «وما لكم لا تعبدونَ»؛ لأن مقصوده هم، بدليل قوله: ﴿وإليه ترجعون﴾؟

قلتُ: هذا أدخلُ في النصح وألطفُ في معنى المدارات، حيث لم يُرِدْ لهم إلا ما أراد لنفسه.

فإن قيل: ما وجه قراءة حمزة: «وما لِيْ لا أعبد» بإسكان الياء، وقراءة الباقين بالفتح؟

قلتُ: اعلم أن الأصل في ياء المتكلم إذا انكسر ما قبلها: الحركة؛ لأنها بإزاء كاف المخاطب، فكما فتحت الكاف كذلك تفتح الياء.

فإن قيل: الحركة في حروف اللين مكروهة؟

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٦).

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٣١٤)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٧٨). وهي قراءة قرأ بها الماجشون، وهو يوسف بن يعقوب.

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٣١٤)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٧٨). وهي قراءة أبي جعفر والحسن وقتادة والأعمش والهمذاني.

قلتُ: الفتحة لا تُكره؛ لخفتها، ولذلك اتفقوا على التحريك بها إذا سكن ما قبلها، مثل: بُشرايَ وغُلامايَ وغُلامِيَ. وحجة حمزة ما ذكرناه من كراهتهم الحركة على الياء.

ولأن الياء تشابه الألف، والألف تُسَكَّنُ في الأحوال كلها، فكما أسكنت الألف فيها تسكن الياء، والدليل على شبه الألف قربها منها في المخرج وإبدالهم إياها منها في نحو: طائيّ وحاريّ، في النسب إلى طيّء والحِيرَة، وفي قوله:

لنضربنْ بسَيْفِنَا قَفَيْكَا[1]

فإن قيل: من المخاطب بقوله: ﴿فاسمعون﴾؟

قلتُ: الرسل الثلاثة، يقول لهم: اسمعوا قولي واشهدوا لي بالإيمان، وهذا قول ابن مسعود[2].

وقال وهب: هو خطاب لقومه[3].

---

(١) الرجز لرجل من حمير وتمامه:

يا ابنَ الزبير طَالَ ما عَصَيْكَا وَطَالَ ما عَنَّيْتَنَا إليْكَا

لنضربنْ بسيفِنا قَفَيْكَا

وهو في: خزانة الأدب (٤/ ٤٢٨، ٤٣٠)، واللسان (مادة: قفا)، والمقاصد النحوية (٤/ ٥٩١)، ونوادر أبي زيد (ص:١٠٥)، والحجة للفارسي (١/ ٧٣)، والجنى الداني (ص:٤٦٨)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٢٨٠)، والعين (٥/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٦ ح٣٦٠٥). وذكره الطبري (٢٢/ ١٦٠) بلا نسبة، والماوردي (٥/ ١٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ٥٢) وعزاه للحاكم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٦٠). وذكره الماوردي (٥/ ١٤).

قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

﴿قيل ادخل الجنة﴾ وذلك لما لقي الله تلقاه بالبشرى، وقيل له إكراماً واحتراماً وتنويعاً للراحة بانضمام لذة السماع إلى ما حصل له من النعيم -كما قيل:

ألا فاسْقِني خمراً وقُل لي هيَ الخمرُ .... [1]-:

ادخل الجنة.

قال قتادة: أدخله الله الجنة، فهو فيها حي يرزق[2].

﴿قال يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي﴾ تمنى علم قومه بحالـه رجـاء سعيهم لمثلها.

قال ابن عباس: نصح قومه حياً وميتاً[3].

و«ما» مصدرية. وقيل: موصولة.

والمعنى: بالذي غفره لي ربي.

۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ

(١) صدر بيت، وعجزه: (ولا تسقني سراً إن أمكن الجهر). انظر البيت في: روح المعاني (١٤/ ١٣١، ١٥/ ٣٠٨).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٠)، والزمخشري في الكشاف (٤/ ١٣).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٤).

أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده﴾ أي: على قوم حبيب من بعد قتله ﴿من جُنْدٍ من السماء﴾ يعني: الملائكة.

قال مجاهد: المعنى: ما أنزلنا عليهم رسالة[1].

وقال الحسن: الملائكة الذين ينزلون بالوحي[2].

والذي اعتمده المتأخرون من المفسرين: أن هذا إخبار من الله تعالى، لم يهلكهم بملائكة أنزلهم لإهلاكهم؛ إشعاراً بعظيم قدرته [وشدته][3] وقوته، وإعلاماً أنه لم يحتج في إهلاك أمة عظيمة ومدينة منيعة إلى أعوان وأنصار، بل أرسل إليهم مَلَكاً من ملائكته وهو جبريل عليه السلام، فأخذ بعضادتي باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون هامدون كالنار إذا طفئت، ومنه قول لبيد:

وما المرءُ إلا كالشهابِ وضوئِهِ يحورُ رماداً بعد إذ هُوَ سَاطِعُ[4]

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٣٤)، والطبري (٢٣/ ١). وذكره الماوردي (٥/ ١٥).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٥). وهو اختيار الطبري (٢٣/ ٢) قال: وهذا القول أولى بتأويل الآية، وذلك أن الرسالة لا يقال لها: جند، إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك: الرُّسُل، فيكون وجهًا، وإن كان أيضًا من المفهوم بظاهر الآية بعيدًا، وذلك أن الرسل من بني آدم لا ينزلون من السماء. والخبر في ظاهر الآية عنه أنه لم ينزل من السماء بعد مَهْلِك هذا المؤمن على قومه جندًا وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم.

(٣) في الأصل: وشدة.

(٤) البيت للبيد. انظر: ديوانه (ص:١٦٩)، والهمع (١/ ١١٢)، والأشموني (١/ ٢٢٩)، والدر المصون (٦/ ٤٩٨)، والقرطبي (١٩/ ٢٧٣)، وزاد المسير (١/ ٢٢٦، ٦/ ٢٥٠، ٩/ ٦٥)، =

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿وما كنا منزلين﴾؟

قلتُ: قد ذكروا جوابين:

أحدهما: أن المعنى: لم ينتصر منهم بِجندٍ من السماء وما كنا ننزله على الأمم إذا أهلكناهم كالطوفان [والصاعقة][١] والريح. وهذا الذي اعتمده الواحدي[٢].

وليس بشيء.

الثاني: وما كان يصح في حكمنا أن ننزل في إهلاك قوم حبيب جُنْداً من السماء، وذلك لأن الله عز وجل أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض، وما ذلك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً... الآية﴾ [العنكبوت:٤٠]، وهذا كلام صاحب الكشاف[٣]، وهو الجواب.

ويحتمل عندي أن يكون قوله: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء﴾؛ إعلاماً بسرعة انتقام الله تعالى منهم، وأنه لم يمهلهم زماناً ينزل عليهم فيه ملائكة الله الذين هم جنوده والموكَّلون بأهل الأرض ينزلون بأرزاقهم ويعرجون بأعمالهم ويحفظونهم بأمر الله تعالى، إلى غير ذلك، ﴿وما كنا منزلين﴾ مما لا بد للأحياء منه من الرزق والحفظ وغيرهما.

فـ«ما» الثانية على هذا موصولة. ويجوز أن تكون نافية، على معنى: وما كنا

= واللسان وتاج العروس (مادة: حور)، والعين (٣/ ٢٨٧).

(١) في الأصل: والصاعة. والتصويب من الوسيط (٣/ ٥١٢).

(٢) الوسيط (٣/ ٥١٢).

(٣) الكشاف (٤/ ١٥).

فاعلين ذلك وقد فعلوا ما فعلوا[١].

قوله تعالى: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ وقرأ أبو جعفر: «صيحةٌ واحدةٌ» بالرفع[٢].

وقال الزجاج[٣]: من نصب فالمعنى: ما كانت عقوبتهم إلا صيحة واحدة.

ومن رفع فالمعنى: ما وقعت عليهم عقوبة إلا صيحة.

قوله تعالى: ﴿يا حسرةً على العباد﴾ قال ابن عباس: حلّوا محلّ من يتحسر عليهم[٤].

وقال قتادة: المعنى: يا حسرة العباد على أنفسهم[٥].

وقال الزجاج[٦] وغيره من اللغويين وأهل المعاني في معنى نداء الحسرة وما شابهها مما لا يعقل: فيجب المقصود من النداء التنبيه؛ فإذا قلت: يا زيد، فقد نبّهته ثم تحظى به بما تريد، ولو خاطبته من غير نداء لم تبلغ في الفائدة مبلغ الخطاب بعد التنبيه بالنداء، ألا ترى أن قولك: يا عجباً أتفعل كذا، أبلغ من قولك: أنا أعجبُ مما فعلتَ، والمعنى: يا عجباً أقبل، فإنه من أوقاتك، وكذلك ﴿يا ويلتا أألد وأنا عجوز﴾ [هود:٧٢]، و﴿يا حسرتا على ما فرطت﴾ [الزمر:٥٦].

---

(١) انظر: البحر (٧/ ٣١٧)، والدر المصون (٥/ ٤٨٠).

(٢) النشر (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٣٦٤).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٣-٢٨٤).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٥).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٤-٢٨٥).

قال الزمخشري هاهنا[(١)]: هذا نداء للحسرة عليهم، كأنما قيل لها: تعالي يا حسرة، فهذه من أحوالك التي من حقك أن تحضري فيها، وهي حال استهزائهم بالرسل.

والمعنى: أنهم أحقاء بأن يتحسَّر عليهم المُتحسّرون، ويتلهَّفَ على حالهم المُتلهّفون. أو هم متحسّر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين. ويجوز أن يكون من الله تعالى [على][(٢)] سبيل الاستعارة [في][(٣)] معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم [ومحنوها][(٤)] به، وفرط إنكاره له وتعجيبه منه.

وقراءة من قرأ: «[يا حسرتاه][(٥)]» تعضد هذا الوجه؛ لأن المعنى: يا حسرتي.

وقرئ: «يا حسرةَ العبادِ» على الإضافة إليهم لاختصاصها بهم؛ من حيث أنها موجهة إليهم. و«يا حسرة على العباد»، على إجراء الوصل مجرى الوقف[(٦)].

ثم بين سبب حسرتهم بتمام الآية، ثم خوف كفار مكة بالتي بعدها.

قال الزجاج[(٧)]: المعنى: ألم يعتبروا بمن أهلكنا قبلهم من القرون فيخافوا أن يُعجِّل لهم في الدنيا مثل الذي عُجِّل لغيرهم، وأنهم مع ذلك لا يعودون إلى الدنيا أبداً. وموضع «كم» نصبت بـ«أهلكنا»؛ لأن «كم» لا يعمل فيها ما قبلها، خبراً

---

(١) الكشاف (٤/ ١٦).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: على. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: وحنوها. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: يا حسرتا. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) إلى هنا انتهى كلام الزمخشري.

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٥).

كانت أو [استفهاماً][١]، تقول في الخبر: كَمْ فرسخاً سرتَ؟ يريد: فراسخ كثيرة، ولا يجوز: سرتَ كَمْ فرسخاً؟، وذلك أن «كم» في بابها بمنزلة «رُبَّ»، وأن أصلها الاستفهام والإبهام، فكما أنك إذا استفهمت فقلت للمخاطب: كم فرسخاً سرتَ، لم يجز: سرتَ كَمْ فرسخاً؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، وكذلك إذا جُعلت «كم» خبراً، فالإبهام قائم فيها، و«أنهم» بدل من معنى: ﴿ألم يروا كم أهلكنا﴾. والمعنى: ألم يروا أن القرون التي أهلكناها أنهم إليهم لا يرجعون.

ويجوز «إنهم» بالكسر على الاستئناف. [والمعنى][٢]: هم إليهم لا يرجعون. انتهى كلام الزجاج.

والكسر في «إنهم» قراءة الحسن[٣]. وقرأ ابن مسعود: «ألم يروا مَنْ أهلكنا»[٤]، والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال. وفي هذه الآية إبطال لقول أهل الرجعة.

ويروى عن ابن عباس أنه قال حين قيل له: إن قوماً يزعمون [أن][٥] علياً مبعوث قبل يوم القيامة: بئس القوم نحن إذاً، نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه[٦].

قوله تعالى: ﴿وإن كل لما جميع لدينا محضرون﴾ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة:

---

(١) في الأصل: استخباراً. والتصويب من الزجاج (٤/ ٢٨٥).

(٢) في الأصل: المعنى. والتصويب من الزجاج، الموضع السابق.

(٣) ذكر هذه القراءة البناء في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٤).

(٤) ذكر هذه القراءة الزمخشري في: الكشاف (٤/ ١٦).

(٥) زيادة من المصادر التالية.

(٦) أخرجه الطبري (١٤/ ١٠٥) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ [النحل:٣٨]. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

«لمَّا» بالتشديد هنا وفي الطارق[١]، والباقون بالتخفيف[٢].

قال الزجاج[٣]: فمن قرأ بالتخفيف [«لمَا»][٤] فـ«ما» زائدة مؤكدة. والمعنى: وإن كل لجميع لدينا محضرون. ومعناه: ما كلٌّ إلا جميع لدينا [محضرون][٥].

ومن قرأ «لمَّا» بالتشديد، فمعنى «لمَّا» هاهنا «إلاَّ» تقول: سألتك لمَّا فعلت وإلاّ فعلت.

وقال الزمخشري[٦]: من قرأ «لمَا» بالتخفيف فـ«ما» صلة للتأكيد، و«إنْ» مخففة من الثقيلة، وهي [متلقاة][٧] باللام لا محالة. و«لمَّا» بالتشديد، بمعنى: إلاّ، كالتي في مسألة الكتاب: نشدتك بالله لمَّا فعلت، و«إنْ» نافية، والتنوين في «كُلٌّ» هو الذي يقع عِوَضاً من المضاف [إليه][٨]؛ كقولك: مررتُ بكل قائماً.

فإن قلت: كيف أخبر عن «كل» بـ«جميع» ومعناهما واحد؟

قلتُ: ليس بواحد؛ لأن «كُلاًّ» يفيد معنى الإحاطة، وأن لا ينفلت منهم أحد، و«الجميع»: معناه الاجتماع، وأن المحشر يجمعهم. والجميع: فَعيل بمعنى مفعول.

---

(١) الآية رقم: ٤.

(٢) الحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٧)، والكشف (٢/ ٢١٥)، والنشر (٢/ ٢٩١)، والإتحاف (ص:٣٦٤).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٦).

(٤) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) مثل السابق.

(٦) الكشاف (٤/ ١٦-١٧).

(٧) في الأصل: ملقاة. والتصويب من الكشاف (٤/ ١٧).

(٨) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وآية لهم﴾ أي: وعلامة لهم دالة على قدرتنا، ﴿الأرض الميتة﴾.

قرأ نافع: «الميّتة» بالتشديد، والباقون بالتخفيف[١].

قال الزجاج[٢]: الأصل: التشديد، والتخفيف أكثر، وكلاهما جائز، «وآيةٌ» مرفوعة بالابتداء وخبرها: «لهم»[٣].

أي: وعلامة لهم تدلهم على التوحيد، وأن الله تعالى يبعث الموتى؛ إحياء الأرض الميتة.

ويجوز أن تكون «آية» مرفوعة بالابتداء، وخبرها: «الأرض الميتة»[٤].

قال الزمخشري[٥]: ﴿أحييناها﴾ استئناف بيان؛ لكون الأرض الميتة آية. وتقديم

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ١١-١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٧٠)، والكشف (١/ ٣٣٩)، والنشر (٢/ ٢٢٤-٢٢٥)، والإتحاف (ص:٣٦٤).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٦).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٣)، والدر المصون (٥/ ٤٨٣).

(٤) وقد ذكر هذا الوجه السمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٨٣) حكاية عن مكي، ثم قال: وهذا ينبغي أن لا يجوز؛ لأنه لا يُترك المعرفة من الابتداء بها ويُبتدأ بالنكرة إلا في مواضع للضرورة.

(٥) الكشاف (٤/ ١٧).

الظرف في قوله: ﴿فمنه يأكلون﴾ للدلالة على أن الحَبَّ هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق، ومنه صلاح الإنس، وإذا قلّ جاء القحط ووقع الضرّ، وإذا فُقد حضر الهلاك ونزل البلاء.

قوله تعالى: ﴿ليأكلوا من ثمره﴾ سبق توجيه اختلاف القراء فيها في سورة الأنعام.

والضمير في «ثَمَرِه» يحتمل وجوهاً:

أحدها: أن يرجع إلى النخيل دون الأعناب؛ كقوله تعالى: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به﴾ [النساء:١١٢]، وكقوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ [التوبة:٣٤]. وقد قررنا أمثاله فيما مضى.

الثاني: أن يرجع إلى الله تعالى، على معنى: ليأكلوا مما خلقه الله تعالى من الثمر، وما عملته أيديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك حتى بلغ منتهاه. يشير إلى أن الثمر في نفسه فعل الله تعالى، وفيه آثار من عمل بني آدم.

وكان الأصل أن يقال: ليأكلوا من ثمرنا؛ لقوله تعالى: ﴿وجعلنا﴾ ﴿وفجرنا﴾ غير أنه رجع إلى الغيبة، على ما تقدم ذكره في غير موضع.

الثالث: أن يراد: ليأكلوا من ثمره المذكور، وهو الجنات، كما قال رؤبة:

فيها خُطوطٌ من بياضٍ وبَلَقْ ... كأنه في الجلدِ تَوليعُ البَهَقْ [1]

فقيل له، فقال: أردت: كأن ذلك.

---

(١) البيت لرؤبة بن العجاج. انظر: ديوانه (ص:١٠٤)، والمحتسب (٢/ ١٥٤)، ومجالس العلماء (ص:٢٧٧)، ومجاز القرآن (١/ ٤٣)، ومجالس ثعلب (٢/ ٣٧٥)، واللسان (مادة: بهق)، والبحر (٣/ ١٦٩، ٧/ ٣٢٠)، والدر المصون (١/ ٢٥٦، ٢/ ٣٠٦، ٥/ ٤٨٤).

قوله تعالى: ﴿وما عملته أيديهم﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: «وما عَمِلَتْ» بغير هاء، وقرأ الباقون: «وما عَمِلَتْه»[1].

قال أبو علي الفارسي[2]: من قرأ «عَمِلَتْه» احتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون بمعنى: الذي.

والآخر: أن تكون نافية، فإذا كانت بمعنى الذي؛ فموضعها جَرّ، عطفاً على «الثمر»، التقدير: ليأكلوا من ثمره ومن الذي عملته أيديهم.

ومن قرأ «وما عملتْ» فإنه حذفها من الصلة استخفافاً لطول الكلام.

وأكثر ما جاء في التنزيل من هذا على حذف الهاء؛ كقوله تعالى: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ [الفرقان:٤١]، ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ [النمل:٥٩]، و﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ [الأنعام:٢٢]، و﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾ [هود:٤٣] وكل هذا على حذف الهاء وإرادتها.

ومن أثبت الهاء في «وما عملتْه أيديهم» فعلى ما قيل ما تستحقه الصلة من الضمير العائد منها إلى الموصول، وقد جاء الإثبات أيضاً في التنزيل في قوله تعالى: ﴿إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ [البقرة:٢٧٥] وإن قُدِّرت «ما» ناصبة فلا موضع لها من الإعراب؛ لأنها حرف.

والمعنى: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم. ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُون * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُون﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٤] فمن قدّر هذا

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٨)، والكشف (٢/ ٢١٦)، والنشر (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٣٦٥)، والسبعة (ص:٥٤٠).

(٢) الحجة (٣/ ٣٠٧).

التقدير لم يكن صلة، وإذا لم يكن صلة لم تقتض الهاء الراجعة إلى الموصول. هذا آخر كلام أبي علي.

وقال الزجاج[١]: إذا حذفت الهاء فالاختيار أن تكون «ما» في موضع خفض، وتكون في معنى «الذي».

وللمفسرين في معنى الآية قولان على نحو ما ذكره أهل الإعراب، وقول الضحاك ومقاتل موافق قول من قال أنها نافية.

قال الضحاك: وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها[٢].

وقال مقاتل[٣]: لم يكن ذاك من صنع أيديهم ولكن من فعلنا.

وهذا المعنى يشبه في نظري من حيث أن المقصود بسياق هذه الآيات: عظمة الله تعالى وقدرته ونعمته على عباده وامتنانه عليهم، ألا تراه يقول: ﴿أحييناها وأخرجنا منها حباً﴾، ﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا﴾ ثم عقب ذلك بقوله: ﴿أفلا يشكرون﴾ وأتبعه بقوله: ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ يعني: أجناس الفواكه والحبوب وأجناس ما تنبت الأرض ﴿ومن أنفسهم﴾ يريد: الذُّكْران والإناث، ﴿ومما لا يعلمون﴾ مما خلق الله تعالى من الأمم وسائر الأشياء الذي يحيط بها علمه جَلَّتْ عظمته.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٣).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٨٤).

لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿نسلخ منه النهار﴾ قال الفراء[1]: يرمي بالنهار عن الليل فيأتي بالظلمة.

وذلك أن الأصل [هي][2] الظلمة، والنهار داخل عليه، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل، أي: كُشِط وأزيل، فتظهر الظُّلمة، وهو قوله تعالى: ﴿فإذا هم مظلمون﴾ أي: داخلون في ظلام الليل.

قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ أي: إلى مستقر وحَدّ معلوم ينتهي سيرها إليه، وهو يوم القيامة؛ في قول مقاتل[3] وكثير من المفسرين.

وقال ابن السائب: مستقرها أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع إلى أدنى منازلها[4].

وقال قتادة: تجري لوقت واحد لا تعدوه[5].

والصحيح في تفسيرها: ما أخرج في الصحيحين من حديث أبي ذر رضي الله

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٧٨).

(٢) في الأصل: في. والتصويب من الوسيط (٣/ ٥١٤).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٨٦).

(٤) ذكره الطبري (٢٣/ ٦) بلا نسبة، والماوردي (٥/ ١٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف.

عنه قال: «سألتُ رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ قال: مستقرها تحت العرش»[1].

وقد ذكرت حديث أبي ذر في سورة النحل عند قوله تعالى: ﴿ولله يسجد﴾ بأتم من هذا.

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء ليعقوب الحضرمي من طريق هبة الله عن زيد عنه: «لِمُسْتَقِرٍّ» بكسر القاف.

وقرأتُ عليه أيضاً [للكسائي][2] من طريق الشيزري: «لا مُسْتَقَرَّ لها» على النفي وفتح الراء، وهي قراءة ابن مسعود وعكرمة وعلي بن الحسين[3].

قال الزجاج[4]: معناه: أنها تجري أبداً لا تثبت في مكان.

﴿ذلك﴾ الجري الذي هو بحسبان تعجز عن إدراكه الأفهام الثاقبة ﴿تقدير العزيز﴾ الغالب [بقدرته][5] ﴿العليم﴾ بما خلقه وقدّره بحكمته.

قوله تعالى: ﴿وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيمِ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: «والقمرُ» بالرفع، ونصبه الباقون[6].

فمن رفع فعلى الابتداء، والخبر: «قَدَّرْنَاهُ»، أو هو معطوف على «الليل»، على

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٠٦ ح٤٥٢٥)، ومسلم (١/ ١٣٩ ح١٥٩).

(٢) في الأصل: الكسائي.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٤٨٥).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٧).

(٥) في الأصل: بقدته. والصواب ما أثبتناه.

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٥٩٩)، والكشف (٢/ ٢١٦)، والنشر (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٣٦٥)، والسبعة (ص:٥٤٠).

معنى: وآية لهم القمر.

ومن نصبه فبفعل يفسره «قَدَّرْنَاهُ منازِلَ»، [وفيه][(١)] إضمار تقديره: قدرنا مسيره منازل. وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه، على تقدير معلوم لا تفاوت فيه، ثم يستتر في آخر الشهر ليلتين أو ليلة، -وقد ذكر أسماء هذه المنازل في سورة يونس[(٢)]-. فإذا كان في آخر منزله دَقَّ واستَقْوَس، وعاد كالعرجون القديم، وهو عود العذق الذي فيه الشماريخ.

قال الزجاج[(٣)]: وهو [فُعْلُول][(٤)] من الانعراج، وهو الانْعِطَاف.

قال ابن قتيبة[(٥)]: والقديم هاهنا: الذي قد أتى عليه حَوْل.

قال غيره: إذا قَدِمَ دقّ وانحنى واصفرّ، فشُبه به من هذه الأوجه.

وقال بعض أهل العلم: أقل مدة الموصوف بالقِدَم: الحَوْل، فلو قال: كل مملوك له قديم حُرّ، أو وصى بذلك: عتق من مضى له عنده حَوْل فما زاد.

قوله تعالى: ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ... الآية﴾ المعنى: أنهما يتعاقبان بحساب معلوم.

قال قتادة: إذا جاء سلطان أحدهما ذهب سلطان الآخر[(٦)].

---

(١) في الأصل: وفي. والصواب ما أثبتناه.

(٢) عند الآية رقم: ٥.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٨).

(٤) في الأصل: فعلون. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٣٦٥).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٥٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

﴿وكل﴾ يعني: الشمس والقمر والنجوم ﴿في فلك يسبحون﴾.

قال ابن عباس: يَجْرُون[1].

وقال عكرمة: يدورون كما يدور المغزل في الفلكة[2].

وقال الزجاج[3]: أي: لكل واحد منهما فَلَكٌ يسبح فيه. والمعنى: يسيرون فيه بانبساط، وكل من انبسط في شيء فقد سَبح فيه، ومن ذلك: السِّباحة في الماء.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لهم أنا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ في الفُلْكِ المشْحُون﴾ قرأ نافع وابن عامر: «ذرّيّاتهم»، وقرأ الباقون «ذريّتهم»[4]. وقُدم القول على ذلك[5].

قال المفضل بن سلمة: الذرية النسل؛ [لأنهم][6] من ذرأهم الله منهم، والذرية أيضاً: الآباء؛ لأن الذر وقع منهم، فهو من الأضداد. قال: ومنه هذه الآية[7].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٩).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٨٨).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٠)، والكشف (٢/ ٢١٧)، والنشر (٢/ ٢٧٣)، والإتحاف (ص:٣٦٥)، والسبعة (ص:٥٤٠-٥٤١).

(٥) في سورة الأعراف عند الآية رقم: ١٧٢.

(٦) في الأصل: لأنه. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٢١).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١-٢٢).

قال ابن عباس: والمشحون: المملوء[١].

قال أكثر المفسرين: أراد في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام[٢]، فنسب الذرية إلى المخاطبين؛ لأنهم من جنسهم، كأنه قال: ذرية الناس[٣].

وقال الفراء[٤]: أي: ذرية من هم منهم، فجعلها ذرية لهم وقد سبقتهم.

قال أبان بن عثمان: «الذريّة»: الآباء، حملهم الله تعالى في سفينة نوح[٥].

قال الماوردي[٦]: سُمي الآباء ذرية؛ لأن منهم ذرء الأبناء.

وقيل: هو حمل الأبناء في أصلاب الآباء حين ركبوا في السفينة[٧]، ومنه قول العباس:

بل نُطفة تَركبُ السَّفينَ وقد أَلجمَ نَسْراً وأهلَهُ الغَرق[٨]

﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ أي: من مثل سفينة نوح، وهي سائر

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩). وذكره الماوردي (٥/ ١٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن أبي مالك. ومن طريق آخر عن أبي صالح، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١).

(٤) انظر: معاني الفراء (٢/ ٣٧٩).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٩).

(٦) الماوردي (٥/ ١٩).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١).

(٨) البيت للعباس بن عبد المطلب يمدح سيدنا رسول الله ﷺ، وهو في: اللسان (مادة: نسر)، والقرطبي (١٣/ ١٤٦)، وزاد المسير (٧/ ٢١)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ١٠٣)، والاستيعاب (٢/ ٤٤٧).

السفن[١].

يشير إلى خلق الخشب التي تتخذ منه، وإلى هذا المعنى ذهب الضحاك وأبو مالك وأبو صالح[٢].

وقيل: المراد: الإبل، فإنها سفن البر، والمثلية بينهما واقعة في معنى كون كل جنس من هذين يُركب ويحمل عليه، وإلى هذا القول ذهب مجاهد [و][٣] عكرمة[٤].

وعن ابن عباس والحسن وقتادة كالقولين[٥].

وقيل: المعنى ﴿حملنا ذريتهم﴾: أولادهم وما يهمهم.

وقيل: نساؤهم؛ لأنهن موضع ذرء الأولاد.

﴿في الفلك المشحون﴾ يعني: السفن، ﴿وخلقنا لهم من مثله﴾ أي: من مثل

---

(١) ورجح هذا القول ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣/ ١١) قال: وأشبه القولين بتأويل ذلك قول من قال: عنى بذلك السفن، وذلك لدلالة قوله: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ على أن ذلك كذلك، وذلك أن الغرق معلوم أن لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن أبي مالك. ومن طريق آخر عن أبي صالح، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة والحسن، وعزياه لعبد بن حميد وابن جرير.

الفلك ﴿ما يركبون﴾ وهي سفائن البر.

وقيل: السفن الصغار، فإن الفُلْك السفن الكبار.

وحكى الماوردي قولاً عجيباً ونسبه إلى علي عليه السلام قال[1]: الذرية: النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفُلْك المشحون، قال: فيكون معنى قوله: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾: أن النساء خُلقن لركوب الأزواج.

قلت: فعلى هذا الجواب يكون المثْل صلة، تقديره: وخلقنا لهم منه ما يركبون.

وَهَبْ أنه قد يحمل تطبيق هذه الآية على هذا القول بهذا الوجه الضعيف؛ فما يصنع بقوله: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾. أي: لا مغيث لهم، فالصَّريخ هاهنا بمعنى الصراخ به ﴿ولا هم ينقذون﴾ من الغرق.

﴿إلا رحمة منا﴾ مفعول له[2]، على معنى: إلا لرحمة منا ولنمتع بالحياة إلى حين وأجَلٍ يموتون فيه.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم﴾ قال مجاهد: «ما

---

(١) الماوردي (٥/ ١٩).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٤)، والدر المصون (٥/ ٤٨٧).

بين أيديكم»: ما مضى من الذنوب، «وما خلفكم»: ما يأتي منها[١].

وقال قتادة: «ما بين أيدكم»: من عذاب الله لمن يقدمكم من عاد وثمود، «وما خلفكم»: من أمر الساعة[٢].

وقال سفيان: ما بين أيديكم من الدنيا، وما خلفكم من عذاب الآخرة[٣].

وقيل: عكس هذا القول[٤].

فإن قيل: أين جواب «إذا»؟

قلتُ: هو محذوف، تقديره: أعرضوا، ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾.

قال قتادة: آية من كتاب الله[٥].

وقال غيره: معجزة تدل على صدقك.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾ قال الواحدي[٦]: قال مقاتل[٧]: قال المؤمنون لكفار قريش: أنفقوا على المساكين ما زعمتم من أموالكم

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٧)، وتفسير مجاهد (ص:٥٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣).

(٤) هو قول ابن عباس والكلبي. ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٢١).

(٦) الوسيط (٣/ ٥١٥).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٨٨).

أنه لله، وهو ما جعلوه من حروثهم وأنعامهم لله، فقال الكفار: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ أي: أنرزق من لو يشاء الله رزقه، أي: نحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله. وهذا خطأ منهم؛ لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضاً ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له من ماله، والمؤمن لا يعترض على المشيئة وإنما يوافق الأمر. هذا تمام كلام الواحدي.

وقال قتادة: هذا قول الزنادقة[1].

قال ابن عباس: كان بمكة زنادقة[2].

وقال الحسن: هذا قول اليهود[3].

وقوله تعالى: ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ يحتمل وجوهاً:

أحدها: أنه من تمام كلامهم للمؤمنين. قاله قتادة[4].

والثاني: أنه إخبار من الله تعالى وحكم عليهم بالضلال حيث ردّوا على المؤمنين هذا الجواب[5].

الثالث: أنه حكاية قول المؤمنين.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٣٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٢)، وهو الوجه الراجح عند الطبري (٢٣/ ١٢-١٣).

(٥) قال ابن كثير في تفسيره بعد أن ذكر هذا الوجه عن ابن جرير: وفي هذا نظر، والله أعلم (تفسير ابن كثير ٣/ ٥٧٥).

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

﴿ويقولون﴾ على سبيل التكذيب والاستهزاء: ﴿متى هذا الوعد﴾ الذي تعدونا به يا محمد أنت وأصحابك من قيام الساعة، أي: متى إنجازه أو مجيئه ﴿إن كنتم صادقين﴾ تقديره: ما وراءنا ذلك.

﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾ قال ابن عباس: يريد: النفخة الأولى في الصور[1].

﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾ يختصمون في البيع والشراء في أسواقهم ومجالستهم متشاغلين بمعايشهم ودنياهم.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام: «يَخَصِّمُون» بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد. وروى شجاع عن أبي عمرو اختلاس فتحة الخاء. وقرأ قالون بفتح الياء وسكون الخاء وتشديد الصاد، ومثله حمزة غير أنه خفف. وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد[2].

وجه القراءة الأولى -وهي أجود القراءات-: أن الأصل: يختصمون، فأدغمت التاء في الصاد لقربها منها، تنتقل بالإدغام إلى حرف هو أقوى منها،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٥).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٠)، والكشف (٢/ ٢١٧)، والنشر (٢/ ٣٥٣-٣٥٤)، والإتحاف (ص:٣٦٥)، والسبعة (ص:٥٤١).

وألقيت حركة التاء على الخاء.

ووجه ما رواه شجاع من الاختلاس: أن الأصل إسكان الخاء، غير أنها حُرّكت لئلا يلتقي ساكنان، والاختلاس كافٍ في ذلك مع ما فيه من مراعاة الأصل الذي هو السكون.

ووجه الثالثة وهي أردؤها: لما فيه من اجتماع الساكنين مراعاة الأصل، فإنها كانت ساكنة قبل الإدغام.

ووجه الرابعة -وهي قراءة حمزة-: أنه فعل مستقبل من خَصَمَ يَخْصِم، على معنى: يخصِمُ بعضهم بعضاً، أو يَخْصِمُون مُجَادِلَهم، أي: يغلبونه، وحَذْفُ المفعول كثير في التنزيل.

ووجه القراءة الخامسة: أنه اجتمع ساكنان بعد الإدغام كسرت الخاء ولم ينقل إليها حركة التاء.

وقرأتُ لعاصم من بعض طرقه: «يِخِصِّمُون» بكسر [الياء][1] والخاء[2]، وكسرت الخاء لالتقاء الساكنين والياء للاتباع.

قوله تعالى: ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ قال قتادة: أعجلوا عن ذلك[3]، ﴿ولا إلى أهلهم﴾ أي: من أسواقهم وغيرها ﴿يرجعون﴾.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟

---

(١) في الأصل: التاء. وانظر: المصادر التالية.

(٢) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٧/ ٢٥)، وفي الدر المصون (٥/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٌ شَيۡـًٔا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٤﴾

وقد سبق القول في «الصور» في الأنعام، وفسرنا النسلان في سورة الأنبياء[1].

﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ قال المفسرون[2]: إنما قالوا ذلك؛ لأن العذاب رفع عنهم بين النفختين، فإذا عاينوا أهوال يوم القيامة دعوا بالويل، فتقول لهم الملائكة: هذا وعد الرحمن، أي: على ألسنة الرسل إنكم تبعثون بعد الموت للجزاء.

وقال قتادة: أول الآية للكافرين وآخرها للمؤمنين، قال الكفار: ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾، وقال المسلمون: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾[3].

و«هذا»: مبتدأ، «ما وعد»: خبره، و«ما»: مصدرية، على معنى: هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين، أو موصولة، والتقدير: هذا الذي وعده الرحمن والذي صدق المرسلون فيه[4].

وقيل: «هذا»: صفة للمرقد، و«ما وعد»: خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ

---

(١) عند الآية رقم: ٩٦.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٦). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٦٣) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٤)، والدر المصون (٥/ ٤٨٨).

محذوف الخبر، تقديره: ما وعد الرحمن وحق عليكم[١].

قوله تعالى: ﴿فاليوم لا تظلم... الآية﴾ حكاية ما يقال لهم.

﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿في شُغُل﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بضم الغين، والباقون بإسكانها[٢]، وهما لغتان.

وقرأ أبو جعفر: «فكِهُون» بغير ألف[٣].

والمراد بالشُّغُل: افتضاض الأبكار؛ في قول ابن مسعود، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، وعامة المفسرين[٤].

وقال ابن عباس: في افتضاض الأبكار وضَرْب الأوتار[٥].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٤)، والدر المصون (٥/ ٤٨٨).

(٢) الحجة لابن زنجلة (ص:٦٠١)، والكشف (٢/ ٢١٩)، والنشر (٢/ ٢١٦)، والإتحاف (ص:٣٦٥)، والسبعة (ص:٥٤٢).

(٣) النشر (٢/ ٣٥٤)، والإتحاف (ص:٣٦٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن ابن مسعود وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن المنذر. ومن طريق آخر عن عكرمة وقتادة، وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) أخرج الطرف الأول منه: الطبري (٢٣/ ١٨). وذكره الماوردي (٥/ ٢٤). وذكر السيوطي في الدر =

وقال إسماعيل بن أبي خالد: في شغل مما يَلْقَى أهل النار[١].

والفَاكِه والفَكِه: المتنعِّم المتلذِّذ، ومنه: الفاكهة؛ لأنه يتلذّذ بها، ومنه: الفكاهة؛ وهي المزاحة.

وقال الزجاج[٢]: «فاكِهُون وفكِهُون» بمعنى: فرحون.

قال الفراء[٣]: الفاكِه والفكِه بمعنًى، كالحاذر والحذر.

وقال أبو عبيدة[٤]: الفكِه: الذي يتفكَّه بالطعام، والفَاكِه: ذو الفاكهة.

﴿هم وأزواجهم في ظلال﴾ جمع ظُلَّة؛ كعُلْبَة وعِلاَب، وبُرْمَة وبِرَام.

وقرأ حمزة والكسائي: «ظُلَلٍ» بضم الظاء من غير ألف، جمع ظُلَّة[٥].

قال مقاتل[٦]: في أكنان القصور.

وقد سبق ذكر الأرائك في الكهف[٧].

= (٧/ ٦٥) الطرف الثاني منه، وعزاه لابن أبي حاتم. ثم قال السيوطي: قال أبو حاتم: هذا خطأ من السمع، إنما هو افتضاض الأبكار. قال ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٧): ولا يثبت هذا القول.

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨). وذكره الماوردي (٥/ ٢٤).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٩١).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٣٨٠).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ١٦٣).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠١)، والكشف (٢/ ٢١٩)، والنشر (٢/ ٣٥٥)، والإتحاف (ص:٣٦٦)، والسبعة (ص:٥٤٢).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٨٩).

(٧) عند الآية رقم: ٣١.

فصل

في قوله تعالى: ﴿هم﴾: مبتدأ، ﴿وأزواجهم﴾: معطوف عليه، ﴿فاكهون﴾: خبره وهو مقدم عليه، و﴿في ظلال﴾ من صلة «فاكهين»، و﴿متكئون﴾ خبر آخر[١].

وقيل: الخبر: «متكئون»، فيكون الوقف على قوله تعالى: ﴿فاكهون﴾.

وعلى الأول يجوز أن يكون خبر إنّ من قوله تعالى: ﴿إن أصحاب الجنة﴾ الظرف الذي هو في «شُغُل»، والتقدير: إن أصحاب الجنة بايتون في شُغُل اليوم، ثم يبتدئ: ﴿فاكهون هم وأزواجهم﴾ أي: هم [وأزواجهم][٢] فاكهون في ظلال متكئون على الأرائك.

وعلى الثاني خبر إن: «فاكهون»، أي: فاكهون في شغل متكئون، من صلة «فاكهين».

قوله تعالى: ﴿ولهم ما يدعون﴾ أي: ما يتمنون ويشتهون.

قال الزجاج[٣]: هو مأخوذ من الدعاء. والمعنى: كل ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم.

﴿سلام﴾ بدل من «ما»[٤]. المعنى: لهم ما يتمنونه سلام، أي: هذا مُنى أهل الجنة أن يُسلّم الله تعالى عليهم.

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٤٨٩).

(٢) في الأصل: وزواجهم.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٩٢).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٤)، والدر المصون (٥/ ٤٨٩).

و﴿قولاً﴾ مصدر مؤكد لما قبله.

أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه، أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد الواحدي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، أخبرنا عبد الخالق بن علي[١]، حدثني أحمد بن محمد بن موسى [اللخمي][٢]، حدثنا الحسن بن أبي علي الزعفراني[٣]، حدثنا ابن أبي الشوارب، حدثنا أبو عاصم[٤]، حدثنا الفضل الرقاشي[٥]، عن محمد بن المنكدر[٦]، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم، فإذا

---

(١) عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق بن محمد بن إسحاق المؤذن، أبو القاسم النيسابوري، قدم قزوين غازياً سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، وحدّث بها عن بكر بن محمد بن حمدان المروزي، وروى عنه الخليل الحافظ (التدوين في أخبار قزوين ٣/ ٤٧٩-٤٨٠).

(٢) في الأصل: الملجمي. والتصويب من الوسيط (٣/ ٥١٧).

(٣) الحسن بن أبي علي الفضل بن السمح، أبو علي الزعفراني، المعروف بالبوصراني، كان ينزل بالجانب الشرقي قرب المزوقين، مات في أول جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين ومائتين (تاريخ بغداد ٧/ ٤٠١، ولسان الميزان ٢/ ٢٤٤).

(٤) الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن الضحاك الشيباني، أبو عاصم النبيل البصري، قيل: إنه مولى بني شيبان، ثقة ثبت كثير الحديث، ولد سنة اثنتين وعشرين ومائة، مات سنة أربع عشر ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٩٥-٣٩٦، والتقريب ص:٢٨٠).

(٥) الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي، أبو عيسى البصري الواعظ، منكر الحديث رمي بالقدر (تهذيب التهذيب ٨/ ٢٥٤، والتقريب ص:٤٤٦).

(٦) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو بكر، أحد الأئمة الأعلام، ثقة فاضل، مات سنة ثلاثين أو بعدها (تهذيب التهذيب ٩/ ٤١٧-٤١٨، والتقريب ص:٥٠٨).

الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قول الله عز وجل: ﴿سلامٌ قولاً من رب رحيم﴾، فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم»[1].

وقال ابن عباس: يرسل الله تعالى إليهم بالسلام[2].

وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين وكونوا على حِدَة، وذلك حين يحشر المؤمنون ويُسَار بهم إلى الجنة.

وقال قتادة: اعتزلوا عن كل خير[3].

وقال الضحاك: لكل كافر بيت من النار يكون فيه، لا يَرى ولا يُرى[4].

فعلى هذا امتيازهم هو أن لا يرى بعضهم بعضاً، تقول: ميّزت الشيء عن الشيء؛ إذا عزلته عنه ونحيته فامْتَاز وانْمَاز[5].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٥ ح١٨٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره النسفي في تفسيره (٤/ ١٢).

(٥) انظر: اللسان (مادة: ميز).

قوله تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم﴾[١] أي: أوصيكم وآمركم.

وقال الزجاج[٢]: ألم أتقدم إليكم على لسان الرسول ﷺ.

﴿يا بني آدم﴾ يريد: المجرمين ﴿أن لا تعبدوا الشيطان﴾ تطيعوه في الشرك.

قوله تعالى: ﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً﴾ قرأ ابن عامر وأبو عمرو: «جُبْلاً» بضم الجيم وسكون الباء مع التخفيف، وكذلك ابن كثير وحمزة والكسائي ووَرْش، إلا أنهم ضَمّوا الباء. وقرأ نافع وعاصم: «جِبلاًّ» بكسر الجيم والباء وتشديد اللام[٣].

وقرأتُ ليعقوب من رواية روح وزيد وأبي حاتم: بضم الجيم والباء مع التشديد[٤]، وهي قراءة علي بن أبي طالب، وابن عباس، [وأبي][٥] عبد الرحمن السلمي، والزهري، والأعمش.

وقرأ عبد الله بن عمرو [وابن][٦] السميفع: بكسر الجيم وسكون الباء مع التخفيف.

وقرأ أبو المتوكل ومعاذ القارئ: بضم الجيم وفتح الباء مع التخفيف.

وقرأ أبو العالية: بكسر الجيم وفتح الباء مع التخفيف.

---

(١) في الأصل زيادة قوله تعالى: ﴿يا بني﴾. وستأتي بعد.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٢٩٢).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٠٩-٣١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠١-٦٠٢)، والكشف (٢/ ٢١٩)، والنشر (٢/ ٣٥٥)، والإتحاف (ص:٣٦٦)، والسبعة (ص:٥٤٢).

(٤) انظر: النشر (٢/ ٣٥٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٦).

(٥) في الأصل: أبي.

(٦) في الأصل: بن.

وقرأ أبو عمران الجوني: «جِبالاً» بكسر الجيم مع زيادة ألف[١].

ومعنى الكلمة كيف تصرفت: أضل منكم خلقاً كثيراً.

قرئ: «جِيلاً» بكسر الجيم وبالياء، واحد الأجيال[٢].

هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

ثم يقال لهم توبيخاً وتقريعاً ومبالغة في إعلامهم: ﴿هذه جهنم﴾.

قوله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ وذلك عند إنكارهم الشرك [وتكذيبهم][٣] الرسل صلوات الله عليهم أجمعين، وقولهم: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣].

﴿وتكلمنا أيديهم﴾ أخرج الإمام أحمد من حديث [حكيم بن][٤] معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «تجيؤون يوم القيامة على أفواهكم الفِدام، وإن

---

(١) ذكر هذه القراءات جميعاً ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ٣٠).

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٣٢٨)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٩١).
وهي قراءة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(٣) في الأصل: وتكذبهم.

(٤) زيادة من مسند أحمد (٤/ ٤٤٦).

أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه»[١].

وفي حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «يقال لأعضائه: انطقي، فتنطق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بُعْداً لكُنّ وسُحْقاً وفيكن كنت أناضل»[٢].

فإن قيل: لم سمي ما صدر من اليد كلاماً ومن الرجل شهادة؟

قلتُ: لأن اليد مباشرة والرِّجل حاضرة، وقول الإنسان على نفسه إقرار وعلى غيره شهادة.

قوله تعالى: ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ أي: لو نشاء لأذهبنا أعينهم وعفنا أثرها.

﴿فاستبقوا الصراط﴾ أي: استبقوا إلى الصراط، أو يقال: ساغ ذلك؛ لتضمن «استبقوا» [ابتدروا][٣].

قال قتادة: المعنى: لو نشاء لأعمينا أبصار الكفار فضلُّوا عن الطريق فلا يبصرون عقوبة لهم[٤].

وقال ابن عباس ومقاتل[٥]: المعنى: لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم وأعميناهم

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٦).

والفدام: هو ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه. والمقصود: أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم وجلودهم (اللسان، مادة: فدم).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨٠ ح٢٩٦٩).

(٣) في الأصل: ابتدوا.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٢٩).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٩١).

عن غيهم، وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فاهتدوا وأبصروا رشدهم[(١)].

﴿فأنى يبصرون﴾ ولم يفعل بهم ذلك.

﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾ والمكانة والمكان واحد.

وقرأ أبو بكر: «مكاناتهم» على الجمع[(٢)].

قال ابن عباس: لمسخناهم قردة وخنازير[(٣)]. وقيل: حجارة[(٤)].

وقال قتادة: لأقعدناهم على أرجلهم وأزمنّاهم[(٥)].

﴿فما استطاعوا مُضِيّاً﴾ وقرئ: «مِضِياً»[(٦)]، مثل: الغُنى والغِنى.

﴿ولا يرجعون﴾ إلى ما كانوا عليه.

وقال أبو صالح: ما استطاعوا مضياً في الدنيا ولا رجوعاً فيها[(٧)].

وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٢).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣١١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٢)، والكشف (١/ ٤٥٢)، والنشر (٢/ ٢٦٣)، والإتحاف (ص:٣٦٦)، والسبعة (ص:٥٤٣).

(٣) ذكره أبو حيان في البحر (٧/ ٣٢٩)، والزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٨).

(٤) هو قول أبي صالح ومقاتل. انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٩١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٦) بدون لفظة: «وأزمناهم». وذكره الماوردي (٥/ ٢٩) بدون زيادة هذه اللفظة أيضاً، والبحر المحيط (٧/ ٣٢٩)، والكشاف (٤/ ٢٨) بزيادتها.

(٦) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٣٢٩)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٤٩٢).

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٣).

قوله تعالى: ﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾ قرأ عاصم وحمزة: «نُنَكِّسْه» بالتشديد وكسر الكاف، من التنكيس. وقرأ الباقون: بفتح النون الأولى وإسكان الثانية وضم الكاف وتخفيفها[١].

قال أبو الحسين: [نَنْكُسُه][٢] هو كلام العرب، ولا يكادون يقولون: نكَّسْتُه، -يعني: بالتشديد- إلا لما يُقلب فيجعل رأسُه أسفل[٣].

قال الزجاج[٤]: من أطَلْنا عُمْره نكَّسْنا خَلْقَه، فصار بدل القوة الضعف، وبدل الشباب الهرم.

﴿أفلا يعقلون﴾ بالتاء والياء، وقد سبق.

والمعنى: أفلا يعقلون أن القادر على تصاريف أحوال الناس ونقلهم من حال إلى حال قادر على البعث بعد الموت.

قوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر﴾ أي: ليس الذي علمناه من القرآن شعراً، أو قول الشعر، وذلك أن كفار مكة قالوا: إن هذا الذي يقوله محمد شِعْر، وإن محمداً شاعر.

﴿وما ينبغي له﴾ أي: ما يصحّ له ولا يتأتّى له لو طلبه، لأنا صرفناه عنه ولم نجعل له طبعاً متأنياً منقاداً لقوله. ولقد كان يتمثّل ببيت من الشعر لغيره فيكسره،

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٣)، والكشف (٢/ ٢٢٠)، والنشر (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٣٦٦)، والسبعة (ص:٥٤٣).

(٢) في الأصل: نكسه. والتصويب من الحجة للفارسي (٣/ ٣١٠).

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٣١٠).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٢٩٣).

فروى الحسن[١]: أن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت: كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً، فقال أبو بكر: [يا رسول الله، إنما قال الشاعر][٢]:

.... كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً[٣]

أشهد أنك رسول الله، ما علّمك [الشعر][٤] وما ينبغي لك[٥].

وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يتمثل بيت أخي بني قيس -يعني طرفة-:

ستُبدي لكَ الأيامُ ما كُنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخبار من لم تُزوّد[٦]

فجعل يقول: ويأتيك من لم تزود بالأخبار، فيقول أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله، فيقول: لست بشاعر ولا ينبغي لي[٧].

ودعا يوماً بعباس بن مرادس فقال: أنت القائل:

---

(١) خلط الناسخ بين ألفاظ هذه الفقرة حيث قدّم وأخّر بعضها على بعض. وقد أثبتنا الصواب من الوسيط (٣/ ٥١٨-٥١٩).

(٢) زيادة من الوسيط (٣/ ٥١٨).

(٣) عجز بيت لسحيم عبد بني الحسحاس، وصدره: (عميرة ودع إن تجهزت غادياً)، انظر: ديوانه (ص:١٦)، والأغاني (٢٢/ ٣٠٧)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ١٨٧)، والتبصرة (ص:٢٣٢)، والبيان والتبيان (ص:٥٢)، واللسان (مادة: نهي).

(٤) زيادة من الوسيط (٣/ ٥١٨).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٠-٣٢٠١)، وابن سعد في طبقاته (١/ ٣٨٢-٣٨٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٧١) وعزاه لابن سعد وابن أبي حاتم والمرزباني في معجم الشعراء.

(٦) البيت لطرفة بن العبد، انظر: ديوانه (ص:٧٢)، واللسان (مادة: ضمن)، والقرطبي (١٥/ ٥١)، وروح المعاني (٢٣/ ٤٩)، والمستطرف (٢/ ٣٦٨)، والبحر (٧/ ٣٢٩).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥١٨-٥١٩).

أتجعلُ نهبي ونهبَ العبيـ ـد بين الأقرع وعيينة[١]

فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي لم يقلْ كذلك، فأنشده أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: لا يضرك بأيهما [بدأت][٢]، فقال أبو بكر: والله ما أنت بشاعر ولا ينبغي لك الشِّعر[٣].

فإن قيل: قد روي عنه ﷺ أنه قال:

أنا النبيُّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب[٤]

وقال ﷺ:

هل أنتِ إلا [أصبع][٥] دميتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ[٦]

قلتُ: الفصيح قد يجري على لسانه كلام موزون ويقع منه ذلك من غير قصد، بل غير الفصيح قد يتفق له ذلك، ولا يعد بذلك قائلاً للشعر، والبيت الثاني أنشده النبي ﷺ مستشهداً، على أن هذا النوع من الرجز ليس بشعر عند الخليل.

وفي الجملة: قائل البيت والبيتين ليس بشاعر عند العرب، إنما الشاعر عندهم

---

(١) أصل البيت: بين عيينة والأقرع، وهو في: اللسان (مادة: رجز)، والقرطبي (٨/ ١٧٩، ١٥/ ٥٢)، وروح المعاني (١٥/ ٦٥، ٢٣/ ٤٩)، والأغاني (١٤/ ٣٠٠).

(٢) في الأصل: بدأ. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٣٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٤-٣٥).

(٤) انظر البيت في: اللسان (مادة: رجز)، والقرطبي (٨/ ١٠١، ١٥/ ٥٢)، وروح المعاني (١٠/ ٧٤، ١٢/ ٣٣، ٢٣/ ٤٨، ٢٦/ ١٦٥)، والبحر (٧/ ٣٣٠).

(٥) في الأصل: أصبعاً. والتصويب من مصادر التخريج.

(٦) انظر البيت في: اللسان (مادة: رجز، صبع)، والقرطبي (١٥/ ٥٢)، وروح المعاني (١٠/ ٩٧، ٢٣/ ٤٩، ٣٠/ ١٥٧)، والبحر (٧/ ٣٣٠).

الذي ينفث بالشعر على أقراء مخصوصة وأوزان معلومة.

فإن قيل: لم مُنع عن قول الشعر؟

قلتُ: كما مُنع من الكتابة؛ لئلا يتخذ الكَفَرة ذلك ذريعة إلى الطعن عليه فيما جاء به من النظم البديع، فيقال: إنما تأتي له ذلك بحدة خاطره، وثقابة فطنته، وقوته على نظم القريض، وكذلك منع الكتابة لئلا يقال: نَظَرَ في الكتب القديمة وتسلط بها على إنشاء كتابه، واطلع فيها على الأمور المغيبة عنه.

فإن قيل: إذا كان ما ذكرته حكمةُ صرفه عن قول الشعر، فنراهم لم يتناهوا عنه حتى قالوا: شاعر؟

قلتُ: لا جرم أن ذلك كسبهم شعار الكذب، وسلبهم وصف الإنصاف، وجعلهم عند أنفسهم كَذَبَة فَجَرَة؛ لعلمهم بحاله.

ولذلك قال لهم الوليد بن المغيرة: لقد وضعت قوله على أقراء الشعر فما رأيته يلتئم بها، فقولوا فيه غير ذلك، فقالوا: قل أنت؟ فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر، وإنما راموا بذلك ترويج باطلهم عند جاهل غِرٍّ، أو متجاهل ذي غُمر، وإلا فأين أسلوب[١] القرآن من أساليب الشعر؟

قوله تعالى: ﴿لينذر﴾ وقرأ نافع وابن عامر: «لتنذر» بالتاء[٢]، على الخطاب للرسول ﷺ.

﴿من كان حياً﴾ يريد: المؤمنين، ﴿ويحق القول على الكافرين﴾ سبق تفسيره.

---

(١) قوله: «أسلوب» مكرر في الأصل.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣١١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٣)، والكشف (٢/ ٢٢٠)، والنشر (٢/ ٣٥٥)، والإتحاف (ص:٣٦٦)، والسبعة (ص:٥٤٤).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

ثم دلّهم بما يشاهدون من آثار قدرته على وجوب وحدانيته فقال: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً﴾ أي: عملناه بغير واسطة ولا شِركة. وهذا معنى قول السدي[1].

قال الحسن: الأيدي: القوة، كما قال تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾[2] [الذاريات:٤٧].

﴿فهم لها مالكون﴾ قادرون على التصرف فيها، لم نجعلها وحشية نافرة منهم.

﴿وذلّلناها لهم﴾ يعني: الأنعام، ولولا تسخيره جَلَّت عظمته لامتنعت عن بني آدم كما امتنع ما هو أضعف منها من الحيوانات.

ولقد ذَلَّلَ الله تعالى أعظمها أجساماً، وأشدها قوة وأجراماً، حتى ضرب به المثل في الانقياد، قال ﷺ: « المؤمن كالجمل الأنِف، إن [قيد][3] انقاد، وإن أنيخ استناخ »[4].

ولقد أحسن القائل:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠١) عن السدي قال: من صنعتنا. وذكره الماوردي (٥/ ٣١)، والسيوطي في الدر (٧/ ٧٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٣١).

(٣) زيادة من شعب الإيمان (٦/ ٢٧٢).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٧٢ ح٨١٢٨).

يُصرِّفُه الصبيُّ بكل وجهٍ ويحبسُه على الخسْفِ الجرير
وتضْربهُ الوليدةُ بالهَرَاوى فلا غِيرٌ لديه ولا نكيرُ(١)

ولهذا المعنى وهذا الإنعام أمر الله تعالى راكبه أن يشكر نعمته عليه ويسبحه إذا علا ذروته، فقال تعالى: ﴿وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ [الزخرف:١٣].

رأيت بخط الإمام [أبي](٢) البقاء علي بن عقيل الحنبلي البغدادي رضي الله عنه في كتابه المعروف بالفنون، وهو كتاب عظيم، يدل على فخامة صاحبه وغزارة علمه وحكمته. قال لي الشيخ أبو البقاء اللغوي: سمعت أبا حكيم النهرواني يقول: وقفت على السِّفْر الرابع بعد الثلاثمائة من كتاب الفنون يقول: ركب يزيد بن نهشل بعيراً، فلما استوى عليه قال: اللهم إنك قلت: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف:١٣]، اللهم إني أشهدك أني له مُقرن، فنفر البعير وتعلقت رجله والبعير يجمر به حتى مات.

[معنى](٣): «مُقرنين»: مُطيقين، فادعى الطاقة لرد منّة الله منه تعالى في نعمته فهلك.

قوله تعالى: ﴿فمنها ركوبهم﴾ أي: ما يركب، يريد: الإبل.

---

(١) البيتان في: المستطرف (٢/ ٦١)، والمستقصى في أمثال العرب (١/ ١٠٣)، وجمهرة الأمثال (١/ ٤٢٩)، ومجمع الأمثال (١/ ٢٥٤).

(٢) في الأصل: أبو. وهو لحن.

(٣) في الأصل: يعني.

وقرأ الحسن والأعمش: «رُكُوبُهُم» بضم الراء، أي: ذو ركوبهم[(١)].

﴿ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار والنسل، ﴿ومشارب﴾ من ألبانها، جمع مَشْرَب، وهو موضع الشرب أو المشروب.

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

﴿واتخذوا من دون الله﴾ الذي أنعم بهذه النعمة ﴿آلهةً لعلهم ينصرون﴾ أي: رجاء أن يعضدهم ويدفع عنهم وينفعهم ويشفع لهم، فانعكس [مقصودهم][(٢)] عليهم.

قوله تعالى: ﴿وهم لهم جند محضرون﴾ أي: المشركون لأصنامهم جُنْد.

قال ابن جريج: شِيعة.

وقال غيره: أعوان[(٣)].

«مُحْضَرُون»: يحضرونهم للعبادة والخدمة والذَّبِّ عنهم والغضب لهم.

﴿فلا يحزنك قولهم﴾ هذا وقف التمام. ثم استأنف فقال: ﴿إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾.

أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٧).

(٢) في الأصل: مصودهم.

(٣) ذكر القولين الماوردي (٥/ ٣٢).

لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من كفار قريش أتى رسول الله ﷺ بعظم نَخِرٍ ففتَّه بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أتزعم أن الله تعالى يُحيي هذا بعدما رَمَّ؟ فقال: نعم، يُميتك الله ثم يُحييك ثم يُدخلك نار جهنم[١].

واختلف في هذا الرجل؛ فقيل: هو العاص بن وائل[٢].

وقيل: أبو جهل[٣]. رويا عن ابن عباس.

وقال الحسن: أمية بن خلف[٤].

وقال مجاهد وقتادة وعامة المفسرين: هو أُبَيّ بن خلف[٥].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٦ ح٣٦٠٦)، والطبري (٢٣/ ٣٠-٣١) عن سعيد بن جبير مرسلاً، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٢)، والضياء المقدسي في المختارة (١٠/ ٨٧-٨٨)، والإسماعيلي في معجمه (٣/ ٧٤٢). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٧٩)، والسيوطي في الدر (٧/ ٧٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والضياء في المختارة، كلهم عن ابن عباس قال: جاء العاص بن وائل ... الحديث.

(٢) انظر: تخريج الحديث السابق.

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٥) وعزاه لابن مردويه.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤١).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٥٣٧)، والطبري (٢٣/ ٣٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٢). وذكره =

﴿وضرب لنا مثلاً﴾ في إنكار البعث بالعظم البالي يفتُّه في يده ويُنكر قدرتنا على إعادته.

﴿ونسي خلقه﴾ أي: وترك النظر في خلق نفسه وعنصره وكوني أوجدته من نطفة خسيسة مَهينة خارجة من قناة البول، ونقلته بقدرتي ونعمتي من حال إلى حال، حتى جعلته سميعاً بصيراً متكلماً، قادراً عالماً فاهماً، ثم جحد حقِّي وكفر نعمتي، وأنكر وحدانيتي، وعَبَدَ الأصنام من دوني، وتصدى لنصرة حجر لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، يروم أن يجعله بزعمه شريكاً لي، وأنكر قدرتي على إحياء عظام أنا أنشأتها وفَطَرْتها ابتداء، وأخرجتها من العدم إلى الوجود.

﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ يقال: رَمَّ العظمُ يرمُّ رمّاً؛ إذا بلي فهو رميم[1]، والعظام رميم.

قال الزمخشري[2]: الرَّميم: اسم لما بلي من العظام غير صفة، [كالرمة][3] والرفات، فلا يقال: لِمَ لَمْ يؤنث وقد وقع خبر المؤنث؟ ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول.

= السيوطي في الدر (٧/ ٧٥-٧٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر. ومن طريق آخر عن السدي، وعزاه لابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لابن أبي حاتم.

(١) انظر: اللسان (مادة: رمم).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٣).

(٣) في الأصل: كالرمية. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

فصل

احتج علماؤنا بهذه الآية على نجاسة عظام الميتة من حيث كونها قابلة للموت ضرورة قبولها للحياة.

قوله تعالى: ﴿وهو بكل خلق عليم﴾ أي: يعلم كيف يخلق، لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات.

ثم ذكر من بدائع خلقه ما يدلهم على قدرته على ما أحالته عقولهم الضعيفة، فذلك قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ أي: الذي جعل النار المحرقة من الشجر الأخضر الرّطب، وجمع بينهما مع مضادة النار الماء وإشعالها الحطب، وأكثر ما تكون النار في المَرْخ والعَفَار، وفي أمثالهم: (في كل شجر نار، واستمْجَدَ المَرْخُ والعَفَار)، يقطع الرجل منهما عويدتين كالسواكين وهما خضراوان يقطران الماء، فيسحق المرخ وهو ذكر، على العفار وهي أنثى، فتنقدح النار بإذن الله تعالى.

ويروى عن ابن عباس: ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب. قالوا: ولذلك يتخذ منه كُذَيْنِقَات[1] القصارين[2].

وقوله تعالى: ﴿الأخضر﴾: على اللفظ. وقيل: الشجر، جمع يؤنث ويذكر، قال الله تعالى: ﴿من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون﴾ [الواقعة:٥٢-٥٣]، وقال تعالى هاهنا: ﴿فمنه توقدون﴾.

---

(١) الكُذَيْنِقُ: مدقّ القصارين الذي يدقّ عليه الثوب (اللسان، مادة: كذنق).

(٢) الكشاف (٤/ ٣٣).

أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾

ثم ذكر لهم ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال تعالى: ﴿أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر﴾.

وروى رويس وأبو حاتم عن يعقوب: «يَقْدِرُ» بياء مفتوحة وسكون القاف من غير ألف[1]، جعله فعلاً مضارعاً، وهي قراءة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد [ذكرناه][2] في بني إسرائيل.

﴿يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق﴾ وقرأ أبي بن كعب والحسن: «الخالق العليم»[3].

و«الخلاّق»: الكثير المخلوقات، «العليم»: الكثير المعلومات.

والآية التي بعد هذه مفسرة في النحل[4].

ثم نزّه نفسه سبحانه وتعالى عما يقولون فقال: ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت﴾ أي: مُلْك ﴿كل شيء﴾ والقدرة على كل شيء ﴿وإليه ترجعون﴾ بعد الموت. والله تعالى أعلم.

---

(١) النشر (٢/ ٣٥٥)، والإتحاف (ص:٣٦٧).

(٢) في الأصل: ذكرنا.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٧).

(٤) عند الآية رقم: ٤٠.

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي مائة واثنتان وثمانون آية، وهي مكية بإجماعهم.

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥﴾

قال الله تعالى: ﴿والصافات صفاً﴾ قيل: يريد جماعة المؤمنين إذا صفوا في الصلاة أو القتال في سبيل الله تعالى.

وقيل: الطير، من قوله تعالى: ﴿والطير صافات﴾ [النور:٤١].

والصحيح: أنهم الملائكة. وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وعامة المفسرين[١].

أقسم الله تعالى بطوائف الملائكة [أو][٢] بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة، أو أجنحتها في الهواء واقفة ترتقب أمر الله عز وجل.

قال ابن عباس: يريد: الملائكة صفوفاً صفوفاً، لا يعرف كل مَلَك منهم مَنْ إلى جانبه، لم يلتفت منذ خلقه الله تعالى عز وجل[٣].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٦ ح٣٦٠٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١٤ ح٩٠٤١)، وأبو الشيخ في العظمة، والطبري (٢٣/ ٣٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٨) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة عن ابن عباس، وعدة طرق أخرى.

(٢) في الأصل: أ. والمثبت من الكشاف (٤/ ٣٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٤).

﴿فالزاجرات زجراً﴾ قال الربيع وقتادة: آيات القرآن[١].

والصحيح: أنها الملائكة، وهو قول الذين تقدم ذكرهم وعامة المفسرين.

يريد: فالزاجرات السحاب، أو فالزاجرات عن المعاصي زجراً.

﴿فالتـاليـات ذكراً﴾ يريد: الملائكة.

وقال ابن عباس: الأنبياء[٢].

أي: القارئات لكلام الله عز وجل وكتبه المنزّلة.

قال قطرب: أقسم الله تعالى بثلاثة أصناف من الملائكة، وجواب القسم: ﴿إن إلهكم لواحد﴾.

قرأ أبو عمرو في إدغامه الكبير وحمزة: ﴿والـصافات صـفاً﴾، ﴿فـالزاجرات زجراً﴾، ﴿فالتاليات ذكراً﴾، ﴿والذاريات ذرواً﴾ بالإدغام فيهن. وعلة الإدغـام: مقاربة التاء هذه الحروف من حيث أنها وإياهن من طرف اللسان وأصول الثنايا، ومن ترك الإدغام فلاختلاف المخارج[٣].

﴿رب السمـاوات﴾ خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف[٤].

و﴿المشـارق﴾ ثلاثمائة وستون مشرقاً، وكذلك المغارب، تشرق الشمس كل

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٤). وذكره السيوطي في الـدر (٧/ ٧٨) وعزاه لابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بـن حميـد وابـن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٤٥).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٢)، والكشف (١/ ١٥٠-١٥٢)، وإتحاف فضلاء البـشر (ص:٣٦٧)، والسبعة (ص:٥٤٦).

(٤) التبيان (٢/ ٢٠٥)، والدر المصون (٥/ ٤٩٥).

يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب، ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين.

إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿إنا زينا السماء الدنيا﴾ يريد: السماء القربى إلى الأرض.

﴿بزينةٍ الكواكب﴾ قرأ عاصم وحمزة: «بزينةٍ» بالتنوين. وقرأ أبو بكر: «الكواكبَ» بالنصب، وقرأ الباقون بإضافة «الزينة» إلى «الكواكب»[1].

فمن نوّن وخفض «الكواكب» جعل الكواكب بدلاً من «الزينة»؛ لأنها هي هي، كما تقول: مررت بأبي عبدالله محمد. ومن نوّن ونصب «الكواكبَ» جعلها بدلاً من محل «زينة».

وقال أبو علي[2]: أعمل الزينة في الكواكب، المعنى: بأن زيّنّا الكواكب فيها. والباقون أضافوا المصدر إلى المفعول به، كقوله تعالى: ﴿من دعاء الخير﴾ [فصلت:٤٩]، وقوله تعالى: ﴿بسؤال نعجتك﴾ [ص:٢٤]، والمعنى: بأن زينا الكواكب فيها.

﴿وحفظاً﴾ محمول على المعنى، تقديره: إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً ﴿من كل شيطان﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٤)، والكشف (٢/ ٢٢١)، والنشر (٢/ ٣٥٦)، والإتحاف (ص:٣٦٧-٣٦٨)، والسبعة (ص:٥٤٦-٥٤٧).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٤).

وقيل: المعنى: وحفظناها حفظاً.

قال قتادة: خلقت النجوم لثلاث؛ رجوماً للشياطين، ونوراً يهتدى بها، وزينة للسماء الدنيا[١].

قوله تعالى: ﴿لا يسّمّعون﴾ قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «يَسَّمَّعُون» بتشديد السين وفتحها، أصله: يتسمَّعون، أدغموا التاء في السين. وقرأ الباقون: «يَسْمَعُون»، من سمع يسمع[٢].

قال ابن عباس: يتسمعون ولا يسمعون[٣].

قال الزمخشري[٤]: إن قلت: كيف اتصل «لا يَسَّمَّعُون» بما قبله؟

قلتُ: لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان، أو استئنافاً، فلا تصح الصفة؛ لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له، وكذلك الاستئناف؛ لأن سائلاً لو سأل: كيف تحفظ من الشياطين؟ فأجيب بأنهم لا يسمعون؛ لم يستقم، فبقي أن يكون كلاماً منقطعاً مبتدأ اقتصاصاً، لما عليه حال المسترقة للسمع، وأنهم لا يقدرون أن يستمعوا إلى كلام الملائكة، أو يستمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك، إلا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة؛ فعندها تعاجله الهلكة بإتباع الشهاب الثاقب.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٣٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٥)، والكشف (٢/ ٢٢١)، والنشر (٢/ ٣٥٦)، والإتحاف (ص:٣٦٨)، والسبعة (ص:٥٤٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٧٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) الكشاف (٤/ ٣٨-٣٩).

فإن قلت: هل يصح قول من زعم [أن أصله][1]: «لئلا يسمعوا» فحذفت اللام كما حذفت في قولك: جئتك أن تكرمني، فبقي: أن لا يسمعوا، فحذفت «أن» وأهدر عملها، كما في قول القائل:

ألا أيُّهذا الزَّاجري أحْضُرُ الوغى ....[2]

قلتُ: كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده، فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات، على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب.

فإن قلت: أي فرق بين سمعت فلاناً يتحدث، وسمعت إليه يتحدث، وسمعت حديثه، وإلى حديثه؟

قلتُ: المعدّى بنفسه يفيد الإدراك، والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك.

والملأ الأعلى: الملائكة؛ لأنهم يسكنون السماوات.

وقال ابن عباس: هم الكَتَبَة من الملائكة[3].

﴿ويُقْذَفُون﴾ أي: يرمون ﴿من كل جانب﴾ أي: من جميع جوانب السماء أين صعدوا للاستراق.

﴿دُحُوراً﴾ مفعول له، أي: يقذفون للدُّحور وهو الطَّرْد، أو مدحورين؛ على الحال، أو هو مصدر على معنى: يُدْحَرُون دحوراً[4]، أو لأن القذف والطرد

(١) زيادة من الكشاف (٤/ ٣٩).

(٢) صدر بيت لطرفة، وعجزه: (وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي)، انظر: ديوانه (ص:٣٢)، واللسان (مادة: أنن، دنا)، والبحر (٧/ ١٦٣)، والدر المصون (١/ ٢٧٥، ٥/ ٣٧٥)، والسبع الطوال (ص:١٧٢)، والمقتضب (٢/ ١٣٤)، والهمع (١/ ٦)، والخزانة (١/ ١١٩).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٩).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٥)، والدر المصون (٥/ ٤٩٦).

يتقاربان في المعنى، فكأنه قيل: يُدحرون دحوراً.

﴿ولهم عذاب واصب﴾ أي: دائم، يعني: أنهم يعذبون في الدنيا بإرسال النجوم عليهم، ولهم في الآخرة نوع من العذاب متصل لا ينقطع وهو عذاب النار.

وقال مقاتل[١]: دائم إلى النفخة الأولى فهم يخرجون ويخبلون.

قوله تعالى: ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ «مَنْ» في محل الرفع بدل من الواو في ﴿لا يسَّمَّعُون﴾[٢]، على معنى: لا يسمع من الشياطين إلا الشيطان الذي خطف الخطفة، أي: اختلس الكلمة من الملائكة مسارقة.

﴿فأتبعه﴾ لحقه ﴿شهاب ثاقب﴾ نار مضيئة تحرقه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ [الحجر:١٨].

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿فاستفتهم﴾ قال الزجاج[٣]: سَلْهم سؤال تقرير.

﴿أهم أشد خلقاً﴾ أحكم صنعة أو أقوى خلقاً، من قولهم: شديد الخَلق

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٩٥).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ٤٩٦).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٢٩٩).

والخَلْق، ﴿أم من خلقنا﴾ يريد: ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والمغارب والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المَرَدَة. وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد وسعيد بن جبير[١].

والمعنى: فكيف ينكرون قدرتي على إعادة الأموات، وقد شاهدوا عظائم مخلوقاتي ودلائل قدرتي.

قولهم: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ تسجيلٌ عليهم بالضعف بالنسبة إلى هذه المخلوقات العظام، وتنبيهٌ لهم على عجائب قدرة من أنشاهم من تراب مجبول، ليستدلوا بأحد المقدورين على الآخر.

وقيل: المعنى: أهم أشد خلقاً أم من خلقنا من الأمم الماضية قبلهم، وقد أهلكنا أولئك حين كذبوا وكفروا وكانوا أشدّ منهم قوة وأعظم بطشاً، فما ظن هؤلاء؟

والمفسرون يقولون: نزلت هذه الآية في ركانة بن زيد[٢] بن هاشم بن عبد مناف، وأبي الأشدين كلدة[٣].

يقال: لَزِبَ يَلْزُبُ لُزُوباً؛ إذا لَزِق[٤].

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٤٠)، والطبري (٢٣/ ٤١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد. ومن طريق آخر عن سعيد بن جبير وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) في مصادر ترجمته: ركانة بن عبد يزيد. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٣/ ٢٤٨)، والتقريب (ص:٢١٠).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤١).

(٤) انظر: اللسان (مادة: لزب).

قال ابن عباس: من طين لاصق[١].

وقال قتادة: لازق[٢].

قال الواحدي[٣]: المعنى: أن هؤلاء الكفار خلقوا مما خلق منه الأولون [فليسوا بأشد خلقاً منهم، وهذا إخبار عن التسوية بينهم وبين][٤] غيرهم من الأمم في الخلق.

وهذا عندي غير مستقيم؛ لأن الأمم الماضية كانت أحكم بُنْيَة، وأشدّ قوة، وأعظم أجراماً، وقد نطق القرآن بأنهم كانوا أشد منهم قوة في مواضع، وإنما أراد الله تعالى تقريرهم بضعفهم بالنسبة إلى الذين من قبلهم؛ لتتضاءل أنفسهم عندهم؛ حيث يعظموا شدّة قواهم. ثم بين ضعف الجميع بقوله تعالى: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾.

قوله تعالى: ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ أضْرَبَ عن الكلام الأول ثم أخذ في غيره، فكأنه قيل: دَعْ يا محمد ما مضى، عجبت أنت من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٦). وذكره الماوردي (٥/ ٤٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٨١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم كلهم -عدا الماوردي- بلفظ: ملتصق.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) الوسيط (٣/ ٥٢٢).

(٤) زيادة من الوسيط، الموضع السابق.

وقرأ حمزة والكسائي: «عَجِبْتُ» بضم التاء[1]، وهي قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

قال أبو وائل: قرأ عبدالله بن مسعود: «بل عجبتُ»، فقال شريح: إن الله لا يعجب، إنما يعجب من لا يعلم.

قال الأعمش: فذكرته لإبراهيم، فقال: إن شريحاً كان معجباً برأيه، وإن عبدالله قرأ: «بل عجبتُ»، وعبدالله أعلم من شريح[2].

قال الزجاج رحمه الله[3]: إنكار هذا غلط؛ لأن القراءة به، والرواية كثيرة، والعجب من الله تعالى بخلاف العجب من الآدميين، وأصل العجب في اللغة: أن الإنسان إذا رأى ما [ينكره][4] ويقلّ مثله قال: قد عجبتُ من كذا وكذا، فكذلك إذا فعل الآدميون ما ينكره الله تعالى جاز أن يقول فيه: عجبتُ، والله تعالى قد علم الشيء قبل كونه، ولكن الإنكار إنما يقع والتعجب الذي به يلزم الحجة عند وقوع الشيء.

وقال الواحدي[5]: إضافة التعجب إلى الله تعالى ورد الخبر به، كقوله ﷺ:

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٦)، والكشف (٢/ ٢٢٣)، والنشر (٢/ ٣٥٦)، والإتحاف (ص:٣٦٨)، والسبعة (ص:٥٤٧).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٦-٣٢٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨٢) وعزاه لأبي عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٠٠).

(٤) في الأصل: يكره. والتصويب من معاني الزجاج (٤/ ٣٠٠).

(٥) الوسيط (٣/ ٥٢٣).

«عجب ربكم من إلِّكم[١] وقنوطكم»[٢]، و «عجب ربك من شاب ليست له صبوة»[٣]، و «عجب الله البارحة من فلان وفلانة»[٤].

قوله تعالى: ﴿يستسخرون﴾ أي: يسخرون ويستهزؤون، أو يستدعي بعضهم من بعض السخرية.

قوله تعالى: ﴿وآباؤنا﴾ معطوف على محل «إن» واسمها، أو على الضمير في «لمبعوثون»، والذي جوّز العطف عليه [الفصل][٥] بهمزة الاستفهام.

والمعنى: أيبعث أيضاً آباؤنا، على زيادة الاستبعاد[٦].

قال مكي[٧]: هذه واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام التي معناه الإنكار للبعث بعد الموت.

وقرأ ابن عامر وقالون: «أوْ آباؤنا» بإسكان الواو[٨]، ومثله في

---

(١) الإلّ: الحلف والأيمان.

قال الخطابي في إصلاحه غلط المحدثين (ص:١٥٢): يرويه المحدثون بكسر الألف. والصواب: «ألّكم» بفتحها. يريد: رفع الصوت بالدعاء.

(٢) أخرج ابن ماجه (١/ ٦٤ ح١٨١)، وأحمد (٤/ ١١) هذا الخبر بلفظ: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره...».

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٥١)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٤ ح٤٦٠٧).

(٥) في الأصل: الفعل. والتصويب من الكشاف (٤/ ٤١).

(٦) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤١).

(٧) الكشف (٢/ ٢٢٣-٢٢٤).

(٨) الحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٨)، والكشف (٢/ ٢٢٣)، والنشر (٢/ ٣٥٧)، والإتحاف (ص:٣٦٨).

الواقعة[١]، جعلها «أو» التي للإباحة في الإنكار، أي: أنكروا بعثهم [وبعث][٢] آبائهم بعد الموت. هكذا ذكر مكي.

وأنا قرأتُ لنافع من رواية وَرْش أيضاً عنه كقالون.

﴿قل نعم وأنتم داخرون﴾: صاغرون.

﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ هذا جواب شرط مُقَدَّر، تقديره: إذا كان ذلك فإنما هي زجرة، وهي لا ترجع إلى شيء، وإنما هي مبهمة يفسرها خبرها.

والمعنى: فإنما هي صيحة واحدة.

قال الحسن وعامة المفسرين: هي النفخة الثانية[٣].

وَقَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿وقالوا﴾ يعني: منكري البعث ﴿يا ويلنا﴾ سبق الكلام عليه وما بعده.

ويجوز أن يكون من تمام كلامهم، وقول بعضهم لبعض إلى قوله تعالى: ﴿احشروا﴾. ويجوز أن يكون من قول الملائكة لهم، ويجوز أن يكون قول الكفار.

---

(١) عند الآية رقم: ٤٨.

(٢) في الأصل: أو بعث. والتصويب من الكشف (٢/ ٢٢٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٧) كلاهما عن السدي. وذكره الماوردي (٥/ ٤٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٨٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي.

انتهى بتمام الآية، ومن قوله تعالى: ﴿هذا يوم الفصل﴾ من كلام الملائكة جواباً لهم.

وقوله تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أضرابهم وأمثالهم في الكفر والمعاصي.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يحشر صاحب الربا مع صاحب الربا، وصاحب الزنا مع صاحب الزنا، وصاحب الخمر مع صاحب الخمر[(١)].

وقال الحسن: يريد: أزواجهم المشركات[(٢)].

﴿وما كانوا يعبدون * من دون الله﴾ قال عكرمة وقتادة: يريد: الأصنام[(٣)].

وقال مقاتل[(٤)]: يعني: إبليس وجنده. واحتج بقوله تعالى: ﴿أن لا تعبدوا الشيطان﴾ [يس:٦٠].

﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ عرّفهم طريق النار حتى يسلكوها.

﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ قال الماوردي[(٥)]: فيه ستة أوجه:

أحدها: عن لا إله إلا الله. وهو قول يحيى بن سلام.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٨٣) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وابن أبي شيبة وابن منيع في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٨) كلاهما عن قتادة. وذكره الماوردي (٥/ ٤٣) عن قتادة وعكرمة، والسيوطي في الدر (٧/ ٨٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن مردويه وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٩٧).

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٤٤).

الثاني: عما دعوا إليه من بدعة. رواه أنس بن مالك مرفوعاً[١].

الثالث: عن ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه. حكاه أبو هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري.

الرابع: عن جلسائهم. وهو قول عثمان بن زائدة[٢].

الخامس: محاسبون. وهو قول ابن عباس[٣].

السادس: مسؤولون.

﴿ما لكم لا تناصرون﴾ على طريق التوبيخ والتقريع لهم. انتهى كلام الماوردي.

قلت: وهذا الوجه السادس هو التفسير الصحيح.

والمقصود من هذا السؤال: التهكم بهم، والتوبيخ لهم بعجزهم عن تناصرهم، وليس المقصود منه الحساب، فإن هذا السؤال واقع بعد أن يقال للملائكة: «فاهدوهم إلى صراط الجحيم»، وقد قضي الأمر فيهم وحق القول عليهم.

﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ منقادون خاضعون، أو قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله.

---

(١) أخرجه البخاري في تاريخه (٢/ ٨٦ ح١٧٧٨)، والترمذي (٥/ ٣٦٤ ح٣٢٢٨) وقال: هذا حديث غريب، والطبري (٢٣/ ٤٨)، والدارمي (١/ ١٤١)، والحاكم (٢/ ٤٦٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٨٤) وعزاه للبخاري في تاريخه والترمذي والدارمي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض﴾ يعني: الرؤساء والأتباع.

وقال قتادة: أقبل الإنس على الجن[1].

﴿يتساءلون﴾ سؤال توبيخ وتلاوُم، هؤلاء يقولون: غَرَرْتُمُونا، وهؤلاء يجيبونهم: لم قَبِلْتُم منّا، ونحوه قول إبليس لهم: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان ...

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

الآية﴾ [إبراهيم:٢٢]، وجيء به على لفظ الماضي على عادة الله تعالى في إخباره، لكونه متحقق الكون.

﴿قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ قال ابن عباس: تقهروننا بالقوة، واليمين: القوة[1]، وأنشدوا:

إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجدٍ تلقّاها عَرابةُ باليمين[2]

وقال بعض أهل المعاني[3]: لما كانت اليمين أشرف العضوين وأمثلهما وكانوا يتيمّنون بها، فبها يُصافحون وبها يُناولون ويَتناولون ويُزاولون أكثر الأمور، ويتشاءمون بالشمال، ولذلك سَمُّوها: الشؤمى، كما سموا أختها: اليُمنى، وتيمَّنوا بالسانح، وتطيّروا من البارح[4]، وعضدت الشريعة ذلك، فأمرت بمباشرة أفاضل الأمور باليمين، [وأراذلها][5] بالشمال. وكان رسول الله ﷺ يحب التيامن في كل شيء، وجعلت اليمين لكاتب الحسنات، والشمال لكاتب السيئات، ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه، والمسيء أن يؤتاه بشماله؛ استعيرت للخير وجانبه، فقيل: أتاه عن اليمين، أي: من قبل الخير وناحيته، فصدّه عنه وأضله.

وقيل: كان الرؤساء قد حلفوا للأتباع أن ما يدعونهم إليه هو الحق فوثقوا

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٥).

(٢) البيت للشماخ بن ضرار المري. وهو في: اللسان (مادة: عرب، يمن)، والطبري (٢٣/ ٤٩)، والقرطبي (٥/ ٢٠، ٨/ ٢٥١، ١٤/ ١٤٧، ١٥/ ٧٥، ٢٧٨، ١٨/ ٢٧٥)، والماوردي (٥/ ٤٥).

(٣) الكشاف (٤/ ٤٢-٤٣).

(٤) السانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك. والبارح: ما أتاك من ذلك عن يسارك (اللسان، مادة: سنح).

(٥) في الأصل: وأرذالها. والتصويب من الكشاف (٤/ ٤٢).

بأيمانهم.

والمعنى: كنتم تأتوننا من ناحية اليمين أنكم على الحق.

فإن قيل: ما العامل في «إذا» في قوله تعالى: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم﴾؟

قلتُ: «يستكبرون»، تقديره: إنهم كانوا يستكبرون إذا قيل لهم: لا إله إلا الله.

فإن قيل: ما منعك أن تجعل «إذا» خبراً لـ«كان»؟

قلتُ: لأنها ظرف زمان، والواو في «كانوا» يراد به الجثث، وظروف الزمان لا تكون إخباراً عن الجثث.

وما لم أذكره ظاهر أو مفسر، إلى قوله تعالى: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ وهو استثناء منقطع.

﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ قال قتادة: الرزق المعلوم: الجنة[1].

ويفسد هذا القول بقوله تعالى: ﴿في جنات﴾.

وقال غيره: هو ما ذكره في قوله تعالى: ﴿فواكه﴾، فيكون «فواكه» عطف بيان.

وقال بعض أهل العلم بالمعاني[2]: فسر الرزق المعلوم بالفواكه، وهو كل ما يتلذذ به ولا [يتقوت][3] لحفظ الصحة، يعني: أن رزقهم كله فواكه، لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات، لأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد، فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) الكشاف (٤/ ٤٤).

(٣) في الأصل: يتوقت. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

ويجوز أن يراد: رزق معلوم منعوت بخصائص خُلق عليها؛ من طيب طعم، ورائحة، ولذة، وحسن منظر.

﴿على سرر متقابلين﴾ لا يرى بعضهم أقفاء بعض، وذلك من تمام ما يكون به الإكرام.

قوله تعالى: ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ يقال للزجاجة فيها الخمر: كأس، وتسمى الخمر نفسها [كأساً][1]، قال:

وكأسٍ شَربتُ على لذةٍ ... وأخرى تداويتُ منها بها[2]

وقال الأخفش: كل كأس في القرآن فهي الخمر، وهذا تفسير ابن عباس أيضاً[3].

وقوله تعالى: ﴿من معين﴾ أي: من شراب معين، أي: من نهر معين، وهو الجاري على وجه الأرض، الظاهر للعيون.

﴿بيضاء﴾ صفة للكأس.

قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن[4].

﴿لَذَّة﴾ أي: لذيذة، يقال شراب لَذّ ولذيذ، كطَبّ وطبيب.

وأنشدوا:

---

(١) زيادة من الكشاف (٤/ ٤٤).

(٢) البيت للأعشى، وهو في: البحر (٧/ ٣٤٤)، والدر المصون (٥/ ٥٠٠)، وروح المعاني (٢٣/ ٨٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٣) وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١١)، وهناد في الزهد (١/ ٧٧-٧٨)، كلهم عن الضحاك. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٨٧) وعزاه لابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك، والنسفي (٤/ ٢٠) عن الأخفش.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٥٦).

ولذٍّ كطعْمِ الصَّرْخديّ تركتُه بأرضِ العِدا من خشيةِ الحَدَثَان[١]

ولَذَّة: تأنيث لَذّ.

والمعنى: ما هو إلا التلذُّذ الخالص السالم من آفات الخمر، ألا تراه يقول: ﴿لا فيها غَوْل﴾ أي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا يصيبهم منها وجع، من غالَه يغُوله؛ إذا أهلكه، ومنه: الغُول[٢].

وقال بعض الحكماء: الغضبُ غُول الحِلْم[٣].

﴿ولا هم عنها يُنْزَفُون﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «يُنْزِفُون» بكسر الزاي، وافقهما عاصم في التي في الواقعة[٤]. وقرأهما الباقون بفتح الزاي[٥].

قال أبو علي[٦]: يقال: أنزف الرجل، على معنيين:

أحدهما: أنه يراد به سَكِرَ. قال الشاعر:

لعمْري لئن أنْزَفْتُمُ أوْ صَحَوْتُمُ لبئسَ النَّدَامَى كُنتمُ آل أبْجَرَا[٧]

---

(١) البيت للراعي، وهو في: اللسان (مادة: لذذ)، والقرطبي (١٥/ ٧٨)، والبحر (٧/ ٣٣٦)، والدر المصون (٥/ ٥٠١)، وروح المعاني (٢٣/ ٨٧)، والكشاف (٤/ ٤٥).

(٢) انظر: اللسان (مادة: غول).

(٣) هذا مثلٌ يُضرب في وجوب كظم الغيظ. (انظر: المستقصى في أمثال العرب ١/ ٣٣٧، ومجمع الأمثال ٢/ ٦١).

(٤) آية رقم: ١٩.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٥-٣١٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٨-٦٠٩)، والكشف (٢/ ٢٢٤)، والنشر (٢/ ٣٥٧)، والإتحاف (ص:٣٦٩)، والسبعة (ص:٥٤٧).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٦).

(٧) البيت ينسب للأبيرد الرياحي. وهو في: اللسان (مادة: نزف)، والمحتسب (٢/ ٣٠٨)، ومجاز القرآن (٢/ ١٦٩)، والأغاني (١٣/ ١٤٨)، والبحر (٧/ ٣٣٦)، والدر المصون (٥/ ٥٠١)، =

فمقابلته له بـ«صحوتم» يدل على إرادة «سكرتم».

والآخر: أنْزفَ الرجل: إذا [نَفَدَ][١] شرابه، ومعنى «أنزف»: صار ذا إنفادٍ لشرابه، كما أن الأول معناه النفاد من عقله.

فمن قرأ بكسر الزاي: يجوز أن يراد به: لا يَسْكَرُون عن شربها. ويجوز أن يراد: لا ينفد ذلك عندهم، كما ينفد شراب أهل الدنيا.

ومن فتح الزاي أراد: لا يسكرون، وهو مثل: لا يُضْرَبُون، ليس «يُنْزَفون» من أنْزَفَ؛ لأن أنزف في كلا معنييه لا يتعدى إلى المفعول به، وإذا لم يتعدّ إلى المفعول به لم ينبني له، فإذا لم يجز ذلك علمت أن [ينزفون][٢] من نَزَفَ، وهو مَنْزُوف؛ إذا سَكِرَ.

قوله تعالى: ﴿وعندهم قاصراتُ الطرف عِين﴾ وهُنَّ اللواتي قصرت أبصارهن على أزواجهن لا يمددنها إلى غيرهم، ومنه قول امرئ القيس:

منَ القاصراتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ ... من الذَّرِّ فوقَ الإتبِ منها لأثَّرا[٣]

قال أبو جعفر النحاس: العرب تقول لكل صغير: مُحْوِل ومُحِيل، وإن لم يأت عليه حَوْل[٤].

= والطبري (٢٣/ ٥٥)، وروح المعاني (٢٣/ ٨٨)، ونسبه القرطبي في تفسيره للحطيئة (١٥/ ٧٩).

(١) في الأصل: نفذ. والتصويب من الحجة (٣/ ٣١٦).

(٢) في الأصل: منزفون. والتصويب من الحجة (٣/ ٣١٦).

(٣) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:٦٨)، واللسان (مادة: قصر، حول)، والبحر (٧/ ٣٤٤)، والدر المصون (٥/ ٥٠٢)، والقرطبي (١٥/ ٨٠، ٢٢٠)، وروح المعاني (٢٣/ ٨٩، ٢٧/ ١١٨، ٣٠/ ٢١٢)، والماوردي (٥/ ٤٨).

(٤) انظر: اللسان (مادة: حول).

وقال أبو هلال العسكري: الإتْبُ: ثوب رقيق تبرز فيه المرأة. يقال: ائْتَتَبَت [تأتيباً][1].

و«العِين»: النَّجَل[2] العيون.

قال الزجاج[3]: كِبَارُ العيون حِسَانُها، الواحدة: عَيْنَاء.

﴿كأنهن بَيْضٌ مكنون﴾ شبههن سبحانه وتعالى ببيض النعام المكنون في الأداحي، وبها تشبِّه العرب النساء وتسمِّيهن: بيضات الخدور.

وقال الزجاج[4]: أي: كأن ألوانهن ألوان بيض النعام الذي يكنه ريش النعام.

ويجوز أن يكون «مكنون»: مَصُون، يقال من ذلك: كَنَنْتُ الشيء؛ إذا سترته وصُنْتُه، فهو مكنون، وأَكْنَنْتُه: إذا أخفيته وأضمرته في نفسك[5].

وقال الحسن وابن زيد: شبههن ببيض النعام تكنها بالريش من الريح والغبار، فلونها [أبيض][6] في صفرة، وهذا أحسن ألوان النساء، وهو أن تكون المرأة بيضاء [مشربة بصفرة][7].

---

(١) في الأصل: تأتيب. وانظر: اللسان (مادة: أتب).

(٢) النَّجَل: سعة شق العين مع حُسْن (اللسان، مادة: نجل).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٠٤).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٠٤).

(٥) انظر: اللسان (مادة: كنن).

(٦) زيادة من الوسيط (٣/ ٥٢٥).

(٧) أخرج نحوه الطبري (٢٣/ ٥٧) عن ابن زيد، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٢) عن زيد بن أسلم. وذكره الماوردي (٥/ ٤٨) عن الحسن، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٥) عن الحسن وابن زيد، والسيوطي في الدر (٧/ ٨٩) وعزاه لابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم. وما بين المعكوفين في =

وإلى هذا المعنى ذهب جماعة المفسرين، إلا ما يروى عن ابن عباس أنه أراد بالبيض المكنون: الدُّرُّ في صَدَفه[١]، وأنشدوا قول الشاعر:

هي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغـ ـواص مِيزتْ منْ جَوهرٍ مكنون[٢]

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يريد: أهل الجنة يتساءلون عن أحوالهم في الدنيا.

﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ أي: صاحب في الدنيا ينكر البعث، وهو قوله: ﴿أإنك لمن المصدقين﴾ يعني: بالبعث.

قال ابن عباس: شريكٌ كان يدعوه إلى الكفر فلا يجيبه[٣].

= الأصل: مشرة صفرة. والتصويب من الوسيط (٣/ ٥٢٥).

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٨).

(٢) البيت لأبي دهبل، ويقال: لعبد الرحمن بن حسن، انظر اللسان (مادة: خصر، سنن)، والطبري (٢٣/ ٥٨)، والقرطبي (١٠/ ٢٢، ١٥/ ٨١)، والماوردي (٥/ ٤٨).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩).

وقال مجاهد: شيطانٌ كان يغويه(١).

وكثيرٌ من المفسرين يقولون: هما اللذان قص الله تعالى علينا قصتهما في الكهف في قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾(٢) [الكهف:٣٢].

قوله تعالى: ﴿لمدينون﴾ أي: مجزيون ومحاسبون، والاستفهام للإنكار.

«قال» يعني: القائل، «إني كان لي قرين».

وقيل: الله عز وجل. وقيل: بعض الملائكة.

فإن قلنا: هو صاحب القرين؛ فالمعنى: قال لأصحابه في الجنة: ﴿هل أنتم مطلعون﴾ إلى النار ينظر كيف منزلة أخي. وقد نُقل أن في الجنة كوىً ينظر منها أهل الجنة إلى أهل النار.

وإن قلنا: هو الله تعالى أو بعض الملائكة؛ كان المعنى: هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لتعلموا فرق ما بين المنزلتين.

﴿فاطلع فرآه﴾ أي: فرأى قرينه ﴿في سواء الجحيم﴾ أي: في وسطها، سُمي بذلك؛ لاستواء المسافة منه إلى الجوانب.

وقرأ جماعة، منهم ابن عباس وابن محيصن: «مُطْلِعُونَ» بالتخفيف وفتح النون(٣).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٨). وذكره الماوردي (٥/ ٤٩)، والسيوطي في الدر (٧/ ٩٠) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٥٩).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٦٩).

قال الزجاج[١]: هو بمعنى طَالِعُون ومُطَّلِعُون، يقال من ذلك: طَلَعْتُ عليهم واطَّلَعْتُ عليهم في معنى واحد.

قال الزمخشري[٢]: قيل: الخطاب على هذا للملائكة.

وقرئ: «مُطْلِعُونِ» بكسر النون[٣]، أراد: مطلعون إياي؛ فوضع المتصل موضع المنفصل، كقوله:

هُمُ الفاعلونَ الخيرَ والآمِرُونه إذا ما خَشُوا من حادثِ الأمر مُعْظَمَا[٤]

قال الزجاج[٥]: كسر النون شاذ عند البصريين والكوفيين جميعاً، وله عند الجماعة وجه ضعيف، وقد جاء مثله في الشعر وهو قوله، وأنشد البيت ثم قال: وإنما الكلام: والآمروه، وكل أسماء الفاعلين إذا ذكرت بعدها المضمر لم تذكر النون والتنوين، تقول: زيدٌ ضَارِبِي وهم ضاربوك.

وقال ابن جني[٦]: هو على لغة ضعيفة، وهو أن يجري اسم الفاعل مجرى

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٠٤).

(٢) الكشاف (٤/ ٤٧).

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ٦٠)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٥٠٣). وقد ردّ هذه القراءة أبو حاتم وغيره؛ لجمعها بين نون الجمع وياء المتكلم، إذ كان قياسها: مُطَّلِعِيّ.

(٤) انظر البيت في: الكتاب لسيبويه (١/ ١٨٨) وفيه: أن الرواة زعموا أنه مصنوع، ومجالس ثعلب (ص:١٢٣)، وشرح المفصل لابن يعيش (٢/ ١٢٥)، والخزانة (٤/ ٢٦٩)، ومعاني الفراء (٢/ ٣٨٦)، والبحر (٧/ ٣٤٦)، والدر المصون (٥/ ٥٠٤)، والقرطبي (١٥/ ٨٣).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٣٠٥).

(٦) المحتسب (٢/ ٢٢٠).

الفعل المضارع؛ لقربه منه، فيجري «مُطلعوني» مجرى «يُطلعوني»، وهو شاذ.

﴿قال تالله إنْ كدت لتردين﴾ قال الزمخشري[١]: «إنْ» مخففة من الثقيلة، وهي تدخل على «كاد» كما تدخل على «كان»، ونحوه: ﴿إن كاد ليضلنا﴾ [الفرقان:٤٢] واللام هي الفارقة بينها وبين النافية.

«لتُرْدِين»: لتهلكني.

﴿ولولا نعمة ربي﴾ وهي العصمة والتوفيق للتمسك بعروة الإسلام، ﴿لكنت من المحضرين﴾ في النار.

قال ابن السائب: ثم يؤتى بالموت فيُذْبَح، فإذا أمن أهل الجنة فرحوا، وقالوا: ﴿أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى﴾ التي كانت في الدنيا ﴿وما نحن بمعذبين﴾ فقيل لهم: لا، فعند ذلك قالوا: ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ قال الله تعالى: ﴿لمثل هذا﴾ النعيم ﴿فليعمل العاملون﴾[٢].

قال الزمخشري[٣]: الذي عطفت عليه الفاء محذوف، معناه: أنحن مخلدون منعمون، فما نحن بميتين ولا معذبين.

أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ

---

(١) الكشاف (٤/ ٤٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٦).

(٣) الكشاف (٤/ ٤٧).

﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

ولما تمت قصة المؤمن وقرينه رجع إلى ذكر الرزق المعلوم فقال: ﴿أذلك﴾ يعني: الرزق ﴿خير نُزُلاً﴾ قال الزجاج والزمخشري[1]: النُّزُل هاهنا: الرَّيْعُ والفَضْلُ في الطعام، يقال من ذلك: هذا طعام كثير النُّزُل، بتسكين الزاي وضمِّها، والنَّزَل أيضاً.

قال الزمخشري[2]: فاستعير للحاصل من الشيء، وحاصل الرزق المعلوم: اللذة والسرور، وحاصل شجرة الزقوم: الألم والغم.

وانتصاب «نُزُلاً» على التمييز، ولك أن تجعله حالاً، كما تقول: أثَمر النخلة خير بلحاً أم رطباً؟ يعني: أن الرزق المعلوم نُزُل أهل الجنة، وأهل النار نُزُلهم شجرة الزقوم، فأيهما خير في كونه نزلاً. والنُّزُل: ما يقال للنازل بالمكان من الرزق. ومنه: إنزال الجند لأرزاقهم. ومعنى الأول: أن للرزق المعلوم نُزُلاً، ولشجرة الزقوم نُزُلاً، فأيهما خير نزلاً؟. ومعلوم أنه لا خير في شجرة الزقوم، ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى إلى الرزق المعلوم، واختار الكافرون ما أدى إلى شجرة الزقوم، قيل لهم ذلك توبيخاً على سوء اختيارهم.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٠٦)، والكشاف (٤/ ٤٨).

(٢) الكشاف (٤/ ٤٨).

قال الماوردي[١]: هي شجرة في النار يقتاتها أهل النار، مُرّة الثمرة، خَشِنَة الملمس، مُنْتِنَة الريح.

فلما نزلت هذه الآية قال كفار قريش: ما نعرف هذه الشجرة. فقال ابن الزبعرى: الزقوم بكلام البربر: التمر والزبد، فقال أبو جهل: يا جارية أبغينا تمراً وزبداً، ثم قال لأصحابه: تزقموا، هذا الذي يخوفنا به محمد، [يزعم أن النار تنبت الشجر، والنار تحرق الشجر][٢].

قال قتادة: لما ذكر الله تعالى هذه الشجرة افتتن بها الظلمة، فقالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تأكلها، فأنزل الله تعالى: ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾[٣].

أي: محنةً [وعذاباً][٤] لهم في الآخرة، وابتلاء لهم في الدنيا.

﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ قال الحسن: أصلها في قعر جهنم، وأغصانها ترفع إلى دركاتها[٥].

﴿طَلْعُها﴾ الطَّلْع للنخلة، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها، ﴿كأنه﴾ في قبح منظره وشدة كراهته ﴿رؤوس الشياطين﴾ وشبهه برؤوس الشياطين وإن كانوا لم يروها؛ لما تقرر في أنفس الناس من قبحها، لكون الشيطان شراً محضاً، ألا تراهم يقولون للشيء المتناهي في القبح: كأنه شيطان، وللقبيح

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٥٠-٥١).

(٢) زيادة من الماوردي (٥/ ٥١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٩٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) في الأصل: عذاباً. والمثبت من: الكشاف (٤/ ٤٨).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٦٣).

الصورة: كأنه وجه شيطان، وإذا [صَوَّره][1] المصورون جاؤوا به على أقبح ما يقدروا، وبالعكس من ذلك [تشبيههم][2] الأشياء المتناهية الحُسْن بالملائكة؛ لما تقرر في النفوس من حسن الصورة المَلَكية وإن لم يشاهدوها؛ لكون المَلَك خيراً محضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿ما هذا بشراً إن هذا إلا مَلَكٌ كريم﴾[3] [يوسف:٣١].

قوله تعالى: ﴿فإنهم لآكلون منها﴾ أي: مِنْ ثَمَرِها ﴿فمالئون منها البطون﴾ إما لما يغلبهم من الجوع المفْرط، أو لكونهم يُكرهون على أكلها.

﴿ثم إن لهم عليها لشوباً﴾ أي: لَخَلْطاً ومزاجاً ﴿من حميم﴾ وهو الماء المتناهي الحرارة، إما أنهم يشربونه لعطشهم إذا أكلوا الزقوم، أو يُشاب لهم الزقوم بالحميم قبل تناوله.

والأول أظهر في العربية؛ لترتيبه بحرف «ثم».

وقرئ شاذاً: «لشُوباً» بضم الشين[4]، و«هم» اسم لما يُشاب به، والأول تسميه بالمصدر.

قوله تعالى: ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾ فيه إشعار بأنهم يذهب بهم عن دركاتهم في النار إلى شجرة الزقوم والماء الحميم فيتطلعون منهما ثم يرجعون إلى أماكنهم، وهذا كقوله تعالى في موضع آخر: ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ [الرحمن:٤٤].

---

(١) في الأصل: صوروه. والتصويب من الكشاف (٤/ ٤٨).

(٢) في الأصل: تشبههم. والصواب ما أثبتناه.

(٣) هذا كلام الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٨).

(٤) وهي قراءة شيبان النحوي. انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٣٤٨)، والدر المصون (٥/ ٥٠٦).

ثم ذمّهم الله تعالى على التقليد في الشرك فقال: ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين﴾ أي: وجدوهم زائغين عن طريق الهدى.

﴿فهم على آثارهم يُهْرَعُون﴾ قال الزجاج[1]: يَتبعونهم في سُرعة، كأنهم يزعجون [من الإسراع][2] إلى اتباع آبائهم.

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد نادانا نوح﴾ أي: دعانا على قومه حين أَيِسَ منهم، ﴿فلنعم المجيبون﴾ اللام جواب قسم محذوف، والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره: فوالله لنعم المجيبون نحن.

والمراد: أجبناه أحسن الإجابة من نصره على أعدائه والانتقام منهم بأبلغ أنواع العذاب.

﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ وذلك أنه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده.

وقيل: المعنى: هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة، وذلك أنه كان معه في السفينة أولاده الثلاثة: سام -وهو أبو العرب-، ويافث -أبو الروم- وحام -أبو

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٠٧).

(٢) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

الحبش-.

قال بعض العرب يصف سوداء:

عجوزٌ من بني حَام بن نُوح كأنَّ جَبينها حَجَرُ المقام[١]

وقيل: سام أبو العرب وفارس والروم، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج، وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب.

والأول أصح؛ لما أخرج الترمذي من حديث سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم»[٢].

﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ قال ابن عباس: تركنا عليه ثناء حسناً، وهو قوله تعالى: ﴿سلام على نوح﴾[٣]. وهو من الكلام المحكي.

قوله تعالى: ﴿في العالمين﴾ إعلام بثبات ذلك ودوامه في الملائكة والثقلين، وأنهم يسلمون عليه عن آخرهم إلى يوم القيامة.

ثم نبّه على أن علّة هذا العطاء الجزيل والثناء الجميل إحسان نوح وإيمانه، فقال تعالى: ﴿إنا كذلك ...﴾ إلى آخر الآيتين.

❁ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾

---

(١) البيت لعنترة بن شداد، انظر: الماوردي (٥/ ٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٥ ح٣٢٣١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٧).

قوله تعالى: ﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ قال ابن عباس: من أهل دينه[١].

وقال مجاهد: على منهاجه وطريقته[٢].

قال الأصمعي: الشيعة: الأعوان، مأخوذ من الشِّياع، وهو الحطب الصغار، يوضع مع الكبار حتى يستوقد؛ لأنه يعين على الوقود[٣].

وعامة المفسرين ذهبوا إلى أن الضمير في «شيعته» يرجع إلى نوح.

وقال ابن السائب والفراء[٤]: الضمير لمحمد ﷺ. وهو بعيد.

وقيل: جعله من شيعته؛ لما بين شريعتيهما من الاتفاق.

وقيل: لحسن مصابرته قومه.

قوله تعالى: ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ قال قتادة: من الشك[٥].

وقال الحسن: من الشرك[٦].

والصحيح: العموم، على معنى: جاء ربه بقلب سليم من جميع الآفات المفسدة للقلوب، والظرف متعلق بما في «شيعته» من معنى المشايعة، على معنى: وإن من جملة من شايعه حين جاء ربه بقلب سليم إبراهيم، أو هو متعلق بمحذوف،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٩). وذكره الماوردي (٥/ ٥٤).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٥٤٢)، والطبري (٢٣/ ٦٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٥٤).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٣٨٨). وذكره الطبري (٢٣/ ٦٩) بلا نسبة، والماوردي (٥/ ٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٦٦).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٥٤).

(٦) مثل السابق.

تقديره: اذكر إذ جاء ربه، فقال بعض أهل المعاني: أخلص قلبه لله، وعرف ذلك منه، فضرب المجيء مثلاً لذلك[١].

﴿إذ قال لأبيه وقومه﴾ بدل من «إذ جاء ربه»[٢].

﴿أإفْكاً﴾ قال الزمخشري[٣]: هو مفعول له، تقديره: أتريدون آلهة من دون الله إفكاً، وإنما قدم [المفعول على الفعل للعناية، وقدم][٤] المفعول له على المفعول به؛ لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم. ويجوز أن يكون «إفكاً» مفعولاً به، يعني: أتريدون إفكاً[٥].

ثم فسّر الإفك بقوله: ﴿آلهة دون الله﴾ على أنها إفك في أنفسها.

ويجوز أن يكون حالاً، يعني: أتريدون آلهة من دون الله آفكين[٦].

﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ قال الثعلبي والواحدي[٧]: ما ظنكم به إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره. فيكون تهديداً لهم على هذا القول.

وقال صاحب الكشاف[٨]: المعنى: فما ظنّكم به حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام، أو فما ظنكم به أيّ شيء هو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أنداداً.

---

(١) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٦)، والدر المصون (٥/ ٥٠٨).

(٣) الكشاف (٤/ ٥٠-٥١).

(٤) زيادة من الكشاف (٤/ ٥٠).

(٥) انظر: الدر المصون (٥/ ٥٠٨).

(٦) مثل السابق.

(٧) تفسير الثعلبي (٨/ ١٤٨)، والوسيط للواحدي (٣/ ٥٢٨).

(٨) الكشاف (٤/ ٥١).

فيكون تجهيلاً لهم.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ۝٩٣ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۝٩٤ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ ۝٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٩٨﴾

قوله تعالى: ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ قال المفسرون: كانوا يتعاطون علم النجوم، فأتاهم من حيث لا ينكرون حين أراد الكيد بأصنامهم، ليستدرجهم إلى مقصوده في إلزامهم الحجة، ودافعهم لئلا يحضر معهم عيدهم، وأوهمهم أنه استدل بأمارة في علم النجوم على أنه يسقم[1].

قال سعيد بن جبير: رأى نجماً طالعاً فنظر فيه ﴿فقال إني سقيم﴾[2].

أي: مشارف للسقم وهو الطاعون، وكان أغلب أمراضهم، وكانوا يخافون العدوى، فتفرقوا عنه وذهبوا إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام، ففعل ما قص الله تعالى في كتابه الكريم.

وقال الكلبي: كان إبراهيم عليه السلام بقرية بين البصرة والكوفة، وكانوا

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٦٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٧١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١٩) كلاهما عن سعيد بن المسيب. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب.

ينظرون في النجوم، فنظر نظرة في النجوم فقال: إني سقيم[١].

قال ابن عائشة: كان علم النجوم من النبوة، فلما حبس الله تعالى على يوشع بن نون[٢] الشمس أبطل ذلك[٣].

فعلى هذا؛ يكون التقدير: فنظر نظرة في علم النجوم، أو في أحكام النجوم.

وقال قتادة: كلمة من كلام العرب، تقول إذا تفكّر الرجل في أمره: قد نظر في النجوم[٤].

فإن قيل: هل يُعَدُّ قوله: «إني سقيم» كذباً؟

قلتُ: كلا بل هو من معاريض الكلام. وقد أشبعت القول في مثل هذا في سورة الأنبياء في قصة إبراهيم عليه السلام.

ومراده هاهنا: إني سَاقِم، كما قال تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر: ٣٠].

وقيل: إني سقيم النفس لكُفْرِكُم.

﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ ذهَبَ إليها خفية، ومنه: رَوْغَةُ الثعلب. وكانوا تركوا بين أيدي آلهتهم طعاماً [لتبارك][٥] لهم فيه [على زعمهم][٦] ﴿فقال﴾ إبراهيم عليه السلام مستهزءاً بها وبهم: ﴿ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون﴾.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٥٦).

(٢) وهو فتى سيدنا موسى الذي صاحبه في رحلتيه إلى الخضر.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٥٥).

(٤) مثل السابق.

(٥) في الأصل: لتبرك. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٦٨).

(٦) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ أي: مَالَ عليهم. و«ضَرْباً»: مصدر.

وفي قوله: «باليمين» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أراد الجارحة المعلومة، أي: ضربهم بيده اليمنى؛ لأن الضرب بها أشد وأمكن؛ لقوتها.

الثاني: أنه أراد بالقوة والقدرة. قاله السدي[١].

وقيل: بقوة النبوة.

والثالث: أن المعنى: «ضَرْباً باليمين» أي: بسبب اليمين حين قال: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ [الأنبياء:٥٧]. حكاه ابن عيسى وغيره[٢].

﴿فأقبلوا إليه يَزِفُّون﴾ وقرأ حمزة: «يُزِفُّون» بضم الياء[٣]، وقرأتُ بها أيضاً لعاصم من رواية أبان عنه، ومن رواية أبي زيد عن المفضل عنه.

فمن قرأ بفتح الياء فمعناه: فأقبلوا إليه يُسرعون؛ من زَفيف النعامة، وهو أول عَدْوِهَا، يقال: جاء يزِفُّ زَفيفَ النعامة، ويقال: زفَّتِ الإبل تَزفُّ؛ إذا أسرعت[٤].

ومن ضم الياء فهو من أَزَفَّ، إذا دخل في الزَّفيف، أو من أزفَّه، إذا حمله على الزَّفِيف، أي: يُزِفُّ بعضهم بعضاً، أو يُزِفُّون دوابهم، فإنه بلغهم صنيع إبراهيم بآلهتهم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٦٩).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٦٩) حكاية عن الماوردي.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٩)، والكشف (٢/ ٢٢٥)، والنشر (٢/ ٣٥٧)، والإتحاف (ص:٣٦٩)، والسبعة (ص:٥٤٨).

(٤) انظر: اللسان (مادة: زفف).

فلما أقبلوا عليه قال محتجاً عليهم: ﴿أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون﴾ وبهذه الآية احتج علماء الحق على إبطال مذهب القَدَرية والجبرية بناء على أن «ما» مصدرية.

المعنى: والله خلقكم وعملكم، فأثبت كونها مخلوقة لله، وكونها من كسب العباد.

وقيل: إن «ما» موصولة، على معنى: والله خلقكم والذي تعملونه وتنحتونه من الآلهة.

وهذا الوجه أظهر؛ لوجهين:

أحدهما: أن المراد من الآية: الاحتجاج عليهم بفساد ما انتحلوه من عبادة [مخلوقات][(١)] لله تعالى مثلهم، بدليل قوله تعالى: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾، فلو قلنا بأنها مصدرية لم يصح هذا الاحتجاج.

الثاني: أن «ما» في قوله: ﴿ما تنحتون﴾ موصولة لا شك فيها، فلا يُعدل بأختها عنها.

قوله تعالى: ﴿فأرادوا به كيداً﴾ أي: شراً، وهو تحريقه بالنار، ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ أي: أعليناه عليهم بالحجة، وقهرناهم بخلاص إبراهيم من كيدهم.

وقيل: من الأسفلين في نار جهنم.

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ

(١) في الأصل: مخالوق. والصواب ما أثبتناه.

أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿وقال إني ذاهب إلى ربي﴾ قال ابن عباس: مُهَاجر إلى ربي، يعني: أهجر ديار الكفر وأذهب إلى حيث أمرني ربي[1].

وقال قتادة: ذاهب إلى ربي بقلبي وديني وعملي[2].

قال مقاتل[3]: فهاجر من أرض العراق، وهو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة.

وفي قوله: ﴿سيهدين﴾ قولان:

أحدهما: سيرشدني إلى طريق الهجرة. وهو قول جمهور المفسرين[4].

الثاني: سيرشدني إلى ما فيه صلاحي وتوفيقي، وهو الظاهر.

فلما استقر بدار هجرته -قال مقاتل[5]: هي الأرض المقدسة- سأل ربه الولد فقال: ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ ولفظ الهِبة مُشعرٌ بالولد وغالبٌ عليه، ومنه: ﴿ووهبنا له يحيى﴾ [الأنبياء:٩٠]، و﴿هب لي من لدنك ولياً﴾ [مريم:٥]، ومنه قول علي حين هَنَّأ عبدالله بن العباس بولده علي عليهم السلام أبي الخلفاء: شكرت

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٧٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ١٠٣).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٥٩).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ١٠٣).

الواهب، وبورك في الموهوب.

﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ أي: وقور.

قال الحسن: ما سمعت الله تعالى نحل عباده شيئاً أجلّ من الحلم[١].

قال الزجاج[٢]: وهذه البشارة تدل على أنه مبشر بابن ذكر، وأنه يبقى حتى ينتهي في السن ويُوصف بالحلم.

﴿فلما بلغ معه السعي﴾ قال قتادة: مشى معه[٣].

وقال الحسن: مشى معه للعمل الذي تقوم به الحجة[٤].

قال ابن عباس: صام وصلى، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وسعى لها سعيها﴾[٥] [الإسراء:١٩].

قال المفسرون: كان ابن ثلاث عشرة سنة[٦].

﴿قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ قال مقاتل[٧]: رأى إبراهيم ذلك ثلاث ليال متتابعات.

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٦٠).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣١٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٧٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٦٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٩).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٦٠).

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٦١)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٧٢).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ١٠٤).

قال ابن عباس: رؤيا الأنبياء وحي[١].

وقال قتادة: رؤيا الأنبياء حق، إذا رأوا شيئاً فعلوه[٢].

﴿فانظر ماذا تَرَى﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «تُرِي» بضم التاء وكسر الراء[٣].

فمن قرأ: «تَرَى» بفتح التاء والراء، فمعناه: ماذا ترى من صبرك أو جزعك، أو ماذا ترى من الرأي.

ومن قرأ: «تُرِي» فعلى معنى: ماذا تبصر من رأيك وتبديه وتشير به.

وقال الفراء[٤]: ماذا تريني من صبرك أو جزعك.

وعلم أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، فإن ذلك كان حتماً من الله تعالى، بل ليعلم ما عنده مما نزل به من البلاء العظيم، وليؤانسه ويثبته ويستدرجه إلى الاستسلام والانقياد لما أمر به فيه، فظهر فيه أثر تلك البشارة المؤذنة براجح علمه، فذلك قوله: ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ به من ذبحي ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ على بلائه.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٤-١٠٥) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٩)، والكشف (٢/ ٢٢٥)، والنشر (٢/ ٣٥٧)، والإتحاف (ص:٣٦٩-٣٧٠)، والسبعة (ص:٥٤٨).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٣٩٠).

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١١٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١١ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٢ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ۝١١٣﴾

﴿فلما أسلما﴾ أي: استسلما لأمر الله تعالى وانقادا له.

وقرأ علي وابن مسعود وابن عباس وجعفر بن محمد والأعمش والثوري: «سلّما»[1]. يقال: أَسْلَمَ وسَلَّمَ واسْتَسْلَمَ بمعنى واحد.

قال قتادة: أسلم هذا ابنه وهذا نفسه[2].

﴿وتلّه للجبين﴾ صرعه على شقه، فوضع أحد جنبيه على الأرض، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما.

قال الحسن: كان ذلك في الموضع المشرف على مسجد منى[3].

وقال الضحاك: في المنحر الذي ينحر فيه اليوم[4].

﴿وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا﴾ حيث فعلت ما أمكنك فعله.

ويروى: أنه رأى في النوم معالجة الذبح ولم يراد إراقة الدم، ففعل في اليقظة ما رأى في النوم. وهذا تمام الكلام.

وجواب «لمَّا» محذوف، تقديره: لما أسلما كان مما لا يحيط به الوصف من

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٧٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١١١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٧).

(٤) مثل السابق.

سعادتهما واصطفائهما.

وقيل: الجواب: «وناديناه»، والواو زائدة.

وقوله تعالى: ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ إخبارٌ من الله تعالى، وليس من تمام ما نودي به إبراهيم.

قال مقاتل[١]: جزاه الله تعالى بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه.

﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ الاختبار [الظاهر][٢] الصعوبة أو المبين للمخلص من غيره.

وقال: البلاء هاهنا: النعمة، وهو أن فُدي ابنه بالكبش، وهو قوله تعالى: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ فعلى قوله: يكون «هذا» إشارة إلى الفداء.

والذِّبح: اسم لما يُذْبَح.

واختلفوا في الكبش؛ فقال ابن عباس: هو الكبش الذي قرّبه هابيل فقُبل منه، وكان يرعى في الجنة حتى فُدي به إسماعيل[٣].

وقال الحسن: [أنه فدي][٤] بوعْل[٥] أُهبط عليه من ثبير[٦].

فإن قيل: لم وُصف بالعظيم؟

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٠٤).

(٢) في الأصل: الطار. والصواب ما أثبتناه.

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢١). وذكره الماوردي (٥/ ٦٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ١١٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم.

(٤) في الأصل: أفدى. والمثبت من الماوردي (٥/ ٦٢).

(٥) الوَعْل: تيس الجبل (اللسان، مادة: وعل).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨٧). وذكره الماوردي (٥/ ٦٢)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٠).

قلتُ: لأنه وقع فداء عن ذبح الله من خليل الله فصار عظيماً لذلك، أو [لأنه][1] تقبل ورعى في الجنة أربعين خريفاً.

وقيل: كان عظيم الجثّة.

فصل

اختلف علماء الأمة في الذبيح على قولين:

أحدهما: أنه إسحاق[2]. وهو قول عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، والعباس بن عبد المطلب، وكعب الأحبار، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومسروق، وعكرمة، وعطاء، ومقاتل[3]، والزهري، والسدي، في آخرين[4].

والقول الثاني: أنه إسماعيل. وهو قول ابن عباس، وعبدالله بن عمر، وأبي الطفيل عامر بن واثلة، وسعيد بن المسيب، والشعبي، والحسن البصري، ومجاهد، والربيع، والقرظي، والكلبي، في آخرين[5].

وعن الإمام أحمد روايتان كالقولين، وإلى القول الأول ميل أصحاب الإمام أحمد، وله ينصرون.

---

(١) في الأصل: لكنه. والصواب ما أثبتناه.

(٢) وهو اختيار الطبري.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ١٠٤).

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٥٤٣)، والطبري (٢٣/ ٨١-٨٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢١) وما بعدها. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٧ وما بعدها) من طرق عديدة، فانظرها.

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٥٤٣)، والطبري (٢٣/ ٨٣-٨٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٥-١٠٧) من طرق عديدة، فانظرها.

والحجة للقول الثاني في القرآن: ما استنبطه محمد بن كعب القرظي، وذلك أن الله تعالى قال حين فرغ من قصة المذبوح: ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾، وقال عز من قائل: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ [هود:٧١] يقول: [بابن][1] وابن ابن، فلم يكن يأمره بإسحاق ليذبحه وله فيه من الله تعالى الموعد[2]. فلما لم يذكر الله تعالى إسحاق إلا بعد انقضاء قصة الذبح ثم بشره بإسحاق، علمنا أن الذبيح إسماعيل.

قال القرظي: قد ذكرتُ ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة إذ كنت معه بالشام، فقال لي عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلت، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام، وكان يهودياً فأسلم وحَسُنَ إسلامه، وكان يرى أنه من علماء اليهود، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال: أيُّ بَنِي إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل، ثم قال: والله يا أمير المؤمنين إن اليهود ليعلمون ذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن [يكون][3] أباكم الذي كان من أمر الله سبحانه وتعالى فيه والفضل الذي ذكره الله تعالى عنه، لصبره على ما أمره به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق؛ لأن إسحاق أبوهم[4].

واحتج أيضاً من نصر هذا القول: بأن قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة، ولو

---

(١) في الأصل: وأبا ابن. والتصويب من المصادر التالية.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٠٥ ح٤٠٣٩)، والطبري (٢٣/ ٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير والحاكم.

(٣) زيادة من الطبري (٢٣/ ٨٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨٤-٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٠٧) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير.

كان الذبيح إسحاق لم يكن ذلك، بل كانا في يدي بني إسرائيل، ولم يزالا في البيت إلى أن احترق في أيام ابن الزبير والحجاج.

قال الشعبي وغيره: كان [القرنان][(١)] ميراثاً لولد إسماعيل عن أبيهم، وكان ولد إسحاق الروم أكثر وأعز من العرب، فلو لم يكن شرفاً لهم لم تقره الروم في أيديهم.

وقال الأصمعي: سألت أبا عمرو ابن العلاء عن الذبيح؟ فقال لي: يا أصمعي أين ذهب عقلك؟ ومتى كان إسحاق بمكة، وإنما كان إسماعيل، وهو الذي بنى البيت مع أبيه عليهما الصلاة والسلام[(٢)].

الإشارة إلى القصة:

أخبرنا المؤيد بن محمد في كتابه، أخبرنا عبدالجبار بن محمد بن أحمد، أخبرنا أحمد بن علي النيسابوري، أخبرنا المؤمل بن أحمد، أخبرنا محمد بن عبدالله بن نعيم، حدثنا محمد بن عبدالله الصفار، حدثنا الحسن بن الجهم، حدثنا الحسين بن الفرج، حدثنا أبو عبدالله الواقدي، حدثني ابن أبي سبرة، عن أبي مالك -وكان مولى لعثمان بن عفان- عن عطاء بن [يسار][(٣)] قال: سألت خوات بن جبير[(٤)]: ذبيح

---

(١) في الأصل: القرآن. والصواب ما أثبتناه.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ١٠٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٣٥٦).

(٣) في الأصل: السائب. والمثبت من المستدرك (٢/ ٦٠٥)، والوسيط (٣/ ٥٣٠). وهو عطاء بن يسار الهلالي، أبو محمد المدني القاص، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ، كان ثقة كثير الحديث، مات بالإسكندرية سنة ثلاث أو أربع ومائة (تهذيب التهذيب ٧/ ١٩٤، والتقريب ص:٣٩٢).

(٤) خوات بن جبير بن النعمان الأنصاري، قيل: إنه شهد بدراً، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، مات سنة أربعين أو بعدها (تهذيب التهذيب ٣/ ١٤٧، والتقريب ص:١٩٦).

الله أيهما كان؟ فقال: إسماعيل، لما بلغ إسماعيل سبع سنين رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النوم في منزله بالشام أن يذبح إسماعيل، فركب إليه على البراق حتى جاءه فوجده عند أمه، فأخذ بيده ومضى به إلى حيث أمر، حتى انتهى إلى منحر البدن اليوم، فقال: يا بني! إن الله أمرني أن أذبحك، فقال إسماعيل: فأطع ربك، فإن في طاعة ربك كل خير. فقال له إسماعيل: هل أعلمتَ أمي بذلك؟ قال: لا. قال: أصبت، إني أخاف أن تحزن، ولكن إذا قربت السكين من حلقي فأعرض عني، فإنه أحرى أن تصبر ولا تراني، ففعل إبراهيم، فجعل يحزّ في حلقه فإذا هو يحز في نحاس ما تَحيكُ[١] فيه الشفرة، فَشَحَذَها[٢] مرتين أو ثلاثاً بالحجر كل ذلك لا يستطيع. قال إبراهيم: إن هذا الأمر من الله، فرفع رأسه فإذا هو بوَعْلٍ واقف بين يديه، فقال إبراهيم: قم يا بني، فقد نزل فداؤك، فذبحه هناك[٣].

وقال محمد بن إسحاق: كان إبراهيم عليه السلام إذا زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدوا من الشام فيقيل بمكة، ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام، حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته، أُرِيَ في المنام أن يذبحه، فلما أقرَّ بذلك قال لابنه: يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب، فلما جاء بابنه في شعب ثبير أخبره بما ذكر الله تعالى[٤].

---

(١) أي: ما تقطع (انظر: اللسان، مادة: حيك).

(٢) شَحَذَ السكين والسيف يشحذه شحذاً: أَحَدَّهُ بالمِسَنِّ وغيره مما يخرج حَدَّه (اللسان، مادة: شحذ).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٥ ح٤٠٤٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٠).

(٤) ذكره الطبري في تاريخه (١/ ١٦٥)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٣٣).

قال العلماء بالسير: فقال له ابنه الذي أراد ذبحه: يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب، واكفف عني ثيابك حتى لا ينضح عليها من دمي شيء فتراه أمي فتحزن، واستحدّ شفرتك، وأسرع مرَّ السكين على حلقي لتذبحني، فإن الموت شديد، وإذا أتيت أمي فأقرئها السلام مني، وإن رأيت أن تردّ قميصي على أمي فافعل، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني، فقال له إبراهيم: نعم العون أنت يا بني على أمر الله، ففعل إبراهيم ما أمره به ابنه، ثم أقبل عليه يُقبّله وقد ربطه وهو متكئ والابن يبكي، حتى استنقع بالدموع ما تحت خدّه، ثم إنه وضع السكين على حلقه فلم تحك السكين[١].

قال السدي: ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه[٢].

قالوا: فقال الابن عند ذلك: كُبّني لوجهي على جبيني، فإنك إذا نظرت في وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله، وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأجزع، ففعل إبراهيم ذلك، ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين، ونودي: يا إبراهيم! قد صدقت الرؤيا، هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه[٣]، فنظر إبراهيم فإذا هو بجبريل ومعه كبش أقرن أملح، فكبَّر جبريل وكبَّر إبراهيم وكبَّر ابنه، فأخذ إبراهيم الكبش فأتى به المنحر من منى فذبحه[٤].

---

(١) ذكره الطبري في تاريخه (١/ ١٦٤-١٦٥)، والبغوي (٤/ ٣٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١١٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الفاكهي (٥/ ١٢٣-١٢٤).

(٤) ذكره الطبري في تاريخه (١/ ١٦٥-١٦٦)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٣٤-٣٥).

قال ابن عباس: فوالذي نفسي بيده، لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش معلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد يبس(١).

قال أبو هريرة وكعب الأحبار وابن إسحاق عن رجاله: قال الشيطان: والله لئن لم أفتن آل إبراهيم عند هذا [لا أفتن](٢) منهم أحداً أبداً، فتمثل لهم الشيطان رجلاً وأتى أم الغلام، فقال لها: هل تدرين أين ذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: ذهب به يحتطبان من هذا الشعب، قال: لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه، قالت: كلا هو أرحم به وأشد حباً له من ذلك، قال: إنه يزعم أن الله أمره بذلك، قالت: إن كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه وسلّمنا لأمر الله، فخرج الشيطان من عندها حتى أتى الابن وهو يمشي على إثر أبيه، فقال له: يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك؟ قال: نحطب أهلنا من هذا الشعب، قال: والله ما يريد إلا أن يذبحك، قال: ولم؟ قال: يزعم أن الله أمره بذلك، قال: فليفعل ما أمره ربه، فلما امتنع منه الغلام أقبل على إبراهيم فقال: أين تريد أيها الشيخ؟ قال: أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه، فقال: والله إني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك، فقال: إليك عني يا عدو الله، فوالله لأمضين لأمر ربي، فرجع عدو الله إبليس بغيظه لم يبلغ من إبراهيم وآله شيئاً مما أراد، قد امتنعوا منه بعون الله تعالى(٣).

قوله تعالى: ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ «نبياً» حال مُقَدَّرَة(٤).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨٧). وذكره الطبري في تاريخه (١/ ١٦٦)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٣٣).

(٢) في الأصل: لأفتن. والتصويب من البغوي (٤/ ٣٤).

(٣) أخرجه الفاكهي (٥/ ١٢٣). وذكره الطبري في تاريخه (١/ ١٦٥)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٣٤).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٠٧)، والدر المصون (٥/ ٥١١).

قال الزمخشري[١]: لا بد من تقدير مضاف محذوف، وذلك قولك: وبشرناه بوجود إسحاق نبياً، أي: بأن يوجد مقدرة نبوته؛ فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة، وبذلك يرجع، نظير قوله: ﴿فادخلوها خالدين﴾ [الزمر:٧٣].

قوله تعالى: ﴿من الصالحين﴾: حال ثانية[٢].

قال قتادة: بشره الله تعالى بنبوة إسحاق بعدما امتحنه بذبحه[٣].

وهذا جواب من يقول: الذبيح إسحاق لصاحبه عن تعلقه بقوله: ﴿وبشرناه بإسحاق﴾، قالوا: ولا يجوز أن يبشره الله تعالى بمولده ونبوته معاً؛ لأن الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نبياً.

قوله تعالى: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ أي: أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا.

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

---

(١) الكشاف (٤/ ٦١).

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ٥١١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١١٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قوله تعالى: ﴿ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم﴾ وهو ما كانوا فيه من الذُّلِّ والاستعباد والاستخدام في الأعمال الشاقة.

وقيل: الغرق.

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ وقرأتُ لابن عامر من بعض طرقه: «وإنَّ اليَاسَ» بوصل الهمزة[1]. والابتداء على هذه القراءة بفتح الهمزة، جعل الهمزة التي تصحب اللام للتعريف، كقوله: ﴿واليَسْعَ﴾ [الأنعام:٨٦].

والوجه: قراءة العامة؛ لأن الهمزة ثابتة في هذا الاسم وليست للتعريف، يدل على ذلك قوله: ﴿سلام على إلياسين﴾.

واختلف فيه، فقال عبدالله بن مسعود: هو إدريس عليه السلام[2]، وفي قراءته: «وإن إدريس لمن المرسلين»، «سلام على إدراسين»، وهذا قول قتادة

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٠٩-٦١٠)، والنشر (٢/ ٣٥٧-٣٦٠)، والإتحاف (ص:٣٧٠)، والسبعة (ص:٥٤٨).

(٢) أخرجه الطبري (٧/ ٢٦١)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١١٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر.

وعكرمة[١].

وقال عامة المفسرين وأهل العلم بالتاريخ: هو نبي من أنبياء بني إسرائيل[٢].

قال ابن عباس: هو عم اليسع[٣]، وقالوا: هو إلياس بن ياسين بن العيزار بن هارون بن عمران.

قال ابن إسحاق وغيره: بعثه الله تعالى إلى سبطه، وكانوا يسكنون بعلبك، وكان ملكهم قد حملهم على عبادة الأوثان، وكان لهم صنم يقال له: [«بَعْل»][٤]، طوله عشرون ذراعاً، له أربعة أوجه، فجعل إلياس يدعوهم إلى عبادة الرحمن ورفض الأوثان، فاستجاب له الملك، وكان إلياس يقوم بأمره ويسدده، وكان للملك امرأة فاجرة، وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب، فتبرز للناس وتحكم بينهم، وكانت قَتَّالة للأنبياء والأولياء، وكان للملك جار صالح..[٥] له جنينة إلى جنب قصر الملك وامرأته، وكان [الملك يحسن إليهما][٦]، وكانت امرأته تحسده عليها، فاحتالت عليه في أخذها منه..[٧] في بعض أسفار الملك أنه قد سبّ الملك، وكان حكمهم إذ ذاك أن من سبّ الملك قُتِلَ، فقتلته وأخذت الجنينة، فغضب الله

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١١٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٧٩).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٦٤) عن الكلبي، والبغوي (٤/ ٣٦)، والقرطبي (١٥/ ١١٥).

(٤) في الأصل: بغل. والتصويب من البغوي (٤/ ٣٦).

(٥) كلام غير ظاهر في الأصل.

(٦) غير ظاهر في الأصل. ولعل الصواب ما أثبتناه. وانظر: البغوي (٤/ ٣٦).

(٧) كلام غير ظاهر في الأصل.

تعالى عليهم، فلما قدم الملك سَفَّهَ رأيها فيما فعلت، فقالت: غضبتُ لك وحكمتُ بحكمك، فأوحى الله تعالى إلى إلياس أن قل له [ولزوجته][١]: إن الله تعالى قد غضب لوليه حين قتلتموه ظلماً، وآلى على نفسه إن لم تتوبا وتردّا الجنينة إلى ورثة وليي؛ أن يهلكهما في جوف الجنينة أيسر ما تكونان، ثم يدعكما جيفتين مُلقاتين فيها حتى تتعرى عظامكما من لحومكما، ولا يتمتعان بها إلا قليلاً، فلما بلغه رسالة ربه اشتد غضبه على إلياس وقال: والله ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلاً، والله ما أرى إلا فلاناً وفلاناً -سَمّى ملوكاً كانوا يعبدون الأوثان- إلا على مثل ما نحن عليه، يأكلون ويشربون ويتمتعون، ما ينقص من دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل، وما ترى لنا عليهم من فضل، وهمَّ بتعذيب إلياس، فلما أحس بذلك خرج هارباً منه، فلحق بشواهق الجبال، وعاد الملك إلى عبادة الأوثان، وعكف على «بَعْل» يعبده من دون الله، وجعل له أربعمائة سادن يحفظونه ويقومون بأمره، وكان الشيطان يدخل في جوفه فيكلم السدنة، فمرض ابن الملك -وكان يحبه حباً شديداً- فسأل السدنة أن يلتمسوا له الشفاء من «بَعْل»، فدعوه فلم يجبهم، ومنعت القدرة الإلهية الشيطان أن يلج في جوف «بَعْل»، فلما طال ذلك عليهم قالوا: أيها الملك إن إلهك عليك غضبان، قال: ولم وأنا أعبده وأطيعه؟ قالوا: لأنك لم تقتل إلياس وفرطت فيه حتى نجا سالماً، وهو كافر بإلهك، فخذْ في طلبه، وهلك ابنه، ودعا عليهم إلياس فحبس الله تعالى عليهم القطر ثلاث سنين وهلك أكثرهم، فرجع إليهم إلياس فقال: إن كنتم لم تعلموا أنكم على باطل فاخرجوا بأصنامكم

---

(١) في الأصل: لزوجته.

وادعوها، فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل، فنزعتم ورجعتم [ودعوتم][1] الله تعالى فكشف ما بكم، فقالوا: أنصفت، وفعلوا، فلما رأوا أنها لم تجبهم إلى ما سألوا لجأوا إلى إلياس، فدعا الله تعالى لهم فنشأت سحابة مثل الترس فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق، ثم أرسل الله تعالى المطر فأغاثهم، فلما [كشف][2] الله عنهم نقضوا العهد ولم ينزعوا عن ضلالتهم، فلما رأى إلياس ذلك دعا [ربه عز وجل أن يريحه منه][3]، فقيل له: انظر يوم كذا وكذا فاخرج إلى موضع كذا [وكذا، فما جاءك من شيء فاركبه][4] ولا تهبه، فأقبل [فرسٌ][5] من نار حتى وقف بين يديه، فوثب [عليه إلياس][6] فانطلق الفرس، فكان ذلك آخر العهد به، وقطع الله عنه لذة المطعم والمشرب، وكساه الريش، وكان إنسياً ملكياً، أرضياً سمائياً[7]، وسلط الله تعالى على الملك وقومه عدواً لهم فقصدهم، فقتل الملك وزوجته في الجنينة، ولم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة

---

(١) في الأصل: ودعوتموا.

(٢) في الأصل: شكف. والتصويب من البغوي (٤/ ٤١).

(٣) غير ظاهر في الأصل، والمثبت من البغوي، الموضع السابق.

(٤) مثل السابق.

(٥) في الأصل: قوس. والتصويب من البغوي، الموضع السابق.

(٦) غير ظاهر في الأصل، والمثبت من البغوي، الموضع السابق.

(٧) أخرج نحوه الطبري (٢٣/ ٩٢-٩٤) من طريق محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٨١) مختصراً، والطبري في تاريخه (١/ ٢٧٣-٢٧٤). وقال ابن كثير في البداية والنهاية بعد أن ذكر قول وهب بن منبه (١/ ٣٣٨): وفي هذا نظر، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة. والله أعلم.

حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما، ونبأ الله اليَسْع وبعثه إلى بني إسرائيل رسولاً، وأيَّدَهُ بمثل ما أيَّدَ به إلياس، فآمنت به بنوا إسرائيل، وكانوا يعظمونه وينتهون إلى أمره[١].

وقد أخرج الإمام بإسناده عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام[٢].

قوله تعالى: ﴿أتدعون بَعْلاً﴾ قال عطاء: كان من ذهب[٣].

﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ أي: وتدعون عبادة أحسن الخالقين.

﴿اللهُ ربُّكُم﴾ مبتدأ وخبر، ﴿وربُّ آبائكم الأولين﴾ عطف على الخبر[٤].

وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «اللهَ ربَّكُم وربَّ» بالنصب على البدل[٥].

قوله تعالى: ﴿سلام على إلْيَاسين﴾ وقرأ نافع وابن عامر: «آل ياسين»[٦].

قال أبو علي[٧]: حجة من قرأ «آل ياسين» أنهم زعموا أنها في المصحف مفصولة من «ياسين»، ولو كانت الألف واللام التي للتعريف لوصلت في الخط

---

(١) ذكر البغوي قول ابن إسحاق بطوله في تفسيره (٤/ ٣٦-٤١).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٢٨١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣١).

(٤) انظر: الدر المصون (٥/ ٥١٢).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٠)، والكشف (٢/ ٢٢٨-٢٢٩)، والنشر (٢/ ٣٦٠)، والإتحاف (ص:٣٧٠)، والسبعة (ص:٥٤٩).

(٦) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٠-٦١١)، والكشف (٢/ ٢٢٧)، والنشر (٢/ ٣٦٠)، والإتحاف (ص:٣٧٠)، والسبعة (ص:٥٤٩).

(٧) الحجة للفارسي (٣/ ٣١٩-٣٢١).

[ولم تُفْصَل][1]، ففي فَصْل ذلك في الكتاب دلالة على «آلٍ» الذي تصغيره: أُهيل.

وأما من قرأ «إلياسين» فهو جمع، معنى واحده النسب، مثل: تميمي وبكري، ولا يجوز أن يكون هذا الجمع على حدِّ: مسلم ومسلمون، وزيد وزيدون؛ لأنه ليس كل واحدٍ منهم اسمه إلياس، وإنما إلياس اسم نبيِّهم، وإذا لم يكن على هذا عُلِمَ أنه على معنى إرادة النسب بالياء، إلا أن اليائين حذفتا في جمع الاسم على التصحيح، كما حذفتا في جمعه على التكسير، وذلك على نحو: المَسَامِعَة [والمَهَالِبَة][2]، فإنما هذا على أن كل واحد منهم مَسْمَعِي ومُهَلَّبِي، فحذفت الياءات في الجمع، وهكذا قولهم: الأشعرون والنمرون، إنما هو الأشعريون والنميرون، فحذفت ياء النسب من جميع ذلك، وكذلك التقدير في «إلياسين»: إلياسيِّين، فحذفت كما حذفت من سائر هذه الكلم، وقد قيل: أن إلياسين لغة في إلياس، كقوله: ميكال وميكائيل.

قال أبو علي[3]: وليس كذلك؛ لأن ميكال وميكائيل لغتان في اسم واحد، وليس أحدهما مفرداً والآخر جمعاً؛ كإدريس وإدْراسين، وإلياس وإلياسين. تمّ كلام أبي علي.

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إلياسين﴾ يريد: إلياس ومن آمن معه[4].

---

(١) زيادة من الحجة (٣/ ٣١٩).

(٢) في الأصل: والمهالية. والتصويب من الحجة (٣/ ٣٢٠).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٢).

قال الفراء[1]: يذهب بإلياسين إلى أنه يجعله جمعاً فيجعل أصحابه داخلين[2] في اسمه.

وأما من قرأ «آل ياسين»: فلم أر أحداً من المفسرين قال فيه كلاماً سديداً. ويحتمل عندي وجهين:

أحدهما: أن يراد بـ«ياسين»: إلياس، ويكون ذلك من تحريف العرب الكلم الأعجمي؛ لأنه ليس من لغتها، فيقِلُّ اهتمامها به كما مرّ، حرّفوا إدريس إلى إدارس وإدراسين، وسليمان إلى سَلاَّم. قال الحطيئة:

فيه الرِّماحُ وفيه كُلّ سابغةٍ   جَدْلاءَ مُحْكمةٍ من نسْجِ سَلاَّم[3]

وحرَّفَه النابغة فقال:

....   ونسْجُ [سُليمٍ][4] كُلَّ قَضَّاءَ ذائِلِ[5]

الجَدْلاء والمجْدُولة: المحكمة. ودرع قَضَّاء: خشنة الملمس. وذائل: طويلة.

وحرّفوا أيضاً «طور سيناء» إلى «طور سينين»، وهذا كثير في كلامهم جداً.

فعلى هذا؛ يريد: سلام على أهل دينه، ويكون بهذا المعنى داخلاً في جملتهم؛

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٩١-٣٩٢).

(٢) في الأصل زيادة قوله: فيه. وهو وهم. وانظر: معاني الفراء (٢/ ٣٩٢).

(٣) البيت للحطيئة، وهو في: اللسان (مادة: جدل) وفيه: «الجياد» بدل: «الرماح»، والأغاني (١٢/ ١٦٤)، وتاج العروس (مادة: جدل)، وزاد المسير (١/ ١٢٢).

(٤) في الأصل: سليماً. والتصويب من مصادر البيت.

(٥) عجز بيت للنابغة، وصدره: (وكلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٍ تُبَّعِيَّةٍ)، وهو في: ديوانه (ص:٩٥)، واللسان (مادة: ضمت، ذيل، قضي)، وزاد المسير (١/ ١٢٢)، وتاج العروس (مادة: صمت، ذيل، نثل، قضي)، والعين (٥/ ١٠).

لأنه أصلهم وهم تبع له، أو تكون الآل مقحمة؛ كقول الشاعر:

فلا تَبْكِ مَيْتاً بعدَ مَيْتٍ أَجَنَّهُ عليٌّ وعباسٌ وآلُ أبي بكر[(١)]

يريد: وأبو بكر.

الثاني: أن المراد بآل ياسين: إلياس، وياسين: اسم أبيه كما سبق، فأضيف إليه كما تقول: آل محمد، وآل علي، وآل العباس، وهذا الوجه ألَمّ به صاحب الكشاف[(٢)].

وذكر الكلبي في تفسيره: أن المعنى: سلام على آل محمد[(٣)].

قال الواحدي[(٤)]: وهذا بعيد؛ لأن ما قبله وما بعده لا يدل عليه.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إذ نجيناه﴾ في قصة لوط لا يتعلق بما قبله؛ لأنه لم يرسل إذ نُجِّي، وإنما يتعلق بمحذوف، تقديره: اذكر إذ نجيناه.

قوله تعالى: ﴿وإنكم لتمرّون عليهم﴾ أي: على قراهم ومنازلهم ﴿مصبحين *

---

(١) البيت لعبد الله بن أراكة الثقفي يرثي أخاه عمرو، انظر البيت في: تفسير الماوردي (٥/ ١٥٩)، وزاد المسير (١/ ٢٩٦)، وتفسير القرطبي (٤/ ٦٣).

(٢) انظر: الكشاف (٤/ ٦٢).

(٣) انظر: الوسيط (٣/ ٥٣٢).

(٤) الوسيط (٣/ ٥٣٢).

وبالليل﴾ أي: نهاراً وليلاً. ثم وبخهم فقال: ﴿أفلا تعقلون﴾.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾: سمعت شيخنا موفق الدين أبا محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه يقول: أخبرنا أبو العباس أحمد بن المبارك بن سعد، أخبرنا جدي لأمي أبو المعالي ثابت بن بندار، أخبرنا أبو علي بن دوما، أخبرنا[1] أبو علي الباقرحي، أخبرنا الحسن بن علوية، أخبرنا إسماعيل، أخبرنا إسحاق بن بشر، أخبرنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن: أن يونس عليه السلام كان مع نبي من أنبياء بني إسرائيل، فأوحى الله إليه أن ابعث يونس إلى أهل نِينَوى[2] يحذرهم عقوبتي، قال: فمضى يونس على كُرْهٍ منه، وكان رجلاً حديداً شديد الغضب، قال: [فأتاهم][3] فحذَّرَهم وأنذرهم؛ فكذبوه وردُّوا عليه نصيحته، ورمُوهُ بالحجارة وأخرجوه، فانصرف عنهم، فقال له نبي بني إسرائيل:

---

(١) قوله: «أخبرنا» مكرر في الأصل.

(٢) نينوى: هي قرية يونس بن متّى عليه السلام بالموصل، وبسواد الكوفة ناحية يقال لها: نينوى، منها كربلاء التي قتل بها الحسين رضي الله عنه (معجم البلدان ٥/ ٣٣٩).

(٣) في الأصل: فأتهم. والصواب ما أثبتناه.

ارجع إلى قومك، فرجع إليهم، فرَمَوه بالحجارة وأخرجوه، فقال له النبي: ارجع إلى قومك، فرجع فكذبوه، فوعدهم العذاب فقالوا: كذبت، فلما كذَّبُوه وكفروا بالله وجحدوا كتابه، دعا عند ذلك ربه على قومه فقال: يا رب! إن قومي أبوا إلا الكفر، فأنزل عليهم نقمتك، فأوحى الله تعالى إليه أني أنزل بقومك العذاب، قال: فخرج عنهم يونس وأوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام، وأخرج أهله وانطلق، فصعد جبلاً ينظر إلى أهل نينوى ويترقب العذاب، فجاءهم العذاب وعاينوه، فأنابوا إلى الله تعالى، فكشف عنهم العذاب، فلما رأى ذلك جاءه إبليس فقال: يا يونس إنك إن رجعت إلى قومك اتَّهَمُوك وكذَّبُوك، فَذَهَبَ مغاضباً لقومه، فانطلق حتى أتى شاطئ دجلة، فركب سفينة، فلما توسطت الماء أوحى الله تعالى إليها أن اركدي، فركدت السفينة، والسفن تَمُرُّ يميناً وشمالاً فقالوا: ما نال سفينتكم؟ فقالوا: لا ندري، قال يونس: أنا أدري، قالوا: فما حالها؟ قال: فيها عبد آبق من ربه، فلا تسير حتى تلقوه في الماء، قالوا: ومن هو؟ قال: أنا وعرفوه، قالوا: أما أنت فليس نلقيك، والله ما نرجوا منها النجاة إلا بك، قال: فاقْترعوا فمن قرع فألقوه في الماء، قال: فاقْترعوا فَقَرَعَهُم يونس، فأبوا أن يلقوه، قال: فاقْترعوا الثانية فَقَرَعَهُم، قال: فاقترعوا الثالثة فَقَرَعَهُم فقال: ألقوني في الماء.

وفي رواية: قال: يا قوم، اطرحوني في الماء وانجوا، فقام القوم فاحتملوه شبه المشفقين عليه، فقال: ايتوا بي صدر السفينة، ففعلوا، فلما أشرفوا ليلقوه فإذا الحوت فاتحٌ فاه، فلما رأى ذلك قال: أي قوم ردوني إلى مؤخر السفينة، ففعلوا، فلما أشرفوا ذهبوا يطرحونه فاستقبله الحوت فاتحاً فاه، فلما رأى جوفه وهَوْله قال: يا قوم ردوني إلى وسط السفينة، ففعلوا فاستقبله، فقال: ردوني إلى الجانب الآخر،

فاستقبله فاتحاً فاه ليأخذه، فقال: اطرحوني وانجوا، فلا منجى من الله، فطرحوه، والتقمه الحوت قبل أن يبلغ الماء وتصوب به.

رجع الحديث إلى الحسن، قال: فانطلق به الحوت إلى مسكنه من البحر، ثم انطلق به إلى قرار الأرض، فطاف به البحار أربعين يوماً، فسمع يونس تسبيح الحصا وتسبيح الحيتان، قال: فجعل يسبح ويهلل ويقدس، وكان يقول في دعائه: سيدي في السماء مسكنك، وفي الأرض قدرتك وعجائبك، سيدي من الجبال [أهبطتني][(١)]، وفي البلاد سيرتني، وفي الظلمات الثلاث حبستني، إلهي سجنتني بسجن لم تسجن به أحداً قبلي، إلهي عاقبتني بعقوبة لم تعاقب بها أحداً قبلي، فلما كان تمام أربعين يوماً وأصابه الغم ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء:٨٧]، قال: فسمعت الملائكة بكاه، وعرفوا صوته، وبكت الملائكة لبكاء يونس، وبكت السموات والأرض والحيتان، فقال الجبار: يا ملائكتي، ما لي أراكم تبكون؟ قالوا: ربنا، صوتٌ ضعيفٌ حزينٌ نعرفه في مكان غريب، قال: ذلك عبدي يونس، عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر، فقالوا: يا رب! العبد الصالح الذي كان يصعد له في كل يوم وليلة العمل الصالح الكثير؟.

قال ابن عباس: قال الله: نعم، فشفعت له الملائكة والسموات والأرض، فبعث الله تعالى جبريل فقال: انطلق إلى الحوت الذي حبست يونس في بطنه فَقُلْ له: إن لي في عبدي حاجة، فانطلق به إلى الموضع الذي ابتلعته فيه فاقذفه فيه،

---

(١) في الأصل: أهبطني.

فانطلق جبريل عليه السلام إلى الحوت فأخبره، فانطلق الحوت بيونس وهو يقول: يا رب استأنست في البحر بتسبيح عبدك، واستأنست به دواب البحر، وكنت أزكى شيء به، وجعلت بطني له مُصلًّى يقدّسك فيه، فقدّست به وما حولي من البحار فتخرجه عني بعد أنس كان به، قال الله تعالى: إني أقلته عثرته ورحمته فألقِه، قال: فجاء به إلى حيث ابتلعه ببلد على شاطئ دجلة، فدنا جبريل من الحوت وقَرَّبَ فاه من فِيِّ الحوت فقال: السلام عليك يا يونس، رب العزة يقرئك السلام، فقال يونس: مرحباً بصوت كنتُ خشيتُ أن لا أسمعه أبداً، مرحباً بصوت كنتُ أرجوه قريباً من سيدي، ثم قال جبريل للحوت: اقذف يونس بإذن الله تعالى الرحمن، فقذفه مثل الفَرْخ المَمْعُوط[1] الذي ليس عليه ريش، فاحتضنه جبريل.

قال الحسن: فأنبت الله تعالى عليه شجرة من يَقْطين، وهو الدُّبَّاء، وكان لها ظل واسع يستظل به، وأمرت أن ترضعه أغصانها، فكان يرضع منها كما يرضع الصبي.

وعن [الحسن][2] قال: بعث الله تعالى إلى يونس وَعْلَة من وُعُول الجبل يدرّ ضرعها لبناً، حتى جاءت إلى يونس وهو مثل الفرخ، ثم ربضت وجعلت ثديها في فِيّ يونس، فكان يَمُصُّهُ كما يَمُصُّ الصبي، فإذا شبع انصرفت، فكانت تختلف إليه حتى اشتد ونبت عليه شعرُه خلقاً جديداً، ورجع إلى حاله قبل أن يقع في بطن الحوت، فمرَّتْ به مارَّة فكسُوه كساء، فبينا هو ذات يوم نائماً إذ أوحى الله تعالى إلى الشمس أن احرقي شجرة يونس فأحرقتها، فأصابت الشمس جلده فأحرقته،

---

(١) مَعِطَ شعرُهُ وجِلْدُه مَعْطاً، فهو أمْعَط، ورجلٌ أمْعَط: لا شعر له على جسده (اللسان، مادة: معط).

(٢) في الأصل: أحسن.

فقال: يا رب نجيتني من الظلمات ورزقتني ظل شجرة كنت أستظل بها [فأحرقتها][1]، أفتسخر مني يا رب، وبكى، فأتاه جبريل فقال: يا يونس إن الله تعالى يقول: أنت زرعتها أم أنت أنْبَتَّها؟ قال: لا، قال: فبكاؤك حين تعلم أن الله تعالى قد أعطاكها، فكيف دعوت على مائة ألف وزيادة عشرين ألفاً أردت أن تهلكهم.

وقال ابن عباس: قال له جبريل: أتبكي على شجرة أنبتها الله تعالى لك ولا تَبْكِ على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم في غداة واحدة، فعند ذلك عرف يونس ذنبه واستغفر ربه، فغفر له.

وعن الزهري قال: لما قوي يونس عليه السلام كان يخرج من الشجرة يميناً وشمالاً، فأتى على رجل يصنع الجرار، فقال يونس: يا عبد الله، ما عملك؟ قال: أصنع الجرار وأبيعها وأطلب فيها فضل الله تعالى، فأوحى الله تعالى إلى يونس: قل له: يكسر جراره..[2]، فقال يونس ذلك له، فغضب الجرّار وقال: إنك رجل سوء، تأمرني بالفساد، تأمرني أن أكسر شيئاً صنعته وعملته ورجوتُ خيره، فأوحى الله تعالى إلى يونس: ألا ترى إلى هذا الجرّار كيف يغضب حيث أمرته بكسر ما صنع، وأنت تأمرني بهلاك قومك، فما الذي يشق عليك أن يصلح من قومك مائة ألف أو يزيدون.

قال الله تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبِّحين﴾ أي: من المصلِّين من قبل أن تنزل البلية، ﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾.

---

(١) في الأصل: فاحترقتها.

(٢) كلمة غير مقروءة في الأصل.

قال ابن عباس: من كان ذاكراً لله تعالى في الرخاء ذكره الله تعالى في الشدة واستجاب له، ومن يغفل عن الله تعالى في الرخاء وذكره في الشدة لم يستجب له.

إلى هاهنا سمعت من شيخنا رحمه الله.

عدنا إلى التفسير:

قوله تعالى: ﴿إذ أَبَقَ﴾ مجازٌ عن هربه بغير إذن من الله تعالى.

﴿فساهم﴾ فقارع ﴿فكان من المدحضين﴾ المغلوبين.

وحقيقته: المزْلَق عن مقام الظفر والغلبة.

﴿فالتقمه الحوت وهو مليم﴾ أي: ابتلعه وهو مستحق للَّوم؛ لأنه أتى ما يُلام عليه، وهو قوله تعالى: ﴿مليم﴾، [وهو][1] في محل الحال[2].

﴿فلولا أنه كان من المسبِّحِين﴾ قال ابن عباس: من المصلِّين[3].

قال قتادة: كان كثير الصلاة في الرَّخاء[4].

وقال الحسن: من القائلين: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[5].

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) انظر: الدر المصون (٥/ ٥١٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٢٦) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وغيرهم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٨٧ ح٢١١٩٤)، وأحمد في الزهد (ص:٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٢٥) وعزاه لأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير والبيهقي.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٨٧).

﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ أي: في بطن الحوت إلى يوم يبعثون.

قال قتادة: لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة[١].

واختلفوا في مقدار لبث يونس في بطن الحوت على خمسة أقوال:

أحدها: أربعون يوماً. وقد ذكرناه آنفاً، وهو قول جماعة، منهم: أبو مالك، وابن جريج، والسدي[٢].

الثاني: عشرون يوماً. قاله الضحاك[٣].

الثالث: سبعة أيام. قاله عطاء وجعفر[٤].

الرابع: ثلاثة أيام. قاله قتادة ومقاتل[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٢٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٤٥)، والطبري (٢٣/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٠) كلهم عن أبي مالك. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٢٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن مردويه عن ابن جريج.

ومن طريق آخر عن أبي مالك، وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٣).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٠) عن سعيد بن جبير. وذكره الماوردي (٥/ ٦٨) عن جعفر، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٣) عن عطاء، والسيوطي في الدر (٧/ ١٢٧) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٠) عن قتادة. وذكره مقاتل في تفسيره (٢/ ٣٦٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٢٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

الخامس: بعض يوم[١]. قال الشعبي: [التقمه][٢] ضحى، ولَفَظَهُ عشية[٣].

قوله تعالى: ﴿فنبذناه بالعراء﴾ وهو المكان الخالي من الشجر والماء، ﴿وهو سقيم﴾ مُعتلٌّ مما حلّ به.

﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ قال أهل اللغة: اليقطين: كل شجرة لا تقوم على ساق وإنما تمتد على وجه الأرض، كالبطيخ والقثاء والحنظل، واشتقاقه من: قَطَنَ بالمكان، أي: أقام به.

قال عامة المفسرين: يعني: القرع[٤].

وقيل: التين.

وقيل: الموز.

والأول أكثر وأصح.

فإن قيل: ما الحكمة في اختصاص ذلك بالإنبات على يونس دون سائر الأشجار؟

قلتُ: لينُه وتكاثف ظلِّه، وكونه لا يقربه الذباب، فكان في ذلك زيادة لطف بيونس؛ لأنه خرج كما حكيناه كالفرخ المَمْعُوط.

---

(١) قاله الماوردي (٥/ ٦٨).

(٢) في الأصل: ألقمه. والتصويب من المصادر التالية.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٩)، والحاكم (٢/ ٦٣٩ ح٤١٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٢٧) وعزاه لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٢-١٠٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٣٠-١٣١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وطرق أخرى كثيرة، فانظرها.

قوله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ قال ابن عباس: أرسل إليهم بعدما نبذه الحوت[١]، فكأنه أرسل إلى قوم بعد قوم أرسل إليهم ثانية.

وقال قتادة: أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه[٢].

فعلى هذا؛ المراد به: ما سبق من إرساله إليهم.

واختلفوا في قوله تعالى: ﴿أو يزيدون﴾ فقال ابن عباس والفراء[٣] [وآخرين][٤]: «أوْ» بمعنى: «بل»[٥]، كقوله: ﴿قاب قوسين أو أدنى﴾ [النجم:٩]، وأنشدوا:

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشمسِ في رَوْنَقِ الضُّحَى ... وصُورتها أو أنتِ في العين أمْلَحُ[٦]

وقيل: «أو» بمعنى الواو[٧]؛ كقوله: ﴿عذراً أو نذراً﴾ [المرسلات:٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٣٢) وعزاه لأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٣١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن وقتادة.

(٣) معاني الفراء (٢/ ٣٩٣).

(٤) في الأصل: آخرين.

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٤). وذكره الماوردي (٥/ ٦٩).

(٦) البيت لذي الرمة. انظر: ملحقات ديوانه (ص:٨٥٧)، واللسان (مادة: أوا)، والمحتسب (١/ ٩٩)، والخصائص (٢/ ٤٥٨)، والدر المصون (١/ ١٣٥)، والقرطبي (١/ ٤٦٣، ١٦/ ١٠٠)، وزاد المسير (١/ ٤٢، ١٣٠)، وروح المعاني (١/ ٣٣٥، ٢٥/ ٩٠، ٢٨/ ١٠٥).

(٧) هو قول ابن قتيبة. انظر: غريب القرآن (ص:٣٧٥).

وفي قراءة جعفر بن محمد: «ويزيدون»[(١)].

وقال الزجاج[(٢)]: هي على أصلها. المعنى: أو يزيدون في تقديركم، إذا رآهم الرائي قال: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون.

فالشك إنما دخل في حكاية المخلوقين.

واختلفوا في مقدار زيادتهم؛ فقال قوم: كانوا يزيدون عشرين ألفاً.

أخرج الترمذي [من][(٣)] حديث أبي بن كعب قال: «سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ قال: يزيدون عشرون ألفاً»[(٤)].

وهذا قول عامة المفسرين.

وقال الحسن: بضعة وثلاثين ألفاً[(٥)].

وقال سعيد بن جبير: سبعين ألفاً[(٦)].

﴿فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾ انتهاء آجالهم.

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ٨٩)، وأبو حيان في: البحر (٧/ ٣٦٠).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣١٤).

(٣) زيادة على الأصل.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٥ ح٣٢٢٩).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٣).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٣٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿فاستفتهم﴾ قال ابن عباس: اسأل أهل مكة سؤال توبيخ: ﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾، وذلك أن قريشاً وقبائلاً من العرب قالوا: الملائكة بنات الله، وهذا كقوله تعالى: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمة ضيزى﴾[1] [النجم:٢١-٢٢].

﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً﴾ معناه: بل أخلقنا الملائكة إناثاً ﴿وهم شاهدون﴾ حاضرون خلقنا إياهم، ومضنون ذلك بجهلهم حيث اطمأنوا إلى هذه المقالة التي لا يعضدها برهان.

﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون * وَلَدَ اللهُ﴾ وقرئ شاذاً: «وَلَدُ الله» بالرفع والإضافة[2]، أي: الملائكة ولد الله. والولد فَعَل بمعنى مفعول، يقع على الواحد والجمع، والمذكّر والمؤنث، تقول: هذا ولدي، وهؤلاء أولادي، وهذه ولدي.

قوله تعالى: ﴿أصْطَفَى البنات على البنين﴾ قرأ أبو جعفر ونافع في رواية وَرْش وإسماعيل: «لكاذبونَ اصْطَفَى» بوصل الهمزة على الخبر، والابتداء بكسر الهمزة.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٤).

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٣٦١)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٥١٤).

وقرأ الباقون:«أَصْطَفَى» بفتح الهمزة[١]، على الاستفهام الذي بمعنى التوبيخ؛ كقوله تعالى: ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾ [الزخرف:١٦]، وقوله تعالى: ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ [الطور:٣٩]، وقوله تعالى: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ [النجم:٢١]، فكما أن هذه المواضع كلها استفهام، فكذلك قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى البنات﴾. ومن قرأ بوصل الألف فإنه على وجه الخبر، كأنه: اصطفى البنات فيما يقولون؛ كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان:٤٩] أي: عند نفسك وفيما كنت تقوله وتذهب إليه.

ويجوز أن يكون المعنى: وإنهم لكاذبون، قالوا أصطفى البنات، فحذف: قالوا[٢]. وقوله بعد: ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ توبيخ لهم على قولهم الكذب. ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿أصطفى البنات﴾ بدلاً من قوله تعالى: ﴿ولد الله﴾؛ لأن ولادة البنات [واتخاذهنّ][٣] اصطفاءً لهن. ويجوز أن يكون «اِصْطَفَى» تفسير لكذبهم الذي نسب إليهم في قولهم: ﴿ولد الله وإنهم لكاذبون﴾. هذا كله كلام أبي علي[٤].

وقال الفراء[٥]: أراد الاستفهام، فحذف حرف الاستفهام؛ كقوله تعالى: ﴿أذهبتم طيباتكم﴾ [الأحقاف:٢٠].

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٢)، والنشر (٢/ ٣٦٠)، والإتحاف (ص:٣٧١)، والسبعة (ص:٥٤٩).

(٢) قوله: «قالوا» مكرر في الأصل.

(٣) زيادة من الحجة (٣/ ٣٢٢).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢١-٣٢٢).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٣٩٤).

وقراءة الأكثرين هاهنا مثل قوله تعالى: ﴿أفترى على الله كذباً﴾ في سبأ[1].

﴿أم لكم سلطان مبين﴾ أي: حُجّة نزلت من السماء بأن الملائكة بنات الله.

﴿فائتوا بكتابكم﴾ الذي أنزل عليكم في ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾ [الروم:٣٥] وهذه الآيات مؤذنة بغضب شديد، وإنكار فظيع، وتضليل لأحكام كفار قريش ومن دَانَ بقولهم واستهزائهم.

قوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسباً﴾ قال قتادة: قالوا: صاهر الله الجن، والملائكة من بينهم[2].

وقال الكلبي: قالوا لعنهم الله: تزوج من الجن [فخرج][3] منها الملائكة[4].

وقال مجاهد: لما قالت قريش: الملائكة بنات الله، قال أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟ قالوا: سروات[5] الجن[6].

وقال الحسن: أشركوا الجن في طاعة الله[7].

---

(١) آية رقم: ٨.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٤).

(٣) في الأصل: فرج. والتصويب من الوسيط (٣/ ٥٣٤).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٤).

(٥) سروات الجن: أي: أشرافهم (اللسان، مادة: سرا).

(٦) أخرجه مجاهد (ص:٥٤٦)، والطبري (٢٣/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣١)، والبيهقي في الشعب (١/ ١٦٦ ح١٤١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٣٣) وعزاه لآدم بن أبي إياس وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٧) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦).

قال القرطبي (١٥/ ١٣٥): قول الحسن في هذا أحسن، دليله قوله تعالى: ﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ [الشعراء:٩٨] أي: في العبادة.

وقال عطية العوفي وابن السائب: هو قول الزنادقة: أن الله وإبليس أخوان، وأن النور والخير [والحيوان][1] النافع من خلق الله، والظلمة والشر والحيوان الضار من خلق إبليس[2].

﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ أي: أن القائلين هذا القول لمحضرون في النار.

وقيل: الضمير في «إنهم» للجِنَّة إن فُسِّروا بالشياطين.

قوله تعالى: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثناء منقطع من «المحضرين»، معناه: لكن المخلصين ناجون، و﴿سبحان الله﴾ اعتراض. ويجوز أن يكون استثناء من الضمير في ﴿يصفون﴾[3] أي: لكن عباد الله المخلصين براء من أن يوصفوه به.

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ هذا خطاب لأهل مكة.

قال ابن عباس: فإنكم وآلهتكم التي تعبدونها من دون الله[4].

---

(١) في الأصل: الحيوان. والتصويب من الماوردي (٥/ ٧١).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٧٠-٧١).

(٣) انظر: الدر المصون (٥/ ٥١٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٤).

﴿ما أنتم عليه﴾ قال الواحدي[١]: «ما أنتم عليه» أي: على ما تعبدون.

وقال الزمخشري[٢]: الضمير في «عليه» لله عز وجل. معناه: ما أنتم بفاتنين على الله إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها.

فإن قلت: كيف يفتنونهم على الله؟

قلتُ: يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهوائهم، من قولك: فتن فلان على فلان امرأته، كما تقول: أفسدها عليه وخبَّبها عليه.

قال[٣]: ويجوز أن يكون الواو في «وما تعبدون» بمعنى: مع، على معنى: إنكم مع ما تعبدون، أي: إنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها. ثم قال: ﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾، أي: [على][٤] ما تعبدون «بفاتنين» بحاملين على طريق الفتنة والإضلال.

﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ في سابق علمه قضائه وحكمه.

قال عمر بن عبد العزيز: فصلت هذه الآية بين الناس[٥]. يشير إلى إبطال ما انتحلته القَدَرية.

وقرأ الحسن: «صَالُ الجحيم» بضم اللام[٦].

---

(١) الوسيط (٣/ ٥٣٤).

(٢) الكشاف (٤/ ٦٧).

(٣) أي: الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٧).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ١٣٦).

(٦) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧١).

قال ابن جني[1]: شيخنا أبو علي يحمله على أنه حذف لام «صالٍ» تخفيفاً، وأعرب اللام بالضم، كما حُذفت لام البالة من قولهم: ما باليت به بالةً، وهي البالية كالعَافية.

وذهب قطرب إلى أنه أراد به جمع «صالٍ»، أي: صالون، فحذفت النون للإضافة، وبقَّى الواو [في][2] «صالو»، فحذفها من اللفظ لالتقاء الساكنين، وحُمل على معنى «من»؛ لأنه جمع، فهو كقوله تعالى: ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ [يونس:٤٢].

قال ابن جني[3]: وهذا حسن عندي. وقول أبي علي وجه مأخوذ به.

قوله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ هذا قول الملائكة. والتقدير: وما منا أحد، ولا بد من هذا المحذوف ليعود الضمير في قوله: «إلا له» إليه. والمعنى: إلا له مقام معلوم في العبادة ينتهي إليه ولا يتجاوزه ولا يقصر عنه، كما يروى: أن منهم من هو راكع لا يقيم صلبه، وساجد لا يرفع رأسه.

قال قتادة: كان الرجال والنساء يصلون جميعاً حتى نزلت: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾، فتقدم الرجال وتأخر النساء[4].

﴿وإنا لنحن الصافون﴾ يصفون أقدامهم في الصلاة، أو أجنحتهم في الهواء ينتظرون أمر الله تعالى.

---

(١) المحتسب (٢/ ٢٢٨).

(٢) في الأصل: من. والتصويب من المحتسب، الموضع السابق.

(٣) المحتسب (٢/ ٢٢٨).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٧٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٣٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

وقال أبو مالك: كان الناس يصلون متبددين، فأنزل الله تعالى: ﴿وإنا لنحن الصافون﴾، فأمرهم النبي ﷺ أن يَصْطَفُّوا[1].

﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ المُصَلُّون أو المنزهون.

ثم عاد إلى الإخبار عن المشركين فقال: ﴿وإنْ كانوا ليقولون﴾ هذه «إنْ» المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، تقديره: وإن الشأن والأمر كأن المشركون ليقولون.

﴿لو أنّ عندنا ذكراً من الأولين﴾ أي: لو جاءنا كتاب كما جاء غيرنا ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ كما قالوا: ﴿لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾ [الأنعام:١٥٧].

فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾

قال الله تعالى: ﴿فكفروا به﴾ المعنى: فجاءهم ما تمنَّوا فكفروا به، ﴿فسوف يعلمون﴾ مغبّة كفرهم. وهذا تهديد لهم.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٢). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٣٦) وعزاه لابن أبي حاتم عن زيد بن مالك.

قوله تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ قال مقاتل[١]: الكلمة قوله تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ [المجادلة:٢١].

وقال غيره: الكلمة قوله تعالى: ﴿إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون﴾.

فإن قيل: هي كلمات، فكيف سماها كلمة؟

قلتُ: قد ذكرنا فيما مضى أن العرب تقول عن القصيدة: كلمة فلان، وقال فلان في كلمته، وهاهنا أولى؛ لانتظام الكلمات في معنى واحد، فكأنه كلمة مفردة.

فإن قيل: هذه الآية تتعلق بغلبة الرسل ونصرهم على من ناوأهم، وقد رأينا الحرب بينهم وبين أعدائهم سجالاً، ومنهم من قتل، كما قال تعالى: ﴿وكأيّن من نبي قاتل﴾ [آل عمران:١٤٦]؟

قلتُ: قال السدي: المعنى: إنهم لهم المنصورون بالحجج في الدنيا [والعذاب][٢] في الآخرة[٣].

وقال قتادة: هم المنصورون إما بالإيمان أو بالانتقام[٤]، على أن العلة للرسل ولمن تبعهم في العاقبة، وإن وقع في غضون الأمر خلاف ذلك ابتلاء وامتحاناً.

وقد روي عن الحسن أنه قال: لم يقتل من الرسل أصحاب الشرائع أحد

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١١٠).

(٢) في الأصل: والغدر. والتصويب من الماوردي (٥/ ٧٣).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٧٣).

(٤) مثل السابق.

قط[١].

قوله تعالى: ﴿فتولَّ عنهم حتى حين﴾ قال مجاهد والسدي: حتى نأمرك بالقتال[٢].

وقال قتادة: إلى الموت[٣]. فتكون منسوخة بآية السيف[٤].

﴿وأبصرهم﴾ وما يقضى عليهم من القتل والذل والأسر إذا نزل بهم العذاب ﴿فسوف يبصرون﴾ ذلك.

وقال ابن زيد: أبصر ما ضيعوا من أمر الله فسوف يبصرون ما يحل بهم من عذاب الله[٥].

وقال ثعلب: «أبصرهم»: أعلمهم الآن، «فسوف يبصرون»: يعلمونه بالعيان[٦].

قال المفسرون: لما هدّدهم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ قالوا تكذيباً واستهزاءً: متى هذا العذاب؟ فأنزل الله تعالى: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾[٧]. ﴿فإذا نزل

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٧٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٣٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٤٧)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥١-٥٢)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٣٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٥). وذكره الماوردي (٥/ ٧٣).

(٦) انظر قول ثعلب في: تفسير الماوردي (٥/ ٧٤).

(٧) ذكره الطبري (٢٣/ ١١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٣٩) بنحوه.

بساحتهم﴾ أي: بحضرتهم.

قال الفراء[١]: العرب تكتفي بالسَّاحَة والعَقْوَة[٢] من القوم، يقولون: نزل بك العذاب وبساحتك [سواء][٣].

والسَّاحَة: مُتَّسَعُ الدار[٤].

﴿فساء صباح المنذرين﴾ وقرأ ابن مسعود على المعنى: «فبئس صباح المنذرين»[٥].

وصحَّ عن النبي ﷺ «أنه قال يوم خيبر حين أصبحوا فخرجوا بمساحيهم فرأوا جيش النبي ﷺ فقالوا: محمد والخميس، ورجعوا إلى حصنهم. فقال النبي ﷺ: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»[٦].

وإنما كرر «وَتَوَلَّ عنهم» لتكون تسلية على تسلية، وتأكيداً لوقوع ما توعدهم به من العذاب.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

ثم نزّه نفسه عما يقوله المشركون فقال سبحانه وتعالى: ﴿سبحان ربك رب

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٩٦).

(٢) العقوة والعقاة: الساحة وما حول الدار والمحلّة (اللسان، مادة: عقا).

(٣) زيادة من معاني الفراء (٢/ ٣٩٦).

(٤) انظر: اللسان (مادة: سوح).

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٣٦٤).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٢٢١ ح٥٨٥)، ومسلم (٢/ ١٠٤٥ ح١٣٦٥).

العزة﴾ أي: مالك العزة.

وقال صاحب الكشاف[1]: أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها، كأنه قيل: ذو العزة، كما تقول: صاحب صدق؛ لاختصاصه بالصدق. ويجوز أن يراد ما من عزة لأحد من الملوك وغيرهم إلا وهو ربها ومالكها، كقوله تعالى: ﴿وتعز من تشاء﴾ [آل عمران:٢٦].

ولما اشتملت هذه السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله عز وجل ونسبوا إليه ما هو سبحانه وتعالى منزّه عنه، وما عاناه المرسلون صلوات الله عليهم من جهتهم، وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم؛ ختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون، والتسليم على المرسلين، ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على ما قيّض لهم من حسن العواقب.

وفي حديث أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون... إلى آخر السورة»[2].

وهو حديث ثابت من طرق، أحسنها ما أخبرنا به أبو المجد محمد بن محمد بن أبي بكر الكرابيسي، أخبرنا الشيخان أبو المحاسن عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه أبو سعيد المطهر بن عبدالكريم بن محمد قالا: أخبرنا عبدالرحمن حمد الدوني، أخبرنا القاضي أبو نصر الدينوري، أخبرنا أبو بكر السني الحافظ، أخبرني

---

(١) الكشاف (٤/ ٧١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٦٩ ح٣٠٩٧).

أبو عروبة[١]، حدثني ابن وكيع[٢]، حدثني أبي[٣]، عن سفيان الثوري، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري: «أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من صلاته -قال: لا أدري قبل أن يُسَلِّم أو بعد أن يُسَلِّم- يقول: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»[٤].

وقال ﷺ: «من أحب أن يكتال له بالكيل الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه في مجلسه: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»[٥].

---

(١) هو الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود السلمي الجزري، أبو عروبة الحراني، صاحب التصانيف. ولد بعد العشرين ومائتين، وأول سماعه في سنة ست وثلاثين ومائتين، كان عارفاً بالرجال وبالحديث، مات سنة ثماني عشرة وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥١٠-٥١٢).

(٢) سفيان بن وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو محمد الكوفي، كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بورّاقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنصح فلم يقبل، فسقط حديثه. توفي في ربيع الآخر سنة سبع وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ١٠٩، والتقريب ص:٢٤٥).

(٣) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي أبو سفيان الكوفي الحافظ، كان ثقةً مأموناً عالياً، رفيع القدر، كثير الحديث حجة، ولد سنة سبع أو ثمان أو تسع وعشرين ومائة، ومات سنة ست وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ١٠٩-١١٤، والتقريب ص:٥٨١).

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخه (١٣/ ١٣٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤١) وعزاه للخطيب.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤١) وعزاه لابن أبي حاتم عن الشعبي.

سورة ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ستة وثمانون آية في المدني، وثماني وثمانون في الكوفي[1]، وهي مكية بإجماعهم.

صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾

قال الله تعالى: ﴿صٓ﴾ اتفق القراء السبعة والأكثرون على تسكين الدال، وكان أبو جعفر يقف وقفة يسيرة[2].

وقرأ أبي بن كعب والحسن: «صادِ» بكسر الدال[3].

وقرأ عيسى بن عمر: «صادَ» بفتح الدال[4]، ومثله: قاف، ونون.

وقرئ: «صادٍ» بالجر والتنوين[5].

قال الزمخشري[6]: قرئ بالفتح والكسر لالتقاء الساكنين، ويجوز أن ينتصب

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢١٤).

(٢) انظر: النشر (١/ ٢٤١، ٤٢٤)، والإتحاف (ص:٣٧١).

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧١).

(٤) ذكر هذه القراءة: الطبري (٢٣/ ١١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٩٧)، وأبو حيان في البحر (٧/ ٣٦٦)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٥١٩).

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٣٦٦)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٥١٩). وهي قراءة ابن أبي إسحاق.

(٦) الكشاف (٤/ ٧٢).

بحذف حرف القسم وإيصال فعله، كقولهم: اللهَ لأفعلنَّ، بالنصب، أو بإضمار حرف القسم، والفتح في موضع الجر، كقولهم: اللهِ لأفعلنَّ، بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث، لأنها بمعنى السورة، وقد صرفها من قرأ «صادٍ» بالتنوين والجر على تأويل الكتاب والتنزيل.

وقيل فيمن كسر: هو من المُصَادَاةِ، وهي المعارضة.

قال أبو علي الفارسي[١]: ومنه الصدى، [وهو ما يعارض][٢] الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة، ومعناه: ما عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه.

وقيل: من قرأ «صاد» فعلى الإغراء.

وقيل: هو فعل ماض، أي: صاد محمد قلوب الناس واستمالها حتى آمنوا به.

وقد سبق الكلام على الحروف المقطعة في أوائل البقرة.

وقال مجاهد والقرطبي[٣] فيما يخص هذا الحرف: هو مفتاح أسماء الله، صمد، صانع المصنوعات، صادق الوعد.

وقال الضحاك: صدق الله[٤].

وقيل: صدق محمد ﷺ، وذلك مروي عن ابن عباس[٥].

---

(١) لم أقف عليه في الحجة. وهو من كلام الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢).

(٢) في الأصل: وما تعارض. والتصويب والزيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ١٤٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤٤) وعزاه لابن جرير.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٤٤) وعزاه لابن مردويه.

وقال قتادة: اسم من أسماء القرآن[١].

وقيل: اسم السورة.

وقال السدي: قسم أقسم الله تعالى به[٢].

قوله تعالى: ﴿والقرآن ذي الذكر﴾ أي: ذي الشرف، كما قال تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ [الزخرف:٤٤].

وقال ابن عباس: ذي البيان[٣].

قال صاحب الكشاف[٤]: ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدّي والتنبيه على الإعجاز، ثم أتبعه القسم [محذوف][٥] الجواب لدلالة التحدي عليه، كأنه قال: والقرآن ذي الذكر إنه لكلام مُعْجِزٌ. أو يكون «صٓ» خبر مبتدأ محذوف، على أنها اسم للسورة، كأنه قال: هذه صٓ، يعني: هذه السورة التي أعجزت العرب، والقرآن ذي الذكر، كما تقول: هذا حاتم والله، [تريد][٦]: هذا هو المشهور بالسخاء والله؛ وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال: أقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز.

وقال جماعة من أهل المعاني: جواب القسم محذوف، بتقدير: والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار، ودلّ على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿بل الذين

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٧). وذكره الماوردي (٥/ ٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٧) عن ابن عباس.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٩٨) كلاهما عن قتادة.

(٤) الكشاف (٤/ ٧٢).

(٥) في الأصل: بمحذوف. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: زيد. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

كفروا﴾[١].

وقال الواحدي[٢]: جواب القسم قد تقدم، أقسم الله تعالى بالقرآن أن محمداً قد صدق، كما تقول: فعل والله، وقام والله.

قوله تعالى: ﴿بل الذين كفروا في عِزَّةٍ﴾ أي: استكبار وأَنَفَة عن الإذعان للحق والاعتراف به.

وقرئ «غِرَّةٍ» بالغين معجمة والراء المهملة. أي: في غفلة[٣].

ثم خوفهم فقال تعالى: ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا﴾ عند معاينة العذاب بالاستغاثة.

قال الحسن: فنادوا بالتوبة[٤].

قال الله تعالى: ﴿ولات حين مناص﴾ قال الزمخشري[٥]: «لاتَ» هي [لا][٦] المشبهة بـ«لَيْسَ»، زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رُبَّ، وثَمَّ للتوكيد، تغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضييها؛ إما الاسم وإما الخبر، وامتنع بروزهما جميعاً. وهذا مذهب الخليل وسيبويه[٧].

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٥٢٠).

(٢) الوسيط (٣/ ٥٣٨).

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ٩٩)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٥٢٠).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٣)، وأبو حيان في البحر (٧/ ٣٦٧).

(٥) الكشاف (٤/ ٧٣).

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) الكتاب (١/ ٥٧).

وعند الأخفش: أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء، وخصت بنفي الأحيان. و«حين مناص» منصوب بها، كأنك قلت: ولا حين مناص لهم[1].

وعنه: أن [ما][2] ينتصب بعده بفعل مضمر، أي: ولا أرى حين مناص، ويرتفع -يعني: ما بعد «ولات»- بالابتداء، أي: ولا حين مناص كائن لهم. وعندهما أن النصب على: «ولات حين مناص»، أي: وليس الحين حين مناص، والرفع على ولات حين مناص حاصلاً لهم[3].

وقرئ: «حينِ مناص» بالكسر[4]، وأنشدوا:

طَلَبُوا صُلْحَنا ولاتَ أوانٍ فأجبنا أنْ لاتَ حينَ بَقَاء[5]

وقرئ: «ولاتِ» بكسر التاء على البناء، [كجير][6].

فإن قلت: كيف يوقف على «ولات»؟

---

(١) انظر: الدر المصون (٥/ ٥٢٢).

(٢) زيادة من الكشاف (٤/ ٧٣).

(٣) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٥/ ٥٢٢) بعد أن ذكر هذين الوجهين: وهما ضعيفان.

(٤) قال أبو حيان في البحر (٧/ ٣٦٧): وتخريجه مشكل. وحكى أيضاً في شرح التسهيل: أن بعضهم خرّج هذه القراءة على أن «لات» بمعنى «غير»، صفة لمحذوف، وتقدير البيت: طلبوا صلحنا وقتاً غير أوان صلح. وردّ هذا بأن الواو لا تراد في كـ«لا» الصفة، وبأنه لو كانت «لات» صفة لوجب تكرارها، في نحو: مررت برجل لا قائم ولا قاعد (انظر: التصريح ٢/ ٢٧٩، والكتاب ١/ ٢٨٠).

(٥) البيت لأبي زبيد الطائي، وهو في: اللسان (مادة: أون)، والخصائص (٢/ ٣٧٧)، ومجمع الأمثال (١/ ٤٣٣)، والكشاف (٤/ ٧٣)، والبحر (٧/ ٣٦٧)، والقرطبي (١٥/ ١٤٧)، والطبري (٢٣/ ١٢٢)، والدر المصون (٥/ ٥٢١)، وابن يعيش (٩/ ٣٢)، والهمع (١/ ١٢٦)، ومعاني الفراء (٢/ ٣٩٨)، والأشموني (١/ ٢٥٦)، والخزانة (٤/ ١٨٣).

(٦) في الأصل: كحير. والتصويب من الكشاف (٤/ ٧٣).

قلتُ: يوقف عليها بالتاء، كما يوقف على الفعل الذي يتصل [به][1] تاء التأنيث.

وأما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة.

وأما قول أبي عبيد: أن التاء داخلة على «حين» فلا وجه له. واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام لا متشبث به، فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط. هذا آخر كلامه[2].

قلتُ: وإلى هذا الذي ذكر من أنّ الوقف على التاء وأن «حين» منقطعة صار جمهور أهل العلم.

وقد ذكر أبو [عبيد][3] في غريب الحديث[4]: قال الأموي: العرب يزيدون التاء في الآن وفي حين، فيقولون: تَلآن وتَحين، ومنه قوله تعالى: ﴿ولات حين مناص﴾، قال: وأنشدني الأموي لأبي [وجزة][5] السعدي:

العَاطِفُونَ تَحِينَ ما منْ عَاطفٍ ... والمُطْعِمُون زمانَ ما منْ مُطْعِمِ[6]

والمناص: المَنْجَا والفَوْت، يقال: نَاصَهُ يَنُوصُهُ نَوْصاً ومَنَاصاً؛ إذا فَاتَه،

---

(١) زيادة من الكشاف (٤/ ٧٣).

(٢) أي: كلام الزمخشري.

(٣) في الأصل: عبيدة. والصواب ما أثبتناه.

(٤) غريب الحديث (٤/ ٢٥٠).

(٥) في الأصل: جزة. والتصويب من غريب الحديث، الموضع السابق.

(٦) البيت لأبي وجزة السعدي، وهو في: اللسان (مادة: عطف، أين)، والأشموني (٤/ ٣٣٩)، ومجالس ثعلب (ص:٣٧٤)، والدر المصون (٥/ ٥٢١)، والقرطبي (١/ ٣٢١، ١٥/ ١٤٧)، وزاد المسير (٧/ ١٠١)، وروح المعاني (٢٣/ ١٦٥).

واسْتَنَاصَ: طَلَبَ المَنَاص[1].

قال حارثة بن [بدر][2] يصف فرساً كثير الجري:

غَمْرُ الجِرَاءِ إذا قَصَرْتُ عِنَانَهُ ... بيدي اسْتَنَاصَ ورَامَ جَرْيَ المِسْحَل[3]

المِسْحَل: حمار الوحش، سُمي بذلك؛ لكثرة سحاله.

وقال الفراء[4]: النَّوْص -بالنون-: التأخر، والبَوْص -بالباء-: التقدم، وجمعهما امرؤ القيس في بيت فقال:

أَمِنْ ذكْرِ ليلى إذ نَأَتْكَ تَنُوصُ ... وتَقْصُر عنها خُطْوَةً وتَبُوصُ[5]

وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ

---

(١) انظر: اللسان (مادة: نوص).

(٢) في الأصل: برد. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: الأعلام (٢/ ١٥٨).

(٣) البيت لحارثة بن بدر، وهو في: اللسان (مادة: نوص)، والبحر (٧/ ٣٦٥)، والدر المصون (٥/ ٥٢٥)، وروح المعاني (٢٣/ ١٦٥)، والكشاف (٤/ ٧٤).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٣٩٧).

(٥) البيت لامرئ القيس، انظر: ديوانه (ص:١٧٧)، واللسان (مادة: بوص، نوص)، والماوردي (٥/ ٧٧)، وغريب القرآن (ص:٣٧٦)، والدر المصون (٥/ ٥٢٤)، والطبري (٢٣/ ١٢٠)، وزاد المسير (٧/ ١٠١). وفي الديوان وبعض المصادر: «سلمى» بدل: «ليلى».

ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ أي: رسول من أنفسهم. هذا الذي ذكره المفسرون. والآية تحتمل وجهين:

أحدهما: مُنذرٌ من بني آدم، والآخر: من نسبهم.

وفي هذه الآية والتي بعدها دلالة على إفراط القوم في الجهالة، وتوغلهم في الضلالة، حيث نسبوا السحر والكذب إلى من ظهرت آيات رسالته، ومعجزات نبوته، وتعجبوا من إثبات الوحدانية لله تعالى الذي خلق ورزق، مع إنارة براهينها، ولم يتعجبوا من الشرك وعبادة الأحجار مع وضوح بطلانه.

قوله تعالى: ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾ أي: لأمرٌ عَجَب، وهما لغتان مثل: كبير وكُبَار، [وطويل][1] وطُوَال.

والقُرّاء السبعة والأكثرون قرأوا: «عُجَاب» بالتخفيف. وقرأ أبو عبدالرحمن السلمي وعيسى بن عمر: «عُجَّاب» بالتشديد[2]، وهو لغة أيضاً.

قال ابن جني[3]: قد كثر عنهم مجيء الصفة على فعيل وفُعَال -بالتخفيف- وفُعَّال بالتشديد، قالوا: رجل وضِيءٌ ووُضَّاءٌ، وأنشدوا:

والمرءُ يُلْحِقُهُ بِفتيانِ النَّدَى خُلُقُ الكريم وليس بالوُضَّاء[4]

---

(١) في الأصل: وطول. والمثبت من زاد المسير (٧/ ١٠٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ١٠٢-١٠٣)، والدر المصون (٥/ ٥٢٥).

(٣) المحتسب (٢/ ٢٣٠-٢٣١).

(٤) البيت لأبي صدقة الدُّبَيْري. انظر: الخصائص (٣/ ٢٦٦)، واللسان، (مادة: وضأ)، والقرطبي

أي: وليس بالوَضيء.

وقال:

نحنُ بَذلنا [دُونها][1] الضِّرَابـــا إنا وجَدْنا ماءَها طُيَّابـــا[2]

وقال:

جاؤوا بصيدٍ [عجب][3] من العَجَبْ أُزيرق العينين طُوَّال الذَّنب[4]

قال المفسرون: لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه شق ذلك على قريش، فأتى أشرافهم أبا طالب واجتمعوا عنده، وشكوا إليه النبي ﷺ وقالوا: إنه سَفَّهَ أحلامنا، وسَبَّ آلهتنا، وعَابَ ديننا، فعاتب أبو طالب النبي ﷺ وقال: ما تريد من قومك يا ابن أخي؟ فقال: أدعوهم إلى كلمة واحدة، قالوا: وما هي؟ قال: لا إله إلا الله، فنفروا من ذلك وقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾، وخرجوا من عند أبي طالب يقول بعضهم لبعض: ﴿امشوا واصبروا على آلهتكم﴾، فذلك قوله تعالى: ﴿وانطلق الملأ منهم﴾، يقول بعضهم لبعض: ﴿امشوا واصبروا على آلهتكم﴾ أي: اثبتوا على عبادتها[5].

﴿إنْ هذا﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد وظهور أمره ﴿لشيء يراد﴾ يُرِدْه

= (١٨/ ٣٠٧)، وروح المعاني (٢٩/ ٧٦).

(١) في الأصل: دنها. والتصويب من المحتسب (٢/ ٢٣٠).

(٢) انظر البيت في: معاني الفراء (٢/ ٣٩٨).

(٣) في الأصل: عجباً. والتصويب من مصادر البيت.

(٤) انظر البيت في: معاني الفراء (٢/ ٣٩٨)، وزاد المسير (٧/ ١٠٣).

(٥) ذكره الطبري (٢٣/ ١٢٧)، والواحدي في أسباب النـزول (ص:٣٨١)، والوسيط (٣/ ٥٣٩-٥٤٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٤٢-١٤٣).

الله تعالى ويُمْضِيه، أو لشيء يُراد بنا لا نَقْدِر على دفعه.

﴿ما سمعنا بهذا﴾ الذي يقوله محمد ﷺ من التوحيد ﴿في الملة الآخرة﴾ يعنون: النصرانية؛ لأنها آخر الملل. والنصارى لا يُوحِّدون.

وقال قتادة: في ملة قريش الذي أدركوا عليها آبائهم[(١)].

﴿إنْ هذا﴾ الذي جاء به من التوحيد والقرآن ﴿إلا اختلاق﴾ افْتعال وافْتراء.

ثم أنكروا اختصاصهم من بين صناديدهم وعظمائهم لشرف النبوة فقالوا: ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري﴾ لأنهم كانوا يتردَّدُون بين التصديق بما يظهر لهم من دلائل نبوته، وبين التكذيب ذهاباً مع الحسد.

﴿بل لما يذوقوا عذابـ﴾ـي بعد، فإذا ذاقوه عرفوا ما أنكروه، وهذا تهديدٌ لهم وإيذان بأنهم يذوقون عذاب الله.

﴿أم عندهم﴾ أي: أبأيديهم ﴿خزائن رحمة ربك﴾ حتى يتصرفوا فيها كيف شاؤوا فيصيبوا بالنبوة ويخصُّوا بالذِّكْر من أرادوا.

والمعنى: ليس ذلك إليهم، وإنما هو بيد ﴿العزيز﴾ القاهر على خلقه، ﴿الوهاب﴾ الكثير المواهب المصيب بها مواقعها ومواضعها.

﴿أم لهم مُلْكُ السموات والأرض وما بينهما﴾ حتى يَتَكَلَّمُوا في الأمور الربانية، ويتحكموا في الحكم الإلهية، ويتصرفوا في التدابير التي يختص بها الخالق المالك.

ثم رشح ذلك تهكماً بهم فقال تعالى: ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ أي: إن كانوا يصلحون لهذا الشأن العظيم وبأيديهم الخزائن ولهم الملك وزمام التصرف والتدبير

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٢٧) قال قتادة: أي: في ديننا هذا ولا في زماننا قط. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

على وفق الحكمة والمصلحة، وهو مفوض إليهم؛ فليرتقوا في الأسباب، أي: فليصعدوا في معارج العالم العلوي، وليستووا على العرش ويتوصلوا إلى ملكوت السموات والأرض، ويُنزلوا الوحي على من يشاؤون، ويخصُّوا بالشرف من يختارون.

ثم أبعدهم عن ذلك فقال تعالى: ﴿جند ما هنالك﴾ أي: هم جند من الكفار المتحزبين على الرسل.

و«ما»: زائدة.

قال قتادة: أخبره الله تعالى وهو يومئذ بمكة أنه سيهزم جند المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر[1].

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾

وفي قوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد﴾ مع ما في حيزها تسلية للنبي ﷺ وتخويف لكفار قريش بما ذكَّرهم به من سنّته جلّت عظمته في الأمم المكذبة ممن كانوا أشد منهم قوة وأعظم مُلْكاً.

﴿وفرعون ذو الأوتاد﴾ قال عطية: الجنود والجموع العظيمة[2]. يشير إلى

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٠٦).

استقرار ملكه واستحكام أمره واستفحال سلطانه، وأصله من ثبات المطنب بالأوتاد، كما قال:

والبيتُ لا ينبني إلا على عَمَدٍ ولا عِمادَ إذا لم تُرْسَ أوتَادُ[١]

فاستعير لثبات العزة والملك كما ذكرناه، ومنه قول الأسود بن يعفر:

.... في ظِلِّ مُلْكٍ ثَابتِ [الأوتاد][٢]

وقيل: هذا إشارة إلى جبروته وبطشه وتعجْرفه، فإنه كان إذا غضب على إنسان أمر به فَمُدَّ بين أربعة أوتاد وأرسل عليه العذاب.

قال مقاتل بن حيان: كان يَمُدُّ الرجل مُستلقياً على الأرض ثم [يشدّه][٣] بالأوتاد[٤].

وقال السدي: كان يمدّ الرجل ويشدّه بالأوتاد، ويرسل عليه العقارب والحيات[٥].

---

(١) البيت للأفوَه الأودي، انظر: ديوانه (ص:١٠)، وأمالي القالي (٢/ ٢٢٤)، والبحر (٧/ ٣٧٠)، والدر المصون (٥/ ٥٢٧)، والكشاف (٤/ ٧٨)، وروح المعاني (٢٣/ ١٧٠، ٣٠/ ٦).

(٢) في الأصل: الأتاد. والتصويب من مصادر البيت.

وهو عجز بيت لأسود بن يعفر، وصدره: (ولقد غَنُوا فيها بأنْعَمَ عِيشَةٍ)، انظر: ديوان المفضليات (ص:٤٤٩٢)، والبحر (٧/ ٣٧٠)، والدر المصون (٥/ ٥٢٧)، والأغاني (١٣/ ٢٢)، وغريب القرآن (ص:٣٧٧)، والماوردي (٥/ ٨١)، والقرطبي (١٥/ ١٥٥)، وزاد المسير (٧/ ١٠٦).

(٣) في الأصل: يسنده. والمثبت من البغوي (٤/ ٥٠).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٥٠).

(٥) مثل السابق.

وقيل: كان يشد كل عضو إلى سارية ويتركه في الهواء حتى يموت[(١)].

وقال قتادة وعطاء: كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب عليها بين يديه[(٢)].

قوله تعالى: ﴿فحق عقاب﴾ أي: فوجب عليهم عقابي بتكذيبهم.

﴿وما ينظر هؤلاء﴾ كفار مكة لوقوع العذاب بهم ﴿إلا صيحة واحدة﴾ وهي النفخة الأولى في الصور ﴿ما لها من فَوَاق﴾.

قرأ حمزة والكسائي وخلف: «فُوَاق» بضم القاف والفاء، وفتحها الباقون[(٣)].

قال الفراء وأبو عبيد وأبو علي[(٤)]: «الفَواق» -بالفتح-: الراحة والإفاقة، وبالضم: من فُواق الناقة، وهو ما بين الحلبتين.

وقيل: هما لغتان بمنزلة جَمَامُ [المَكُول][(٥)] وجُمَامِهِ، وقَصَاصِ الشَّعْرِ وقُصَاصِهِ.

وقال ابن عباس وقتادة: ما لها من رجوع[(٦)].

---

(١) هو قول مقاتل في تفسيره (٣/ ١١٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٦) كلاهما عن قتادة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٠٦) عن عطاء وقتادة، والسيوطي في الدر (٧/ ١٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٣)، والكشف (٢/ ٢٣١)، والنشر (٢/ ٣٦١)، والإتحاف (ص:٣٧٢)، والسبعة (ص:٥٥٢).

(٤) انظر: معاني الفراء (٢/ ٤٠٠)، وغريب الحديث لأبي عبيد (١٧٦-١٧٧)، والحجة للفارسي (٣/ ٣٢٣).

(٥) في الأصل: المكوك. والمثبت من الدر المصون (٥/ ٥٢٨). والمَكُول من الآبار: التي يقلّ ماؤها فتستجمّ حتى يجتمع الماء في أسفلها (اللسان، مادة: مكل).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قال الزجاج[1]: المعنى في القراءتين: ما لها من رجوع.

[والفُواق][2]: ما بين حَلْبَتَيْ الناقة، وهو مشتق من الرجوع أيضاً؛ لأن اللبن يعود إلى الضرع، ويقال: أَفَاقَ من مرضه؛ إذا رجع إلى الصحة، وهو من هذا أيضاً[3].

وقال صاحب الكشاف[4]: ما لها من توقف مقدار فواق، وهو ما بين حَلْبَتَي الحالِب ورَضْعَتَي الرَّاضِع.

يعني: إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان؛ كقوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [النحل:٦١].

وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قِطَّنا﴾ القِطُّ: القِسْط من الشيء؛ لأنه قطْعة منه، مِنْ قَطَّه؛ إذا قطعه[5].

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٢٣).

(٢) في الأصل: والوافق. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) انظر: اللسان (مادة: فوق).

(٤) الكشاف (٤/ ٧٨).

(٥) انظر: اللسان (مادة: قطط).

ويقال [الصحيفة][(١)] الجائزة: قِطّ؛ لأنها قطعة من القرطاس[(٢)].

قال ابن عباس وقتادة: المعنى: عَجِّلْ لنا نصيبنا من العذاب والعقوبة، قالوا ذلك تكذيباً واستهزاءاً[(٣)].

وقال سعيد بن جبير والسدي: لما ذكر لهم ما في الجنة قالوا: عجل نصيبنا منها في الدنيا[(٤)].

وقال أبو العالية والكلبي ومقاتل[(٥)]: لما نزل قوله تعالى: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ [الحاقة:١٩]، ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ [الحاقة:٢٥] قالت قريش: زعمت يا محمد أنا نؤتى كتابنا بشمالنا، فعَجِّل لنا قِطَّنا قبل يوم الحساب، يقولون ذلك تكذيباً به[(٦)]، فقال الله تعالى: ﴿اصبر على ما يقولون﴾ يعني: من الكفر والتكذيب والأذى.

فإن قيل: ما وجه المطابقة بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿واذكر عبدنا داود﴾ حتى قرن به وعطف عليه؟

قيل: قد أجاب الزمخشري[(٧)] عنه فأحسن، قال: كأنه قال لنبيه عليه الصلاة

---

(١) في الأصل: الصحيفة. والتصويب من الكشاف (٤/ ٧٩).

(٢) هذا كلام الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٤) عن ابن عباس وقتادة، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٧) عن قتادة. وذكره الماوردي (٥/ ٨٢) عن ابن عباس، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٢) عن قتادة.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٢).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ١١٤-١١٥).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٣).

(٧) الكشاف (٤/ ٧٩).

والسلام: اصبر على ما يقولون، وعظّم أمر معصية الله تعالى في أعينهم بذكر قصة داود، وهو أنه نبي من أنبياء الله تعالى قد أولاه ما أولاه من النبوة والملك، لكرامته عليه وزلفته [لديه][1]، ثم زلّ زلةً فبعث الله تعالى [إليه][2] الملائكة ووبّخه عليها، على طريق التمثيل والتعريض، حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب، ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمّه الواصب، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم؟ أو قال له ﷺ: اصبر على ما يقولون، وصُنْ نفسك وحافظ عليها أن تزلّ فيما كُلّفت من مصابرتهم وتحمّل أذاهم، واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زَلَّ تلك الزلّة اليسيرة، فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته إلى البغي ما لقي.

﴿ذا الأَيد﴾ ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقّه وتكاليفه[3]، فإنه ﷺ كان يصوم يوماً ويُفْطر يوماً، -وهذا أشق شيء نجده على النفس-، ويقوم نصف الليل.

﴿إنه أوّاب﴾ رجّاع عن كل ما يكره الله تعالى.

﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾ وهو وقت إضاءة الشمس وصفاء شعاعها.

قال الزجاج[4]: يقال: شَرِقَت الشمس؛ إذا طلعت، وأشرقت؛ إذا أضاءت[5].

---

(١) في الأصل: يديه. والتصويب من الكشاف (٤/ ٧٩).

(٢) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: بمشاقصوا تكاليفه. وقد صححت على الهامش بقوله: لعله: بمشاقه وتكاليفه. والمثبت من: الكشاف (٤/ ٧٩).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٢٤).

(٥) انظر: اللسان (مادة: شرق).

وقال غيره: يقال: شرقت الشمس ولما تشرق.

وقد روي عن ابن عباس أنه [فَسَّر][1] التسبيح بالإشراق في هذه الآية بصلاة الضحى[2]. وقال: حدثتني أم هانئ: «أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ، ثم صَلّى الضحى وقال: يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق»[3].

﴿والطير محشورة﴾ أي: مجموعة إليه تُسبّح الله تعالى معه.

قال ابن عباس: كان إذا سبّح جاوبته الجبال بالتسبيح، واجتمعت إليه الطير فسبّحت، فذلك حشرها[4].

﴿كل له أوّاب﴾ أي: كل واحد من الجبال والطير رجّاع إلى طاعة داود وأمره، أو كلٌّ لأجل داود، أي: لأجل تسبيحه مُسبّحٌ، لأنها كانت تُسبّح بتسبيحه.

وقيل: الضمير في «له» يرجع إلى الله تعالى، على معنى: كل واحدٍ من داود والجبال والطير لله تعالى أواب.

﴿وشددنا ملكه﴾ قوَّيناه بالجنود والعَدَد والعُدَد وإلقاء الرهبة والرغبة في قلوب الناس له.

قال ابن عباس: كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل، فإذا أصبح قيل:

---

(١) في الأصل: قر. والتصويب من الوسيط (٣/ ٥٤٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٣).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٩ ح٦٨٧٣)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٤٠٦ ح٩٨٦)، والأوسط (٤/ ٢٩٦ ح٤٢٤٦). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٩٩) وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: فيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٤).

ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله ﷺ[١].

وروى عكرمة عن ابن عباس: أن رجلاً من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود، فقال: إن هذا غصبني بقراً لي، فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده، فسأل الآخر البينة فلم تكن له بينة، فقال لهما دواد عليه السلام: قوما حتى أنظر في أمركما، فقاما من عنده، فأوحى الله تعالى إلى داود في منامه: أن يقتل الرجل الذي استعدى عليه، فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتى أثبت، فأوحى الله تعالى إليه في منامه أن يقتله، فلم يفعل، فأوحى الله تعالى إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة، فأرسل داود عليه السلام إليه فقال له: إن الله تعالى أوحى إليَّ أن أقتلك، فقال الرجل: تقتلني بغير بينة؟ قال داود: نعم، والله لأنفذن أمر الله تعالى فيك، فلما عرف الرجل أنه قاتله، قال: لا تعجل حتى أخبرك، وإني والله ما أُخذت بهذا الذنب، ولكني كنت اغتلت أبَا هذا، فقتلته، فبذلك أُخذت، فأمر به فقُتل، فأشدت هيبة بني إسرائيل لداود عليه السلام عند ذلك، واشتدّ ملكه، فذلك قوله تعالى: ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة﴾[٢].

قال ابن عباس: النبوة والمعرفة بكل ما حكم[٣].

وقيل: الزبور وعلم الشرائع.

﴿وفصْل الخطاب﴾ قال أكثر المفسرين: هو البينة على المدّعي واليمين على من

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١١١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٨-١٣٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٧-٣٢٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٥٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٥).

أنكر[١]؛ لأن به الفصل والقطع بين المتخاصمين. وهو مروي عن علي عليه السلام.

وقال ابن مسعود وقتادة: هو العلم بالقضاء والفهم فيه[٢].

وقيل: الكلام الصحيح الفاصل بين الحق والباطل، والصحيح والفاسد، والصواب والخطأ[٣].

ويروى أنه عليه الصلاة والسلام أول من قال: أما بعد[٤].

وقيل: هو الخطاب الذي ليس فيه اختصار مُخِلّ، ولا إشباع مُمِلّ[٥]. ومنه قول أم معبد في صفتها لرسول الله ﷺ: «حلو المنطق، فَصْلٌ لا نَزْرٌ ولا هَذْرٌ»[٦].

وقد أحسن القائل:

ويُوجِزُ لكنه لا يُخِلُّ　　　ويطنُبُ لكنه لا يُمِلّ[٧]

---

(١) وهو نص حديث رسول الله ﷺ، أخرجه الترمذي في جامعه (٣/ ٦٢٦ ح١٣٤٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والطبري (٢٣/ ١٤٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٥٤) وعزاه لابن جرير والبيهقي.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٥).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٢).

(٤) هو قول أبي موسى الأشعري والشعبي. أخرجه الطبري (٢٣/ ١٤٠) عن الشعبي، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٨) عن أبي موسى. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٥٤-١٥٥) وعزاه لابن جرير عن الشعبي. ومن طريق آخر عن أبي موسى الأشعري، وعزاه لابن أبي حاتم والديلمي.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٢).

(٦) أخرجه الحاكم (٣/ ١٠-١١ ح٤٢٧٤) من حديث طويل.

(٧) البيت لعلي بن محمد البستي. انظر: قرى الضيف (٤/ ٣٥٥).

﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ۝٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾ قيل: إن الخصمين كانا من الإنس، وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما؛ إما كانا خليطين في الغنم، وإما كان أحدهما له نسوان كثيرة من المهائر[1] والسراري، والثاني ما له إلا امرأة واحدة، فاستنزله عنها.

والصحيح[2] والمشهور: أن السبب في امتحان داود عليه السلام: ما حدثنا الشيخ الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه في ذي القعدة سنة خمس وستمائة، قال: أخبرنا أحمد بن المبارك، أخبرنا ثابت بن بندار، أخبرنا أبو علي بن دوما، أخبرنا مخلد بن جعفر، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا إسماعيل بن عيسى[3]، أخبرنا إسحاق بن بشر[4]، قال: وأخبرنا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «كان داود عليه الصلاة والسلام قد قسم الدهر على أربعة أقسام، فيوم لبني إسرائيل يدارسهم العلم

---

(١) المهائر: الحرائر (اللسان، مادة: مهر).

(٢) وقد أشار المؤلف رحمه الله في آخر القصة أن جماعة من المحققين أنكروا صحة هذه الروايات، وهو الصحيح.

(٣) إسماعيل بن عيسى البغدادي العطار، ضعفه الأزدي وصححه غيره، مات في رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (تاريخ بغداد ٦/ ٢٦٢، ولسان الميزان ١/ ٤٢٦).

(٤) إسحاق بن بشر بن محمد بن عبد الله بن سالم، أبو حذيفة البخاري، مولى بني هاشم. ولد ببلخ واستوطن بخارى فنسب إليها، وهو صاحب كتاب «المبتدأ» وكتاب «الفتوح»، متروك الحديث رمى بالكذب، توفي يوم الأحد ودفن يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من رجب سنة ست ومائتين (تاريخ بغداد ٦/ ٣٢٦).

ويدارسونه، ويوم للمحراب، ويوم للقضاء، ويـوم للنـساء، فبينـا هـو مـع بنـي إسرائيل يدارسهم إذ قال بعضهم: لا يأتي على ابن آدم يوم إلا يـصيب فيـه ذنبـاً، فقال داود في نفسه: اليومُ الذي أخلو فيه للمحراب تُنحّى عني الخطيئة، فـأوحى الله تعالى إليه: يا داود خذ حذرك حتى ترى بلاءك»[١].

قال إسحاق: وأخبرنا ابن بشير -قلتُ: واسمه: سعيد بن بشير-، عن قتادة، عن الحسن قال: بينا هو في محرابه مُنكبّ على الزبور يقرؤها، إذ دخـل طـائر مـن الكوة فوقع بين يديه، جسده من ذهب، وجناحاه من ديباج مُكلل بالدر، ومنقاره زبرجد، وقوائمه فيروزج، [فوقع][٢] بين يديه، فنظر إليه فحسب أنـه مـن طـير الجنة، فجعل يتعجب من حسنه، وكان له ابن صغير فقال: لو أخذت هذا الطائر فنظر إليه ابني، فأهوى إليه فتباعد منه ويطمعه أحياناً من نفسه حتى كاد تقع يـده عليه، فيتباعد منه أيضاً، فما زال كذلك يدنو ويتباعد حتى قام من مجلسه، وأطبـق الزبور فطلبه [فوقـع][٣] في الكـوة، فرمـى بنفـسه في بـستان، فـاطلع داود فـإذا [بامرأة][٤] تغتسل، فنظر إلى أحسن خلق الله، ونظـرت المـرأة وإذا وجـه رجـل، فنشرتْ شَعْرَها فغطَّتْ جسدها.

رجع إلى حديث الحسن، قال: فزاده ذلك بها إعجاباً، فرجـع إلى مكانـه وفي

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٤٨) عن الحسن. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٥٨) وعـزاه لعبـد بـن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن.

(٢) في الأصل: قوع.

(٣) مثل السابق.

(٤) في الأصل: بالمرأة.

نفسه منها ما في نفسه، فبعث لينظر مـن هِـيَ، فرجـع الرسـول إليـه فقـال: هـي [بشايع][(١)] ابنة حنانا، وزوجها [أوريا][(٢)] بن صوري، وهـو في البلقـاء مـع ابـن أخت داود محاصري قلعة، فكتب داود إلى ابن أخته كتاباً إذا جاءك كتابي هذا فمُرْ أوريا بن صوري فليحمل التابوت وليتقدم أمام الجيش، وكان الذي يتقـدم أمـام الجيش لا يرجع حتى يقتل أو يفتح الله تعالى عليه، فدعا صاحب الجيش أوريا بن صوري فقرأ عليه الكتاب، فقال: سمعاً وطاعـة، فحمـل التـابوت وسـار أمـام أصحابه فقُتِلَ، وكتب ابن أخت داود عليه الصلاة والسلام بذلك إلى داود عليـه الصلاة والسلام، فلما انقضت عدّة المرأة أرسل إليها داود عليه الـسلام فخطبهـا فتزوجها[(٣)].

وقال: وأخبرنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال: إن داود عليه السلام لما تزوج بشايع بنت حنانا، وكان يخلو للعبادة في المحراب، فبينا هو في المحـراب إذ سـمع

---

(١) في الأصل: تشايع. وانظر مصادر التخريج.

(٢) في الأصل: أرويا. وانظر: مصادر التخريج.

(٣) أخرج نحوه الطبري (٢٣/ ١٤٨). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٧/ ١٥٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

وهذه القصة باطلة لا تصح، ونقل المؤلف أن جماعة من المحققين أنكروا صحة هـذه الروايـات. فهي من الإسرائيليات التي اختلقها اليهود ونسبوها زوراً وبهتاناً إلى نبي الله داود. وقد صرّح كثير من أهل العلم ببطلان هذه القصة المزعومة، كالقرطبي والقاضي عياض وابن الجوزي وأبي حيان التوحيدي وغيرهم.

قال ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١١٥): وهذا لا يصح من طريق النقـل ولا يجـوز مـن حيـث المعنى؛ لأن الأنبياء منزهون عنه.

صوتاً عالياً، ثم تسوّر عليه رجلان حتى اقتحما عليه، فلما رآهما فزع منهما قالا: ﴿لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض﴾ يعني: اعتدى بعضنا على بعض وظلمه، ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ يعني: ولا تَجُر، ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ يعني: إلى قصد السبيل، فقال داود عليه السلام: قصّا عليّ قصتكما. قال: ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب﴾ يعني: قهرني وظلمني وأخذ نعجتي فضمّها إلى نعاجه. «وعزني في الخطاب» يعني: إذا تكلم كان أبلغ في [المخاطبة][1] مني، وإذا دعا كان أسرع إجابة مني، وإذا خرج كان يعني أكثر تبعاً مني. فقال داود عليه السلام: ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾.

قال: فضحك المُدّعى عليه، فقال داود عليه السلام: تظلم وتضحك، ما أحوجك إلى قَدوم[2] يرضّ منك هذه وهذه، يعني: جبهته وفاه، قال الملك: بل أنت أحوج إلى ذلك منه، وارتفعا[3].

وفي رواية: قال: فتجولا في صورتهما وعرجا وهما يقولان: قضى الرجل على نفسه.

وعلم داود أنما عني به، فخرَّ ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة لا بد منها، ثم يعود فيسجد لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي، حتى نبت العشب حول

---

(١) في الأصل: المخابة.

(٢) القَدُوم: معروفة، وهي التي ينحت بها (اللسان، مادة: قدم).

(٣) ذكره الطبري (٢٣/ ١٤٦) وما بعدها، والسيوطي في الدر (٧/ ١٥٨) وما بعدها.

رأسه، وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة، وكان يقول في سجوده: سبحان خالق النور الحائل بين القلوب، سبحان خالق النور، إلهي خليت بيني وبين عدوي إبليس، فلم أقم لفتنته إذ نزلت بي، سبحان خالق النور، إلهي لم أفارق الزبور ولم أتعظ بما وعظت به غيري، إلهي أمرتني أن أكون لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج الرحيم، فنسيت عهدك، سبحان خالق النور، إلهي بأي وَجْهٍ أنظر إليك يوم القيامة، وإنما يُنظر الظالمون من طَرْفٍ خفي، سبحان خالق النور، إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء، فيقال: هذا داود الخاطئ، أنت المغيث وأنا المستغيث، فمن يدعو المستغيث إلا المغيث، سبحان خالق النور، إلهي إليك فررت بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين، ولا تخزني يوم الدين، في مناجاة كثيرة.

قال: فأتى نداء: أجائعٌ أنت فتُطعم، أظمْآن فتُسقى، أمظلوم أنت فتُنصر، ولم يجبه في ذكر خطيئته، قال: فصاح صيحة هاج ما حوله، ثم نادى: يا رب الذنب الذي أصبت، فنودي: يا دواد ارفع رأسك فقد غفرت لك.

قال: وأخبرنا أبو إلياس عن وهب: أن داود عليه السلام أتى قبر أوريا، فقام عنده وجعل التراب على رأسه، ثم نادى فقال: الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود إذا نصبت الموازين، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود يوم يقتص للمظلوم من الظالم، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود حين يسحب على وجهه مع الظالمين إلى النار، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود.

قال: فأتاه نداء من السماء: يا داود قد غفرت ذنبك، ورحمت بكاءك، وأقلتك عثرتك. قال: يا رب كيف تعفو عني وصاحبي لم يعفُ عني؟ قال: يا داود أعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه، فأقول: رضي عبدي، فيقول: يا رب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول له: هذا عوض من عبدي داود، فأستوهبك منه فيهبُك لي. قال: يا رب الآن عرفت أنك قد غفرت لي[1]. هذا تمام الحديث والقصة التي سمعتها من شيخنا رحمه الله.

وروى السدي وابن السائب عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا: كان داود عليه السلام يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال: يا رب! أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي، فأوحى الله تعالى إليه أنهم قد ابتلوا ببلايا لم يُبتل بها أحد فصبروا عليها، ابتلي إبراهيم عليه السلام بنمروذ، وبذبح ابنه، وابتلي إسحاق بالذبح وبذهاب بصره، وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف، وإنك لم تُبتل بشيء من ذلك. قال داود: فابتليني مثل ما ابتليتهم، وأعطني مثل ما أعطيتهم. فأوحى الله تعالى إليه إنك مبتلى في شهر كذا، في يوم كذا، فاحترس. فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله عز وجل دخل داود في المحراب فأغلق بابه، وجعل يصلي ويقرأ الزبور، فبينا هو كذلك، إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب، من كل لون حسن، فذكروا قريباً مما تقدم، غير أنهم قالوا: ففتح على يديه، فكتب إلى داود بذلك، فبعث داود إلى ابن أخته أيضاً أن ابعثه إلى عدو كذا، إلى أن قال: فقتل في المرة الثالثة، فلما انقضت عدّتها تزوجها

---

(١) ذكره الطبري (٢٣/ ١٤٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٦٠-١٦١).

داود، وهي أم سليمان[١].

وقد أنكر جماعة من المحققين صحة هذه الروايات؛ تنزيهاً لمنصب النبوة عن مثل هذه الأمور التي لا تصح إضافتها إلى آحاد الصلحاء فضلاً عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ورووا عن سعيد بن المسيب والحارث الأعور: أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القُصَّاص جلدته مائة وستين، وهو حدّ الفرية على الأنبياء[٢].

ويروى: أن رجلاً حدّث عمر بن عبدالعزيز بذلك وعنده رجل فأنكره، وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله عز وجل فما ينبغي أن يلتمس خلافها، وإن كانت على ما ذكرت وكفّ الله عز وجل عنها تستراً على نبيه عليه الصلاة والسلام فما ينبغي إظهارها عليه، فقال عمر: لَسماعي هذا الكلام أحبُّ إليّ مما طلعت عليه الشمس[٣].

وقال بعض العلماء: الذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله تعالى لقصته عليه الصلاة والسلام ليس إلا [طلبه][٤] إلى زوج المرأة أن ينزل عنها فحسب[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٤٧)، والحاكم (٢/ ٦٤١ ح٤١٣٤) كلاهما عن السدي. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٥٩-١٦٠) وعزاه لابن جرير والحاكم عن السدي.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٣).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٣-٨٤)، والنسفي في تفسيره (٤/ ٣٦).

(٤) في الأصل: طلبته. والتصويب من الكشاف (٤/ ٨٤).

(٥) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٤).

قال[١]: وكان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته، وكانت لهم عادة في المواساة بـذلك، فـاتفق أن عـين داود وقعت على امرأة أوريا، فسأله النزول عنها، فاستحيا أن يردّه ففعل.

وقيل: خطبها أوريا، ثم خطبها داود على خطبته مع كثرة نسائه، فرغب أهلها فيه فزوَّجُوه[٢].

فإن قيل: لم خوطب بجنايته على طريقة التمثيل؟

قلتُ: لما في ضمن ذلك من التوبيخ المؤثر في القلب بسبب ترسخه في الذهن واستقراره فيه حيث أبرز في صورة تماثله مع ما في ذلك من جميل العشرة وحسن الأدب بترك المجاهرة.

فإن قيل: لم خاطب الله تعالى رسوله بذلك على طريقة الاستفهام؟

قلتُ: تنبيهاً له على أنه ثناء عجيب ينبغي أن يُصِيخَ[٣] إليه بقلب حاضر وأُذُن واعية، وتشويقاً له إلى استماعه.

فإن قيل: ما الخصم المذكور في الآية؟

قلتُ: هما جبريل وميكائيل. هكذا ذكره مقاتل[٤] وعامة المفسرين على أنهـما اثنان، بدليل قوله تعالى: ﴿خصمان بغى بعضنا على بعض﴾، وقوله تعالى: ﴿إن هذا أخي له﴾، وقوله: ﴿أنما فتناه﴾ على قراءة من خفَّف.

---

(١) أي: الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٢-٨٣).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٣).

(٣) أصاخَ له يُصيخُ إصاخة: استمع وأنصت (اللسان، مادة: صيخ).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ١١٦).

فإن قيل: فما تصنع بقوله تعالى: ﴿إذ تسوّروا المحراب﴾ وما بعده، فإنه يدل على أنهم أكثر من اثنين؟

قلتُ: هو على مذهب من يجعل الاثنين جماعة.

وقال الزمخشري[1]: الخصْمُ: الخصماء، وهو يقع على الواحد والجمع؛ كالضيف. قال الله تعالى: ﴿حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ [الذاريات:٢٤] لأنه مصدر في أصله.

فإن قلت: هذا جمع، وقوله تعالى: «خصمان» تثنية، فكيف استقام ذلك؟

قلتُ: معنى «خصمان»: فريقان خصمان، والدليل عليه قراءة من قرأ: «خصمان بغى بعضهم على بعض»، ونحوه: ﴿هذان خصمان اختصموا﴾.

فإن قلت: فما تصنع بقوله تعالى: ﴿إن هذا أخي له﴾ وهو دليلٌ على اثنين؟

قلتُ: هذا قول البعض المراد بقوله: بعضنا على بعض.

فإن قلت: فقد جاء في الرواية: أنه بعث إليه ملكان؟

قلتُ: معناه: أن التحاكم كان بين مَلَكين، ولا يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون.

فإن قلت: فإذا كان التحاكم بين اثنين، فكيف سمّاهم جميعاً خَصْماً في قوله: ﴿نبأ الخصم﴾ و ﴿خصمان﴾؟

قلتُ: لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحَّت التسمية به.

---

(١) الكشاف (٤/ ٨٤-٨٥).

فإن قلت: بم انتصب «إذ»؟

قلتُ: لا يخلو إما أن ينتصب بـ«أتاك»، أو بالنبأ، أو بمحذوف، فلا يسوغ انتصابه بـ«أتاك»؛ لأن إتيان النبأ رسول الله ﷺ لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود، ولا بالنبأ؛ لأن النبأ الواقع في عهد داود لا يصح إتيانه رسول الله ﷺ. وإن أردت بالنبأ: القصة في نفسها لم تكن ناصباً، فبقي أن ينتصب بمحذوف، وتقديره: وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم.

ويجوز أن ينتصب بـ«الخصم»؛ لما فيه من معنى الفعل.

وأما [«إذ»][1] الثانية فبدل من الأولى.

ومعنى: ﴿تسوّروا المحراب﴾ تصعّدوا سُورَه، كما تقول: تَسَنَّمَه؛ إذ علا سَنَامَه، وتذرَّاهُ؛ إذا عَلاَ ذُرْوَته.

وقد ذكرنا «المحراب» في آل عمران[2].

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾

---

(١) في الأصل: إذا. والتصويب من الكشاف (٤/ ٨٥).

(٢) عند الآية رقم: ٣٧.

فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿ففزع منهم﴾ قال ابن إسحاق: لم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه، فقال: ما أدخلكما عليّ؟ قالا: لا تخف خصمان، أي: نحن خصمان[1].

﴿ولا تُشْطِط﴾ وقرأ أبو رجاء وقتادة: «تَشْطُط» بفتح التاء وضم الطاء.

يقال: شَطَّ الرجل يَشُطُّ ويَشِطُّ شَطَطاً، وأشَطَّ إشْطَاطاً؛ إذا جَارَ في حكمه[2].

فالمعنى: ولا تَجُرْ علينا.

وقيل: لا تبعد عن الحق، من قولهم: شَطَّتِ الدار، أي: بَعُدَت[3].

﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾: احملنا على الحق.

قال داود عليه السلام: تكلَّما، فقال أحد الملكين: ﴿إن هذا أخي﴾ يريد: في الدين، أو أخوة الصداقة والألفة، أو أخوة الشركة.

﴿له تِسْع وتسعون نعجة﴾ وقرأ الحسن بخلاف عنه: «تَسْعٌ» بفتح التاء[4].

وقرأ أيضاً والأعرج معه: «نِعْجَةً» بكسر النون[5].

قال أبو الفتح[6]: قد كثر عنهم مجيء الفَعْل والفِعْل على المعنى الواحد،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٤٩) من طريق محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه.

(٢) انظر: اللسان (مادة: شطط).

(٣) مثل السابق.

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧٢).

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٣٧٦)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٥٣١).

(٦) المحتسب (٢/ ٢٣١-٢٣٢).

والفَعْلة والفِعْلة أيضاً، مثل: البَزْر والبِزْر، والنَّفْط والنِّفْط، والحَبْر والحِبْر، وكذلك: لَقْوَةٌ ولِقْوَةٌ، وقوم شَجْعَة وشِجْعَة للشُّجَعَاءِ، والمَهْنَةُ والمِهْنَةُ للخدمة.

فكأن مقصودهما التَّوْرية والتمثيل، فلهذا كنُّوا عن النساء بالنِّعاج، والعرب تُوَرِّي عن المرأة بالشاة والنعجة.

قال الأعشى:

فرميتُ غفلةَ عينِهِ عن شَاتِهِ ... فأصبْتُ حبةَ قَلْبها وطِحَالَهَا[1]

وقال الآخر:

يا شَاةَ ما قَنَصٍ لمنْ حلَّت له ....[2]

﴿فقال أكفلنيها﴾ ضمها إليّ واجعلني كافلها لتتم له المائة.

﴿وعزني في الخطاب﴾ قال الشاعر:

قَطَاةٌ عزَّها شَرَكٌ فباتتْ ... تُجاذِبُه وقد عَلِقَ الجناح[3]

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء رحمه الله لعاصم من رواية خلف عن يحيى عن أبي بكر عنه: «وعَزَني» بتخفيف الزاي، وهي قراءة أبي حيوة.

---

(١) البيت للأعشى. وهو في: اللسان (مادة: شوه)، والقرطبي (١٥/ ١٧٣)، وروح المعاني (٢٣/ ١٨٠).

(٢) صدر بيت لعنترة، وعجزه: (حَرُمَتْ عَلَيَّ وليتَها لم تَحْرُم)، وهو في: اللسان (مادة: شوه)، والقرطبي (١٥/ ١٧٣)، وزاد المسير (٧/ ١٢٠)، وروح المعاني (٢٣/ ١٨٠).

(٣) البيت لقيس بن الملوح. انظر: ديوانه (ص:٩٠)، والكشاف (٤/ ٨٥)، والأغاني (٢/ ٤٥، ٥٧، ٨١)، وديوان الحماسة (٢/ ١٠٩)، والبحر (٧/ ٣٧٢)، والدر المصون (٥/ ٥٣١)، والقرطبي (١٥/ ١٧٤)، وروح المعاني (٢٣/ ١٨٠).

قال ابن جني[١]: خفف الكلمة بحذف الزاي الثانية أو الأولى، كما حكاه ابن الأعرابي، من قولهم: ظَنْتُ، أي: ظننت، وكقول أبي زبيد:

خَلاَ إنَّ العِتَاق من المطايا أَحَسْنَ به فهُنَّ إليه شُوسُ[٢]

فإن قيل: كيف شاع للملكين كلام قول ما لم يكن؟

قلتُ: هو على سبيل الفرض والتقدير لا على وجه التحقيق والإخبار.

﴿قال لقد ظلمك﴾ جواب قسم محذوف.

فإن قيل: كيف حكم عليه بالظلم من قبل أن يسمع كلامه؟

قلتُ: الظاهر أنه استنطقه فاعترف، غير أنه لم يحك في القرآن، أو يكون التقدير: إن كان الأمر على ما تقول: لقد ظلمك ﴿بسؤال نعجتك﴾، أي: بسؤاله نعجتك ﴿إلى نعاجه﴾ أي: ليَضُمَّها إلى نعاجه.

﴿وإن كثيراً من الخلطاء﴾ أي: الشُّركاء -وكان داود عليه السلام ظنهما شريكين- ﴿ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ المعنى: فإنهم لا يظلمون.

﴿وقليل مّا هم﴾ أي: هُمْ قليل.

و «ما» صلة، أو موصولة، على معنى: وقليل الذين هم كذلك.

قال المفسرون: فلما قضى داود عليه السلام بينهما نَظَرَ أحدهما إلى صاحبه فَضَحِكَ، وصعدا إلى السماء، فعلم داود عليه السلام أن الله تعالى ابتلاه، وإنما ذَكَّرَاه تمثيلاً لقصته، فهو قوله تعالى: ﴿وظن داود أنما فتنَّاه﴾ أي: أيْقَنَ وعَلِمَ أنما

---

(١) المحتسب (٢/ ٢٣٢).

(٢) تقدم.

ابتليناه[١].

وقرأتُ على الشيخ أبي البقاء عبدالله بن الحسين النحوي رحمه الله للكسائي من رواية ابن أبي سريج عنه: «فَتَنَاهُ» بالتخفيف[٢]، إشارة إلى المَلَكَيْن.

﴿فاستغفر ربه﴾ سأله الغُفْران، ﴿وخَرَّ راكعاً﴾ قال ابن عباس: ساجداً[٣].

وعبّر عن السجود بالركوع؛ لما يشتركان فيه من معنى الانحناء والخضوع.

وقال الحسين بن الفضل: سألني عبدالله بن طاهر عن قوله تعالى: ﴿وخَرَّ راكعاً وأناب﴾ هل يقال للراكع خَرَّ؟ قلتُ: لا، قال: فما معنى الآية؟ قلت: معناه: فخرَّ بعد أن كان راكعاً، أي: سجد[٤].

فعلى تفسير ابن عباس: «راكعاً»: تمييز. وعلى التفسير الثاني: حال[٥].

فصل

اختلف أهل العلم في سجدة ص، فذهب عمر وسفيان الثوري وابن المبارك وأبو حنيفة وأصحابه إلى أنه يُسْجَد هاهنا[٦].

قال ابن عباس: كان داود عليه السلام ممن أمر نبيكم عليه الصلاة والسلام أن يقتدي به، فسجدها داود عليه السلام فَسَجَدَها رسول الله ﷺ وقال: أما تقرأ:

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٢٢).

(٢) انظر: الحجة للفارسي (٣/ ٣٢٥)، والإتحاف (ص:٣٧٢)، والسبعة (ص:٥٥٣).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٤٩).

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٥٧)، والقرطبي (١٥/ ١٨٣).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢١٠)، والدر المصون (٥/ ٥٣٢).

(٦) انظر: المغني (١/ ٣٥٧)، والشرح الكبير (١/ ٨٢٠).

﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[1] [الأنعام:٩٠].

وذهب الشافعي إلى أنه سجود شكر وليس من عزائم السجود[2].

وعن الإمام أحمد كالمذهبين[3].

والذي يفتي به أصحابه: أنها ليست من عزائم السجود.

أخبرنا الشيخان أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي بدمشق، وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن النيسابوري ببغداد، قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور [الكرجي][4]، أخبرنا أحمد بن الحسن أبو بكر الحيري، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع قال: قال لي الشافعي: أخبرنا ابن عيينة، عن عبدة[5]، عن زر، عن ابن مسعود: «أنه كان لا يسجد في ص ويقول: إنما هي توبة نبي»[6].

وفي صحيح مسلم عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «رأيت رسول الله ﷺ يسجد في صٓ»[7].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٠٨ ح٤٥٢٩).

(٢) انظر: المغني (١/ ٣٥٧)، والشرح الكبير (١/ ٨٢٠).

(٣) انظر: المغني (١/ ٣٥٧)، والإنصاف (٢/ ١٩٦).

(٤) في الأصل: الكرخي. وانظر: ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٧١-٧٢).

(٥) عبدة بن أبي لبابة الأسدي الغاضري مولاهم، يقال: مولى قريش، أبو القاسم البزاز الكوفي الفقيه، نزيل دمشق، ثقة (تهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٧-٤٠٨، والتقريب ص:٣٦٩).

(٦) أخرجه البيهقي في سننه (٢/ ٣١٩ ح٣٥٦٠)، والشافعي في مسنده (ص:٣٨٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٧١ ح٤٢٦٩).

(٧) أخرجه البخاري (١/ ٣٦٣ ح١٠١٩) ولم أقف عليه عند مسلم.

أخبرنا أبو المجد محمد بن محمد الكرابيسي بدمشق، أبنا الشيخان عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه المطهر بن عبدالكريم بن محمد قالا: أبنا عبدالرحمن بن حمد الدوني، أبنا القاضي أبو نصر الدينوري، أبنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد السني، حدثني عمر بن سهل، ثنا زكريا بن يحيى الناقد، ثنا الخليل [بن][1] عمرو[2]، ثنا محمد بن سلمة[3]، عن الفزاري[4]، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى قال: رأيت في المنام كأني جالس في ظل شجرة ومعي دواة وقرطاس، وأنا أكتب من أول سورة ص، حتى بلغت السجدة، فسجدت والدواة والقرطاس والشجرة، وسمعتهن يقُلْن في سجودهن: اللهم احطط بها وزراً، وأحرز بها شكراً، وأعظم بها أجراً، وعُدْنَ كما كُنّ، فلما استيقظتُ أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر، فقال: خيرٌ رأيتَ وخيرٌ يكون، نمتَ ونامتْ عينُك، توبة نبي ذكرت، تَرقَّب عندها مغفرة، ونحن نترقب ما ترقب[5].

وفي مسند الإمام أحمد: «أن أبا سعيد الخدري رأى رؤيا أنه يكتب صٓ، فلما

---

(١) زيادة من عمل اليوم والليلة (ص:٣٦٢). وانظر ترجمته في التعليق التالي.

(٢) الخليل بن عمرو الثقفي، أبو عمرو البزاز البغوي، نزيل بغداد، كان ثقة صدوق، مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٣/ ١٤٥، والتقريب ص:١٩٦).

(٣) محمد بن سلمة بن عبد الله بن أبي فاطمة المرادي الجملي مولاهم، أبو الحارث المصري، كان ثقة ثقة، توفي لست خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٩/ ١٧١، والتقريب ص:٤٨١).

(٤) في عمل اليوم والليلة: القواريري.

(٥) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٦٢).

بلغ إلى [سجدتها][١] قال: رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجداً، قال: فقصها على النبي ﷺ، فلم يزل يسجد بها [بعد][٢]»[٣].

وفي حديث آخر: أن أبا سعيد الخدري قال: «أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني رأيت الليلة في منامي كأني تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة صٓ، فلما بلغت الشجرة السجدة سجدت، فسمعتها تقول في سجودها: اللهم اكتب لي بها أجراً، وحطّ عني بها وزراً، وارزقني بها شكراً، وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود سجدته، فقال رسول الله ﷺ: أفسجدت أنت يا أبا سعيد؟ قلت: لا يا رسول الله، قال: كنتَ أحق بالسجدة من الشجرة، ثم قرأ رسول الله ﷺ [سورة صٓ][٤] حتى بلغ السجدة فسجد، ثم قال مثل ما قالت الشجرة»[٥].

وقد أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ... فذكر نحو هذا الحديث»[٦].

قوله تعالى: ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ أي: لقُربى ومكانة ومنزلة حسنة.

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن مالك بن دينار في قوله تعالى: ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ قال: يقيم الله تعالى داود عليه السلام عند ساق العرش فيقول: يا داود مجِّدْني اليوم بذلك الصوت الرخيم، فيقول: كيف

---

(١) في الأصل: إلى التي يسجد بها. والتصويب من المسند (٣/ ٧٨).

(٢) زيادة من المسند، الموضع السابق.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٧٨ ح١١٧٥٨).

(٤) زيادة من المصادر التالية.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٩٣ ح٤٧٦٨)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٣٣٠ ح١٠٦٩).

(٦) أخرجه الترمذي (٢/ ٤٧٢ ح٥٧٩).

أُمجِّدُك به وقد سلبتنيه في الدنيا؟ فيقول: إني أردُّه عليك، قال: فيرفع داود صوته بالزبور فيستفرغ نعيم أهل الجنة(١).

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ أي: استخلفناك على تدبير مُلْك الأرض، أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق، ﴿فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾ في قضائك وغيره مما استخلفت فيه، ﴿فيضلك﴾ الهوى ﴿عن سبيل الله﴾.

فإن قيل: ﴿يوم الحساب﴾ بم يتعلق؟

قلتُ: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون متعلقاً [بـ«نسوا»](٢)، على معنى: لهم عذاب شديد بنسيانهم يوم الحساب، وهو ضلالهم عن سبيل الله.

والثاني: أن يكون متعلقاً بـ«لهم عذاب شديد»، على معنى: لهم عذاب شديد في يوم الحساب.

﴿بما نسوا﴾ أي: بنسيانهم وتركهم القضاء بالحق. وهذا قول عكرمة

---

(١) لم أجده في المطبوع من الزهد. وقد أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٦٧-١٦٨) وعزاه لأحمد في الزهد والحكيم الترمذي وابن أبي حاتم.

(٢) في الأصل: بينسوا. وانظر: الكشاف (٤/ ٩٠).

والسدي[١].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾ أي: عبثاً.

قال ابن عباس: إلا للثواب والعقاب[٢].

﴿ذلك﴾ إشارة إلى خلقها باطلاً ﴿ظن الذين كفروا﴾ فإنهم ينكرون الثواب والعقاب والحساب.

قوله تعالى: ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض﴾ هذه «أمْ» منقطعة، والاستفهام للإنكار عليهم.

المعنى: لو بطل الحساب والجزاء لتساوى المؤمنون والمفسدون في الأرض، والمُتَّقون والفُجّار.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط، الموضع السابق.

﴿كتاب﴾ أي: هذا كتاب، يعني القرآن ﴿أنزلناه إليك مبارك﴾ كثير خيره.

﴿لِيَدَّبَّرُوا ءاياته﴾ وقرأتُ لأبي جعفر ولعاصم من طريق: «لتَدَبَّرُوا» بتاء المخاطبة وتخفيف الدال[1].

والمعنى: ليتفكروا فيها ويستخرجوا مكنون سرّها ويعملوا بما فيها.

﴿وليتذكر أولوا الألباب﴾ قال الحسن: قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، حفظوا حروفه وضيّعوا حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأتُ القرآن فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى القرآن عليه أثر في خلق ولا عمل، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، والله ما هؤلاء بالحكماء ولا [الوَرَعَة][2]، لا كَثَّر الله تعالى في الناس مثل هؤلاء[3].

قوله تعالى ﴿إذ عرض﴾ أي: اذكر إذ عرض ﴿عليه بالعشي﴾ بعد العصر ﴿الصافنات الجياد﴾.

قال ابن عباس: الخيل السوابق إذا وقفت صَفَنَتْ على أطراف حوافرها عُرضت عليه حتى شغلته عن صلاة العصر إلى أن غابت الشمس[4].

---

(١) النشر (٢/ ٣٦١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧٢).

(٢) في الأصل: الوزعة. والتصويب من المصادر التالية.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:٢٧٤ ح٧٩٣)، وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٤٢٠ ح١٣٥)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٥٤١ ح٢٦٥٣).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥١).

وقال ابن كثير: ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، والذي يقطع به: أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً، كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب، وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه، ويحتمل أنه كان =

قال الزجاج[١]: قال أهل التفسير واللغة: الصَّافِنُ: القائم الذي يُثْني إحدى يديه وإحدى رجليه حتى يقف بها على سُنْبُكِه، وهو طرف الحافر، فثلاث من قوائمه متصلة بالأرض، وقائمة منها متصلة بالأرض بطرف حافرها فقط، قال الشاعر:

أَلِفَ الصُّفُونَ فلا يزالُ كأنه ... مما يقومُ على الثلاث كَسِيرا[٢]

وقال بعضهم: الصَّافِن: القائم ثَنَى بعض قوائمه أو لم يَثْنِها.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «من سَرَّه أن يقوم الناس له صُفوناً فليتبوأ مقعده من النار»[٣].

قال ابن السائب: غزا سليمان بن داود عليهما السلام أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس[٤].

سائغاً في ملَّتهم تأخير الصلاة لعذر، والأول أقرب؛ لأنه قال بعدها: ﴿ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾، وذهب ابن جرير إلى أنه ذهب يمسح عراقيب الخيل وأعرافها؛ لأنه لم يكن له أن يعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك مالاً من ماله بلا سبب، وخالفه ابن كثير لاحتمال أن يكون مثل هذا جائزاً في شرعهم ولا سيما إذا كان غضباً لله، ولذلك عوضه الله بما هو خير منها من الريح التي هي أسرع من الخيل. اهـ (انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤-٣٥).

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٣٠).

(٢) انظر البيت في: اللسان (مادة: صفن)، والبحر (٧/ ٣٧٢)، والدر المصون (٥/ ٥٣٤)، والقرطبي (١٢/ ٦٢، ١٥/ ١٩٣)، وزاد المسير (٧/ ١٢٧)، والماوردي (٥/ ٩٢)، وروح المعاني (٢٣/ ١٩٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٩٠ ح٢٧٥٥)، وأحمد (٤/ ٩٣، ١٠٠)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٣٩ ح٩٧٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٤) ذكره القرطبي (١٥/ ١٩٣)، والبغوي (٤/ ٦٠).

وقال مقاتل[١]: ورث سليمان عليه السلام من أبيه ألف فرس، وكان أبوه أصابها من العمالقة.

وقال الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً خرجت من البحر [لها][٢] أجنحة[٣].

قالوا: فصلى سليمان الصلاة الأولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه، فتنبه لصلاة العصر وقد بقي منها مائة فرس، فإذا الشمس قد غابت ولم يعلموه بذلك هيبة له، فاغتمَّ لذلك فقال: «رُدُّوها عليَّ»، فردوها عليه فعرقبت وعقرت بالسيف، وقربها لله تعالى، وبقي منها مائة فرس، فما في أيدي الناس اليوم من الخيل فهو من نسل تلك المائة.

قال الحسن: فلما عقر الخيل أبدله الله[٤] خيراً منها وأسرع [وهي][٥] الريح تجري بأمره كيف يشاء[٦].

﴿فقال إني أحببت حب الخير﴾ أي: آثرت حُبَّ الخير.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: أحببت الخير حُبّاً، فقدّم وأضاف.

والمراد بالخير في قوله: «حُبَّ الخير»: المال. وقيل: الخيل.

وفي قراءة ابن مسعود: «حُبَّ الخيل»[٧].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١١٨).

(٢) زيادة من زاد المسير (٧/ ١٢٨).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٢٨).

(٤) في الأصل زيادة قوله: «منها».

(٥) زيادة من البغوي (٤/ ٦٠).

(٦) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٦٠)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٨٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) ذكر هذه القراءة الماوردي في تفسيره (٥/ ٩٢).

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[١].

﴿عن ذِكْر﴾ أي: على ذكر ﴿ربي﴾ يريد: صلاة العصر، في قول علي[٢].

والذِّكْر المعروف، في قول ابن عباس[٣].

﴿حتى توارت بالحجاب﴾ الليل.

والأول أكثر وأشهر.

وكثير من العلماء باللغة والتفسير يقولون: هو كناية عن غير مذكور.

قال الزجاج[٤]: هذا لا أحسبه أعطوا الفكر فيه حقّه؛ لأن في الآية دليل على الشمس، وهو قوله تعالى: ﴿إذ عرض عليه بالعشي﴾ [والعشيُّ][٥] في معنى: إذ عرض عليه بَعْدَ زوال الشمس، حتى توارت الشمس بالحجاب، وليس يجوز الإضمار إلا أن يجري ذِكْرٌ أو دليلُ ذِكْرٍ بمنزلة الذِّكْر.

وطرد الزجاج هذا حيث جاء في كتاب الله تعالى، حتى قال في قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر:١] جرى ذكر القرآن فيما قبل هذه السورة في قوله تعالى: ﴿حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ [الدخان:١-٣] وهي ليلة القَدْر. وقوله تعالى: ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ [القيامة:٢٦] كناية عن النفس، وقد تقدم ذكرها في أول السورة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٤٧ ح٢٦٩٥)، ومسلم (٣/ ١٤٩٣ ح١٨٧٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٥). وذكره الماوردي (٥/ ٩٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٧٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٩٢).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٣١).

(٥) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

قال الحسن: عاتب الله تعالى سليمان حين فاتته صلاة العصر فقال: ﴿ردوها عليّ﴾ أي: أعيدوها عَلَيّ[١].

﴿فطفق مَسْحاً﴾ أي: يمسح مِسَاحاً، أي: يضرب ضرباً، يقال: مسح علاوته، أي: ضرب عنقه[٢]. والمعنى: أقبل يضرب سوقها وأعناقها.

قال الزجاج[٣]: والسُّوق: جمع سَاق، مثل قولك: دَارٍ ودُور، ولم يكن عليه الصلاة والسلام ليضرب سُوقها وأعناقها إلا وقد أباح الله تعالى له ذلك؛ لأنه لا تحصل التوبة من ذنب بذنْبٍ عظيم.

قال ابن عباس: يريد: قطع الرؤوس والأعناق[٤].

قال الحسن: [كَسَفَ][٥] عراقيبها وقطع أعناقها وقال: لا تشغليني عن عبادة ربي مرة أخرى[٦].

قال الزمخشري[٧]: أراد [بالكَسْف][٨]: القَطْع، ومنه: الكسف في ألقاب الزحاف في العروض. ومن قاله بالشين المعجمة [فمُصَحَّف][٩].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٢).

(٢) انظر: اللسان (مادة: مسح).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٣١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٢).

(٥) في الأصل: كشف. والكَسْف: قطع العرقوب (اللسان، مادة: كسف).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٦).

(٧) الكشاف (٤/ ٩٤).

(٨) في الأصل: بالكشف. وكذا وردت في الموضع التالي. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٩) في الأصل: فقد صحت. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

وهذا الذي ذكرناه من قطع أعناقها وسوقها هو المشهور في التفسير، وإنما فعل ذلك تقرُّباً إلى الله تعالى وكفارة لما فعل، وقد كانت الخيل مباحة في شرعهم كبهيمة الأنعام لنا.

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كان يمسح سوقها وأعناقها ويكشف الغبار عنها حُبّاً لها[١].

وقال قوم: حبسها في سبيل الله وكَوَى سوقها وأعناقها بكَيِّ الصدقة[٢].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي: أعليناه واختبرناه بسلب ملكه.

وكان السبب في ذلك: ما حدثناه شيخنا الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه قال: أخبرنا أحمد بن المبارك، أخبرنا جدي لأمي أبو المعالي ثابت بن بندار، أخبرنا أبو علي بن دوما، أخبرنا مخلد بن جعفر، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا إسماعيل بن عيسى، أخبرنا إسحاق بن بشر، أخبرنا جويبر[٣]، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: كان سليمان عليه الصلاة والسلام رجلاً غَزَّاء، يغزو في البر والبحر، فسمع بملك في جزيرة من جزائر البحر، فركب

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٧٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٦١).

(٣) جويبر بن سعيد الأزدي، أبو القاسم البلخي، ويقال اسمه جابر، وجويبر لقب، نزيل الكوفة، راوي التفسير، ضعيف جداً، مات بعد الأربعين (تهذيب التهذيب ٢/ ١٠٦، والتقريب ص:١٤٣).

سليمان الريح وجنوده من الجن والإنس حتى نزل تلك الجزيرة، فقتل ملكها وسبى من فيها وأصاب جارية لم يَرَ مثلها حسناً وجمالاً، وكانت ابنة ذلك الملك، فاصطفاها لنفسه، وكان يجد بها ما لا يجد بأحد، وكان يؤثرها على جميع نسائه، فدخل عليها يوماً فقالت: إني أذكر أبي وملكه وما أصابه فيحزنني ذلك، فإن رأيت أن تأمر بعض الشياطين [فيُصوِّرُون][1] لي صورة أبي في داري، فأراه بكرة وعشياً، رجوتُ أن يذهب عني حزني، ويسلي عني بعض ما أجد في نفسي، فأمر سليمان صخر المارد فمثَّلَ لها أباها في هيئته في ناحية دارها لا تُنْكر منه شيئاً، إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه فزيّنته وألبسته حتى تركته في هيئة أبيها ولباسه، فإذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه كل غدوة مع جواريها فتُطيّبه وتسجد له، ويسجد جواريها، وتروح بمثله، وسليمان لا يعلم بذلك، حتى أتى لذلك أربعون يوماً، وبلغ الناس، وبلغ آصف بن برخيا، وكان صِدِّيقاً، فدخل عليه فقال: يا نبي الله، قد أحببت أن أقوم مقاماً أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثني عليهم بعلمي فيهم، فجمع سليمان الناس، فقام فيهم، فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى، وأثنى على كل نبي بما فيه، وذكر ما فضلهم الله تعالى به حتى انتهى إلى سليمان، فَذَكَرَ فضله وما أعطاه الله تعالى في حداثة سِنّه وصِغَره، ثم سكت، فامتلأ سليمان عليه السلام غيظاً، فلما دخل أرسل إليه، فدخل، فقال: يا آصف ذكرتَ من مضى من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام فأثنيتَ عليهم بما كانوا في زمانهم كله، فلما ذكرتني جعلت تُثْني عليَّ بخير في صغري، وسكتَّ عما سوى ذلك من أمري في كبري، فما الذي

(١) في الأصل: فيصورن.

أحدثتُ في كبري، قال: أحدثتَ أنَّ غير الله تعالى يُعْبَد في دارك منذ أربعين يوماً في هوى امرأة، قال: [في][1] داري؟ قال: في دارك، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، عرفتُ ما قلتَ هذا إلا عن شيء بلغك[2]، ثم رجع إلى داره وكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها، ثم دعا بثياب الطهر[3] فلبسها، ثم خرج إلى فلاة من الأرض ففُرش له الرماد، ثم أقبل تائباً إلى الله عز وجل، فجلس على ذلك الرماد يتمعَّك[4] فيه [متذللاً][5] مُتضرِّعاً يبكي ويستغفر يقول: يا رب ما هذا بلاؤك عبد آل داود أن يعبدوا غيرك، وأن يقروا في دارهم وأهليهم عبادة غيرك، فلم يزل كذلك حتى أمسى، ثم رجع. وكانت له جارية سماها: الأمينة، وكان إذا أتى الخلاء أو أرادَ إتيان امرأة وضع خاتمه عندها، وكان لا يمسه إلا وهو طاهر، وكان الله تعالى جعل مُلْكه في خاتمه.

قال وهب: فجاء يوماً يريد الوضوء فدفع الخاتم إليها، وجاء صخر المارد فسبق سليمان فدخل المتوضأ فدخل سليمان لحاجته وخرج الشيطان على صورة سليمان ينفض لحيته من الوضوء لا تنكر من سليمان شيئاً، فقال: خاتمي يا أمينة، فناولته إياه ولا تحسب أنه إلا سليمان، فجعله في يده، ثم جاء حتى جلس على

---

(١) في الأصل: لي. والتصويب من البغوي (٤/ ٦٢).

(٢) قوله: «إلا عن شيء بلغك» قدم في الأصل بعد قوله: «هوى امرأة» وهو وهم من الناسخ، وقد أُخّر إلى هنا ليستقيم المعنى (انظر: البغوي ٤/ ٦٢).

(٣) ثياب الطهر: هي ثياب لا تغزلها إلا الأبكار، ولا تنسجها إلا الأبكار، ولا تغسلها إلا الأبكار (البغوي ٤/ ٦٢).

(٤) تمعّك فيه: أي: تمرّغ فيه (اللسان، مادة: معك).

(٥) في الأصل: متذلاً.

سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والوحش والإنس والجن، وخرج سليمان بن دواد عليهما السلام فقال للأمينة: خاتمي، قالت: ومن أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود، وقد تغير عن حاله وذهب عنه بهاؤه، قالت: كذبت، إن سليمان قد أخذ خاتمه وهو جالس على سريره في ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته[1].

قال الحسن: فخرج هارباً مخافةً على نفسه، فذهب على وجهه بغير حذاء ولا قلنسوة في قميص وإزار، فمر بباب شارع على الطريق وقد جهده الجوع والعطش والحر، فأتى الباب فَقَرَعَهُ، فخرجت امرأة فقالت: ما حاجتك؟ فقال: ضيافة ساعة، فقد ترين ما أصابني من الحرّ والرمضاء، قد احترقت رجْليَّ وبلغ مجهودي من الجوع والعطش، قالت المرأة: زوجي غائب وليس يسعني أن أدخل رجلاً غريباً عليّ، فادخل البستان فإن فيه ماءً وثماراً فَأَصِبْ من ثماره وتبرد فيه، فإذا جاء زوجي استأذنته في ضيافتك، فإن أذن لي فذاك، وإن أبى أصبت منا رزق الله ومضيت، فدخل البستان فاغتسل، ووضع رأسه فنام، فآذاه الذُّبَّان، فجاءت حيّة سوداء فأخذت ريحانة من البستان بفيها، وجاءت سليمان فجعلت تَذُبَّ عنه الذُّبَاب، حتى جاء زوج المرأة فقصت عليه القصة، فدخل إلى سليمان، فلما رأى الحية وصنيعها دعا امرأته فقال: تعالي فانظري إلى العجب، فنظرت، ثم مشيا إليه فأيقظاه، ثم قالا له: يا فتى هذا منزلنا لا يسعنا شيء يُعجزك، وهذه ابنتي قد زوجتكها، وكانت من أجمل نساء زمانها، فتزوجها، وأقام عندهم ثلاثاً.

ثم قال: لا يسعني إلا طلب المعيشة لي ولأهلي، فانطلق إلى الصيادين فقال

---

(١) ذكره الثعلبي (١١/ ٣٩٠)، والبغوي (٤/ ٦١-٦٢) من حديث وهب بن منبه.

لهم: هل لكم في رجل يكون معكم يعينكم وترضخون له من صيدكم، وكُلٌّ يأتيه الله تعالى برزقه، فقالوا: قد انقطع عنا الصيد، وليس عندنا فضل نعطيكه، فمضى إلى غيرهم فقال لهم مثل هذه المقالة، فقالوا له: نعم وكرامة، نواسيك بما عندنا، فأقام معهم يختلف كل ليلة إلى أهله بما أصاب من الصيد، حتى أنكر الناس قضاء سليمان وفعاله، فلما رأى الخبيث أن الناس قد فطنوا له انطلق بالخاتم فألقاه في البحر[1].

قال الحسن: أمسك الخاتم أربعين يوماً.

وروي: أنه قعد على كرسي سليمان، فاجتمع له الجن والإنس والشياطين وملك كل شيء يملكه سليمان، إلا أنه لم يُسَلَّط على نسائه، وخرج سليمان يسأل الناس ويتضيفهم، ويقوم على باب الرجل والمرأة ويقول: أطعموني فإني سليمان بن داود، فيطردونه ويقولون: ما يكفيك ما أنت فيه حتى تكذب على سليمان، وهذا سليمان على ملكه، حتى أصابه الجهد، واشتد عليه البلاء، فلما تمّ عليه أربعون يوماً قال آصف: يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من خلاف حكم ابن داود ما رأيت؟

---

(١) هذه الروايات وغيرها من الروايات التي ذكرها المفسرون في فتنة سليمان النبي لم ترد في القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة، فضلاً عما فيها من تناقضات ومخالفات تدل على عدم صحتها، ومن هنا فإننا لا نسلم بها. أما عن التناقضات في تلك الروايات التي معنا فنرى المصنف يذكر في رواية أولى أن سبب فتنة سليمان ما حدث في بيته من عبادة زوجته لصنم دون علمه، وفي رواية ثانية يذكر فيها أن صخراً المارد تمثل بصورة سليمان وأخذ الخاتم من زوجته، وفي رواية ثالثة يذكر فيها أن الشيطان ضحك على سليمان وأخذ خاتمه وألقاه في البحر فذهب ملك سليمان، فتلك وغيرها مما ذكره بعض المفسرين أقوال متناقضة ومن ثم لا يعتد بها جميعاً، كما أن فيها مخالفات لا تتمشى مع روح الآيات ولا مع نزاهة الأنبياء وعصمتهم.

قالوا: نعم، فعمد عند ذلك فألقى الخاتم في البحر، فاستقبله جِرِّيٌّ[(١)] فابتلع الخاتم فصار في جوفه مثل الحريق من نور الخاتم، فاستقبل جرية الماء فوقع في شباك الصيادين الذين كان سليمان معهم، فلما أمسوا تقسموا السمك فأسقطوا الجِرِّيّ فجعلوه لسليمان، فذهب به إلى أهله، فأمرهم أن يصنعوه، فلما شقوا بطنه أضاء البيت نوراً من خاتمه، فدعَتِ المرأة سليمان فأرَتْهُ الخاتم فتختَّم به، وخَرَّ لله تعالى ساجداً وقال: إلهي لك الحمد على قديم بلائك، وحسن صنعك إلى آل داود، إلهي أنت ابتدأتهم بالنعم، وأورثتهم الكتاب والحكم والنبوة، فلك الحمد، نعمائك ظهرت فلا تخفى، وبطنت فلا تحصى، فَلَكَ الحمد، إلهي لم تسلمني بذنوبي، فَلَكَ الحمد، تغفر الذنوب وتستجيب الدعاء، فَلَكَ الحمد، إلهي لم تسلمني بجريرتي، فلك الحمد، ولم تخذلني بخطيئتي، فَلَكَ الحمد، إلهي فأتمّ نعمتك عليّ واغفر لي ما سلف، وَهَبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، فَلَكَ الحمد[(٢)].

وروى عكرمة: أن سليمان عليه السلام لما أصاب المُلْك أمر بحمل أهل ذلك البيت فوضعهم في وسط المملكة، ولم يكن سليمان نال تلك المرأة حتى رد عليه الملك ملكه. هذا تمام الحديث الذي سمعته من شيخنا.

قال السدي: فأمر سليمان بالشيطان الذي أخذ خاتمه فجُعل في صندوق من حديد، ثم أطبق عليه وأقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه، ثم أمر به فألقي في البحر وهو حي كذلك إلى الساعة[(٣)].

---

(١) الجِرِّيُّ: ضَرْبٌ من السمك (اللسان، مادة: جرا).

(٢) في الأصل زيادة قوله: قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾.

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٨٥) وعزاه لابن جرير.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن سبب فتنة سليمان عليه السلام أنه كانت له امرأة يقال لها: جرادة، وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة، فقضى بينهم بالحق، إلا أنه ودّ أن الحق كان لأهلها، فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحداً، وأوحى الله تعالى إليه أنه سيصيبك بلاء، فكان لا يدري يأتيه من السماء أو من الأرض[1].

وقال السدي: كانت جرادة آثر نسائه عنده فقالت له يوماً: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وإني أحب أن تقضي له، فقال: نعم، ولم يفعل، فابتلي [لأجل ما قال][2].

قال وهب بن منبه: هذه جرادة هي التي سباها وأمر أن يصوروا لها صورة أبيها.

وقال سعيد بن المسيب: احتجب عن الناس ثلاثة أيام، فأوحى الله تعالى إليه: احتجبت عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أمورهم، ولم تنصف مظلوماً من ظالم، فسلط الشيطان على خاتمه[3].

فعلى هذه الأقوال: المراد بالجسد: الشيطان، وكان اسمه: صخر.

وقيل: إنه لم يُسَخَّر لسليمان لفرط تمرده.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٧١ ح٣٦٢٣)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ١٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٧٨-١٧٩) وعزاه للفريابي والحكيم الترمذي والحاكم وصححه.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٣٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٨٥) وعزاه لابن جرير. والزيادة من زاد المسير.

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٨٤) وعزاه لعبد بن حميد والحكيم الترمذي من طريق علي بن زيد عن سعيد بن المسيب.

وقال الشعبي في سبب ذلك: ولد لسليمان ابن، فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لم ينفك ما نحن فيه من البلاء والسخرة، فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله، فعلم سليمان عليه السلام بذلك، فأمر السحاب حتى حملته، وغدا ابنه في السحاب خوفاً من معرة [الشياطين][1]، فعاقبه الله تعالى بخوفه من الشياطين، ومات الولد، فأُلقي ميتاً على كرسيه جسداً، فهو الجسد الذي قال الله تعالى: ﴿وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾[2].

قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ قدَّم طلب المغفرة على طلب الملك؛ لأن المغفرة سبب للسعادة في الدار الآخرة، وهو مقصود الأنبياء والأولياء.

ومعنى: «لا ينبغي»: لا يتسهل لأحد من بعدي.

فإن قيل: كيف سأل مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعده، والمعهود من حال الأنبياء والأولياء الإعراض عن الدنيا والإضراب عنها والزهد فيها، ثم لم يكتف بذلك

(١) في الأصل: الشيطان. وكذا وردت في الموضع التالي. وانظر: مصادر التخريج.
(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٩٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٣٤-١٣٥).

حتى قال: «مُلْكاً»، ثم لم يكتف حتى قال: «لا ينبغي لأحد من بعدي»، وهو سؤال يلوح منه الحرص ويؤذن بالحسد؟

قلتُ: عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه لم يرد المُلْك والاستبداد به ليتنعم به ويمرح نفسه في لذات الدنيا، بل أراد الاستظهار على الكفرة والفَجَرَة والمَرَدَة من الجن والإنس بمعجزة النبوة وقوة المُلْك ليأخذ بنواصيهم إلى طاعة الله تعالى.

الثاني: أنه أراد مُلْكاً مستقراً محفوظاً لا يسلب عنه ولا يقوم به غيره بدلاً عنه، كما سلبه أولاً وأقيم فيه الجسد على كرسيه. وهذا معنى [قول][1] الحسن[2].

الثالث: أن المعنى: هب لي مُلْكاً تكون فيه آية تدل على نبوّتي، ولا ينبغي لأحد من الآدميين الذين ليسوا بأنبياء، ويكون في ذلك آية تدل على أنك قد غفرت لي ورددت إليّ نبوتي، ودليله قوله تعالى: ﴿فسخرنا له الريح﴾ وما بعده. قاله الزجاج[3].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن تفلَّتَ عَلَيَّ البارحة ليقطع عليّ صلاتي، فأمكنني الله تعالى منه، فأخذته فأردت أن [أربطه][4] إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرتُ دعوة أخي سليمان: ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ فرددته

---

(١) في الأصل: وقول.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٨٦) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٣٣).

(٤) في الأصل: أرطبه. والتصويب من الصحيحين.

خاسئاً»[١].

قوله تعالى: ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء﴾ أي: ليِّنة الهبوب.

قال الحسن: ليست [بالعاصفة][٢] المؤذية ولا الضعيفة المقصرة[٣].

﴿حيث أصاب﴾ أي: أراد وقصد.

قال الأصمعي: العرب تقول: أصَابَ فلان الصَّواب فأخطأ الجواب. معناه: أنه قَصَدَ الصواب وأراده وأخطأ مُراده[٤].

ويحكى أن رجلين من أهل اللغة قصدا رؤبة بن العجاج ليسألاه عن هذه الكلمة، فخرج إليهما فقال: أين تصيبان[٥]؟ فقالا: هذه طلبتنا، ورجعا[٦].

ويقال: أصاب الله بك خيراً.

قوله تعالى: ﴿والشياطين﴾ أي: وسخرنا له الشياطين ﴿كل بناء وغواص﴾ بدل من «الشياطين»[٧]، وكانوا يبنون له الأبنية، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل﴾ [سبأ:١٣] ويغوصون له في البحر يستخرجون له الدُّرّ.

﴿وآخرين﴾ أي: وسخرنا له آخرين ﴿مقرنين في الأصفاد﴾ وهم مَرَدَة

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٦٠ ح٣٢٤١)، ومسلم (١/ ٣٨٤ ح٥٤١).

(٢) في الأصل: بالعاصف. والتصويب من الماوردي (٥/ ٩٩).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٩٩).

(٤) انظر: اللسان (مادة: صوب).

(٥) قوله: «تصيبان» مكرر في الأصل.

(٦) انظر: الغريب للخطابي (٣/ ٢٩).

(٧) انظر: التبيان (٢/ ٢١٠)، والدر المصون (٥/ ٥٣٦).

الشياطين سُخِّروا له حتى قرنهم في الأصفاد.

قال الزجاج[١]: الأصفاد: سلاسل الحديد، وكل ما شددتّه شداً وثيقاً بالحديد وغيره فقد صَفَدْتَه، وكل من أعطيته عطاء جزلاً فقد أصْفَدْتَه، أي: كأنك أعطيته ما يرتبط به.

قال غيره: ومنه قول علي عليه السلام: من بَرَّكَ فقد أسرك، ومن جَفَاكَ فقد أطلقك[٢].

ومنه قول المتنبي:

.... ومنْ وَجَدَ الإحسانَ قَيْداً تَقَيَّدَا[٣]

قال يحيى بن سلام: لم يكن يفعل ذلك إلا بكفارهم، فإذا آمنوا أطلقهم ولم يسخرهم[٤].

قوله تعالى: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ أي: قلنا له: هذا عطاؤنا.

قال عطاء عن ابن عباس: أعط من شئت وأمسك من شئت بغير حساب، لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت[٥].

قال الحسن: ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة إلا عليه تَبِعَة، إلا سليمان عليه

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٣٣).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/ ٣٠٦)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٤٠).

(٣) عجز بيت للمتنبي، وصدره: (وقيَّدتُ نفسي في ذراك محبةً)، وهو في: الخزانة (١/ ٢٠٠)، وقرى الضيف (١/ ٢٥١)، والقرطبي (٩/ ٣٨٤)، وروح المعاني (٢٣/ ٢٠٣).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٩٩).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٤١).

السلام، فإن الله تعالى يقول: ﴿هذا عطاؤنا ... الآية﴾، إن أعطى أجر، [وإن لم][(١)] يعط لم يكن عليه تَبِعَة[(٢)].

وقيل: المعنى: امْنُن على من شئت من الجن بإطلاقه، أو أمسك من شئت منهم في عمله من غير حرج عليك. وهذا قول جماعة منهم قتادة[(٣)].

وقيل: إن قوله تعالى: ﴿بغير حساب﴾ متعلق بقوله: ﴿هذا عطاؤنا﴾، تقديره: هذا عطاؤنا أعطيناكه بغير حساب، يعني: جماً كثيراً.

وقال الزجاج[(٤)]: بغير جزاء، يعني: أعطيناكه تفضيلاً لا مجازاة.

والباء في قوله تعالى: ﴿بغير﴾ في موضع الحال من «عطاؤنا»، أي: هذا عطاؤنا ثابتاً بغير حساب. والعامل فيه معنى الإشارة، وهي على المعنى الأول هي في موضع الحال من الفاعل، والعامل فيه «فامْنُن»[(٥)].

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

---

(١) في الأصل: ولم. والتصويب من الوسيط (٣/ ٥٥٦).

(٢) ذكره الطبري (٢٣/ ١٦٣)، والماوردي (٥/ ١٠٠)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٦-٥٥٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٩١) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٦٣). وذكره الماوردي (٥/ ١٠٠).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٣٤).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢١٠)، والدر المصون (٥/ ٥٣٦).

قوله تعالى: ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ «عَبْدَنا» منصوب بوقوع الفعل عليه، «وأيوبَ» بدل أو عطف بيان، و﴿إذ﴾ بدل اشتمال منه.

﴿نادى ربه﴾ دَعَاهُ ﴿أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ وقرأتُ لأبي جعفر: «بنُصُبٍ» بضم النون والصاد، وقرأتُ ليعقوب بفتحهما، وقرأتُ أيضاً من رواية حسنون بن الهيثم عن هبيرة بن محمد التمار عن حفص: بفتح النون وسكون الصاد، وقرأتُ لباقي القراء العشرة: بضم النون وسكون الصاد[١].

فالنُّصْب والنَّصَب لغتان، كالرُّشْد والرَّشَد، و«نُصُب» [بضمهما][٢] تثقيل نصب، ونَصَبٌ على أصل المصدر، وأصله: التَّعَبُ والمشقة.

قال ابن عباس: يريد: ما ابتلاه الله تعالى به حين سَلَّط عليه الشيطان[٣].

وقال قتادة: بضُرٍّ في الجسد وعذاب في الأهل والمال[٤].

فإن قيل: كيف أضاف ما أصابه إلى الشيطان والمبتلي له هو الله تعالى؟

قلتُ: أضافه إلى الشيطان إضافة الشيء إلى سببه، فإن الشيطان هو الذي تولى

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢٥-٣٢٦)، والنشر (٢/ ٣٦١)، والإتحاف (ص:٣٧٢)، والسبعة (ص:٥٥٤).

(٢) في الأصل: يضمهما.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٧).

قال محققه: يذكر كثير من المفسرين هاهنا مرويات وقصصاً إسرائيلية في ابتلائه عليه السلام ولا وثوق من ذلك كله إلا بمجمله، وهو ما أشار له التنزيل الكريم لأنه المتيقن، وهو أنه عليه السلام أصابته بلوى عظيمة في نفسه وماله وأهله وأنه صبر على ذلك صبراً صار يُضرب به المثل، كثباته وسعة صدره وشجاعته، وأنه جوزي بحسنة صبره أضعافها المضاعفة.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٩١) وعزاه لعبد بن حميد.

ذلك، وباشره على ما ذكرناه في قصته في سورة الأنبياء، فتطلبه مع ما لم أذكره هاهنا من حديثه في سورة الأنبياء.

فإن قيل: فما الحكمة في إضافته إلى سببه دون مسببه؟

قلتُ: استعمال حسن الأدب مع الله سبحانه وتعالى لئلا يكون كالشاكي منه يذكر ما ابتلاه به.

وقيل: أراد بقوله: ﴿مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾: ما كان يوسوس إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء، وما كان يغريه على الكراهة والجزع.

﴿ارْكض برجلك﴾ أي: قلنا له اضرب الأرض برجلك، فركض فنبعت عين ماء فاغتسل منها، ثم مشى نحواً من أربعين ذراعاً، ثم رَكَضَ برجْله فأنبعت عين فشرب منها، فهو قوله تعالى: ﴿هذا مغتسل بارد وشراب﴾.

قال قتادة: هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها: الجابية[1].

قوله تعالى: ﴿وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث﴾ أي: وقلنا له خُذْ بيدك حزمة من حشيش أو ريحان أو عيدان ونحو ذلك، فاضرب به ولا تحنث، وكان عليه السلام حَلَفَ في مرضه ليضربن امرأته مائة جلدة إن عافاه الله تعالى.

واختلفوا في سبب يمينه على أربعة أقوال:

أحدها: ما ذكرناه في سورة الأنبياء من حديث ابن عباس: أن إبليس جلس في

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٦٦). وذكره الماوردي (٥/ ١٠٢).

والجابية: قرية من أعمال دمشق، ثم من عمل الجيدور، من ناحية الجولان، قرب مرج الصفر في شمالي حوران، وفي هذا الموضع خطب سيدنا عمر رضي الله عنه خطبته المشهورة (معجم البلدان ٢/ ٩١).

طريقها في صورة طبيب فقالت له: يا عبد الله إن هاهنا إنساناً مبتلى، فهل لك أن تداويه؟ فقال: إن شاء فعلت على أن يقول لي إذا برأ: أنت شفيتني، فذكرت ذلك لأيوب فقال: ويحك ذاك الشيطان وحلف ليجلدنها إن شفاه الله تعالى مائة جلدة[١].

الثاني: ما حكيناه أيضاً في الأنبياء عن الحسن: أن إبليس أتى زوجته بسخلة فقال: ليذبح هذه لي وقد برأ، فأخبرته الخبر، فحلف[٢].

الثالث: أنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه من الخبز فخاف خيانتها، فحلف ليضربنها. قاله سعيد بن المسيب[٣].

الرابع: أن إبليس لقيها فقال لها: أنا الذي فعلت بأيوب ما به، وأنا إله الأرض، وما أخذته منه فهو بيدي فانطلقي أريك، فمشى بها غير بعيد، ثم سحر بصرها وأراها وادياً عميقاً فيه أهلها وولدها ومالها، فأتت أيوب فأخبرته بذلك فقال: ذاك الشيطان، ويحك كيف وعى قوله سمعك، والله لئن شفاني الله تعالى لأجلدنك مائة جلدة. [قاله][٤] وهب بن منبه[٥].

قال المفسرون: جبر الله تعالى زوجته بحسن صبرها أن أفْتَاهُ في ضربها، فسهل

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٩٢-١٩٣) وعزاه لأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٣٧٧).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٠٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٥٨).

(٤) في الأصل: قال. والتصويب من زاد المسير (٧/ ١٤٤).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٤٤)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٩٥) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

الأمر، فجمع لها مائة عود، وقيل: مائة سنبلة، وقيل: أخذ عِثْكالاً[١] فيه مائة شمراخ فضربها ضربة واحدة فبرّ في يمينه[٢].

قال مجاهد: هذا خاص لأيوب[٣]، يريد: أن شريعتنا ليست كذلك.

والأمر على ما ذَكَرَ عندنا وعند مالك والليث بن سعد فيما إذا حلف ليضربنه مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة لا يبرّ في يمينه.

وقال أبو حنيفة والشافعي: يبرّ إذا أصابه في الضربة الواحدة كل واحد منها؛ احتجاجاً بقصة أيوب[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ دليل على أن الشكاية إلى الله تعالى لا تبطل الصبر ولا تذهب بالأجر.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿واذكر عبادنا﴾ وقرأ ابن كثير: «عبدنا» على التوحيد[٥].

---

(١) العِثْكَال: الشِّمْراخ، وهو ما عليه البُسْرُ من عيدان الكِباسة، وهو في النخل بمنزلة العنقود من الكَرْم (اللسان، مادة: عثكل).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٤٤).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٠٤).

(٤) انظر: المغني (١٠/ ٦١)، والأم (٧/ ٨٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٣)، والكشف (٢/ ٢٣١)، والنشر (٢/ ٣٦١)، والإتحاف (ص:٣٧٢)، والسبعة (ص:٥٥٤).

فعلى قراءة الأكثرين: ﴿إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ بدل من «عبادنا». وعلى قراءة ابن كثير وحده: بدل، ثم عطف عليه «إسحاق ويعقوب»[١].

فإن قيل: ما بال إسماعيل لم يذكر معهم وهو منهم؟

قلتُ: إنما لم يذكر معهم؛ لأن المعنى: واذكر هؤلاء الذين ابتلوا فصبروا، ولذلك عطف ذكرهم على ما تقدم من قصة داود وسليمان وأيوب ذوي البلوى، وإسماعيل عليه السلام لم يُبْتَل كبلواهم، إلا إذا قلنا هو الذبيح فلا يستقيم هذا الجواب.

﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ الأيْدِي: جمع يد التي هي بمعنى القدرة والقوة.

قال ابن عباس: أولي [القوة][٢] في طاعة الله تعالى، والأبصار في المعرفة بالله تعالى[٣].

وقرأتُ لأبي عمرو من رواية عبد الوارث عنه: «الأيْدِ» بغير ياء في الحالين[٤]، وهي قراءة ابن مسعود والأعمش؛ اكتفاء بالكسرة.

قال الفراء[٥]: هو صواب، مثل الجَوَارِ والمُنَادِ[٦].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢١١)، والدر المصون (٥/ ٥٣٧).

(٢) زيادة من الوسيط (٣/ ٥٦٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٦) كلاهما بلفظ: أولي القوة والعبادة، والأبصار: الفقه في الدين. وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٠-٥٦٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٩٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧٢).

(٥) معاني الفراء (٢/ ٤٠٧).

(٦) "الجوار" في سورة الشورى من الآية رقم: ٣٢، و"المناد" في سورة ق من الآية رقم: ٤١.

قوله تعالى: ﴿إنا أخلصناهم﴾ أي: جعلناهم لنا خالصين ﴿بخالصة﴾ أي: بخصلة خالصة، ثم فسّرها بقوله تعالى: ﴿ذكرى الدار﴾ أي: أنهم يذكرون الدار الآخرة فيتأهبون لها ويزهدون في ضرتها.

قال أبو علي[1]: على هذه القراءة «ذكرى» بدل من «خالصة»، تقديره: أخلصناهم بذكرى الدار.

وقرأ نافع والحلواني عن هشام: «بخَالِصَةِ ذِكْرَى» بغير تنوين على الإضافة[2]؛ لأن الخالصة تكون للذِّكْر وغير الذِّكْر، فإذا أضيفت إلى «ذكرى» اختصت الخالصة بهذه الإضافة، فتكون الإضافة إلى المفعول به، كأنه بإخلاصهم ذكرى الدار، أي: أخلصوا ذكرها والخوف منها [لله][3]، ويجوز أن تكون على إضافة المصدر الذي هو «خالصة» إلى الفاعل، تقديره: بأن [أخلصت][4] لهم ذكرى الدار. هذا كلام أبي علي.

﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ يريد: من الذين اتخذهم صَفْوة، فصَفَّاهم من كل دنس، والأَخْيَار: جمع خَيْر أو خَيِّر على التحقيق؛ كأَمْوات في جمع مَيْت أو مَيِّت.

قوله تعالى: ﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ أي: اذكر فضلهم وصبرهم

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢٧-٣٢٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٢٦-٣٢٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٣)، والكشف (٢/ ٢٣١)، والنشر (٢/ ٣٦١)، والإتحاف (ص:٣٧٣)، والسبعة (ص:٥٥٤).

(٣) زيادة من الحجة (٣/ ٣٢٨).

(٤) في الأصل: خلصت. والتصويب من الحجة، الموضع السابق.

وتأسَّ بهم واقْتَدِ بأخلاقهم.

وقد ذكرنا الْيَسْع في سورة الأنعام[١]، وذا الكفل في الأنبياء[٢].

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هذا ذِكْرٌ﴾ أي: هذا شرف وثناء جميل تذكرون به أبداً، وكيف لا يكون شرفاً والمُثْنِي عليهم رب العالمين.

﴿وإن للمتقين﴾ أي: وإن للأنبياء المذكورين ومن شاركهم في وصف التقوى مع هذا الثناء الجميل والشرف العظيم ﴿لحُسْنَ مآب﴾ أي: لحسن مرجع يؤوبون إليه يوم القيامة.

﴿جنات عدن﴾ بدل من «حُسْنَ مآب» أو عطف بيان[٣].

﴿مفتحةً﴾ قيل: النصب صفة لـ«جنات».

وقال الزمخشري[٤]: «مُفَتَّحَةً» حال، والعامل فيها ما في «للمتقين» من معنى الفعل. وفي «مفتحة» ضمير الجنات، و«الأبواب» بدل من الضمير، تقديره: مُفَتَّحَةً

---

(١) آية رقم: ٨٦.

(٢) آية رقم: ٨٥.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢١١)، والدر المصون (٥/ ٥٣٨).

(٤) الكشاف (٤/ ١٠٢).

هي الأبواب، كقولهم: ضرب زيدٌ اليَد والرِّجل، وهو من بدل الاشتمال.

وقال الزجاج[١]: المعنى: مفتحة لهم الأبواب منها.

وقال الفراء[٢]: المعنى: مفتحةً لهم أبوابها، والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة.

قال الزمخشري[٣]: وقرئ «جَناتُ عدنٍ مفتحةٌ» بالرفع[٤]، على أن «جنات عدن» مبتدأ، و«مفتحة» خبره. أو كلاهما خبر مبتدأ محذوف، أي: هو جنات عدن هي مفتحة لهم[٥].

قوله تعالى: ﴿متكئين فيها﴾ حال من الضمير المجرور باللام في قوله تعالى: ﴿لهم﴾[٦].

قوله تعالى: ﴿وعندهم قاصرات الطرف أتراب﴾ قال الزجاج[٧]: الأتْـرَاب: اللواتي أسنانهن واحدة، وهنّ في غاية الشباب والحُسْن.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٣٧).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٤٠٨).

(٣) الكشاف (٤/ ١٠٢).

(٤) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٣٨٧)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٥٣٩).

(٥) قال ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ١٧٤): فإن قال لنا قائل: وما في قوله: ﴿مُفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ﴾ من فائدة خبر حتى ذكر ذلك؟

قيل: الفائدة في ذلك: إخبار الله تعالى عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها إياها، بمعاناة بيد ولا جارحة، ولكن بالأمر.

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢١١)، والدر المصون (٥/ ٥٣٩).

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٣٣٨).

قال غيره: وإنما جعلهن على سِنّ واحدة؛ لأن التحابّ بين الأقران أثبت.

وقيل: هنّ أتراب لأزواجهن أسنانهن كأسنانهم.

و«قاصرات الطرف» مفسر في الصافات[١].

قوله تعالى: ﴿هذا ما توعدون﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يوعدون» بالياء، والباقون بالتاء[٢].

قال أبو علي[٣]: من قرأ بالتاء فعلى معنى: قل لهم هذا ما توعدون، فيكون خطاباً من النبي ﷺ لهم. ومن قرأ «يوعدون» بالياء؛ فلأن ذكر المتقين قد تقدم في قوله تعالى: ﴿وإن للمتقين لحسن مآب﴾، ﴿هذا ما يوعدون﴾ أي: ما يوعد المتقون ليوم الحساب، أي: في يوم الحساب، أو لأجل يوم الحساب.

قوله تعالى: ﴿ما له من نفاد﴾ أي: انقطاع.

قال ابن عباس: ليس لشيء في الجنة نفاد، ما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله، وما أكل من حيوانها وطيرها عاد مكانه [حياً][٤].

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ

---

(١) عند الآية رقم: ٤٨.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٤)، والكشف (٢/ ٢٣٢)، والنشر (٢/ ٣٦١)، والإتحاف (ص:٣٧٣)، والسبعة (ص:٥٥٥).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٠).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٣). وما بين المعكوفين في الأصل: جرماً. والتصويب من الوسيط.

مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿هذا﴾ قال الزجاج[1]: المعنى: الأمر هذا، فـ«هـذا» رفـع بخـبر الابتداء المحذوف، وإن شئت كان «هذا» رفعاً بالابتداء، والخبر محذوفاً.

وقال غيره: يجوز أن يكون التقدير: إن هذا لرزقنا هذا، فيكون توكيداً لما قبله.

ثم ذكر ما للكفار فقال تعالى: ﴿وإن للطاغين لشرَّ مآب﴾.

﴿جهنم﴾ بدل من «شر مآب»، أو عطف بيان[2].

﴿هذا فليذوقوه﴾ فيه تقديم وتأخير، تقديره: هذا حميم فليذوقوه، أو العذاب هذا فليذوقوه. ثم ابتدأ فقال: ﴿[هذا][3]﴾ أي: هو ﴿حميم وغساق﴾.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: «وغسَّاق» بالتشديد، هاهنا وفي عم يتساءلون[4]، والباقون بالتخفيف[5].

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٣٨).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢١٢)، والدر المصون (٥/ ٥٣٩).

(٣) في الأصل: جهنم. وهو خطأ.

(٤) عند الآية رقم: ٢٥.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٥)، والكشف (٢/ ٢٣٢)، والنشر (٢/ ٣٦١)، والإتحاف (ص:٣٧٣)، والسبعة (ص:٥٥٥).

قال أبو علي[١]: من قرأ بالتخفيف؛ فلأنه اسم مثل: عذاب ونكال وشراب وهو بارد ضد الحميم يحرق كما يحرق الحميم.

فأما من قرأ «وغسّاق» بالتشديد فلا يخلو من أن [يكون][٢] اسماً أو صفة، فيبعد أن يكون اسماً، [لأن][٣] الأسماء لم تجئ على هذا الوزن إلا قليلاً، وذلك الكَلاَّء[٤] [والقَذَّاف][٥] والجَبَّان[٦]، وإن كان صفة من غَسَق يغسِقُ: إذا سأل، مثل: ضَرَّاب من ضرب يَضْرِبُ، فقد أقيم مقام الموصوف، وأن لا تُقام الصفة مقام الموصوف أحسن، إلا [أن][٧] يكون صفة قد غلبت وأجري مجرى الأسماء، نحو: العبد، والأبطح.

والقراءة بالتخفيف أحسن؛ لسلامته من الأمرين اللذين وصفناهما في المشدد، وهما قلة البناء، وإقامة الصفة مقام الموصوف.

---

(١) الحجة (٣/ ٣٣٠-٣٣١).

(٢) زيادة من الحجة (٣/ ٣٣٠).

(٣) في الأصل: فإن. والمثبت من الحجة، الموضع السابق.

(٤) الكَلاَّء: مرفأ السفن، وهو عند سيبويه فَعَّالٌ، مثل: جَبَّار، لأنه يَكْلأُ السفن من الريح، وعند أحمد بن يحيى: فَعْلاء، لأن الريح تَكِلُّ فيه، فلا ينخرق، وقول سيبويه مرجّح، ومما يرجحه أن أبا حاتم ذكر أن الكلاّء مذكر لا يؤنثه أحد من العرب (انظر: لسان العرب، مادة: كلأ).

(٥) في الأصل: والقذا. والتصويب من الحجة (٣/ ٣٣٠). والقذّافُ: جمع، وهو الذي يُرمى به الشيء فَيَبْعُدُ، والقذّاف: المنجنيق وهو الميزان (لسان العرب، مادة: قذف).

(٦) الجَبَّانُ: الصحراء، وتسمى بها المقابر؛ لأنها تكون في الصحراء تسمية للشيء بموضعه، والجبَّان: ما استوى من الأرض في ارتفاع، ويكون كريم المنبت (لسان العرب، مادة: جبن).

(٧) زيادة من الحجة (٣/ ٣٣١).

واختلف المفسرون في الغَسَّاق؛ فقال ابن عباس: هو الزمهرير[١].

وقال أبو سعيد الخدري: المُنْتِن[٢].

وقال عطية: القيح الذي يسيل من جلود أهل النار[٣].

وقال السدي: دموعهم التي تسيل من أعينهم[٤].

وقال كعب الأحبار: عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذي حمة[٥].

وأخبرنا أبو المجد القزويني قال: أخبرنا أبو منصور الطوسي قال: سمعت الحسين بن مسعود البغوي يقول: الغَسَّاق: ما يسيل من أعينهم من دموعهم يسقونه مع الحميم[٦].

قوله تعالى: ﴿وآخر من شكله﴾ أي: من شكل هذا المذوق في الفظاعة والكراهة ﴿أزواج﴾ أجناس وأصناف.

وقرئ: «مِنْ شِكْلِهِ» بكسر الشين[٧]، وهي لغة في معنى المثل، وأما

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٩٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٦ ح٢٥٨٤)، والحاكم (٤/ ٦٤٤ ح٨٧٧٩)، وأحمد (٣/ ٢٨ ح١١٢٤٧) كلهم رفعه. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٩٩-٢٠٠) وعزاه لأحمد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣)، وهناد في الزهد (١/ ١٨٦). وذكره الماوردي (٥/ ١٠٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ١٩٩) وعزاه لهناد.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٧٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٠٠) وعزاه لابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٧٧) عن السدي.

(٧) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٣٨٨)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٥/ ٥٤١).

الغَنِج[1] فبالكسر لا غير.

قرأ أبو عمرو: «وأُخَرُ» بضم الهمزة من غير مد، وقرأ الباقون بفتح الهمزة ومَدِّها[2]، على معنى: وعذاب آخر. وقوله تعالى: ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ يؤيد هذه القراءة.

ويجوز أن يجمع الخبر الذي هو «أزواج» وإن كان المبتدأ واحداً؛ لأن «آخر» يراد به العذاب، والعذاب يشتمل على ضروب، كما تقول: عذاب فلان ضُروب شتى.

ومن قرأ «وأُخَر» على الجمع فمعناه: وضُروب أُخَر وأنواع أُخَر؛ لأن العذاب ذو ضروب وأنواع، «وأُخَر» أيضاً مرفوع بالابتداء، و«أزواج» الخبر. هذا كلام أبي علي الفارسي[3].

قوله تعالى: ﴿هذا فوج﴾ أي: جمع كثيف، ﴿مقتحم معكم﴾ النار، أي: داخلها بشدة.

قال ابن السائب: يضربون بالمَقَامِع[4] فيلقون أنفسهم في النار[5].

وهو حكاية قول الزبانية، أو كلام بعضهم لبعض.

قال ابن عباس: إذا دخل القادة النار ثم دخل بعدهم الأتباع، قال الخَزَنة للقادة: هذا فوج مقتحم معكم، فيقول القادة: ﴿لا مرحباً بهم﴾، أي: لا صادفوا

---

(١) الغَنَج: الدَّلّ، من التدلل (انظر: اللسان، مادة: غنج).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٥)، والكشف (٢/ ٢٣٣)، والنشر (٢/ ٣٦١)، والإتحاف (ص:٣٧٣)، والسبعة (ص:٥٥٥).

(٣) الحجة (٣/ ٣٣٢).

(٤) المقامع: جمع مِقْمَعَة، وهي سياط تعمل من حديد رؤوسها مُعْوَجَّة (اللسان، مادة: قمع).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٥١).

مرحباً[١].

والمَرْحَب والرَّحْب: السَّعَة[٢]، أي: لا اتسعت بهم مساكنهم. وهذا إخبار أن مودتهم انقطعت وصارت عداوة.

﴿إنهم صالوا النار﴾ كما صليناها.

﴿قالوا﴾ يعني: الأتباع للقادة ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم﴾ يشيرون إلى أن قادتهم أولى بالدعاء عليهم وبما قالوه لهم، وعللوا ذلك بقولهم: ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ أي: قدمتموا العذاب لنا، [يريدون][٣]: سببه، وهو الكفر، يريدون: أنتم ابتدأتم وشرعتم الكفر الذي هو سبب عذابنا.

ثم قالت الأتباع: ﴿ربنا من قدّم لنا هذا ... الآية﴾ وقد سبق الكلام على تفسيرها في سورة الأعراف[٤].

قوله تعالى: ﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار﴾ قال مجاهد: يقول أبو جهل في النار: أين صهيب؟ أين عمّار؟ أين بلال؟[٥].

وقال الكلبي: ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم معهم، وهم المؤمنون، فعند ذلك يقولون: ﴿ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار﴾ في الدنيا[٦].

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٢٣).

(٢) انظر: اللسان (مادة: رحب).

(٣) في الأصل: يريدن.

(٤) عند الآية رقم: ٣٨.

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٠١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن عساكر.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٥).

﴿أتخذناهم سخرياً﴾ إخباراً عن أنفسهم أنهم صنعوا ذلك، على معنى: أنا اتخذناهم سخرياً، والجملة المعادلة لقوله: ﴿أم زاغت﴾ محذوفة، المعنى: [أمفقودون][1] هم أم زاغت عنهم الأبصار. وهذه قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون: «منَ الأشْرار اتَّخَذْنَاهم» بقطع الهمزة وفتحها على الاستفهام[2]، ولذلك عودل بـ«أم»، واستبعد البصراء بالعربية هذه القراءة؛ لأن استفهامهم مع علمهم أنهم فعلوا بهم ذلك لا معنى له.

وقال الفراء[3]: الاستفهام بمعنى التعجب والتوبيخ.

والمعنى: أنهم يوبخون أنفسهم على ما صنعوا بالمؤمنين.

و«سخرياً» بضم السين وكسرها، مذكور في ﴿قد أفلح المؤمنون﴾[4].

قال قتادة ومقاتل[5]: أم زاغت أبصارنا عنهم فهم معنا في النار ولا نراهم[6].

قوله تعالى: ﴿إن ذلك لحق﴾ قال الزجاج[7]: أي إن الذي وصفناه عنهم لحق، ثم بين ما هو فقال تعالى: ﴿تخاصم أهل النار﴾.

---

(١) في الأصل: أمفقودن.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٣-٣٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٦-٦١٧)، والكشف (٢/ ٢٣٣)، والنشر (٢/ ٣٦١-٣٦٢)، والإتحاف (ص:٣٧٣)، والسبعة (ص:٥٥٦).

(٣) معاني الفراء (٢/ ٤١١).

(٤) عند الآية رقم: ١١٠.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ١٢٣).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٠١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٣٤٠).

قال المفسرون: يعني: تخاصم القادة والأتباع[١].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قل﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿إنما أنا منذر﴾ أُخوِّفكم عقوبة الله.

﴿قل هو﴾ يعني: القرآن، في قول مجاهد والضحاك وعامة المفسرين[٢].

وقيل: المعنى: هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولاً منذراً، وأن الله واحد قهار ﴿نبأ عظيم﴾ لا يعرض عنه إلا غافل شديد الغفلة.

﴿أنتم عنه معرضون﴾ لا تتفكرون فيه.

والمقصود من ذلك: تنبههم على التفكر في القرآن ليستدلوا به على صدق محمد ﷺ ورسالته، ألا تراه يقول: ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى﴾ يعني: الملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ في آدم حين قال الله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها...﴾ [البقرة:٣٠] إلى آخر القصة. قاله ابن عباس وأكثر المفسرين[٣].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٠١-٢٠٢) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبي نصر السجزي في الإبانة عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٣-١٨٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٧). وذكره السيوطي في الدر =

وقيل: اختصامهم ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت ربي عز وجل فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: أنت أعلم يا رب، قال: في الكفارات والدرجات. فأما الكفارات فإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. وأما الدرجات فإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام»[(١)].

قوله تعالى: ﴿إن يوحى إليّ﴾ أي: ما يوحى إلي ﴿إلا أنما أنا نذير مبين﴾.

قال الفراء[(٢)]: المعنى: ما يوحى إليّ إلا أني نبي ونذير مبين أُبيِّنُ لكم ما تأتون من الفرائض والسنن، وما تدعون من الحرام والمعصية.

وقرأتُ لأبي جعفر: «إلاَّ إنَّما» بكسر الهمزة على الحكاية[(٣)]، على معنى: إن يوحى إليّ إلا هذا القول وهو إذ أقول لكم إنما أنا نذير مبين.

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ

= (٧/ ٢٠٢) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس، ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن جرير.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٤٢ ح٥٤٩٦).

(٢) معاني الفراء (٢/ ٤١٢).

(٣) النشر (٢/ ٣٦٢)، والإتحاف (ص:٣٧٤).

مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾

﴿إذ قال ربك للملائكة﴾ متصل بقوله: «يختصمون»، وما بينهما اعتراض.

وما بعده مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ أي: لما توليت خلقه بنفسي ﴿أستكبرت﴾ عن طاعتي والسجود لآدم ﴿أم كنت من العالين﴾ ممن علا واستكبر وارتفع عن السجود له.

والاستفهام بمعنى التوبيخ، فأخبره أن امتناعه من السجود لآدم علوّه عليه فقال: ﴿أنا خير منه﴾.

وما بعده سبق تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿قال فالحق والحق أقول﴾ اتفق القرّاء على نصب «الحقَّ» الثاني، واختلفوا في الأول، فقرأ عاصم وحمزة: «قال فالحقُّ» بالرفع، ونصبه الباقون[1]. فمن رفع جعله خبر مبتدأ محذوف، تقديره: أنا الحقُّ أو قولي، أو هو مبتدأ، خبره محذوف، على معنى: قال فالحق مني، كما قال تعالى:

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٨)، والكشف (٢/ ٢٣٤)، والنشر (٢/ ٣٦٢)، والإتحاف (ص:٣٧٤)، والسبعة (ص:٥٥٧).

﴿الحق من ربك﴾ [البقرة:١٤٧].

ومن نصب فعلى معنى: الزموا الحق، أو على معنى: أحق الحق، كقوله تعالى: ﴿ويحق الله الحق﴾ [يونس:٨٢].

وقيل: هو قسم، فلما حذفت الباء انتصب، كما تقول: الله لأفعلنّ، أي: قال فبالحق لأملأن جهنم، وما بينهما اعتراض.

والحق الثاني منصوب بـ«أقول».

ويروى عن أبي عمرو من غير طرقه المشهورة: «والحقُّ أقولُ» بالرفع[1].

ووجهه ظاهر.

﴿لأملأن جهنم منك﴾ أي: من جنسك، ﴿وممن تبعك منهم﴾ من ذرية آدم ﴿أجمعين﴾.

﴿قل ما أسألكم عليه﴾ أي: على القرآن ﴿من أجر﴾ أو الوحي، أي: على تبليغه من أجر[2] فتتهموني.

﴿وما أنا من المتكلفين﴾ الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله، وقد عرفتموني بالبراءة من ذلك، فكيف أنتحل النبوة وأتكلف ما لم أؤمر به وأتقوَّل القرآن.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان، قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن

---

(١) ذكر هذه القراءة البناء في: الإتحاف (ص:٣٧٤)، وابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ١٥٨).

(٢) في الأصل زيادة قوله: المعنى.

أبي الضحى، عن مسروق قال: «دخلنا على عبدالله بن مسعود قال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم. قال الله تعالى لنبيه: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾»[(١)]. هذا حديث صحيح.

﴿إن هو﴾ يعني: القرآن ﴿إلا ذكر للعالمين﴾ موعظة للجن والإنس.

﴿ولتعلمن﴾ يا كفار مكة ﴿نبأه﴾ خبر صدقه ﴿بعد حين﴾.

قال ابن عباس وقتادة: بعد الموت[(٢)].

قال الحسن: يا ابن آدم! عند الموت يأتيك الحق[(٣)] اليقين[(٤)].

وقال عكرمة: يوم القيامة[(٥)].

وقال السدي: يوم بدر[(٦)].

وقال ابن السائب: من بقي عَلِمَ ذلك لما ظهر أمره وعلا، ومن مات [علمه][(٧)] بعد الموت[(٨)]. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٠٩ ح٤٥٣١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٩) عن قتادة.

(٣) في جميع مصادر التخريج: الخبر.

(٤) ذكره الطبري (٢٣/ ١٨٩) في تفسيره، والماوردي (٥/ ١١٢)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٠٩).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١١٢)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٩). وذكره الماوردي (٥/ ١١٢).

(٧) زيادة من الوسيط (٣/ ٥٦٨).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٦٨).

سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي اثنتان وسبعون آية في المدني، وخمس في الكوفي[1].

وهي مكية في قول ابن عباس وعليه المفسرين[2]، إلا آيتين نزلتا بالمدينة: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ و ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾[3].

وقيل: إلا سبع آيات من قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا﴾ إلى آخر السبع. واستثني أيضاً: ﴿يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾.

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾

قال الله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب﴾: مبتدأ، خبره: ﴿من الله﴾.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢١٦).

(٢) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١٠) وعزاه لابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٥٢)، والماوردي (٥/ ١١٣)، وزاد المسير (٧/ ١٦٠)، والبيان (ص:٢١٦)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٦٤٣).

وقيل: «تنزيل»: خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا تنزيل الكتاب، والجار والمجرور صلة التنزيل، كما تقول: نزل من عند الله. أو غير صلة، فيكون الجار والمجرور خبراً بعد خبر. أو يكون خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا من الله[١].

والمراد بالكتاب: القرآن.

قوله تعالى: ﴿مخلصاً﴾ نصب على الحال، ﴿الدين﴾ نصب بوقوع الفعل عليه[٢]. والمعنى: فاعبد الله ممحضاً له الدين من الشرك والرياء.

﴿ألا لله الدين الخالص﴾ قال قتادة: شهادة أن لا إله إلا الله[٣].

وقال الحسن: الإسلام[٤].

وقيل: المعنى: هو الذي وجب اختصاصه بأن تُخلص له الطاعة من كل شائبة كدر.

قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ قال صاحب الكشاف[٥]: يحتمل المتَّخذين وهم الكفرة، والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى؛ عن ابن عباس. والضمير في «اتخذوا» على الأول راجع إلى «الذين»، وعلى الثاني إلى «المشركين»، ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوماً، والراجع إلى «الذين» محذوف.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢١٤)، والدر المصون (٦/ ٣-٤).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٩١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١١٤).

(٥) الكشاف (٤/ ١١٣).

والمعنى: والذين [اتخذهم][1] المشركون أولياء.

«والذين اتخذوا» في موضع رفع على الابتداء.

فإن قلت: فالخبر ما هو؟

قلتُ: هو على الأول، إما ﴿إن الله يحكم بينهم﴾ أو ما أضمر من القول قبل قوله: ﴿ما نعبدهم﴾. وعلى الثاني: ﴿إن الله يحكم بينهم﴾.

فإن قلت: فإذا كان «[إن الله][2] يحكم بينهم» الخبر، فما موضع القول المضمر؟

قلتُ: يجوز أن يكون في موضع الحال، أي: قائلين ذلك. [ويجوز أن يكون بدلاً من الصلة فلا يكون له محل، كما أن المُبْدل منه كذلك][3].

وقرأ ابن مسعود بإظهار القول: «قالوا ما نعبدهم»[4]. وفي قراءة أُبَيّ: «ما نعبدكم إلا لتقربونا» على الخطاب[5]، حكاية لما خاطبوا به آلهتهم.

وقال الزجاج[6]: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفى﴾ أي: قُربى.

والضمير في «بينهم» لهم ولأوليائهم.

والمعنى: إن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى عليهم السلام الجنة، ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله تعالى.

---

(١) في الأصل: اتخذوهم. والمثبت من الكشاف (٤/ ١١٣).

(٢) في الأصل: الله تعالى. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) ذكر هذه القراءة الطبري (٢٣/ ١٩١)، والقرطبي (١٥/ ٢٣٣).

(٥) ذكر هذه القراءة الطبري، الموضع السابق، والقرطبي (١٥/ ٢٣٤).

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٣٤٤).

وقيل: يحكم بين المسلمين والمشركين، فإن المسلمين كانوا يقولون لهم: مَنْ خَلَقَ السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، فإذا قالوا لهم: فما لكم تعبدون الأصنام؟ قالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى.

﴿إن الله لا يهدي﴾ أي: لا يُرشد ﴿من هو كاذب كفار﴾ في قوله أن الآلهة تشفع لهم وتقربهم إلى الله.

وقيل: من هو كاذب في قولهم في بعض من اتخذوه من دون الله أولياء: بنات الله، ولذلك عقبه محتجاً عليهم بقوله تعالى: ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء﴾.

قال الزمخشري[1]: كأنه قال: لو أراد الله تعالى اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما [يشاء][2] من خلقه وهم الملائكة، إلا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم [اتخاذهم][3] أولاداً، ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات.

ثم نزّه نفسه فقال: ﴿سبحانه هو الله الواحد القهار﴾.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ

---

(١) الكشاف (٤/ ١١٤).

(٢) في الأصل: شاء. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: اتخاهم. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ قال أبو عبيدة(١): يُدْخِلُ هذا على هذا، وهذا على هذا.

قال ابن قتيبة(٢): أصل [التكوير](٣): اللَّفُّ، ومنه كَوْرُ العمامة.

وقال غيره: أصل التَّكوير: طرح الشيء بعضه على بعض(٤).

وما بعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ يعني: حوّاء من آدم عليهما السلام.

وقد أشرنا إلى دفع الإشكال في الترتيب بحرف «ثم» مع تقدم خلق حواء على خلق المخاطبين في سورة النساء عند قوله تعالى في أواخرها: ﴿ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات﴾ بعد قوله تعالى: ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ [النساء:١٥٣].

وقيل: أخرج الله تعالى ذرية آدم عليه السلام من ظهره [كالذَّرِّ](٥)، ثم خلق بعد ذلك حوّاء.

قوله تعالى: ﴿وأنزل لكم من الأنعام﴾ أي: قضى لكم وقَسَم، والقضاء

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٨٨).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٣٨٢).

(٣) في الأصل: التكور. والتصويب من غريب القرآن، الموضع السابق.

(٤) انظر: اللسان (مادة: كور).

(٥) في الأصل: كاذر. والتصويب من الكشاف (٤/ ١١٦).

والقَسَم موصوف بالنزول من السماء.

وقيل: لما كانت لا تعيش إلا بالماء والنبات النامي من الماء، والماء من السماء، فكأنه أنزلها من السماء. وقد أشرنا إلى تفسير ذلك في الأنعام(١).

﴿خَلْقاً من بعد خلق﴾ يريد: نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً، ثم عظاماً، ثم لحماً، إلى غير ذلك من تقلبات أحوال الإنسان إلى أن يظهر إلى الوجود.

وقيل: خلقاً في بطون أمهاتكم من بعد خلق في ظهر آدم.

﴿في ظلمات ثلاث﴾ قال ابن عباس وقتادة وعامة المفسرين: هي ظلمة البطن، والرَّحم، والمشيمة(٢).

وقيل: ظلمة البطن، والرّحم، والصلب.

إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾

---

(١) عند الآية رقم: ١٤٣.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٥٥٦)، والطبري (٢٣/ ١٩٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن أبي مالك، وعزاه لعبد بن حميد.

قوله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ قال ابن عباس: لا يرضاه لعباده المؤمنين[(١)]، فيكون عاماً في اللفظ خاصاً في المعنى؛ كقوله تعالى: ﴿عيناً يشرب بها عباد الله﴾ [الإنسان:٦].

وقيل: لا يرضاه لأحد ما وإن وقع بإرادته. وبين [الإرادة][(٢)] والرضى فرق ليس هذا موضع ذكره.

﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ اختلف القراء السبعة، فمنهم من ضَمَّ الهاء ووصلها بواو؛ لأن ما قبل الهاء متحرك فصار بمنزلة: ضَرَبَه. ومنهم من اختلس الحركة؛ لأن أصل الكلمة: ترضاه، فصار بمنزلة: عَصَاه، والحذف ليس بلازم. ومنهم من أسكن الهاء وقال: هي لغة[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه﴾ أي: راجعاً إليه ومقبلاً عليه.

﴿ثم إذا خوّله﴾ ملَّكه وأعطاه، واشتقاقه من قولهم: هو خائل مالٍ؛ إذا كان متعهداً له حَسَنُ القيام عليه[(٤)]، ومنه الحديث: «كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة»[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٩٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) في الأصل: إرادة.

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦١٩)، والكشف (٢/ ٢٣٦)، والنشر (١/ ٣٠٧-٣٠٩)، والإتحاف (ص:٣٧٥)، والسبعة (ص:٥٦٠-٥٦١).

(٤) انظر: اللسان (مادة: خول).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٣٨ ح٦٨)، ومسلم (٤/ ٢١٧٢ ح٢٨٢١).

وقيل: هو من خَالَ يَخُولُ؛ إذا اختال وماس[(١)].

وفي معناه قول العرب: إن [الغنيَّ][(٢)] طويلُ الذَّيل ميّاس[(٣)].

﴿نعمة منه﴾ أزال عنه الضُّرَّ وأسبغ عليه نعمة من نعمه، ﴿نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ أي: نَسِيَ الضر الذي كان يَتضرَّعُ الله تعالى بسببه، ويدعوه إلى كشفه.

وقيل: نسي ربه الذي [كان][(٤)] يبتهل إليه[(٥)].

و«ما» بمعنى «من»؛ كقوله تعالى: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ [الليل:٣]، ومثله قوله: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ [الكافرون:٣].

والمراد بالإنسان في هذه الآية: الكافر.

قال عطاء: نزلت في عتبة بن ربيعة[(٦)].

وقال مقاتل[(٧)]: في أبي حذيفة بن المغيرة.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾

---

(١) انظر: اللسان (مادة: خول).

(٢) في الأصل: الفتى. والتصويب من المصادر التالية.

(٣) هذا مثلٌ يراد به: أن المال يظهر ولا يخفى، وكذلك الفقر لا يكاد المرء يخفيه (انظر: المستقصى في أمثال العرب ١/ ٤٠٩، وجمهرة الأمثال ١/ ١٩٨، ومجمع الأمثال ١/ ٣٤).

(٤) زيادة من الكشاف (٤/ ١١٨).

(٥) هذا من كلام الزمخشري في الكشاف (٤/ ١١٧-١١٨).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٦٥).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ١٢٨).

قوله تعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أقوال:

أحدها: أنها نزلت في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه. قاله ابن عباس[١].

والثاني: في عثمان بن عفان رضي الله عنه. قاله ابن عمر[٢].

والثالث: في عبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وأبي ذر. قاله ابن السائب[٣].

وحكى يحيى بن سلام: أنه رسول الله ﷺ[٤].

وقيل: بعمومها فيمن كان بهذه الصفة.

واختلف القراء في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ﴾ فقرأ ابن كثير ونافع وحمزة: «أَمَنْ» بتخفيف الميم، وشدّدها الباقون.

قال أبو علي[٥]: من شدَّد فإنها «أَمْ» دخلت على [«مَنْ»][٦] فأدغمت الميم في الميم، وتكون الجملة التي عادلت أمْ قد حذفت، المعنى: الجاحد الكافر بربه خير أمَّن هو قانت، و«مَنْ» موصولة بمعنى الذي، وليست باستفهام، ودل على الجملة

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١١٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٨٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥٦). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٨٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢١٣-٢١٤) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية وابن عساكر.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١١٧).

(٤) مثل السابق.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٣٩-٣٤٠).

(٦) زيادة على الأصل.

المحذوفة المعادلة لأَمْ ما جاء بعد من قوله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون﴾، ودلّ عليها أيضاً ما قبلُ من قوله تعالى: ﴿قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار﴾. فأما من خفَّفَ الميم فقال: ﴿أمَنْ هو قانت﴾، فالمعنى: أمَنْ هو قانت كَمَنْ هو بخلاف هذا الوصف؟ ولا وجه للنداء هاهنا؛ لأن هذا موضع معادلة، ويدل على المحذوف هاهنا: ﴿قل هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون﴾؛ لأن التسوية لا تكون إلا بين شيئين.

قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا﴾ مفسر في النحل(١).

﴿وأرض الله واسعة﴾ يريد: الجنة.

وقيل: الأرض المعهودة.

فإن أريد الأول كان ترغيباً لهم في العمل المفضي بهم إليها. وإن أريد الثاني كان حَضّاً لهم على الهجرة.

﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم﴾ على طاعة الله وعن معصيته، وعلى تجرّع الغُصَص واحتمال البلاء أجرهم الذي جعله الله تعالى جزاء لهم على صبرهم ﴿بغير حساب﴾ أي: لا يحاسبون عليه.

وقيل: بغير مكيال وغير ميزان، وهو تمثيل للتكثير.

---

(١) عند الآية رقم: ٣٠.

قال ابن عباس: لا يهتدي إليه حساب الحُسَّاب ولا يعرف[١].

أخبرنا الشيخ عبدالعزيز بن معالي بن غنيمة بن منينا قراءة عليه وأنا أسمع بمنزله بباب البصرة، أخبركم أبو بكر محمد بن عبدالباقي الأنصاري فأقرّ به، قال: أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن مخلد بن جعفر القاضي، حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا علي بن قمر العجلي، حدثنا جعفر بن سليمان، عن [سعد][٢] بن طريف[٣]، عن الأصبغ بن نباتة[٤] قال: «دخلنا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الحسن بن علي نعوده، فقال له علي: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ فقال: أصبحت بحمد الله بارئاً، فقال: كذا أنت إن شاء الله. ثم قال الحسن: أسندوني أسندوني، فأسنده عليّ إلى صدره، فقال الحسن: سمعت جدي ﷺ وقال لي يوماً: بُنَيّ! عليك بالقناعة تكن من أغنى الناس، وأدّ الفرائض تكن من أعبد الناس، يا بني! إن في الجنة شجرة يقال لها: شجرة البلوى، يُؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا يُنصب لهم ميزان، ولا يُنشر لهم ديوان، يُصَبُّ عليهم الأجر صَبّاً، وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ »[٥].

---

(١) ذكره النسفي في تفسيره (٤/ ٥٠).

(٢) في الأصل: سعيد. وانظر ترجمته في التعليق التالي.

(٣) سعد بن طريف الإسكاف الحذّاء الحنظلي الكوفي، متروك، ورماه ابن حبان بالوضع (تهذيب التهذيب ٣/ ٤١٠، والتقريب ص:٢٣١).

(٤) الأصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي، أبو القاسم الكوفي، متروك رمي بالرفض (تهذيب التهذيب ١/ ٣١٦، والتقريب ص:١١٣).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٩٢ ح٢٧٦٠). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١٥) وعزاه =

قوله تعالى: ﴿وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾ قال الزمخشري[1]: المعنى: وأمرتُ بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين، أي: مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة. ولك أن تجعل اللام مزيدة، مثلها في: أردت لأن أفْعَل. ولا تزاد إلا مع «أنْ» خاصة دون الاسم الصريح، والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ [يونس:٧٢]، ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ [يونس:١٠٤]، و﴿أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ [الأنعام:١٤].

وفي معناه أوجه: أن أكون أول من أسلم في زماني ومن قومي، لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها، وأن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاماً، وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره، لأكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعاً.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٖ ١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ١٥ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦﴾

قوله تعالى: ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ معناه: أن الكاملين في الخسران هم الذين خسروا أنفسهم بالمصير إلى النار =

للطبراني وابن عساكر وابن مردويه.

(١) الكشاف (٤/ ١٢٠-١٢١).

وخسروا أهليهم؛ لأنهم إن كانوا كفاراً فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا مؤمنين فقد خسروهم؛ لأنهم لم يدخلوا معهم الجنة.

وقال الحسن وقتادة: خسروا الحور العين الذين كانوا أهليهم لو أدخلوا الجنة(١).

قال الزمخشري(٢): وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله تعالى: ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه، ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر، وعرّف الخسران ونعته بالمبين.

قوله تعالى: ﴿لهم من فوقهم ظُلَلٌ من النار﴾(٣) أي: أطباق وسرادقات من النار ودخانها، ﴿ومن تحتهم ظلل﴾ أطباق وسرادقات هي مهاد لقوم وظُلَلٌ لآخرين.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى العذاب المذكور ﴿يخوّف الله به عباده﴾ ليجتنبوا ما يوقعهم فيه، ﴿يا عباد فاتقون﴾ ولا تعرضوا [لعذابي](٤).

وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٦٩).

(٢) الكشاف (٤/ ١٢١).

(٣) في الأصل زيادة قوله تعالى: ﴿ومن تحتهم﴾. وستأتي بعد.

(٤) في الأصل: لعاذابي.

تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ قال ابن زيد: حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله؛ زيد بن [عمرو][1]، وأبو ذر، وسلمان الفارسي[2].

والمعنى: والذين اجتنبوا عبادة ما دون الله من شيطان وكاهن وصنم.

قال الأخفش[3]: إنما قال: ﴿أن يعبدوها﴾؛ لأن [الطاغوت][4] في معنى جماعة، وإن شئت جعلته واحداً مؤنثاً.

وقال غيره: «أنْ» مع الفعل في موضع النصب بتأويل المصدر بدل من مفعول «اجتنبوا»، تقديره: والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت.

﴿لهم البشرى﴾ خبر المبتدأ الذي هو «والذين اجتنبوا»[5]. والمعنى: لهم البشرى على ألسنة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين في الدنيا، وعلى ألسنة الملائكة حين الموت وحين يحشرون.

﴿فبشر عبادي﴾ فوصفهم فقال: ﴿الذين يستمعون القول﴾ وهو القرآن في

---

(١) في الأصل: عمر. والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٨٢).

(٣) معاني الأخفش (ص:٢٧٤).

(٤) في الأصل: العابدون. والمثبت من معاني الأخفش، الموضع السابق.

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ١١).

قول عامة المفسرين.

﴿فيتّبعون أحسنه﴾ مفسّر في الأعراف عند قوله تعالى: ﴿يأخذوا بأحسنها﴾ [الأعراف:١٤٥].

وقيل: بعمومه في الكلام كله.

قال ابن عباس: هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوئ فيحدث بأحسن ما سمع، ويكفّ عما سواه[١].

وقد ذهب بعض القراء إلى أن الوقف على قوله: ﴿فبشر عبادي﴾ ويبتدئ: ﴿الذين يستمعون القول﴾، فيكون مرفوعاً بالابتداء، والخبر ﴿أولئك﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾. ذكر الزجاج والزمخشري[٣] -دخل كلام أحدهما في الآخر-: أنها جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار، والهمزة الثانية هي الأولى، كُررت لتوكيد الكلام وطوله؛ لأنه لا يصلح في العربية أن تأتي بألف الاستفهام في الاسم والخبر.

وأصل الكلام: أمَّن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه، والفاء الثانية فاء الجزاء، والفاء الأولى عطف على محذوف يدلّ الخطاب عليه، تقديره: أأنت مالِكُ أمرهم، فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه.

ويجوز أن تكون الآية جملتين، على معنى: أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٢١).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ١١).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٤٩-٣٥٠)، والكشاف (٤/ ١٢٣).

تخلصه[١]؟ أفأنت تنقذه؟ وإنما جاز حذف «فأنت تخلصه»؛ لدلالة «أفأنت تُنقذُ» عليه.

قال عطاء: يريد بهذه الآية أبا لهب وولده، ومن تخلّف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان[٢].

قوله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية﴾ أي: علالي بعضها فوق بعض قد بُنيت العلالي وأحكمت إحكام المساكن التي على الأرض.

﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل.

﴿وعد الله﴾: مصدر[٣].

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿فسلكه ينابيع في الأرض﴾ قال الشعبي: كل ماء في الأرض فمن

---

(١) في الأصل زيادة قوله: أفأنت تخلصه. وانظر النص في: الكشاف (٤/ ١٢٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٧٢).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢١٤)، والدر المصون (٦/ ١٢).

السماء نزل[(١)].

والمعنى: فأدخله ونظمه عيوناً في الأرض يسلك في مجاريه كالعروق في الأجساد.

﴿ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه﴾ ما بين أخضر وأحمر وأصفر وأبيض وغير ذلك.

وقيل: المراد بألوانه: أصنافه من بُرٍّ وشعير وأرز وسمسم وغيرها.

﴿ثم يهيج﴾ يتناهى جفافه.

قال الأصمعي: يقال للنبت إذا تَمَّ جفافه: قد هَاجَ يَهِيجُ هَيْجاً[(٢)].

قال بعضهم: سُمي بذلك؛ لأنه إذا تَمَّ جفافه حان له أن يثور عن منابته.

﴿فتراه﴾ بعد نضارته وخضرته ﴿مصفرّاً ثم يجعله حطاماً﴾ فتاتاً متكسراً.

﴿إن في ذلك لذكرى﴾ لتذكيراً ﴿لأولي الألباب﴾ على أنه لا بد من صانع حكيم قادر عليم.

وقال مقاتل[(٣)]: هذا مثلٌ ضُرب للدنيا.

قوله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ قال الزجاج[(٤)]: جوابه متروك؛ لأن الكلام دالٌّ عليه، تقديره: أفمن شرح الله صدره

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٥٧ ح٧٣٤٧)، والطبري (٢٣/ ٢٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢١٩) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ في العظمة والخرائطي في مكارم الأخلاق.

(٢) انظر: اللسان (مادة: هيج).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ١٣١).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٥١).

فاهتدى كمن طبع الله تعالى على قلبه. ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾.

وقد فسرنا معنى الشرح في سورة الأنعام[١] وذكرنا فيه حديثاً له اختصاص بهذه الآية ومدخل في تأويلها.

قال قتادة: «فهو على نور من ربه»: هو كتاب الله يأخذ به وينتهي إليه[٢].

قال ابن عباس: نزلت في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وأبيّ بن خلف[٣].

وقال عطاء: نزلت في علي وحمزة وأبي لهب وولده[٤].

وقال مقاتل[٥]: نزلت في رسول الله ﷺ وأبي جهل.

وقد ذكرنا معنى القسوة في سورة البقرة[٦].

ومقاتل يقول[٧]: «مِنْ ذكر الله» بمعنى: عَنْ ذكر الله[٨].

---

(١) عند الآية رقم: ١٢٥.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٠٩). وذكره الماوردي (٥/ ١٢١)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٥٧٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٧٤).

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٣٨٣)، والوسيط (٣/ ٥٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٧٤).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ١٣١).

(٦) عند الآية رقم: ٧٤.

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ١٣١).

(٨) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٧٤): فإن قيل: كيف يقسو القلب من ذكر الله عز وجل؟

فالجواب: أنه كلما تلي عليهم ذكر الله الذي يكذبون به قَسَتْ قلوبهم عن الإيمان.

قال الفراء[(١)]: كما تقول: اتّخمت من طعامٍ أكلته وعن طعام أكلته.

قلتُ: [ويؤيد][(٢)] هذا قراءة أُبيّ بن كعبٍ وابن أبي عبلة وأبي عمران: «عن ذكر الله»[(٣)].

وقال الزمخشري[(٤)]: إن قلت: ما الفرق بين «من» و«عن» في هذا؟

قلتُ: إذا قلتَ: قسا قلبه من ذكر الله، فالمعنى ما ذكرت، من [أن][(٥)] القسوة من أجل الذِّكْر وسببه، وإذا قلتَ: عن ذكر الله، فالمعنى: غلظ عن قبول الذِّكْر وجفا عنه. ونظيره: [سقاه][(٦)] من العَيْمَة[(٧)]، أي: من أجل عطشه، وسقاه عن العيمة؛ إذا أرواه حتى أبعده عن العطش.

وقال غيره: هو على حذف المضاف، تقديره: فويل للقاسية قلوبهم من ترك ذكر الله.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٤١٨).

(٢) في الأصل: ويد.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ١٧٤).

(٤) الكشاف (٤/ ١٢٥).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: سقا. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٧) العَيْمَة: شدة العطش (اللسان، مادة: عيم).

قوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: قالت الصحابة: يا رسول الله لو حدَّثتنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١].

﴿كتاباً﴾ بدل من «أحسن الحديث»، أو حالاً منه[٢]، ﴿متشابهاً﴾ يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً، ليس فيه تناقض ولا اختلاف.

وقال قتادة: تشبه الآية الآية، والكلمة الكلمة، والحرف الحرف[٣].

وقال الزجاج[٤]: يشبه بعضه بعضاً في الفضل والحكمة.

وقال الزمخشري[٥]: متشابهاً في الصحة والإحكام والصدق، وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخيّر والإصابة، وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز. ويجوز أن يكون ﴿مثاني﴾ بياناً لكونه متشابهاً؛ لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة.

والمثاني: جمع مثنى، بمعنى: مردّد ومكرّر، لما ثني من قصصه وأنبائه، وأحكامه، وأوامره ونواهيه، ووعده ووعيده، ومواعظه.

وقيل: لأنه يثنى في التلاوة، فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد.

ويجوز أن يكون جمع مثنى: مَفْعَل، من التثنية، بمعنى: التكرير والإعادة.

فإن قيل: ما فائدة التثنية والتكرير؟

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢١١) عن ابن عباس. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٢١) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢١٥)، والدر المصون (٦/ ١٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢١٠). وذكره الماوردي (٥/ ١٢٢).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٥١).

(٥) الكشاف (٤/ ١٢٥).

قلتُ: عنه جوابان:

أحدهما: أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله ﷺ فيتعلم كل واحد منهم ما يتيسر له، وكان رسول الله ﷺ يبعث السور المختلفة إلى القبائل المتفرقة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة نوح مثلاً إلى قوم، وقصة موسى إلى قوم، فأراد الله سبحانه وتعالى الحكيم إظهار القصص وتشعبها في القبائل والبقاع؛ موعظة لخلقه، ومعجزة لرسوله ﷺ.

الثاني: أن النفوس شديدة النفرة عن المواعظ والنصائح، فأراد الله عز وجل تكرير قصص الأنبياء مع أممهم وأمثال ذلك ليترسخ فيها بسبب التكرار والترداد.

قوله تعالى: ﴿تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ أي: يأخذهم عند تلاوته وتدبر مواعظه قُشعريرة.

روى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا اقشعرَّ جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما تتحاتّ عن الشجرة اليابسة أوراقها»[1].

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا اقشعرّ جلد العبد من خشية الله تعالى حرَّمه الله على النار»[2].

﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ عَدَّى «تلين» بإلى؛ لتضمنها معنى

---

(١) أخرجه البيهقي في شعبه (١/ ٤٩١ ح٨٠٣). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣١٠) وعزاه للبزار وقال: وفيه أم كلثوم بنت العباس ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات. وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٢٢) وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٧٧).

قط[١].

قوله تعالى: ﴿فتولَّ عنهم حتى حين﴾ قال مجاهد والسدي: حتى نأمرك بالقتال[٢].

وقال قتادة: إلى الموت[٣]. فتكون منسوخة بآية السيف[٤].

﴿وأبصرهم﴾ وما يقضى عليهم من القتل والذل والأسر إذا نزل بهم العذاب ﴿فسوف يبصرون﴾ ذلك.

وقال ابن زيد: أبصر ما ضيعوا من أمر الله فسوف يبصرون ما يحل بهم من عذاب الله[٥].

وقال ثعلب: «أبصرهم»: أعلمهم الآن، «فسوف يبصرون»: يعلمونه بالعيان[٦].

قال المفسرون: لما هدّدهم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ قالوا تكذيباً واستهزاءً: متى هذا العذاب؟ فأنزل الله تعالى: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾[٧]. ﴿فإذا نزل

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٧٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٣٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٤٧)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥١-٥٢)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٣٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ١١٥). وذكره الماوردي (٥/ ٧٣).

(٦) انظر قول ثعلب في: تفسير الماوردي (٥/ ٧٤).

(٧) ذكره الطبري (٢٣/ ١١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٣٩) بنحوه.

بساحتهم﴾ أي: بحضرتهم.

قال الفراء[١]: العرب تكتفي بالسَّاحَة والعَقْوَة[٢] من القوم، يقولون: نزل بك العذاب وبساحتك [سواء][٣].

والسَّاحَة: مُتَّسَعُ الدار[٤].

﴿فساء صباح المنذرين﴾ وقرأ ابن مسعود على المعنى: «فبئس صباح المنذرين»[٥].

وصحَّ عن النبي ﷺ «أنه قال يوم خيبر حين أصبحوا فخرجوا بمساحيهم فرأوا جيش النبي ﷺ فقالوا: محمد والخميس، ورجعوا إلى حصنهم. فقال النبي ﷺ: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»[٦].

وإنما كرر «وَتَوَلَّ عنهم» لتكون تسلية على تسلية، وتأكيداً لوقوع ما توعدهم به من العذاب.

سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

ثم نزّه نفسه عما يقوله المشركون فقال سبحانه وتعالى: ﴿سبحان ربك رب

---

(١) معاني الفراء (٢/ ٣٩٦).

(٢) العقوة والعقاة: الساحة وما حول الدار والمحلّة (اللسان، مادة: عقا).

(٣) زيادة من معاني الفراء (٢/ ٣٩٦).

(٤) انظر: اللسان (مادة: سوح).

(٥) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٣٦٤).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٢٢١ ح٥٨٥)، ومسلم (٢/ ١٠٤٥ ح١٣٦٥).

العزة﴾ أي: مالك العزة.

وقال صاحب الكشاف[١]: أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها، كأنه قيل: ذو العزة، كما تقول: صاحب صدق؛ لاختصاصه بالصدق. ويجوز أن يراد ما من عزة لأحد من الملوك وغيرهم إلا وهو ربها ومالكها، كقوله تعالى: ﴿وتعز من تشاء﴾ [آل عمران:٢٦].

ولما اشتملت هذه السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله عز وجل ونسبوا إليه ما هو سبحانه وتعالى منزّه عنه، وما عاناه المرسلون صلوات الله عليهم من جهتهم، وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم؛ ختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون، والتسليم على المرسلين، ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على ما قيّض لهم من حسن العواقب.

وفي حديث أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون... إلى آخر السورة»[٢].

وهو حديث ثابت من طرق، أحسنها ما أخبرنا به أبو المجد محمد بن محمد بن أبي بكر الكرابيسي، أخبرنا الشيخان أبو المحاسن عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه أبو سعيد المطهر بن عبدالكريم بن محمد قالا: أخبرنا عبدالرحمن حمد الدوني، أخبرنا القاضي أبو نصر الدينوري، أخبرنا أبو بكر السني الحافظ، أخبرني

---

(١) الكشاف (٤/ ٧١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٦٩ ح٣٠٩٧).

أبو عروبة[١]، حدثني ابن وكيع[٢]، حدثني أبي[٣]، عن سفيان الثوري، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري: «أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من صلاته -قال: لا أدري قبل أن يُسَلِّم أو بعد أن يُسَلِّم- يقول: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»[٤].

وقال ﷺ: «من أحب أن يكتال له بالكيل الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه في مجلسه: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»[٥].

---

(١) هو الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود السلمي الجزري، أبو عروبة الحراني، صاحب التصانيف. ولد بعد العشرين ومائتين، وأول سماعه في سنة ست وثلاثين ومائتين، كان عارفاً بالرجال وبالحديث، مات سنة ثماني عشرة وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥١٠-٥١٢).

(٢) سفيان بن وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو محمد الكوفي، كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بورّاقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنصح فلم يقبل، فسقط حديثه. توفي في ربيع الآخر سنة سبع وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ١٠٩، والتقريب ص:٢٤٥).

(٣) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي أبو سفيان الكوفي الحافظ، كان ثقةً مأموناً عالياً، رفيع القدر، كثير الحديث حجة، ولد سنة سبع أو ثمان أو تسع وعشرين ومائة، ومات سنة ست وتسعين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ١٠٩-١١٤، والتقريب ص:٥٨١).

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخه (١٣/ ١٣٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤١) وعزاه للخطيب.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ١٤١) وعزاه لابن أبي حاتم عن الشعبي.

طلحة[1]، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج﴾ قال: غير مخلوق[2].

قال حموية بن يونس: بلغ أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه هذا الحديث، فكتب إلى جعفر بن محمد بن فضيل يكتب إليه بإجازته، فكتب إليه بإجازته، فَسُرَّ أحمد بهذا الحديث وقال: كيف فاتني عن عبدالله بن صالح هذا الحديث.

وبهذا الإسناد قال أبو الحسن الحمامي: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري بمكة قال: حدثنا أبو عبدالله محمد بن مخلد العطار، حدثنا أبو داود السجستاني، حدثنا حسين[3] بن الصباح، حدثنا [معبد أبو][4] عبدالرحمن -ثقة-، عن معاوية [بن][5] عمار قال: سألت جعفر بن محمد رضي الله عنهما عن القرآن،

=

الحمصي، أحد الأعلام وقاضي الأندلس، كان ثقة كثير الحديث، توفي سنة ثمان وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٩-١٩٠، والتقريب ص:٥٣٨).

(١) علي بن أبي طلحة واسمه سالم بن المخارق الهاشمي، مولى بني العباس، أصله من الجزيرة، وانتقل إلى حمص، أرسل عن ابن عباس ولم يره، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٩٨، والتقريب ص:٤٠٢).

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (ص:٨٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص:٣١١). وذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٢٣) وعزاه للآجري في الشريعة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٣) في الشريعة: الحسن.

(٤) في الأصل: سعيد بن. وهو خطأ. وهو معبد بن راشد، أبو عبدالرحمن الكوفي، انظر ترجمته في: التهذيب (١٠/ ٢٠١)، والتقريب (ص:٥٣٩).

(٥) في الأصل: عن. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: لسان الميزان (٧/ ٣٩٢)، والتقريب (ص:٥٣٨).

قال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله عز وجل(١).

وبالإسناد قال الحمامي: حدثنا أبو بكر محمد بن هارون العسكري الفقيه، حدثنا محمد بن يوسف بن [الطباع](٢) قال: سمعت رجلاً سأل أحمد بن حنبل فقال: يا أبا عبدالله، أُصلِّي خلف من يشرب المُسْكِر؟ قال: لا. قال: وأصلي خلف من يقول: القرآن مخلوق؟ قال: فقال: سبحان الله، أنهاك عن مسلم وتسألني عن كافر(٣).

وأخبرنا أبو بكر عبدالرزاق بن عبدالقادر الجيلي إذناً قال: حدثنا أحمد بن عبدالله بن مرزوق، أخبرنا جعفر بن أحمد بن عبدالواحد الثقفي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبدالرحيم، أخبرنا عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان، حدثنا عبدالله بن محمد بن زكريا، حدثنا موسى بن عبدالله الطرسوسي قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو [جهميّ](٤)، ومن زعم أن هذه الآية مخلوقة: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ فقد كفر(٥)، والقرآن من علم الله، فمن زعم أن من علم الله شيئاً مخلوقاً فقد كفر(٦).

أخبرنا أبو علي الحسين بن الحسن بن علي الكوسج الأصبهاني إجازة،

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (ص:٨٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٤٢ ح٣٩٩)، والبيهقي في الاعتقاد (ص:١٠٧)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ١٥١-١٥٢).

(٢) في الأصل: الصباغ. والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة (ص:٨٤). وذكره ابن مفلح في: المقصد الأرشد (٢/ ٥٣٣).

(٤) في الأصل: جمي. وقد ذكره عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ١٦٥).

(٥) ذكره اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٥٦) عن النضر بن محمد.

(٦) ذكره اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٥٤).

وأخبرني عنه سماعاً أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن [الأزهر][1] الصريفيني قال: أخبرنا الحافظ أبو سعد محمد بن عبدالواحد بن عبدالوهاب الصائغ، حدثنا الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد الدقاق، أخبرني أبو بكر أحمد بن الفضل بن محمد المقرئ بقراءتي عليه، حدثنا أحمد بن موسى، حدثنا محمد ابن الحسن النقاش، حدثنا أبو صالح القاسم بن الليث الرسعني، حدثنا محمد بن بشار[2] بندار رحمه الله قال: كان لنا جارٌ، وكان يقرأ القرآن، وكان حسن الصوت، رأيته عند يعقوب الجرمي فجاور رجلاً فقال: إن لم يكن القرآن مخلوقاً فنزع الله كل آية في كتابه من صدري، فأصبح وما يقرأ من كتاب الله تعالى حرفاً واحداً. قال: فكان إذا سمع قارئاً في المسجد تكلم به قال: لا أستطيع، ويقول كلاماً معروفاً. قال: ومات على هذه الحال.

قال بندار: كتب إليَّ إسحاق بن راهويه يسألني عن هذا الحديث، فكتبت إليه.

قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سالماً لرجل﴾ أي: ضرب الله لعُبّاد الأصنام مثلاً مثل رجل، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، فـ«رجلاً» بدل من قوله: «مثلاً فيه شركاء»[3].

«متشاكسون»: مختلفون كل واحد منهم يدعي أنه عبده، فهم يتجاذبون عنان التصرف فيه على حسب أهوائهم واختلاف أغراضهم وآرائهم، فأصبح مُتشعِّب

---

(١) في الأصل: الأهر. والصواب ما أثبتناه. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٨٩)، وذيل التقييد (١/ ٤٣٩).

(٢) في الأصل زيادة قوله: بن. وهو خطأ. وقوله: «بندار» لقب لمحمد بن بشار. وقد تقدمت ترجمته.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢١٥).

الهموم، مُتقسم الفكر.

«ورجلاً» عطف على الأول، أي: ومثل رجل، «سالم لرجل»: خالص لرجل واحد، فهو مجتمع الهِمّ، سليم مما يوجب توزع فكره، مقتصر على خدمة سيد واحد.

﴿هل يستويان مثلاً﴾ أي: صفة، أي: هل يستوي صفتاهما وحالاهما.

قال ثعلب: إنما قال: «هل يستويان مثلاً» ولم يقل: «مَثَلَيْنِ»؛ لأنهما جميعاً ضُربَا مثلاً واحداً، ومثله: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾(١) [المؤمنون:٥٠].

وقال الزمخشري(٢): إنما اقتصر في التمييز على الواحد؛ لبيان الجنس. وقرئ: «مثلين»؛ كقوله تعالى: ﴿وأكثر أموالاً وأولاداً﴾ [التوبة:٦٩] مع قوله تعالى: ﴿أشد منهم قوة﴾، وهذا مثل العبد المؤمن والعبد الكافر في عبادة هذا إلهاً واحداً، وفي عبادة هذا آلهة شتى.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «ورَجُلاً سَالِماً لرجُل» بألف مع كسر اللام، وقرأ الباقون: «سَلَماً» بفتح اللام من غير ألف(٣).

وقرأتُ لعبد الوارث عن أبي عمرو: « ورَجُلٌ سالمٌ» بالرفع على الابتداء(٤)، على معنى: وهناك رجل سالم لرجل.

(١) انظر: زاد المسير (٧/ ١٨٠-١٨١).

(٢) الكشاف (٤/ ١٢٩).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢١-٦٢٢)، والكشف (٢/ ٢٣٨)، والنشر (٢/ ٣٦٢)، والإتحاف (ص:٣٧٥)، والسبعة (ص:٥٦٢).

(٤) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ١٨٠)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ١٥).

﴿الحمد لله﴾ قال الماوردي[1]: يحتمل وجهين:

أحدهما: على احتجاجه بالمثل الذي خصم به المشركين.

الثاني: على هدايته التي أعان بها المؤمنين.

﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ فيشركون به غيره، أو لا يعلمون المثل المضروب.

قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ إن قيل: ما الحكمة في إخباره بموته وهو يعلمه حقيقة؟

قلتُ: هو فيه حِكَم:

أحدها: الحث على العمل.

الثانية: تقصير الأمل.

الثالثة: الإيذان بقرب الأجل، حيث أتى به في صيغة الحال.

الرابعة: أن المشركين كانوا يتربصون به ﷺ الموت، فأخبرهم أن الموت وصفٌ شاملٌ له ولهم، فلا معنى لانتظاره له دونهم.

الخامسة: توطئة نفسه الكريمة ﷺ على الموت.

السادسة: إعلام المؤمنين أن هذا الرسول الكريم ﷺ على ربه لم يوجب له اختصاص بوصف الامتياز على العالمين فضلاً عليهم في الخلود والبقاء الدائم.

﴿ثم إنكم﴾ أنتم وإياهم -غلب المخاطب- ﴿يوم القيامة عند ربكم﴾ الذي لا يخفى عليه خافية ﴿تختصمون﴾ فيحتج عليهم بالبلاغ، ويحتجون هم بما لا حجة فيه من الاقتداء بالآباء والكبراء.

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ١٢٤).

وقال ابن عباس: يتخاصم الصادق والكاذب، والمظلوم والظالم، والمهتدي والضال، والضعيف والمتكبر[١].

وقال إبراهيم النخعي: لما نزلت هذه الآية قالت الصحابة: ما خصومتنا ونحن إخوان؟ فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا: هذه خصومتنا[٢].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدّق به﴾ قال علي عليه السلام وأبو العالية وابن السائب: «الذي جاء بالصدق»: رسول الله ﷺ، «وصدّق به»: أبو بكر رضي الله عنه[٣].

وقال ابن عباس: هو رسول الله ﷺ جاء بلا إله إلا الله وصدق به[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٢٧) وعزاه لابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٢٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن عساكر.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٢٨) وعزاه لابن جرير والباوردي في معرفة الصحابة وابن عساكر من طريق أسيد بن صفوان عن علي بن أبي طالب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٢٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

وقال مجاهد في رواية الليث عنه: «الذي جاء بالصدق»: رسول الله ﷺ، «وصدّق به»: علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

وقال قتادة: «الذي جاء بالصدق»: رسول الله ﷺ، «وصدّق به»: المؤمنون[٢].

وقال عطاء: «الذي جاء بالصدق»: الأنبياء، «وصدّق به»: الأتباع[٣].

ويدل عليه قراءة ابن مسعود وأبي العالية: «والذي جاؤوا بالصدق وصدقوا به»[٤].

وقال السدي: «الذي جاء بالصدق»: جبريل جاء بالقرآن، «وصدّق به»: محمد ﷺ[٥].

وقرأ أبو صالح الكوفي السمان ومحمد بن جحادة: «وصَدَقَ به» بالتخفيف[٦]، على معنى: وصَدَقَ به الناس ولم يكذبهم به، يعني: أدَّاه إليهم كما نزل إليه من غير تحريف.

قوله تعالى: ﴿الذي﴾ هاهنا اسم جنس، يدل عليه قوله: ﴿أولئك هم المتقون﴾، ومثله:

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٢٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣).

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٧٩).

(٤) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر المحيط (٧/ ٤١١)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ١٥).

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٢٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٦) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٤١٢)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ١٦).

إنّ الذي حَانَتْ بفلْجٍ دماؤُهُم   هُمُ القومُ كُلُّ القومِ يا أمَّ خالد[1]

قوله تعالى: ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا﴾ اللام من صلة قوله تعالى: ﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم﴾. وقيل: هو لام القسم، التقدير: والله ليكفرن الله عنهم، فكُسرت اللام وحذفت النون. والمعنى: أسوأ الذي عملوا قبل الإيمان والتوبة.

وقيل: أسوأ الذي عملوا من الصغائر؛ لأنهم يتقون الكبائر. ذكر هذين الوجهين الماوردي[2].

ولا معنى للأول؛ لأن مدلوله أن المصدق لا يعمل عملاً يوصف بالاستواء، ولا للثاني لأنه مُشعر أن المصدّق لا يقع في كبيرة.

والمعنى: أن الله تعالى يكفر عنهم أسوأ أعمالهم، فما ظنك بغير الأسوأ.

وقيل: الذي فرط منهم هو عندهم الأسوأ؛ لاستعظامهم المعصية، والحسَن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن؛ لحسن إخلاصهم فيه؛ فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ

(١) تقدم.

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ١٢٧).

أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ يعني: محمداً ﷺ.

وقرأ حمزة والكسائي: «عباده»[1]، يريد: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقرأ سعد بن أبي وقاص وأبو عمران: «بكافي» بياء من غير تنوين، «عَبْدِهِ» بالجر على الإضافة[2]، ومثلهما قرأ أُبيّ بن كعب وأبو العالية وأبو الجوزاء والشعبي، إلا أنهم قرؤوا «عباده» على الجمع[3].

وقرأ ابن مسعود وأبو رجاء: «يُكافي» بياء مضمومة قبل الكاف وياء ساكنة بعد الفاء، «عِبَادَهُ»: بالنصب مع الجمع[4].

﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ وذلك أن كفار قريش قالوا: يا محمد ما تزال تذكر آلهتنا وتعيبها، فاتق أن تصيبك بسوء، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿هل هن كاشفات ضره﴾ وقرأ أبو عمرو: «كاشفاتٌ وممسكاتٌ» بالتنوين فيهما، «ضُرَّهُ ورحْمَتَه» بالنصب فيهما؛ لأنه أمر منتظر، وما لم يقع من أسماء

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٢)، والكشف (٢/ ٢٣٩)، والنشر (٢/ ٣٦٢-٣٦٣)، والإتحاف (ص:٣٧٥)، والسبعة (ص:٥٦٢).

(٢) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ١٨٤)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ١٦).

(٣) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير، الموضع السابق.

(٤) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير، الموضع السابق، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ١٦).

الفاعلين أو كان في الحال فالوجه فيه التنوين والنصب؛ لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال يعمل عمل الفعل.

وقرأ الباقون بغير تنوين وبالجر في الجملتين على الإضافة[١]؛ طلباً للخفة والتنوين مراد، ولذلك لا يتعرّف اسم الفاعل وإن أضيف إلى معرفة.

قال صاحب الكشاف[٢]: إن قلت: لم قيل: «كاشفات» و«ممسكات» على التأنيث بعد قوله تعالى: ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾؟

قلتُ: أنثهن وكنّ إناثاً، وهنّ اللات والعزى ومناة، [قال الله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى * ومناة][٣] الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى﴾ [النجم:١٩-٢١] [ليضعفها][٤] ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وإمساك الرحمة؛ لأن الأنوثة من باب اللين والرخاوة، كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة، كأنه قال: الإناث اللاتي هنّ اللات والعزى ومناة أضعف مما تَدَّعون [لهن][٥] وأعجز. وفيه [تهكم][٦] أيضاً.

قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤١-٣٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٣)، والكشف (٢/ ٢٣٩)، والنشر (٢/ ٣٦٣)، والإتحاف (ص:٣٧٦)، والسبعة (ص:٥٦٢).

(٢) الكشاف (٤/ ١٣٢).

(٣) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: لضعفها. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: لهم. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: تهكيم.

يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ مُفسر في الأنعام[١].

وما بعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ أي: يقبضها عند فناء أجلها، ﴿والتي لم تمت﴾ أي: ويتوفى التي لم تمت ﴿في منامها﴾ وسماهُ وفاة على وجه التشبيه للنائمين بالموتى، ومنه قوله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ [الأنعام:٦٠].

قال الزجاج[٢]: المتوفى وفاة الموت هو الذي قد فارقته النفس التي تكون بها الحياة والحركة، والنفس التي تميز بها، والتي تتوفى في النوم نفس [التمييز][٣] وحدها لا نفس الحياة التي إذا زالت زال معها النَّفَس، والنائم يتنفَّس.

وقال ابن عباس: في ابن آدم نفس وروح، فالنفس العقل والتمييز، وبالروح النفس والتحريك، فإذا نام العبد قبض الله تعالى نفسه ولم يقبض روحه[٤].

---

(١) عند الآية رقم: ١٣٥.

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٥٦).

(٣) في الأصل: التميز. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٨٦).

وقال ابن جريج: في ابن آدم نفس وروح بينهما حاجز، والله تعالى يقْبِضُ النَّفْسَ عند النوم ثم يَرُدُّها إلى الجسد عند الانتباه، فإذا أراد إماتة العبد في نومه لم [يَرُدَّ][1] النَّفْسَ وقَبَضَ الروح[2].

وقال سعيد بن جبير: إن الله تعالى يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا، وأرواح الأحياء إذا ناموا، فيتعارف ما شاء الله أن يتعارف، ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ فلا يعيدها، ﴿ويرسل الأخرى﴾ فيعيدها[3].

وذهب بعض العلماء إلى أن التوفي المذكور في حق النائم هو نومه، وهو اختيار الفراء[4] وابن الأنباري.

فعلى هذا؛ معنى توفي النائم: قبض نفسه عن التصرف، وإرسالها: إطلاقها باليقظة في التصرف.

قرأ حمزة والكسائي: «قُضِيَ» بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء على ما لم يُسمّ فاعله، «الموتُ» بالرفع. وقرأ الباقون «قَضَى» بفتح القاف والضاد، «الموتَ» بالنصب[5]، حملاً على قوله: ﴿ويرسل الأخرى﴾[6] في بناء الفعل للفاعل.

---

(١) في الأصل: يردد. والتصويب من زاد المسير (٧/ ١٨٦).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٨٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٩). وذكره الماوردي (٥/ ١٢٨-١٢٩).

(٤) معاني الفراء (٢/ ٤٢٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٤)، والكشف (٢/ ٢٣٩)، والنشر (٢/ ٣٦٣)، والإتحاف (ص:٣٧٦)، والسبعة (ص:٥٦٢-٥٦٣).

(٦) في الأصل زيادة قوله: ليسجد.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا﴾ «أمْ» هاهنا منقطعة، ﴿من دون الله شفعاء﴾ يعني: الأصنام، فإنهم كانوا يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ﴿قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾ [وجواب هذا الاستفهام][(١)] محذوف، تقديره: [أتتخذونهم][(٢)] شفعاء.

قوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده﴾ أي: أُفرد بالذِّكْر دون آلهتهم ﴿اشمأزت﴾. قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: انقبضت[(٣)]، ﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾.

وقال ابن عباس أيضاً: نَفَرَتْ عن التوحيد[(٤)].

﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾ وهم آلهتهم، ذُكر الله تعالى معهم أو لم يذكر ﴿إذا هم يستبشرون﴾.

---

(١) في الأصل: وحرا. والتصويب والزيادة من الوسيط (٣/ ٥٨٤)، وزاد المسير (٧/ ١٨٧).

(٢) في الأصل: أتتخذومهم.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٥٥٩)، والطبري (٢٤/ ١٠). وذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ١٣٥)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٣٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

(٤) ذكره الطبري (٢٤/ ١٠)، والماوردي (٥/ ١٢٩) كلاهما بلا نسبة.

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض﴾ أي: يا فاطر. وقد سبق تفسيرها.

كان الربيع بن خثيم قليل الكلام، فلما قتل الحسين عليه السلام قالوا: اليوم يتكلم، فلما أخبروه بقتله لم يزد على قراءة هذه الآية[١].

قوله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ أي: ظهر لهم من سخطه وعذابه ما لم يكن في حسابهم.

وقيل: عملوا أعمالاً حسبوها حسنات، فإذا هي سيئات.

جزع محمد بن المنكدر عند موته، فقيل له: [لم تجزع][٢]؟ فقال: أخشى آية من كتاب الله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾[٣].

سمعت شيخنا أبا محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة رضي الله عنه يقول: أخبرنا الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني في كتابه، أخبرنا عبدالرزاق بن محمد بن الشرابي، [أنا سعيد بن محمد بن سعيد الولي، أنا علي بن أحمد بن علي

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٦/ ١٩٠).

(٢) زيادة من المصادر التالية.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٤٦). وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ١٤٤).

الواقدي][1]، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى قال: سمعت أبي يقول: سمعت محمد بن إسحاق السراج يقول: سمعت محمد بن خلف يقول: حدثني يعقوب بن يوسف قال: كان الفضيل بن عياض إذا علم أن ابنه علياً خلفه -يعني: في الصلاة- مرَّ ولم يقف ولم يخوّف، وإذا علم أنه ليس خلفه تنوّق[2] في القرآن وحزن وخوّف، فظنَّ يوماً أنه ليس خلفه، فأتى على ذكر هذه الآية: ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين﴾ [المؤمنون:١٠٦] قال: فخرَّ عليّ مغشياً عليه، فلما علم أنه خلفه وأنه قد سقط، تجوّز في القراءة، فذهبوا إلى أمه فقالوا: أدركيه، فجاءت فرشَّتْ عليه ماء فأفاق، فقالت لفضيل: أنت قاتل هذا الغلام عَلَيَّ، فمكث ما شاء الله فظنَّ أنه ليس خلفه، فقرأ: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ فخرّ ميتاً، وتجوّز [أبوه][3] في القراءة، وأُتيت أمه فقيل لها: أدركيه، فجاءت فرشَّت عليه ماء فإذا هو ميت رحمه الله تعالى[4].

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ

---

(١) زيادة من كتاب التوابين (ص:٢٠٩).

(٢) تنوّق في الأمر: تأنّق فيه وتجوّد (اللسان، مادة: نوق).

(٣) زيادة من كتاب التوابين (ص:٢٠٩).

(٤) أخرجه ابن قدامة في كتاب التوابين (ص:٢٠٩).

ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا مس الإنسان ضر دعانا﴾ قال مقاتل[1]: هو أبو حذيفة بن المغيرة. وقد سبق في هذه السورة نظيره.

﴿ثم إذا خولناه نعمة منا﴾ مُفسّر في أوائل هذه السورة أيضاً.

﴿قال إنما أوتيته﴾ أي: أتيت الإنعام أو شيئاً من النعمة.

وقيل: «إنما» موصولة لا كافة، فرجع الضمير إليها، على معنى: الذي أوتيته على علم.

وقد سبق تفسيره في قصة فرعون في سورة القصص[2].

﴿بل هي﴾ يريد: النعمة ﴿فتنة﴾ ابتلاء وامتحان، أيشكُر أم يكفُر؟.

وقرئ: «بل هو فتنة»[3] حملاً على «إنما أوتيته».

وقيل: «بل هي» يريد: الكلمة أو المقالة التي قالها فتنة.

﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أنهم مستدرجون أو مفتونون.

قال صاحب الكشاف[4]: إن قلت: ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٣٦).

(٢) عند الآية رقم: ٧٨.

(٣) ذكر هذه القراءة الزمخشري في: الكشاف (٤/ ١٣٦).

(٤) الكشاف (٤/ ١٣٦-١٣٧).

وعطف مثلها في أول السورة بالواو؟

قلتُ: السبب في ذلك: أن هذه وقعت مسببة عن قوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت﴾ [الزمر:٤٥] على معنى: أنهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى ويستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مسّ أحدهم ضرٌّ دعا من اشمأز من ذِكْرِه، دون من استبشر بذِكْرِه، وما بينهما من الآي اعتراض.

وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة، وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو؛ كقولك: قام زيد وقعد عمرو.

قوله تعالى: ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ أي: قد قال هذه الكلمة أو هذه المقالة أو هذه الجملة من الكلام الذين من قبلهم.

وقرئ: «قاله الذين من قبلهم»[1]: قارون وقومه، حيث قال: ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾ [القصص:٧٨] وقومه راضون بها، فكأنهم قالوها.

وقال السدي: هم الأمم الماضية[2].

يشير إلى أن فيهم من قال مثل هذه المقالة.

﴿فما أغنى عنهم﴾ «ما» نافية أو استفهامية ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من متاع الدنيا ويجمعون منه.

قوله تعالى: ﴿والذين ظلموا من هؤلاء﴾ أي: من مشركي مكة وأضرابهم ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ أي: جزاء سيئاتهم كما أصاب الذين من قبلهم، فأصابهم ذلك يوم بدر بقتل صناديدهم وحبس القطر عنهم سبع سنين، ثم بسط

---

(١) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٤١٦)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ١٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٣٤) وعزاه لابن جرير.

لهم الرزق فمطروا سبع سنين، فذلك قوله تعالى: ﴿أو لم يروا ... الآية﴾.

۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ أي: جَنُوا عليها بالإسراف في المعاصي والغُلوّ فيها.

﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا إسماعيل البخاري، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم، قال يعلى: إن سعيد بن جبير أخبرهم عن ابن عباس: «أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا

كفارة، فنزلت: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ [الفرقان:٦٨]، ونزل قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾»[١].

وقال ابن عمر: نزلت في عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، ونفر من المسلمين كانوا بمكة وكانوا قد أسلموا ثم عُذبوا فافتتنوا، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: لا يَقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً، قوم تركوا دينهم لعذاب عُذبوه، [فنزلت][٢] هذه الآية، فكتب بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه إليهم فأسلموا وهاجروا[٣].

وقيل: نزلت في وحشي، قاتل حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه[٤].

وهذه الآية من أرجى الآيات المؤذنة برحمة الله تعالى.

ويروى: أن رسول الله ﷺ قال حين نزلت: ما أحبُّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية[٥].

وقال علي عليه السلام: ما في القرآن آية أوسع من ﴿يا عبادي الذين أسرفوا ... الآية﴾[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١١ح٤٥٣٢)، ومسلم (١/ ١١٣ ح١٢٢).

(٢) زيادة من مصادر التخريج.

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٥). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٣٧) وعزاه لابن جرير.

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٣٨٥).

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥ ح٢٢٤١٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٦). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٣٧-٢٣٨) وعزاه لابن جرير.

وقال ابن مسعود: إن أكثر آية في القرآن فرجاً هذه الآية[١].

قوله تعالى: ﴿وأسلموا له﴾ أي: أخلصوا له التوحيد واخضعوا له.

﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم﴾ مفسر في الأعراف في قوله تعالى: ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ [الأعراف:١٤٥].

قوله تعالى: ﴿أن تقول نفس﴾ قال المبرد: المعنى: بادروا قبل أن تقول، واحذروا من أن تقول[٢].

وقال غيره: كراهة أن تقول نفس[٣].

﴿يا حسرتا﴾ وقرأتُ لأبي جعفر: «يا حسرتايَ» بألف بعد التاء وياء مفتوحة[٤].

وقرأ الحسن وأبو العالية: «يا حسرتي» بكسر التاء وسكون الياء على الأصل[٥]. والمعنى: يا ندامتي احضري، فهذا أوانك.

﴿على ما فرطت في جنب الله﴾ «ما» مصدرية.

قال الحسن: في طاعة الله[٦].

وقال سعيد بن جبير: في حق الله[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٥).

(٢) انظر قول المبرد في: زاد المسير (٧/ ١٩٢).

(٣) قاله الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٣٩).

(٤) النشر (٢/ ٣٦٣)، والإتحاف (ص:٣٧٦).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧٦).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٨٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩٢).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩٢).

وقال مجاهد والزجاج: في أمر الله[1]. وأنشدوا للسابق البربري:

أما تتقينَ اللهَ في جَنْبِ [وَامِقٍ][2] له كبدٌ حرّى عليكِ تَقَطَّع[3]

وقال الفراء[4]: الجنب: القرب، أي: على ما [فرطت][5] في قُرب الله وجواره.

يقال: فلان يعيش في جنب فلان، أي: في قُربه وجواره[6].

فعلى هذا؛ يكون المعنى: على ما فرطت في طلب قُرب الله، وهو الجنة.

﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ قال الزجاج[7]: أي وما كنت إلا من المستهزئين.

قال قتادة: لم يكفه أن يضيع طاعة الله حتى سَخِرَ من أهلها[8].

قال الزمخشري[9]: ومحل «إن كنت» النصب على الحال، كأنه قال: [فرطت][10] وأنا ساخر، أي: فرطت في حال سخريتي.

﴿أو تقول لو أن الله هداني﴾ أرشدني ﴿لكنت من المتقين﴾.

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٥٥٩)، والطبري (٢٤/ ١٩). وانظر: معاني الزجاج (٤/ ٣٥٩).

(٢) في الأصل: وابق. والمثبت من الكشاف (٤/ ١٣٩). وفي بقية المصادر: عاشق.

(٣) البيت لسابق البربري، من شعراء الحماسة، وهو في: البحر (٧/ ٤١٨)، والدر المصون (٦/ ٢٠)، وروح المعاني (٢٤/ ١٧)، والكشاف (٤/ ١٣٩)، ونسبه القرطبي (١٥/ ٢٧١) لكثير، ونُسب أيضاً لجميل بن معمر، انظر ديوانه (ص:٧٣).

(٤) انظر قول الفراء في: الوسيط (٣/ ٥٨٨)، وزاد المسير (٧/ ١٩٢).

(٥) في الأصل: فطت. والصواب ما أثبتناه.

(٦) انظر: اللسان (مادة: جنب).

(٧) معاني الزجاج (٤/ ٣٥٩).

(٨) أخرجه الطبري (٢٤/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٤١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٩) الكشاف (٤/ ١٤٠).

(١٠) في الأصل: فرط. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

﴿أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾.

قال الزجاج[١]: قوله: ﴿بلى﴾ جواب النفي، وليس في الكلام لفظ النفي.

ومعنى: «لو أن الله هداني» و «لو أن لي كَرَّة»: ما هُديت، فقيل له: ﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾.

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء اللغوي رحمه الله تعالى للكسائي من رواية ابن أبي سريج عنه: «جاءتكِ، فكذبتِ، واستكبرتِ، وكنتِ» بكسر الكاف والتاء فيهن، على المخاطبة للنفس. وهي قراءة عائشة رضي الله عنها[٢].

قال الزجاج[٣]: رُويت عن النبي ﷺ.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٥٩).

(٢) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ١٩٣)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ٢١).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٦٠).

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾ أي: زعموا أن له [ولداً أو شريكاً](١).

وقال الحسن: هم الذين يقولون إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل(٢).

﴿وجوههم مسودة﴾ مبتدأ وخبر في موضع الحال، أو مفعول ثان إن [كان](٣) «ترى» من رؤية القلب(٤).

والأول أجود.

قال الزجاج(٥): ويجوز «وجوهَهُم مسودةً» بالنصب على البدل من «الذين كذبوا». المعنى: ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودةً.

قوله تعالى: ﴿ويُنجّي الله الذين اتقوا﴾ وقرأتُ ليعقوب من رواية أبي حاتم وروح: [«ويُنْجِي»](٦) بالتخفيف(٧).

﴿الذين اتقوا بمفازتهم﴾ وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: «بمَفَازَاتِهِمْ» على الجمع(٨).

---

(١) في الأصل: ولد أو شريك. وهو لحن.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩٣).

(٣) في الأصل: كا. والمثبت من الكشاف (٤/ ١٤٢).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢١٥)، والدر المصون (٦/ ٢١).

(٥) معاني الزجاج (٤/ ٣٦٠).

(٦) في الأصل: وننجي. وانظر المصادر التالية.

(٧) النشر (٢/ ٢٥٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٢١٠، ٣٧٦).

(٨) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص: ٦٢٤)، والكشف (٢/ ٢٤٠)، والنشر =

قال أبو علي[1]: حجة من قرأ على الإفراد: أن المفازة والفوز واحد، وإفراد المفازة كإفراد الفوز من حيث إنه مصدر.

ووجه من قرأ على الجمع: أن المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناسها، ومثله في الجمع والإفراد قوله تعالى: ﴿على مكانتكم﴾ [الأنعام:١٣٥] و«مكاناتكم».

وقال الزمخشري[2]: قرئ: «بمفازاتهم» على أن لكل مُتَّق مفازة.

قوله تعالى: ﴿لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾ تفسير للمفازة، كأنه قيل: وما مفازتهم؟ فقيل: لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون، أي: ننجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم، من قوله تعالى: ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ [آل عمران:١٨٨] أي: بمَنْجَاةٍ منه.

فإن قلت: ما محل «لا يمسهم» من الإعراب على التفسيرين؟

قلتُ: أما على الأول فلا محل له. وأما على الثاني فمحله النصب على الحال.

قوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ قال الزجاج وابن قتيبة وغيرهما من أهل اللغة والمفسرين[3]: المقاليد: المفاتيح.

يريد: أن كل شيء من السموات والأرض فالله خالقه ومالكه وفاتح بابه، ولا

=

(٢/ ٣٦٣)، والإتحاف (ص:٣٧٦)، والسبعة (ص:٥٦٣).

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٢).

(٢) الكشاف (٤/ ١٤٢).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٥٦٠)، والطبري (٢٤/ ٢٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٤٣، ٢٤٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وطرق أخرى كثيرة، فانظرها، والزجاج في معاني القرآن (٤/ ٣٦١)، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (ص:٣٨٤).

واحد للمقاليد من لفظها.

وقيل: واحدها: مِقْلِيد، ويقال: إِقْلِيد، والكلمة أصلها فارسية وعرَّبتها العرب[1].

(١) اختلف العلماء والأئمة في وقوع المعرَّب في القرآن الكريم، فالأكثرون -كما يقول الإمام السيوطي في كتابه الإتقان- ومنهم الإمام الشافعي وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس على عدم وقوعه فيه، لقوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾، وقوله تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي﴾، وقد شدد الشافعي النكير على القائل بذلك.
وقال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين. فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول.
وقال ابن فارس: لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها.
وقال ابن جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك، إنما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد.
وقال غيره: بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم، فعلقت من لغاتهم ألفاظاً غيرت بعضها بالنقص من حروفها، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن.
وقال آخرون: كل هذه الألفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متسعة جداً ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلة. وقد خفي على ابن عباس معنى فاطر وفاتح، قال الشافعي في الرسالة: لا يحيط باللغة إلا نبي. وقال أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك: إنما وجدت هذه الألفاظ في لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظاً. ويجوز أن يكونوا سبقوا إلى هذه الألفاظ. وذهب آخرون إلى وقوعه فيه. وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾ بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية. وعن قوله تعالى: ﴿أأعجمي وعربي﴾ بأن المعنى من السياق: أكلام أعجمي ومخاطب عربي. واستدلوا باتفاق النحاة على أن في غيرها موجه بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس.
=

وأقوى ما رأيته للوقوع وهو اختياري ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان. وروى مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه. فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبأ كل شيء، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاكته بكل شيء، فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب.

ثم رأيت ابن النقيب صرح بذلك فقال: من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم، لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير انتهى.

وأيضاً فالنبي ﷺ مرسل إلى كل أمة، وقد قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم وإن كان أصله بلغة قومه هو. وقد رأيت الجويني ذكر لوقوع المعرب في القرآن فائدة أخرى فقال: إن قيل إن: «استبرق» ليس بعربي وغير العربي من الألفاظ دون الفصاحة والبلاغة فنقول: لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك، وذلك لأن الله تعالى إذا حث عباده على الطاعة، فإن لم يرغبهم بالوعد الجميل ويخوفهم بالعذاب الوبيل لا يكون حثه على وجه الحكمة، فالوعد والوعيد نظراً إلى الفصاحة واجب. ثم إن الوعد بما يرغب فيه العقلاء وذلك منحصر في أمور الأماكن الطيبة ثم المآكل الشهية ثم المشارب الهنية ثم الملابس الرفيعة ثم المناكح اللذيذة ثم ما بعده مما يختلف فيه الطباع، فإذا ذكر الأماكن الطيبة والوعد به لازم عند الفصيح، ولو تركه لقال من أمر بالعبادة ووعد عليها وبالأكل والشرب إن الأكل والشرب لا ألتذ به إذا كنت في حبس أو موضع كريه، فلذا ذكر الله الجنة ومساكن طيبة فيها، وكان ينبغي أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها، وأرفع الملابس في الدنيا الحرير. وأما الذهب فليس مما ينسج منه ثوب، ثم إن الثوب من غير الحرير لا يعتبر فيه الوزن والثقل وربما يكون الصفيق الخفيف أرفع من الثقيل الوزن. وأما الحرير فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع، فحينئذ وجب على الفصيح أن يذكر الأثقل الأثخن ولا يتركه في الوعد لئلا يقصر في الحث والدعاء. ثم إن هذا الواجب الذكر إما أن يذكر بلفظ واحد موضوع له صريح، أو لا يذكر بمثل هذا، ولا شك أن الذكر باللفظ الواحد الصريح أولى لأنه =

قال المفسرون: مقاليد السموات: المطر، ومقاليد الأرض: النبات[١].

﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ مُتصل بقوله: ﴿وينجي الله الذين اتقوا﴾، وما بينهما اعتراض.

﴿قل﴾ يا محمد لكفار قريش وغيرهم: ﴿أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ و«غير» منصوب بـ«أعبد» لا بـ«تأمروني»[٢]، والتقدير: أتأمروني أن أعبد غير الله، فحذف «أنْ» ورفع الفعل، كما في قوله:

.... أحْضُرُ الوغى ....[٣]

=

أوجز وأظهر في الإفادة وذلك إستبرق، فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه، لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة، ولا يجد العربي لفظاً واحداً يدل عليه لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ولم يكن لهم بها عهد ولا وضع في اللغة العربية للديباج الثخين اسم، وإنما عربوا ما سمعوا من العجم واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده عندهم وندرة تلفظهم به. وأما إن ذكره بلفظين فأكثر فإنه يكون قد أخل بالبلاغة، لأن ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ تطويل، فعلم بهذا أن لفظ: «إستبرق» يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه، وأي فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله؟ انتهى.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية: والصواب عندي فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فصادق. ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون. (انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ٣٩٣-٣٩٦).

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩٤).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢١٦)، والدر المصون (٦/ ٢٢).

(٣) تقدم.

والدليل على صحة هذا: قراءة من قرأ «أعْبُدَ» بالنصب[١].

وقال أبو علي[٢]: «تأمروني» يقتضي مفعولين، والياء المفعول الأول، و«غير» مفعول ثان. و«أعبد» في تقدير: أن أعْبُدَ، في موضع البدل من «غير».

قرأ نافع: «تَأْمُرُوني» بنون واحدة مخففة. وقرأ ابن عامر بنونين خفيفتين. وقرأ الباقون بنون واحدة مشددة[٣].

فمن أظهر النون فعلى الأصل؛ لأن النون الأولى من علامة رفع الفعل، والثانية هي التي تصحب ياء المتكلم مع الفعل، ومن شدَّد أدغم الأولى في الثانية لاجتماع المثلين.

[فإن قيل][٤]: كيف جاز الإدغام وقبله حرف ساكن وهو الواو؟

قلتُ: هو حرف مدّ ولِين، والمد الذي فيه ينوب مناب الحركة.

ومن قرأ بنون واحدة حذف إحدى النونين؛ لاجتماع المثلين، والمحذوفة هي التي تصحب ياء المتكلم؛ لأن التكرير والتثقيل بها وقع.

ولأن حذف الأولى لحن؛ لأنها دلالة الرفع.

وكلهم سَكّن الياء، إلا ابن كثير ونافعاً فإنهما فتحاها[٥].

---

(١) ذكر هذه القراءة السمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ٢٢)، وأبو حيان في: البحر (٧/ ٤٢١).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٣-٣٤٤).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٥)، والكشف (٢/ ٢٤٠)، والنشر (٢/ ٣٦٣-٣٦٤)، والإتحاف (ص:٣٧٦-٣٧٧)، والسبعة (ص:٥٦٣).

(٤) في الأصل: فاقيل.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٥)، والكشف (٢/ ٢٤٠)، والنشر (٢/ ٣٦٣-٣٦٤)، والإتحاف (ص:٣٧٦-٣٧٧)، والسبعة (ص:٥٦٣).

قوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ وقرأتُ ليعقوب من رواية أبي حاتم وزيد عنه: «لنُحْبطَنَّ» بنون مضمومة مع كسر الباء، «عَمَلَكَ» بالنصب[(١)]، وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولقد أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله.

قال ابن عباس: هذا أدب من الله لنبيه ﷺ وتهديد لغيره؛ لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك[(٢)].

وقيل: إنما خاطبه بذلك؛ ليعرف من دونه أن الشرك يحبط الأعمال المتقدمة كلها ولو وقع من نبي.

واللام الأولى في «لئن أشركتَ» موطئة للقَسَم، والثانية لام جواب، وهذا الجواب سادّ مسدّ جوابي الشرط والقسم.

﴿بل الله فاعبد﴾ لا ما أمروك به من طواغيتهم. و«اللهَ» منصوب بـ«أعْبُد»[(٣)].

قال الزجاج[(٤)]: هو إجماع في قول الكوفيين والبصريين، والفاء جاءت على معنى المجازاة، المعنى: قد تَبيَّنْتَ فاعبُدِ الله.

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ١٩٥)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ٢٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩٥).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٣).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٦١).

قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قَدْرِه﴾ أي: ما عَظَّمُوه حَقَّ تعظيمه.

قال الزجاج[١]: ويقرأ «قَدَرِه» بفتح الدال. قال[٢]: والقَدْر والقَدَر هاهنا بمعنى واحد.

قوله تعالى: ﴿والأرض﴾ يريد: الأرضين، بدليل قوله تعالى: ﴿والسموات﴾، وقوله تعالى: ﴿جميعاً﴾.

ولأنه موضع تعظيم.

وقوله تعالى: ﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال[٣]. المعنى: والأرض إذا كانت مجتمعة.

﴿قبضته يوم القيامة﴾ قال ابن عباس: الأرض والسموات كلها بيمينه[٤].

وقال سعيد بن جبير: السموات [قبضة][٥] والأرض قبضة[٦].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا محمد، حدثنا آدم[٧]، حدثنا

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٦١).

(٢) أي: الزجاج.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢١٦)، والدر المصون (٦/ ٢٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٢٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩٦).

(٥) في الأصل: قبضته. وكذا وردت في الموضع التالي. والتصويب من زاد المسير (٧/ ١٩٧).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٩٧).

(٧) آدم بن أبي إياس واسمه عبد الرحمن بن محمد، ويقال: ناهية بن شعيب الخراساني، أبو الحسن العسقلاني، ثقة مأمون عابد، نشأ ببغداد، وارتحل في الحديث فاستوطن عسقلان إلى أن مات سنة إحدى وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ١٧١، والتقريب ص:٨٦).

شيبان[١]، عن منصور[٢]، عن إبراهيم[٣]، عن عَبيدة[٤]، عن عبدالله[٥] قال: «جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بَدَتْ نواجذه تصديقاً لقول الحَبْر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾»[٦]. وأخرجه مسلم أيضاً.

وبه قال البخاري: حدثنا سعيد ابن عفير[٧]، حدثني الليث[٨]، حدثني

---

(١) شيبان بن عبد الرحمن التميمي مولاهم النحوي، أبو معاوية البصري المؤدب، سكن الكوفة ثم انتقل إلى بغداد، ثقة صدوق صاحب كتاب، مات سنة أربع وستين ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٣٢٦-٣٢٧، والتقريب ص:٢٦٩).

(٢) منصور بن عبد الله بن ربيعة بن عتاب بن فرقد السلمي، أبو عتاب الكوفي، ثقة ثبت، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٧-٢٧٨، والتقريب ص:٥٤٧).

(٣) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل النخعي، أبو عمران الكوفي، ثقة إلا أنه يرسل كثيراً، مات سنة ست وتسعين (تهذيب التهذيب ١/ ١٥٥، والتقريب ص:٩٥).

(٤) هو عبيدة بن عمرو السلماني. تقدمت ترجمته.

(٥) هو ابن مسعود.

(٦) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١٢ ح٤٥٣٣)، ومسلم (٤/ ٢١٤٧ ح٢٧٨٦).

(٧) سعيد بن كثير بن عفير بن مسلم بن يزيد بن الأسود الأنصاري مولاهم، أبو عثمان المصري، وقد ينسب إلى جده، ثقة صدوق عالم بالأنساب وغيرها، مات سنة ست وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ٦٦، والتقريب ص:٢٤٠).

(٨) هو الليث بن سعد. تقدمت ترجمته.

عبدالرحمن بن خالد بن مسافر[١]، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة، أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»[٢].

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي [الأرضين][٣] بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[٤].

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَـٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور﴾ سبق في الأنعام[٥].

---

(١) عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، ويقال: اسم جده ثابت بن مسافر، أبو خالد، ويقال: أبو الوليد الفهمي المصري، أمير مصر، كان ثبتاً في الحديث صدوق، توفي سنة سبع وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ٦/ ١٥٠، والتقريب ص:٣٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١٢ ح٤٥٣٤)، ومسلم (٤/ ٢١٤٨ ح٢٧٨٧).

(٣) في الأصل: الأرض. والتصويب من صحيح مسلم (٤/ ٢١٤٨).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٤٨ ح٢٧٨٨).

(٥) عند الآية رقم: ٧٣.

﴿فَصَعِقَ﴾ وقرأ ابن السميفع: «فَصُعِقَ» بضم الصاد[١]. والمعنى: ماتوا من شدة الفزع.

﴿إلا من شاء الله﴾ مفسر في النمل[٢].

﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ وهي نفخة البعث ﴿فإذا هم﴾ يعني: الخلائق ﴿قيامٌ﴾. وقرئ شاذاً: «قياماً»[٣].

﴿ينظرون﴾ يقلبون أبصارهم نظر المبهوت إذا حل به أمر أزعجه، أو ينظرون ماذا يُفعل بهم.

قوله تعالى: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ أي: أضاءت بما أظهر فيها من الحق والعدل. هذا معنى قول الحسن[٤].

ويحقق ذلك تمام الآية وختمها بنفي الظلم، وكثيراً ما يستعيرون النور للعدل والظلمة للظلم، ومنه الحديث: «الظلم ظلمات يوم القيامة»[٥].

[وللإمام][٦] أحمد رضي الله عنه في أبيات يوصي فيها ابنه يقول:

لا تَلْقَ ربكَ ظالماً لعباده ... فالظلمُ مُشتقٌّ من الظلماء

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في: زاد المسير (٧/ ١٩٧)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ٢٤).

(٢) عند الآية رقم: ٨٧.

(٣) ذكر هذه القراءة أبو حيان في: البحر (٧/ ٤٢٣)، والسمين الحلبي في: الدر المصون (٦/ ٢٥).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٣٦).

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ٨٦٤ ح٢٣١٥)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦ ح٢٥٧٨).

(٦) في الأصل: وللإم.

وقال الثعلبي[1]: قال أكثر المفسرين: بضوء ربها، وذلك حين يبرز الجبار لفصل القضاء بين خلقه.

وقال: ويقال إن الله تعالى يخلق في القيامة نوراً يلبسه وجه الأرض فتشرق الأرض به[2].

ويقال: إن الله يتجلى للملائكة فتشرق الأرض بنوره. وأراد بالأرض: عرصات القيامة.

قوله تعالى: ﴿ووضع الكتاب﴾ قال قتادة: كتاب الأعمال[3].

وقال السدي: الكتاب: الحساب[4].

وقيل: اللوح المحفوظ.

﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ وهم الذين يشهدون للأمم وعليهم.

وقال السدي: الذين استشهدوا في سبيل الله[5].

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

---

(١) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٥٦-٢٥٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٩٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٢). وذكره الماوردي (٥/ ١٣٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٦٢) وعزاه لابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٣). وذكره الماوردي (٥/ ١٣٧).

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ قال الحسن: أفواجاً[(١)].

قال أبو عبيدة[(٢)] والأخفش: جماعات في تفرقة.

قال ابن السائب: أمماً[(٣)].

وقيل: في زُمر.

﴿الذين اتقوا ربهم﴾ هي الطبقات المختلفة؛ الشهداء، والزهاد، والعلماء، والفقراء، أي: كل طائفة على حِدَة.

فإن قيل: ما معنى سَوْق هؤلاء وسَوْق هؤلاء؟

قلتُ: سَوْق الكفار: طردهم إلى النار وزجرهم بأبلغ ما يكون من العنف والهوان ليقتحموا جَراثيم جهنم. وسوق المتقين: سوق مراكبهم إسراعاً بهم إلى ما أعد لهم من الكرامة في الجنة.

فإن قيل: ما الفرق بين قراءة أهل الكوفة: «فُتحت، وفُتحت» بالتخفيف فيهما، وقراءة الباقين بالتشديد؟

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٣٧).

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ١٩١). وانظر: قول الأخفش في: الماوردي (٥/ ١٣٧).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٣٧).

قلتُ: قد ذكرته في الأنعام عند قوله تعالى: ﴿فتحنا عليهم أبواب كـل شيء﴾ فاطلبه هناك[١].

فإن قيل: لم أدخلت الـواو في الموضـع الثـاني وهـو قولـه تعـالى: ﴿وفتحـت أبوابها﴾، وحذفت في الأول؟

قلتُ: هي واو الحال، بتقدير: وقد فتحت أبوابها، يريد: أن المتقين سبقوا إلى الجنة وقد فتحت أبوابها لهم قبل مجيئهم ليتعجلوا السرور والفرح، وأن الكـافرين جاؤوا جهنم وأبوابها مغلقة لم تفتح حتى جاؤوها لتكـون أشـد لحرّهـا وأبلـغ في عذابها.

وقال بعض العلماء: هذه تسمى واو الثمانية، وذلك أن من عادة قريش يعدون العدد من الواحد إلى الثمانية، فإذا بلغوا الثامنة زادوا فيها واواً، فيقولـون: خمـسة، ستة، سبعة، وثمانية. وقد أشرنـا إلى هـذا عنـد قولـه تعـالى: ﴿وثـامنهم كلـبهم﴾ [الكهف:٢٢].

وقيل: الواو زائدة.

فإن قيل: أين جواب ﴿حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها﴾؟

قلتُ: [«فُتِحَت»][٢] إن كانت الواو زائـدة، أو محـذوف إن لم تكـن زائـدة، تقديره: حتى إذا جاؤوها -إلى آخر الآية-: سـعدوا، ويكـون التقـدير: حتـى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها.

---

(١) عند الآية رقم: ٤٤.

(٢) في الأصل: فيجب. وهو خطأ. والصواب ما أثبتناه. انظر: الدر المصون (٦/ ٢٥).

وقال الزجاج[١]: المعنى: ﴿حتى إذا جاؤوها﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فادخلوها خالدين﴾: دخلوها، فيكون الجواب: دخلوها، وحذف؛ لأن في الكلام [دليلاً][٢] عليه.

قوله تعالى: ﴿طبتم﴾ أي: طهرتم من دنس المعاصي في الدنيا.

وقال ابن عباس: طاب لكم المقام[٣].

وقيل: طبتم بالمغفرة.

ويروى عن علي عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: سيقوا إلى أبواب الجنة، حتى إذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة تخرج من تحت ساقها عينان، فعمدوا إلى إحداهما فنظروا فيها فَجَرَتْ عليهم نظرة النعيم، فلن تغير آثارهم بعدها أبداً، ولن تشعث أشعارهم بعدها أبداً، كأنما قد دهنوا بالدهان، ثم عمدوا إلى الأخرى فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو قذى [وتلقتهم][٤] الملائكة على أبواب الجنة: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[٥].

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٦٤).

(٢) في الأصل: دليل. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/ ٥٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠١-٢٠٢).

(٤) في الأصل: وتلقهم.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٢)، وابن المبارك في الزهد (ص:٥٠٩)، والضياء في المختارة (٢/ ١٦١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٦٣-٢٦٤) وعزاه لابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن راهويه وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في صفة الجنة والبيهقي في البعث والضياء في المختارة.

وقد ذكرنا نحو هذا في الأعراف[١].

وقوله: «خالدين» حال مُقَدَّرة.

قوله تعالى: ﴿وأورثنا الأرض﴾ يعني: أرض الجنة. وقد سبق معنى كون ذلك ميراثاً في الأعراف[٢].

﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ أي: نتخذ من المنازل ما شئنا. وما ذاك إلا لسعتها وزيادة منازلها على مقدار حاجة الداخلين إليها.

وحكى أبو سليمان الدمشقي: أن أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة قبل الأمم فينزلون منها حيث شاؤوا، ثم تنزل الأمم بعدهم، فلذلك قالوا: ﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ فيقول الله تعالى: ﴿فنعم أجر العاملين﴾ أي: فنعم ثواب المطيعين [في الدنيا][٣] الجنة[٤].

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ أي: مُحدقين بالعرش. ودخول «مِنْ» للتوكيد.

﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ يُصلّون وينزهون متلذذين بذلك لا مُتعبدين بذلك؛

---

(١) عند الآية رقم: ٤٦.

(٢) عند الآية رقم: ١٣٧.

(٣) زيادة من زاد المسير (٧/ ٢٠٢).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٢).

لأن التكليف قد زال في ذلك الزمان.

﴿وقُضي بينهم﴾ أي: بين العباد.

[وقيل][1]: بين الملائكة، على معنى: فضّل بينهم بتمييز درجاتهم على حسب فضائلهم.

والأول أصح.

﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ هذا قول المؤمنين، حمدوا الله تعالى على خلاصهم من الجحيم وفوزهم بالنعيم.

قال قتادة: فتح أول الخلق بالحمد، فقال تعالى: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ [الأنعام:١]، وختم بالحمد، فقال تعالى: ﴿وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾[2].

وقد ذكر نحوه عن ابن عباس في أول الأنعام.

قال المفسرون: ابتدأ الله تعالى ذكر الخلق بالحمد، وختم غاية الأمر وهو استقرار الفريقين في منازلهم بالحمد؛ تنبيهاً للحق على حمده في بداية كل أمر وخاتمته[3].

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر»[4].

---

(١) في الأصل: قيل.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٦٧) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦١٠ ح١٨٩٤).

سورة المؤمن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي أربع وثمانون آية في المدني وخمس في الكوفي[2]، وهي مكية بإجماعهم.

ويحكى عن ابن عباس وقتادة: أن فيها آيتين نزلتا بالمدينة، وهما قوله تعالى: ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله﴾ والتي بعدها[3].

وقال الزجاج[4]: الحواميم كلها نزلت بمكة.

وفي حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «الحواميم ديباج القرآن»[5].

وقال ابن مسعود: إذا وقعتَ في آل حَمٓ وقعتَ في روضات دمثات أتأنق فيها[6].

وقال ابن سيرين: رأى واحدٌ في المنام سبعَ جوار حِسان في مكان واحد لم يُر أحسن منهن، فقال لهن: لمن أنتن؟ قلن: لمن قرأ آل حَمٓ؟[7].

---

(١) وتسمى سورة غافر.

(٢) انظر: البيان في عد آي القرآن (ص:٢١٨).

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٥٢)، والماوردي (٥/ ١٤١)، وزاد المسير (٧/ ٢٠٤).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٦٥).

(٥) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٦٩) وعزاه لأبي الشيخ وأبي نعيم والديلمي. وقد أخرجه الحاكم (٢/ ٤٧٤ ح٣٦٣٤)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٥٣ ح٣٠٢٨٣) موقوفاً على عبدالله بن مسعود. وديباج القرآن: زينته، وفي القاموس (مادة: دبج): الديباج: النقش.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٥٣ ح٣٠٢٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٦٨) وعزاه لأبي عبيد ومحمد بن نصر وابن المنذر.

(٧) ذكره الثعلبي (٨/ ٢٦٢)، والقرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٨٨) عن محمد بن قيس.

قال ابن الأنباري[١]: العرب تقول: وقع في الحواميم وفي آل حَم، وأنشد أبو عبيدة[٢]:

حلفتُ بالسبع اللواتي طُوّلت وبمئين بعدها قد أمْئيت

وبمثانٍ ثُنّيت فكُرّرت وبالطواسين اللواتي ثُلّثت

وبالحواميم اللواتي سُبّعت [وبالمفصّل اللواتي فُصّلت][٣]

فمن قال: وقع في حَم، جعل حَم اسماً لكلهن، ومن قال: وقع في الحواميم، جعل حَم كأنه حرف واحد بمنزلة قابيل وهابيل.

وقال غيره: من الخطأ أن تقول: قرأتُ الحواميم، وليس من كلام العرب، والصواب: آل حَم.

وأنشدوا للكميت:

وجدنا لكمْ في آل حاميمَ آيةً تأوّلها منا تقيٌّ ومُعْرِبُ[٤]

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ قرأ حمزة والكسائي بإمالة الحاء في الجمع.

---

(١) انظر قول الأنباري في: زاد المسير (٧/ ٢٠٤).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٧).

(٣) زيادة من مجاز القرآن، الموضع السابق.

(٤) البيت للكميت، وهو في: الكتاب (٣/ ٢٥٧)، والطبري (٢٤/ ٤٠)، والبحر (٧/ ٤٢٩)، والدر المصون (٦/ ٢٧)، وزاد المسير (٧/ ٢٠٤)، وروح المعاني (٢٥/ ٣١).

واختلفت الرواية عن ابن عامر؛ فروي عنه الإمالة والتفخيم، [وفخمها][١] الباقون[٢].

قال الزجاج[٣]: فأما الميم فساكنة في قراءة القُرّاء كلهم، إلا عيسى بن عمر فإنه حكي عنه أنه قرأ: "حَمَ" وفتح الميم، وذلك على ضربين:

أحدهما: أن تجعل "حمٓ" اسماً للسورة، فتنصبه ولا تنونه؛ لأنه على لفظ الأسماء الأعجمية، نحو: هابيل وقابيل، ويكون المعنى على قولك: اتل حمٓ يا هذا.

والأجود أن يكون فَتَحَ "حمٓ"؛ لالتقاء الساكنين، حيث جعله اسماً للسورة، ويكون حكاية حرف هجاء.

وقال الزمخشري[٤]: وجه الفتح: التحريك لالتقاء الساكنين، وإيثار أخف الحركات، نحو: أين وكيف، أو النصب بإضمار "اقرأ"، ومنع الصرف للتأنيث والتعريف، أو التعريف وأنها [على زنة][٥] أعجمي، نحو: قابيل وهابيل.

وللمفسرين في معنى حمٓ ثمانية أقوال[٦]:

أحدها: أنه اسم من أسماء الله تعالى أقسم الله تعالى به[٧].

---

(١) في الأصل: فخمها.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٥-٣٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٦-٦٢٧)، والكشف (١/ ١٨٨)، والإتحاف (ص:٣٧٧)، والسبعة (ص:٥٦٦-٥٦٧).

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٦٥).

(٤) الكشاف (٤/ ١٥٢).

(٥) في الأصل: لزنة. والمثبت من الكشاف (٤/ ١٥٢).

(٦) ذكر هذه الأقوال الماوردي في تفسيره (٥/ ١٤١).

(٧) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٥).

الثاني: أن معنى "حَمّ": قضي ما هو كائن(١).

الثالث: أنهما مع انضمام الّر [وحَمّ](٢) ونـون اسـم الـرحمن عـلى الهجـاء(٣).

رويت هذه الأقوال الثلاثة عن ابن عباس.

الرابع: أن الحاء مفتاح اسم حميد، والميم مفتاح مجيد. قاله أبو العالية(٤).

الخامس: أن الحاء مفتاح كل اسم [لله ابتداؤه حاء، مثـل: حكـيم، وحلـيم، وحي. والميم مفتاح كل اسم](٥) أوله ميم، مثل: ملك، ومتكبر، ومجيد، ومهيمن. قاله عطاء الخراساني(٦).

قال محمد بن كعب القرظي: أقسم الله تعالى بحلمه وملكه أن لا يعذب أحداً عاد إليه بقول: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه(٧).

السادس: أن حَمّ اسم من أسماء القرآن. قاله قتادة(٨).

السابع: أنه اسم السورة. قاله الشعبي.

الثامن: أنه اسم محمد ﷺ. قاله جعفر الصادق.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٦).

(٢) زيادة من زاد المسير، الموضع السابق.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٦).

(٤) مثل السابق.

(٥) زيادة من زاد المسير (٧/ ٢٠٦).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٦).

(٧) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢).

(٨) أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٩). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٦).

وفي صحيح البخاري[١]: يقال: حَمّ اسم، يدل عليه قول شريح بن أبي أوفى العبسي:

يُناشدني حَمّ والرمح دونه   فهلاّ تلا حَمّ قبل التقدم[٢]

قوله تعالى: ﴿وقابل التوب﴾ جمع توبة، أو مصدر.

وقال صاحب الكشاف[٣]: التَّوْب والثَّوْب والأَوْب: أخواتٌ في معنى الرجوع، والطَّوْلُ: الفضل والزيادة. يقال: لفلان على فلان طَوْل.

فإن قلت: كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً، والموصوف معرفة تقتضي أن تكون مثله معارف؟

قلتُ: أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان؛ لأنه لم يُرد بهما حدوثُ الفعلين، وأنه يغفر [الذنب][٤] ويقبل التوب الآن أو غداً، حتى يكونا في تقدير الانفصال، وتكون إضافتهما غير حقيقية؛ وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه، وكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش.

وأما شديد العقاب فأمره مشكل ؛ لأنه في تقدير: شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير، وقد جعله الزجاج[٥] بدلاً. وفي كونه بدلاً وحده

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً (٤/ ١٨١٣).

(٢) انظر البيت في: اللسان (مادة: حمم)، والطبري (٢٤/ ٣٩)، والقرطبي (١٥/ ٢٩٠)، والماوردي (٥/ ١٤١)، والبحر (٧/ ٤٢٩)، والدر المصون (٦/ ٢٧)، والمقتضب (١/ ٣٧٣)، ومجاز القرآن (٢/ ١٩٣).

(٣) الكشاف (٤/ ١٥٢-١٥٣).

(٤) في الأصل: الذنوب. والمثبت من الكشاف (٤/ ١٥٢).

(٥) انظر: معاني الزجاج (٤/ ٣٦٦).

[بين](١) الصفات [نبوّ](٢) ظاهر، والوجه أن يقال: لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة، فقد آذنت بأن كلُّها أبدالٌ غير أوصاف، ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على [مُسْتَفْعِلُنْ](٣)، فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز، فإن وقع فيها جزء واحد على مُتَفَاعِلُنْ كانت من الكامل(٤). ولقائل أن يقول: هي صفات، وإنما حَذَفَ الألف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظاً، فقد غيروا كثيراً من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج، ومما سهل ذلك الأمنُ [من](٥) اللبس وجهالة الموصوف.

فإن قلت: ما بال الواو في قوله: ﴿وقابل التوب﴾؟

قلتُ: فيه نكتة جليلة، وهي إفادة الجمع للمذنب [التائب](٦) بين رحمتين: بين أن تُقبل توبتُه فيكتبها له طاعة من الطاعات، وأن يجعلها مَحَّاءَةً للذنوب، كأن لم يذنب، كأنه قال: جامع المغفرة والقبول.

(١) في الأصل: من. والتصويب من الكشاف (٤/ ١٥٣).

(٢) في الأصل: نبوة. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: مستفعلين. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) وقد ناقش ذلك أبو حيان في البحر (٧/ ٤٣٠) فقال: ولا نبوّ في ذلك؛ لأن الجَرْي على القواعد التي استقرت وصحت هو الأصل. وقوله: "فقد آذنت بأن كلها أبدال" تركيب غير عربي، لأنه جعل "فقد أذنت" جواب "لما" وليس من كلامهم: لما قام زيد فقد قام عمرو، وقوله: "بأن كلها أبدال" فيه تكرار الأبدال، أما بدل البدل عند من أثبته فقد تكررت فيه الأبدال، وأما بدل كل من كل، وبدل بعض من كل، وبدل اشتمال، فلا نص عن أحد من النحويين أعرفه في جواز التكرار فيها، أو منعه.

(٥) زيادة من الكشاف (٤/ ١٥٣).

(٦) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿ما يجادل في آيات الله﴾ أي ما يجادل فيها بالباطل ﴿إلا الذين كفروا﴾ ومثل هذا قوله عليه الصلاة والسلام: ((مراءٌ في القرآن كفر))[١].

قوله تعالى: ﴿والأحزاب من بعدهم﴾ وهم الذين تحزبوا على الرسل. وقد فسرنا ذلك مع ما لم نذكر تفسيره هاهنا.

قوله تعالى: ﴿وهمت كل أمّة برسولهم﴾ قال: [وُجِّهَتْ][٢] إلى الرجال.

وقرأ ابن مسعود: "برسولها"[٣]. وكلٌّ صوابٌ.

﴿ليأخذوه﴾ قال ابن عباس: ليقتلوه[٤].

وقيل: ليحبسوه ويعذبوه[٥]. ويقال للأسير: أَخِيذ.

﴿فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾ سبق تفسيره.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٦ ح٧٨٣٥).

(٢) في الأصل: ذهبت. والصواب ما أثبتناه. انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٣).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٣٢)، والدر المصون (٦/ ٣٠).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٧).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٣) حكاية عن ابن قتيبة.

﴿وكذلك حقت كلمة ربك﴾ قد سبق تفسيرها واختلاف القُرّاء فيها في الموضع الأول من يونس[(١)].

﴿أنهم أصحاب النار﴾ قال الزمخشري[(٢)]: "هم" في محل الرفع بدل من "كلمة ربك"، أي: مثل ذلك الوجوب وجب على الذين كفروا كونهم من أصحاب النار. والمعنى: كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب، كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة، أو في محل النصب بحذف لام التعليل وإيصال الفعل.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

ثم أخبر سبحانه وتعالى بفضل المؤمنين فقال: ﴿الذين يحملون العرش﴾ وهم أربعة أملاك، فإذا كان يوم القيامة جعلوا ثمانية.

قال ابن عباس: حملة العرش ما بين [منكب][(٣)] أحدهم إلى أسفل قدمه

---

(١) عند الآية رقم: ٣٣.

(٢) الكشاف (٤/ ١٥٥).

(٣) في الأصل: كعب. والتصويب من الدر المنثور (٧/ ٢٧٦).

مسيرة خمسمائة عام[١].

وقال مسروق: أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، [وهم][٢] أشد خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفاً من أهل السماء السادسة، والتي تليها أشد خوفاً من التي تليها[٣].

وقال مجاهد: بين الملائكة وبين العرش سبعون حجاباً من نور[٤].

قال ابن عباس: لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم: احملوا عرشي، فلم يُطيقوا، فخلق مع كل مَلَكَ منهم مثلَ جنود من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من الخلق، فقال: احملوا عرشي فلم يُطيقوا، فخلق مع كل منهم مثلَ جنود سبع سموات وسبع أرضين، وما في الأرض من عدد وخلق، وعد الحصى والثرى، فقال: احملوا عرشي، فلم يُطيقوا، فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فلما قالوها استقلوا عرش ربنا عز وجل، قال: فنفدت أقدامهم في الأرض السابعة على متن الثرى فلم تستو، فكتب على كل قدم من أقدامهم اسماً من أسمائه عز وجل، فاستقر في أقدامهم[٥].

---

(١) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٧٥-٢٧٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) زيادة من الدر المنثور (٧/ ٢٧٦).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٧٦) وعزاه لعبد بن حميد عن ميسرة.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٩١ ح١٩). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣٦) وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٥) ذكره الثعلبي (٨/ ٢٦٦).

وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خلقاً من الملائكة يقال له: إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه على الأرض السفلى، وقد مرق رأسه من سبع سماوات، وإنه ليتضاءل من عظمة الله عز وجل حتى يصير كأنه الوَصَع»[1].

وفي حديث عن النبي ﷺ: «أُذن لي أن أحدث عن ملك من الملائكة من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرةُ سبعمائة عام»[2].

قوله تعالى: ﴿ومن حوله﴾ قال وهب بن منبه: حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة [يطوفون به، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة][3]، ليس منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح الآخر[4].

وقال غيره: الذين حول العرش هم الكروبيون، وهم سادة الملائكة[5].

﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ هذا تفسير لقوله تعالى: ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾.

﴿ربنا﴾ أي: يقولون ربنا ﴿وسعت كل شيء رحمةً وعلماً﴾ قال الزجاج[6]:

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٩٧-٦٩٨ ح٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٧٦) وعزاه لأبي الشيخ في العظمة.

والوَصَع: الصغير من العصافير (اللسان، مادة: وَصَع).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٢ ح٤٧٢٧).

(٣) زيادة من زاد المسير (٧/ ٢٠٨).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٠٨).

(٥) مثل السابق.

(٦) معاني الزجاج (٤/ ٣٦٧).

النصب على التمييز.

وقال غيره: المعنى: وسعتْ رحمتُك وعلمُك كلَّ شيء[١].

﴿فاغفر للذين تابوا﴾ من الشرك ﴿واتبعوا سبيلك﴾ وهو الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وقهم السيئات﴾ أي: عذاب السيئات.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ قال قتادة: يُنادون يوم القيامة[٢].

وقال السدي: في النار[٣].

﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ أي: لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم.

﴿إذ تُدْعَون﴾ منصوب بالمقت الأول، والمعنى: يُقال للكافرين يوم القيامة: كان اللهُ يمقتكم حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان، فتأبون عليهم أشد من

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٤).

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٦). وذكره الماوردي (٥/ ١٤٥).

(٣) مثل السابق.

مقتكم اليوم لأنفسكم.

قال الحسن: لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم، فنودوا: ﴿لمقت ... الآية﴾[١].

وقيل: المعنى: لمقتُ الله إياكم إذ عصيتموه أكبرُ من مقت بعضكم بعضاً حين يتلاعن القادة والأتباع ويتبرّأ بعضكم من بعض.

وقيل: المعنى: لمقت الله إياكم اليوم حين شاهدتم ما وُعدتم به أكبرُ من مقتكم أنفسكم.

وقوله تعالى: ﴿إذ تدعون﴾: تعليل، فالمَقْتُ: أشدّ البغض. وقد سبق.

قوله تعالى: ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ أي: أمَتَّنا إماتتين وأحييتنا إحيائين، أو أمَتَّنا موتتين وأحييتنا إحيائين.

وقد سبق تفسير ذلك في أوائل البقرة في قوله تعالى: ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ [البقرة:٢٨]، وذكرنا ثمة ما هو الصحيح الذي يجب أن يعتمد عليه في التفسير.

وقال السدي: أُميتوا في الدنيا ثم أُحيوا في قبورهم، ثم أُميتوا في قبورهم ثم أُحيوا في الآخرة[٢].

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: أحياهم حين أخذ الميثاق عليهم، ثم أماتهم بعده، ثم أحياهم حين أخرجهم، ثم أماتهم عند انقضاء آجالهم[٣].

﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ وذلك أنهم كانوا ينكرون البعث في الدنيا، فلما تكررت

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٧٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٨). وذكره الماوردي (٥/ ١٤٦).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٦).

عليهم الإماتة والإحياء علموا أن الله تعالى قادر على ذلك وعلى ما يشاء، فاعترفوا حينئذ بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وغيره.

﴿فهل إلى خروج﴾ من النار وتخليص مما نحن فيه من العذاب ﴿من سبيل﴾ كأنهم سألوا العود إلى الدنيا ليقروا بالبعث ويعملوا بالطاعة.

وفي الكلام محذوف، تقديره: لا سبيل لكم إلى الخروج.

قوله تعالى: ﴿ذلكم﴾ أي: ذلكم الذي أنتم فيه ولا تقدرون على التخلص منه بسبب أنه ﴿إذا دعي الله وحده﴾ فقيل: لا إله إلا الله ﴿كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله﴾ فهو الذي حكم عليكم بالعذاب الشديد ﴿العلي الكبير﴾: سبق تفسيرهما.

رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِى ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٌۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ مبتدأ، خبره مقدم عليه وهو: "رفيع الدرجات"[١].

وقرئ: "رفيعَ" بالنصب على المدح[٢].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢١٧)، والدر المصون (٦/ ٣٢). وفيهما: أن "رفيع الدرجات" مبتدأ، وخبره: "ذو العرش".

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٣٦)، والدر المصون (٦/ ٣٣).

واختلفوا في معنى "رفيع الدرجات"؛ فقال ابن عباس: يعني: رافع السموات[١].

وقيل: عظيم الصفات[٢].

وقيل: رفعه درجات أوليائه[٣].

وقيل: هو كقوله تعالى: ﴿ذي المعارج﴾ [المعارج:٣] وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش[٤].

وقيل: هو مجَازٌ عن عُلوّ شأنه وعظمة سلطانه.

﴿يلقي الروح﴾ وهو الوحي. وقيل: جبريل.

﴿من أمره﴾ قال ابن عباس: من قضائه[٥].

وقال مقاتل[٦]: بأمره.

وقيل: "من أمره": من قوله. وهذا يجيء على قول من قال: الروح: الوحي[٧].

﴿على من يشاء من عباده﴾ وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

﴿لينذر﴾ الله، أو الروح، أو النبي الذي ألقي عليه الروح.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٠).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٧) من قول ابن زياد.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٧) من قول يحيى.

(٤) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٦٠).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١١).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ١٤٥) ولفظه: بإذنه.

(٧) وهو قول قتادة. أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٩). وذكره الماوردي (٥/ ١٤٧)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٧٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

وقرأتُ ليعقوب من رواية زيد عنه: "لتنذر"[١] على الخطاب للنبي ﷺ، أو لتنذر الروح؛ لأنها مؤنث.

﴿يوم التلاق﴾ وهو يوم القيامة.

قال ابن عباس: يلتقي فيه أهل السماوات وأهل الأرض والأولون والآخرون[٢].

وقال قتادة: يلتقي الخالق والمخلوق[٣].

وقال ميمون بن مهران: يلتقي فيه الظالم والمظلوم[٤].

وقيل: يلتقي المرء بعمله[٥].

﴿يوم هم بارزون﴾ ظاهرون لا يسترهم جبل ولا أكمة ولا بناء ولا شيء، ولا عليهم ثياب، كما جاء في الحديث: «يحشرون حفاةً عراةً غُرْلاً»[٦].

﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾ أي: لا يخفى عليه من أعمالهم وأحوالهم شيء.

ولعمري! إن الله تعالى لا يخفى عليه شيء برزوا أو اختفوا، وإنما هذا لدفع ما توهمه الكفرة والجهلة، كما قال الله تعالى: ﴿ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧٨).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٨)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٠). وذكره الماوردي (٥/ ١٤٨)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٧٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١١).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١١) حكاية عن الثعلبي.

(٦) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٧١ ح٣٢٦٣)، ومسلم (٤/ ٢١٩٤ ح٢٨٥٩).

تعملون﴾ [فصلت:٢٢].

وقيل: المعنى: يوم هم بارزون من قبورهم لا يخفى على الله منهم شيء، بل ينشرهم ويحشرهم جميعاً.

قوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم﴾ قال محمد بن كعب وأكثرُ العلماء بالتفسير: إذا أفنى الله تعالى الخلائق يقول: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيجيب نفسه عز وجل فيقول: ﴿لله الواحد القهار﴾[١].

وقال ابن مسعود: يجمع الله الخلائق يوم القيامة بصعيد واحد، بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة، لم يُعص اللهُ تعالى فيها قط، فأول ما يتكلم به أن ينادي مناد: ﴿لمن الملك اليوم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سريع الحساب﴾[٢].

فعلى هذا: المجيب هو المنادي.

وقال عطاء: يجيب الله تعالى نفسه فيقول: ﴿لله الواحد القهار﴾[٣].

وقال ابن جريج: تجيبه الخلائق المؤمنون والكافرون فيقولون: "لله الواحد القهار"[٤].

وقوله: "اليوم" ينتصب بمدلول قوله تعالى: ﴿لمن﴾، أي: لمن ثبت الملك في هذا اليوم.

وقال قوم: الوقف على "الملك" حسن، ويبتدئ: "اليوم لله"، أي: هو ثابت لله

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٢).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٨٠) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٢).

(٤) مثل السابق.

في هذا اليوم.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ وهو يوم القيامة، سمي بذلك؛ لأزوفه، وهو قربه، ومنه: ﴿أزفت الآزفة﴾ [النجم:٥٧].

وقيل: هو يوم حضور المنية(١).

والأول أصح.

﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾ وذلك أنها ترتقي من المخافة وتنتقل من مقارّها إلى الحناجر، فلا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويستريحوا، ولا تخرج فيموتوا، ولكنها معترضة كالشَّجَا(٢). وقد سبق ذكر الحناجر في الأحزاب(٣).

قال الزجاج(٤): ﴿كاظمين﴾ منصوب على الحال، والحال محمولة على المعنى؛ لأن القلوب لا يقال لها: كاظمين، وإنما الكاظمون أصحاب القلوب. والمعنى: إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كَظْمِهِم.

---

(١) قاله قطرب. ذكره الماوردي (٥/ ١٤٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٢).

(٢) الشجا: ما اعترض في الحلق (القاموس، مادة: شجا).

(٣) عند الآية رقم: ١٠.

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٦٩-٣٧٠).

وجاء في التفسير: أن القلب [من][1] الفزع يرتفع فيلصق بالحنجرة فلا يرجع إلى مكانه، ولا يخرج فيُسْتَرَاحُ من كَرْبِ غمّه.

قال الزمخشري[2]: ويجوز أن يكون حالاً عن القلوب، وأن القلوب كاظمة على غمٍ وكربٍ فيها مع بلوغها الحناجر، وإنما جَمَعَ الكاظمَ جَمْعَ السلامة، لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء، كما قال: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف:٤]. ويؤيده قراءة من قرأ: "كاظمون".

ويجوز أن يكون حالاً عن قوله تعالى: ﴿وأنذرهم﴾ [أي: وأنذرهم][3] مقدرين أو مشارفين الكظم، كقوله: ﴿فادخلوها خالدين﴾ [الزمر:٧٣].

قال المفسرون: "كاظمين": أي: مغمومين ممتلئين خوفاً وحزناً[4].

وقال قطرب: ساكتين[5]، وأنشدوا قول الشماخ:

فظَلَّتْ كأنَّ الطيرَ فوق رؤوسها ... صيامٌ تُباري الشمس وهْي كُظُوم[6]

وقال علي بن عيسى: الكاظم: الساكت على امتلائه غيظاً[7]. وقد سبق ذكر ذلك.

---

(١) زيادة من معاني الزجاج (٤/ ٣٦٩).

(٢) الكشاف (٤/ ١٦٢).

(٣) زيادة من الكشاف (٤/ ١٦٢).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٣).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٩).

(٦) انظر البيت في: الماوردي (٥/ ١٤٩) وفيه: "تنائي" بدل: "تباري"، والكشاف (٤/ ١٦٣).

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٩).

قوله تعالى: ﴿ما للظالمين من حميم﴾ قال الحسن: من قريب[١].

وقال مجاهد: من شقيق[٢].

﴿ولا شفيع يُطاع﴾ قال الحسن: والله ما يكون لهم شفيع البتة.

قوله تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ أي: هو يعلم. والخائنة والخيانة واحدة.

قال قتادة: وهو الغمز بالعين فيما لا يحبه الله تعالى و[لا][٣] يرضاه[٤].

قال ابن السائب: النظرة بعد النظرة[٥].

وقال ابن عباس: هو الرجل يكون في القوم فتمرُّ به المرأة فيريهم أنه يغضُّ بصره، فإذا رأى فيهم غفلة لحظ إليها، فإن خاف أن يفطنوا له غضَّ بصره[٦].

﴿وما تخفي الصدور﴾ قال ابن عباس: ما تضمره من الفعل أن لو قدرت على ما نظرت إليه[٧].

وقال السدي: الوسوسة[٨].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٩).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٤٩). وفيه: الشفيق.

(٣) زيادة من الطبري (٢٤/ ٥٤)، وزاد المسير (٧/ ٢١٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٣)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٨٢) وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ في العظمة.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٣).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٥)، وابن أبي شيبة (٤/ ٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٨٢) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٣).

(٨) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٣-٢١٤).

وقيل: ما يضمره القلب من أمانة وخيانة[١].

﴿والله يقضي بالحق﴾ فيجازي بالسيئة والحسنة، ﴿والذين يدعون من دونه﴾ وقرأ نافع وابن عامر في رواية: "تدعون" بالتاء[٢]، على معنى: قل لهم والذين تدعون من دونه لا يقضون بشيء.

۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿كانوا هم أشد منهم قوة﴾ وقرأ ابن عامر: "منكم"[٣]، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، على الرجوع من الغيبة إلى الخطاب.

﴿وآثاراً في الأرض﴾ يريد: حصونهم وقصورهم.

وقال ابن جريج: المشي فيها بأرجلهم[٤].

وقال الكلبي: بُعْدُ الغاية في الطلب[٥].

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٤).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٨-٦٢٩)، والكشف (٢/ ٢٤٢)، والنشر (٢/ ٣٦٤)، والإتحاف (ص:٣٧٨)، والسبعة (ص:٥٦٨).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٩)، والكشف (٢/ ٢٤٢)، والنشر (٢/ ٣٦٥)، والإتحاف (ص:٣٧٨)، والسبعة (ص:٥٦٩).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ١٥١).

(٥) مثل السابق.

وقال مقاتل[1]: طول الأعمار.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٢٣ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝٢٤ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝٢٥ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۝٢٦ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝٢٧﴾

ثم ذكر سبحانه وتعالى قصة موسى وفرعون وحديثه مع قارون ليعتبروا فقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ قال المفسرون: أعاد اللعينُ القتل على بني إسرائيل حين جاءهم موسى، فذلك قوله تعالى: ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم﴾.

قال قتادة: [كان][2] فرعونُ قد كفَّ عن قتل الولدان، فلما بَعَثَ الله تعالى موسى أعاد عليهم القتل ليصدّهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام[3].

﴿وما كيد﴾ فرعون ﴿إلا في ضلال﴾ أي: في ضياع وذهاب؛ لأنه ما عصمه مما أراد الله به من العذاب.

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ١٤٦).

(٢) في الأصل: كا. والتصويب من زاد المسير (٧/ ٢١٥).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٥).

﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ وكانوا نهوْه عن قتله وقالوا: ليس هو بالذي تخافه، وهو أقلُّ من ذلك وأضعف، وما هو إلا بعض السحرة، وكانوا قالوا له: إن قتلته أدخلت الشبهة على الناس، واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة.

وقيل: كان في ملئه مؤمنون من بني إسرائيل يكفونه عن قتله.

﴿وليدع ربه﴾ الذي يزعم أنه أرسله ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾.

قال قتادة: أن يُغيّر أمركم الذي أنتم عليه[(١)].

﴿وأن يظهر﴾ قرأ أهل الكوفة: "أو أن يظهر"، وقرأ الباقون: "وأن"[(٢)].

وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص: "يُظهِرَ" بضم الياء وكسر الهاء [﴿الفسادَ﴾ بالنصب][(٣)] و[قرأ الباقون: "يَظْهَرَ" بفتح][(٤)] الياء، "الفسادُ" بالرفع[(٥)].

فمن قرأ: "وأن يظهر" بواو العطف، كان المعنى: إني أخاف هذه الأمرين.

ومن قرأ: "أو أن يظهر" فالمعنى: إني أخاف عليكم هذا الضرب عليكم، كما تقول: كل خبز أو تمر، أي: كل هذا الضرب من الطعام.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٧). وذكره الماوردي (٥/ ١٥١)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٨٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٩)، والكشف (٢/ ٢٤٣)، والنشر (٢/ ٣٦٥)، والإتحاف (ص:٣٧٨)، والسبعة (ص:٥٦٩).

(٣) زيادة من زاد المسير (٧/ ٢١٦).

(٤) مثل السابق.

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٠)، والكشف (٢/ ٢٤٣)، والنشر (٢/ ٣٦٥)، والإتحاف (ص:٣٧٨)، والسبعة (ص:٥٦٩).

ومن قرأ: "يُظْهِرَ" بضم الياء، أسند الفعل إلى موسى وطابق بينه وبين الفعل الذي قبله وهو يبدل، والباقون أضافوا الفعل إلى الفساد؛ لأن التبديل إذا وقع ظهر الفساد.

والمعنيُّ بظهور الفساد: تغييرُ دينهم على زعمه.

وقيل: يُظهر الفساد بقتل أبنائكم كما فعلتم بهم.

﴿وقال موسى إني عُذْتُ بربي وربكم﴾ قرأ حمزة وأبو عمرو والكسائي: "عذت" بإدغام الذال في التاء لتقارب مخرجهما؛ لأنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا. وقرأ الباقون بالإظهار[1]؛ لأن الذال ليس من مخرج التاء، إنما هي من مخرج الظاء والثاء. ثم إن الذال حرف مجهور والتاء مهموسة، والمجهور أقوى من المهموس، فإدغامه فيه إجحاف به، ونقل له من القوة إلى الضعف.

والمعنى: وقال موسى لقومه: إني استجرت بربي وربكم.

وفي قوله: "وربكم" تنبيه لهم وبعث على الاعتصام بالله ﴿من كل متكبر﴾ عن الخضوع لله والإيمان بفرعون وغيره ﴿لا يؤمن بيوم الحساب﴾؛ لأن انضمام كفره إلى كبره يوجب له مزيد قسوة وجرأة على الله وعباده، فلذلك استعاذ منه.

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٩-٣٥٠)، والإتحاف (ص:٣٧٨)، والسبعة (ص:٥٦٩).

يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ قال ابن عباس: لم يكن مؤمن غيره وغير امرأة فرعون، والرجل الذي قال لموسى: ﴿إن الملأ يأتمرون بك﴾[1].

قال السدي ومقاتل[2]: كان ابن عم فرعون.

وقال ابن السائب: كان اسمه عزقيل، وكان ملكاً على نصف الناس، وله الملك من بعد فرعون[3].

وقال ابن عباس: اسمه: خربيل[4].

وقال كعب وابن إسحاق: حبيب[5].

وقيل: سمعون -بالسين المهملة-[6].

وقيل: سمعان -بالسين والشين-[7].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٦). وذكره الماوردي (٥/ ١٥٢)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٨٤-٢٨٥) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٥٨). وذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ١٤٧)، والماوردي (٥/ ١٥٢). وذكر مقاتل في سورة القصص (٢/ ٤٩٣): أنه حزقيل بن صابوث القبطي.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٢) وفيه أن اسمه: حزبيل.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٧) وفيه: حزبيل.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٧).

(٦) وهو قول شعيب الجبائي. ذكره ابن الجوزي في زاد المسير، الموضع السابق.

(٧) وهو قول ابن إسحاق. ذكره ابن الجوزي في زاد المسير، الموضع السابق.

وقيل: كان المؤمن إسرائيلياً[١].

والأول أصح.

وكان إيمانه بموسى.

وقيل: كان مؤمناً قبل مجيء موسى[٢].

والأول أظهر.

قوله تعالى: ﴿من آل فرعون﴾ صفة لـ"رجل". وقيل: صفة[٣] لـ﴿يكتم﴾ [أي][٤] يكتم ﴿إيمانه﴾ من آل فرعون[٥].

﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾ أي: لأن [تقتلون][٦] رجلاً يقول ربي الله.

﴿وقد جاءكم﴾ على صدقه ﴿بالبينات﴾ وهي اليد والعصا في جملة الآيات التسع.

﴿من ربكم﴾ أي: من عند ربكم.

فإن قيل: أين الكتمان مع هذا التصريح؟

قلت: المعنى: كان يكتم إيمانه إلى أن صدر منه هذا القول.

فإن قيل: ما المانع أن يكون التقدير: من ربكم على زعمه، بدليل قوله: ﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه﴾ وهذا ينفي التصريح بالإيمان، أو يكون الله تعالى حكى ما

(١) ذكره الطبري (٢٤/ ٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٧).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٢) من قول الحسن، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢١٧).

(٣) في الكشاف: صلة.

(٤) في الأصل: على. والتصويب من الكشاف (٤/ ١٦٦).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢١٨)، والدر المصون (٦/ ٣٧).

(٦) في الأصل: تقولون. والصواب ما أثبتناه.

في نفسه من غير أن يكون صرح بقوله: ﴿من ربكم﴾؟

قلتُ: الآية الأخرى وهي قوله: ﴿لهم﴾ مذكراً بأنعم الله عليهم ومحذراً لهم من زوالها، وحلول بأس الله عز وجل بهم وما يتلوها مما حكى الله عنه من قوله لقومه ما ينفي ذلك.

فإن قيل: فما معنى قوله: ﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم﴾؟

قلتُ: هو استدراجٌ لهم إلى الهدى بألطف طريق، [واستنزالٌ][1] لهم عن أذى موسى بأحسن وساطة ومناصفة.

فإن قيل: لم قال: "بعض الذي يعدكم"؟

قلتُ: قال[2] الزجاج[3]: هذا باب من النَّظَر، يذهب فيه المناظر إلى إلزام الحجة بأيسرِ ما في الأمر، وليس في هذا نفي إصابة الكل، ومثله قول الشاعر[4]:

قد يُدْرِكُ المتأنِّي بعضَ حاجته وقد يكونُ مِنَ المستَعْجِلِ الزَّلَلُ

وإنما ذكر البعض ليوجب له الكل؛ لأن البعض من الكل، ولكن القائلَ إذا قال: أقلَّ ما يكون للمتأني إدراكُ بعض الحاجة، وأقلُّ ما يكون للمستعجل الزلل، فقد أبان فضلَ المتأني على المستعجل بما لا يقدر الخصم أن يدفعه.

---

(١) في الأصل: واستنزل. والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل زيادة قوله: ابن. وهو وهم.

(٣) معاني الزجاج (٤/ ٣٧٢).

(٤) البيت للقطامي. انظر: ديوانه (ص:٢٣)، واللسان (مادة: بعض)، والقرطبي (١٥/ ٣٠٧)، وزاد المسير (٧/ ٢١٨)، والبحر (٧/ ٤٤٢)، والدر المصون (٦/ ٣٨)، ومجالس ثعلب (ص:٣٦٩).

وقال الزمخشري[(١)]: أراد أن يَهضمه بعضَ حقه في ظاهر الكلام، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل، وكذلك قوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾.

قرأتُ على الشيخ أبي الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة، أخبركم عبد الأول. قرأ على أبي القاسم أحمد بن عبدالله العطار وأنا أسمع، أخبركم عبد الأول قال: أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا محمد، حدثنا علي بن عبدالله، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، حدثني عروة بن الزبير قال: قلتُ لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ. قال: ((بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾))[(٢)]. هذا حديث صحيح، انفرد بإخراجه البخاري، وساوى[(٣)] فيه الإمام أحمد، فإن الإمام رواه في مسنده عن علي بن عبدالله، هو ابن المديني.

وأخرج ابن ودعان في كتابه المعروف بالتخريج النظامي بإسناده عن محمد بن

---

(١) الكشاف (٤/ ١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨١٤ ح٤٥٣٧)، وأحمد (٢/ ٢٠٤ ح٦٩٠٨).

(٣) المساواة: هي استواء عدد الإسناد من الراوي إلى آخره مع إسناد أحد المصنفين (نخبة الفكر ص:٢١).

عقيل قال: قال علي عليه السلام يوماً وهو في جماعة من الناس: من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين قال: أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن أشجع الناس أبو بكر رضي الله عنه، لما كان يوم بدر، جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً [فقلنا][1]: من يكون مع النبي ﷺ لئلا يَصِلَ إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر [شاهراً][2] السيف على رأس رسول الله ﷺ. قال: واجتمع المشركون عليه بمكة، قال علي: فهذا يجأه وهذا يتلتله وهم يقولون: أنت [الذي][3] جعلت الآلهة إلهاً واحداً، فوالله ما دنا إليه منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجأ هذا ويتلتل هذا ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. ثم قال علي عليه السلام: أنشدكم بالله أمؤمن آل فرعون خير أم [أبو][4] بكر؟ قال: فسكت القوم فقال: ألا تجيبوني؟ والله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل كتم إيمانه، وأبو بكر رجل أظهر إيمانه[5].

قوله تعالى: ﴿يا قوم﴾ من تمام كلام المؤمن ﴿لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض﴾ يريد: أرض مصر ﴿فمن ينصرنا من بأس الله﴾ أي: من عذابه.

ذكَّرهم نعمة الملك والاستيلاء، ثم حذرهم زواله بسبب الكفر وقتل النبي

---

(١) في الأصل: قلنا. والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) في الأصل: شاهر. والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) زيادة من البزار (٣/ ١٥).

(٤) في الأصل: أبي. والتصويب من مصادر التخريج.

(٥) أخرجه البزار في مسنده (٣/ ١٥ ح٧٦١). وذكره الهيثمي في مجمعه (٩/ ٤٦-٤٧) وعزاه للبزار وقال: فيه من لم أعرفه.

المبعوث إليهم، [وضم][(١)] نفسه في جملتهم فقال: ﴿فمن ينصرنا من بأس الله﴾ ملاطفة وحسن عشرة.

فلما ظهرت الحجة أَخَذَ اللعينُ يُموّه ويقول: ﴿ما أريكم﴾.

قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: ما أشير عليكم إلا ما أرى لنفسي[(٢)].

وقيل: ما أريكم إلا ما أرى من قتله، يعني: ما أستصوبُ إلا قتله.

﴿وما أهديكم﴾ بهذا الرأي ﴿إلا سبيل الرشاد﴾ أي: طريق الصواب.

قال بعض العلماء[(٣)]: كان اللعين مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام، وكان يخاف أن يعاجل بالهلاك إن أوقع به مكروهاً، فكان يتجلد، ولولا استشعاره لم يستشر أحداً في أذى موسى عليه الصلاة والسلام ولعاجله بالقتل وغيره.

وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾

﴿وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم﴾ يعني: إن أقمتم على كفركم ﴿مثل يوم الأحزاب﴾ أي مثل أيامهم، كقول الشاعر:

---

(١) في الأصل: ونضم.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٤).

(٣) هو الزمخشري، انظر: الكشاف (٤/ ١٦٨).

كلوا في نصف بطنكم تعيشوا ....[١]

ثم فسر فقال: ﴿مثل دأب قوم نوح وثمود والذين من بعدهم﴾ أي: أخافُ عليكم مثلَ جزاء دأبهم، أي: عادتهم في الإقامة على الكفر، فينزل بكم مثل ما نزل بهم.

وقيل: الثاني عطف بيان للأول[٢].

﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد﴾ وقرأ ابن كثير ويعقوب: "التنادي" بإثبات الياء في الحالين، ووافقهما وَرْش في الوصل[٣].

قال الزجاج[٤]: الأصل إثبات الياء، وحذفها حسن جميل؛ لأن الكسرة تدل على الياء وهو رأس آية، وأواخر هذه الآيات على الدال[٥].

والمراد: يوم القيامة، سمي بذلك؛ لمناداة بعضهم بعضاً.

قال ابن جريج: هو قولهم: يا حسرتنا، يا ويلتنا[٦].

وقال غيره: يُنادى كلُّ أناس بإمامهم[٧].

وقال قتادة: ينادي أهل الجنة أهل النار ﴿أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل

---

(١) تقدم.

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٩).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٤٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٢٧-٦٢٨)، والكشف (٢/ ٢٤٦)، والإتحاف (ص:٣٧٨)، والسبعة (ص:٥٦٨).

(٤) معاني الزجاج (٤/ ٣٧٣).

(٥) قال محقق معاني الزجاج: هكذا في الأصل، ويبدو أنه "على الكسر" فهذا ما يقتضيه السياق.

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٢١).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير، الموضع السابق.

وجدتم ما وعد ربكم حقاً﴾ [الأعراف:٤٤]، وينادي أهـل النـار أهـل الجنـة ﴿أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾[١] [الأعراف:٥٠].

وقرأ جماعة؛ منهم: أبو بكر الصديق وابن عباس وسعيد بن المسيب وسـعيد بن جبير وأبو العالية والضحاك رضي الله عنهم: "التَّنَادّ" بتشديد الـدال مـن غـير ياء[٢]، من قولهم: ندّ فلان وندّ البعير؛ إذا هرب على وجهه[٣].

فالمعنى: يوم يندّ الناسُ بعضُهم من بعض، وهو قولـه تعـالى: ﴿يـوم تولـون مدبرين﴾، ومثله: ﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه﴾ [عبس:٣٤-٣٥].

قال الضحاك: إذا سمعوا زفير النار ندّوا هراباً، فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا رأوا الملائكة صفوفاً، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله تعالى: ﴿يوم تولون﴾ فراراً من النار[٤].

وقال قتادة: منصرفين من موقف الحساب إلى النار[٥].

﴿ما لكم من الله من عاصم﴾ أي: من مانع.

وفي قائل: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ قولان:

أحدهما: أنه موسى عليه السلام[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٨٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) انظر هذه القراءة في: الطبري (٢٤/ ٦١)، وزاد المسير (٧/ ٢١٩).

(٣) انظر: اللسان (مادة: ندد).

(٤) أخرجه ابـن المبـارك في الزهـد (ص:١٠٣)، والطـبري (٢٤/ ٦١). وذكـره السـيوطي في الـدر (٧/ ٢٨٦-٢٨٧) وعزاه لابن المبارك وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٢). وذكره الماوردي (٥/ ١٥٥).

(٦) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ١٥٥).

والثاني: مؤمن آل فرعون[١].

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات﴾ أي: ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين من قبل موسى بالدلالات الواضحات على وحدانية الله تعالى. وهذا قول عامة المفسرين[٢].

وحكى النقاش عن الضحاك: أنه رسول من الجن يقال له: يوسف[٣]. وليس بشيء.

﴿حتى إذا هلك قلتم﴾ قولاً من عند أنفسكم غير مستند إلى حجة: ﴿لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ فأقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يؤكد حجته عليكم ولا يرسل رسولاً إليكم، ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الضلال ﴿يضل الله من هو مسرف﴾ كافر ﴿مرتاب﴾ شاكٌّ في الله تعالى وفي رسله عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٥/ ١٥٥).

(٢) ذكره الطبري (٢٤/ ٦٣)، والماوردي (٥/ ١٥٥).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٥).

قوله تعالى: ﴿الذين يجادلون﴾ قال الزجاج[١]: هو في موضع نصب على الرد على "مَنْ"، أي: كذلك يضل الله الذين يجادلون ﴿في آيات الله﴾ بغير حجة أتتهم.

ويجوز أن يكون موضع "الذين" رفعاً، على معنى: مَنْ هُوَ مُسرفٌ مرتابٌ [هم][٢] الذين يجادلون في آيات الله.

وقال صاحب الكشاف[٣]: ﴿الذين يجادلون﴾ بدل من ﴿من هو مسرف﴾.

فإن قلت: كيف يجوز إبداله منه وهو جمع وذاك موحد؟

قلتُ: لأنه لا يريد مسرفاً واحداً، فكأنه قال: كل مسرف.

فإن قلت: ما فاعل "كَبُرَ"؟

قلتُ: [ضمير][٤] من هو مسرف.

فإن قلتَ: أما قلت هو جمع، ولهذا أبدلت منه "الذين يجادلون"؟

قلتُ: بلى، هو جمع في المعنى. وأما اللفظ فموحد، فحمل البدل على معناه، والضمير الراجع إليه على لفظه. ويجوز أن يرفع "الذين يجادلون" على الابتداء، ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في "كَبُرَ"، تقديره: جدال الذين يجادلون كبر مقتاً، ويحتمل أن يكون "الذين يجادلون" مبتدأ؛ و "بغير سلطان أتاهم" خبراً، وفاعل "كَبُرَ" قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: كَبُرَ مقتاً مثل ذلك الجدال، و﴿يطبع الله﴾ كلام مستأنف.

---

(١) معاني الزجاج (٤/ ٣٧٤).

(٢) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) الكشاف (٤/ ١٧٠-١٧١).

(٤) زيادة من الكشاف (٤/ ١٧١).

قال المفسرون: يجادلون في إبطالها والتكذيب بها بغير حجة واضحة أتتهم من الله.

و"مَقْتاً" نصب على التمييز.

﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ قرأ أبو عمرو وابن عامر بخلاف عنه: "قلبٍ" بالتنوين، على وصف القلب بالتكبر والتجبر؛ لأنه مقرهما، أو على معنى: على كل ذي قلب، فيجعل الصفة لصاحب القلب. وقرأ الباقون: "قلبِ" بغير تنوين على الإضافة[1].

قال الزجاج[2]: وهو الوجه؛ لأن المتكبر هو الإنسان.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

---

(١) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٠)، والكشف (٢/ ٢٤٣-٢٤٤)، والنشر (٢/ ٣٦٥)، والإتحاف (ص:٣٧٨-٣٧٩)، والسبعة (ص:٥٧٠).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٧٤).

وما بعده مفسر في القصص[١].

قوله: ﴿لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السماوات﴾ يعني: أبوابها وطرقها. وهذا قول عامة المفسرين واللغويين[٢]. وأنشد الأخفش:

ومنْ هَابَ أسبابَ المنايا يَنَلْنَهُ ولوْ رَامَ أسبابَ السماءِ بسُلَّمِ[٣]

﴿فأطلعُ إلى﴾ وقرأ حفص: "فأطلعَ" بالنصب[٤]، على جواب الترجي تشبيهاً له بالتمني.

﴿وكذلك﴾ أي: ومثل ذلك التزين وذلك الصَّد ﴿زين لفرعون سوء عمله وصدّ عن السبيل﴾، والفاعل للتزيين والصد هو الله تعالى بالقدر والقضاء، أو الشيطان بالوسوسة والإغواء. وقد ذكرنا اختلاف القراء في "وصُدَّ" في سورة الرعد[٥].

﴿وما كيدُ فرعون إلا في تباب﴾ أي: خسران وهلاك.

ثم [عاد][٦] إلى الإخبار عن نصيحة مؤمن آل فرعون، وما وَعَظَ به قومه وذكَّرَهُم به، فقال: ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون﴾ وقرأ ابن كثير ويعقوب

---

(١) عند الآية رقم: ٣٨.

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٤-٦٥) عن السدي، عن أبي صالح. وذكره الماوردي (٥/ ١٥٦).

(٣) البيت لزهير، انظر: ديوانه (ص:١١١)، والقرطبي (٢/ ٢٠٦)، والدر المصون (١/ ٤٣١).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣١)، والكشف (٢/ ٢٤٤)، والنشر (٢/ ٣٦٥)، والإتحاف (ص:٣٧٩)، والسبعة (ص:٥٧٠).

(٥) عند الآية رقم: ٣٣.

(٦) في الأصل: عاده. والصواب ما أثبتناه.

بإثبات الياء في الحالين، وافقهما في الوصل وَرْش وأبو جعفر والولي[1] عن أبي عثمان عن الدوري، وعبد الوارث عن أبي عمرو، والباقون بغير ياء في الحالين[2].

﴿أهدكم سبيل الرشاد﴾ طريق الهدى.

وفيه تعريض لفرعون وقومه بأنهم على نقيض ذلك، وهي الغي.

قوله تعالى: ﴿من عمل سيئة﴾ يريد: الشرك. وقيل: المعاصي.

﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾ أي: بمقدارها.

قوله تعالى: ﴿يدخلون الجنة﴾ قرئ: "يَدْخُلُون" و"يُدْخَلُون" على البناء للفاعل والمفعول[3]. وقد سبق ذكره.

﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾ أي: بغير تقدير، بل ما شاؤوا من الزيادة وما لم تبلغه الأماني.

۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ

---

(١) هو: أحمد بن عبد الرحمن بن الفضل الدقاق الولي لله. (انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٩٤).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣٧٩).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٢-٣٥٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٢)، والكشف (١/ ٣٩٧)، والإتحاف (ص:٣٧٩)، والسبعة (ص:٥٧١).

بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

وما بعده ظاهر ومفسر إلى قوله تعالى: ﴿ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة﴾ أي: ليس له استجابة دعوة.

وقال ابن السائب: ليس له شفاعة[1].

قوله تعالى: ﴿فستذكرون﴾ وقرأ ابن مسعود وأبو العالية: "فستذَكَّرون" بفتح الذال وتخفيفها وتشديد الكاف وفتحها[2].

وقرأ أبي بن كعب: بفتح الذال والكاف وتشديدهما[3].

والمعنى: فستذكرون في الآخرة.

وقيل: عند نزول العذاب بكم[4].

﴿ما أقول لكم﴾ من النصيحة ﴿وأفوض أمري إلى الله﴾ معتصماً به متوكلاً عليه. وكانوا توعدوه لمخالفته دينهم، ﴿إن الله بصير بالعباد﴾ أوليائه وأعدائه.

قال المفسرون[5]: ثم إن المؤمن خرج من بين أظهرهم، فلم يَقْدِرُوا عليه، ونجا مع موسى حين جاوز البحر، فذلك قوله تعالى: ﴿فوقاه الله سيئات ما

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٥٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٢٥).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٢٢٥-٢٢٦).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٢٢٦).

(٤) هو قول النقاش. ذكره الماوردي (٥/ ١٥٨).

(٥) انظر: الطبري (٢٤/ ٧٠)، والماوردي (٥/ ١٥٩)، والدر المنثور (٧/ ٢٩٠).

مكروا﴾ أي: ما دبروه فيما بينهم ليغتالوه به، ﴿وحاق بآل فرعون﴾ أحدق بهم وأحاط بهم ﴿سوء العذاب﴾ أشده وأقبحه، وهو الغرق. وقد ذكرناه في البقرة.

أو يكون المراد بسوء العذاب: ما أعدّ الله تعالى لهم في الآخرة من عذاب الجحيم، فيكون قوله تعالى: ﴿النار﴾ بدلاً من "سوء العذاب"، أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو النار. وعلى الأول: "النار" مبتدأ، خبره: ﴿يعرضون عليها﴾(١).

قال ابن مسعود وابن عباس: إن أرواح آل فرعون في [أجواف](٢) طير سود، يُعرضون على النار كل يوم مرتين، فيقال: يا آل فرعون هذه داركم(٣).

وقال حماد بن محمد [الفزاري](٤): سمعت الأوزاعي وسأله رجل فقال: يرحمك الله رأينا طيوراً تخرج من البحر تأخذ ناحية المغرب فوجاً فوجاً، فلا يَعْلَمُ عَدَدَها إلا اللهُ تعالى، فإذا كان العشاء رجع مثلها سوداً. قال: فطنتم لذلك؟ قال: نعم. قال: إن تلك الطيور في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً، فترجع إلى وكورها وقد احترقت رياشها وصارت سوداً، فينبت عليها من الليل رياش بيض، وتتناثر السود، ثم تغدو فيعرضون على النار غدواً وعشياً، ثم ترجع إلى وكورها، فذلك دأبهم في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى:

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢١٩)، والدر المصون (٦/ ٤٤).

(٢) في الأصل: أجوف. والتصويب من المصادر التالية.

(٣) أخرج نحوه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٧). وذكره الماوردي (٥/ ١٥٩)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٦)، والسيوطي في الدر (٧/ ٢٩١) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي حاتم.

(٤) في الأصل: القاري. والتصويب من مصادر التخريج. وانظر ترجمته في: ضعفاء العقيلي (١/ ٣١٣).

﴿أدْخِلُوا آل فرعون أشد العذاب﴾[(١)].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن الجنة، وإن كان من أهل النار فمن النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى إليه يوم القيامة))[(٢)].

وفي هذه الآية حجة على صحة عذاب القبر.

﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر: "الساعة ادخُلوا" بالوصل وضم الخاء، والابتداء على قراءتهم بضم الهمزة. وقرأ الباقون: "أَدْخِلُوا" بهمزة مقطوعة مفتوحة وصلاً ووقفاً، وكسر الخاء[(٣)]، على معنى الأمر للملائكة بإدخال آل فرعون ﴿أشد العذاب﴾، أي: أفظع عذاب في نار جهنم.

وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه: من عاش بعد الموت (ص:٤٤)، والطبري (٢٤/ ٧١). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٩١) وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب: من عاش بعد الموت، وابن جرير.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٦٤ ح١٣١٣)، ومسلم (٤/ ٢١٩٩ ح٢٨٦٦).

(٣) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٣)، والكشف (٢/ ٢٤٥)، والنشر (٢/ ٣٦٥)، والإتحاف (ص:٣٧٩)، والسبعة (ص:٥٧٢).

أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ يتحاجون في النار﴾ أي: اذكر لقومك يا محمد إذ يتخاصمون، يعني: أهل النار في النار. وقد سبق تفسير ذلك[(١)].

قوله تعالى: ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ هو جمع تابع، كخدم وخادم. أو يكون بمعنى: إنا كنا لكم ذوي تبع.

قوله تعالى: ﴿إنا كل فيها﴾ أي: نحن وأنتم فيها.

وقرأ ابن السميفع: "كُلاًّ" بالنصب[(٢)]، على التأكيد لاسم "إنَّ" وهو معرفة، والتنوين عوض من المضاف إليه، يريد: إنا كلنا فيها.

قال الزمخشري[(٣)]: إن قلت: هل يجوز أن يكون "كلاًّ" حالاً قد عمل ["فيها"][(٤)] فيها؟

قلتُ: لا؛ لأن الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدماً، تقول: كل يوم لك ثوب، ولا تقول: قائماً في الدار زيد.

﴿إن الله قد حكم بين العباد﴾ قضى وفصل بينهم بإدخال المؤمنين الجنة وإدخال الكافرين النار.

﴿وقال الذين في النار﴾ على وجه الاستغاثة حين لم تنفعهم الاستغاثة ﴿لخزنة

---

(١) في سورة إبراهيم، آية رقم: ٢١.

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٧/ ٤٤٨)، والدر المصون (٦/ ٤٦).

(٣) الكشاف (٤/ ١٧٥).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

جهنم﴾ القُوَّامُ بأمرها، وفي ذكرها باسمها تفخيم وتهويل لها ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾.

﴿قالوا﴾ موبخين لهم قاطعين لمعذرتهم ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا﴾ كلام يلوح منه خيبتهم، دعوا أو لم يدعو.

ثم آيسوهم من استجابتهم فقالوا: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾.

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ قال أبو العالية: ننصرهم بالحجة[1].

وقيل: بالانتقام من أعدائهم[2].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٧). وذكره السيوطي في الدر (٧/ ٢٩٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٦٠).

قال السدي: ما قَتَلَ قومٌ قط نبياً أو قوماً من دعاة الحق من المؤمنين إلا بَعث الله تعالى عليهم من ينتقم لهم، فصاروا منصورين في الحياة الدنيا وإن قُتلوا[١].

وقيل: ننصرهم بجعل العاقبة لهم[٢].

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه[٣]: وفصلُ الخطاب أن نصرهم حاصل لا بُدَّ منه، فتارة يكون بإعلاء أمرهم كما أعطي داود وسليمان من المُلْك ما قهرا به كل كافر، وأظهر محمداً ﷺ على مكذبيه، وتارة يكون بالانتقام من مكذبيهم [بإنجاء الرسل وإهلاك أعدائهم، كما فعل بنوح وقومه، وموسى وقومه، وتارة يكون بالانتقام من مكذبيهم][٤] بعد وفاة الرسل، كتسليطه بختنصر على قتلة يحيى بن زكريا.

﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ عطف على ما قبله، أي: ننصرهم في الدنيا، وننصرهم يوم يقوم الأشهاد، وهو جمع شاهد؛ كصاحب وأصحاب، أو جمع شهيد، مثل: شريف وأشراف، وهم الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنون من أمة محمد ﷺ.

﴿يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: "تنفع" بالتاء؛ لتأنيث لفظ المعذرة، وقرأ الباقون بالياء[٥]؛ لأن المعذرة والعذر بمعنى

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٦٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٠).

(٣) زاد المسير (٧/ ٢٣٠).

(٤) زيادة من زاد المسير (٧/ ٢٣٠).

(٥) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٤)، والكشف (٢/ ٢٤٥)، والنشر (٢/ ٣٦٥)، والإتحاف (ص:٣٧٩)، والسبعة (ص:٥٧٢).

واحد. وقد سبق القول [في][(١)] نظائره. واليوم الثاني بدل من الأول[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ وهو جميع ما أوتيه من الآيات والمعجزات وشرائع الدين، ﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتاب﴾ التوراة.

﴿هدى وذكرى﴾ مفعول له، أو حال[(٣)].

﴿فاصبر﴾ يا محمد على ما يُجَرِّعُك قومك من الغصص ﴿إن وعد الله حق﴾ بنصرك وإعلاء كلمتك، وكون العاقبة لك ولأمتك حق كائن ثابت لا محالة.

وكثير من المفسرين يقول: الأمر بالصبر منسوخ بآية السيف[(٤)].

﴿واستغفر لذنبك﴾ قال الماوردي[(٥)]: أي من ذنب إن كان منك.

وقال الزمخشري[(٦)]: أقبل على التقوى [واستدرِكْ][(٧)] الفرطات بالاستغفار.

﴿وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ قال ابن عباس: صَلِّ الصلوات الخمس[(٨)].

وقال الحسن: هي صلاةٌ كانت قبل أن تفرض الصلوات الخمس؛ ركعتان

---

(١) زيادة على الأصل.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢١٩)، والدر المصون (٦/ ٤٧).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٤٨).

(٤) انظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٢)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٥٣).

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ١٦١).

(٦) الكشاف (٤/ ١٧٧).

(٧) في الأصل: واستدراك. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٢).

غدوة، وركعتان عشية[1].

وقيل: نزِّه ربك وأثْنِ عليه.

قوله تعالى: ﴿إنْ في صدورهم إلا كبْرٌ﴾ يعني: كفار مكة، ﴿ما هم ببالغيه﴾ أي: ما هم ببالغي موجب الكبر ومقتضاه، وهو ما كانوا يتعلقون به من الرئاسة والنفاسة عليك.

﴿فاستعذ بالله﴾ مستعيناً به مستجيراً بعزّته من كيدهم ومكرهم وبغيهم وحسدهم.

وذهب جماعة من المفسرين -منهم مقاتل[2]-: إلى أنها نزلت في اليهود، وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح بن داود -يعنون: الدّجّال- يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويَرُدُّ الملكَ إلينا، وتسيرُ معه الأنهار، وإنه من آيات الله، فأنزل الله هذه الآية، وأمره بالاستعاذة من الدجال.

﴿إنه هو السميع﴾ لما تقول ويقولون ﴿البصير﴾ بما تعمل ويعملون، فهو عاصمك منهم وناصرك عليهم.

لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٦١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٣).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ١٥٣).

أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

ولما كان معظم جدالهم في آيات الله لإنكار البعث، قال الله تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾.

وبعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ قال ابن عباس: وَحِّدُوني واعبدوني أُثِبْكم[١].

وقال السدي: سلوني أُعْطِكم[٢].

﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ يترتب على القولين.

قرأتُ على الشيخ أبي المجد محمد بن الحسين بن أحمد، أخبركم أبو منصور محمد بن أسعد المعروف بحفدة العطاري، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي[٣]، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن [أحمد][٤] بن عبدالجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن منصور، عن ذر[٥]، عن

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ١٦٢)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٤).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ١٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٤).

(٣) تفسير البغوي (٤/ ١٠٣).

(٤) في الأصل: محمد. والتصويب من تفسير البغوي (٤/ ١٠٣). وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٣٣-٤٣٥).

(٥) ذر بن عبد الله المرهبي الهمداني، أبو عمر الكوفي، كان من عُبّاد أهل الكوفة، ثقة صدوق في =

يسيع الكندي[١]، عن النعمان بن بشير[٢] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾»[٣]. هذا حديث حسن لا يُعرف إلا من حديث ذر.

قرأ ابن كثير وأبو بكر والعباس وعبدالوارث عن أبي عمرو: "سَيُدْخَلون" على البناء للمفعول. وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الخاء، على البناء للفاعل[٤].

"داخرين": صاغرين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ

الحديث، رمي بالإرجاء (تهذيب التهذيب ٣/ ١٨٩، والتقريب ص:٢٠٣).

(١) يسيع بن معدان الحضرمي، ويقال: سنان الكوفي، ثقة (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٣٣، والتقريب ص:٦٠٧).

(٢) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الله المدني، له ولأبويه صحبة، سكن الشام ثم ولي إمرة الكوفة، ثم قتل بحمص سنة خمس وستين، وله أربع وستون سنة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٩٩-٤٠٠، والتقريب ص:٥٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٦ ح٣٣٧٢).

(٤) الحجة للفارسي (٣/ ٣٥٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٦٣٥)، والكشف (٢/ ٢٤٥)، والنشر (٢/ ٢٥٢)، والإتحاف (ص:٣٧٩)، والسبعة (ص:٥٧٢).

قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

وما بعده سبق تفسيره في مواضع متفرقة[1] إلى قوله تعالى: ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ متعلق بفعل محذوف، تقديره: ثم يبقيكم لتبلغوا، أو كذلك لتكونوا. [وأما][2] قوله تعالى: ﴿ولتبلغوا أجلاً مسمى﴾ فمحمول على معنى: ولنفعل ذلك لتبلغوا أجلاً مسمى، وهو وقت الموت، وقيل: يوم القيامة.

﴿ولعلكم تعقلون﴾ ما في ذلك من العبر والحجج على قدرة الله تعالى ووحدانيته وقدرته وحكمته.

---

(١) وهي: سورة يونس آية رقم: ٦٧، والقصص آية رقم: ٧٣، والأنعام آية رقم: ٩٥، والنمل آية رقم: ٦١، والأعراف آية رقم: ٥٤ و ٢٩، والحج آية رقم: ٥.

(٢) في الأصل: فأما.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله﴾ قال ابن زيد: هم المشركون[1].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٨٣).

وقال أكثر المفسرين: نزلت في القدرية[١].

قال ابن سيرين: إن لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية، فإني لا أدري فيمن نزلت: ﴿ألم تر﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾[٢].

قال الزمخشري[٣]: إن قلت: هل قوله تعالى: ﴿فسوف يعلمون * إذ الأغلال في أعناقهم﴾ إلا مثل قولك: سوف أصوم أمس؟

قلتُ: المعنى: [هو][٤] إذاً؛ لأن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوع بها، عبّر عنها بلفظ ما كان ووجد، والمعنى على الاستقبال.

قرأ ابن مسعود وابن عباس وأبو رزين في آخرين: "والسلاسلَ" بالنصب، "يَسحبون" بفتح الياء، على عطف الجملة الفعلية على الجملة الاسمية[٥].

قال ابن عباس: إذا سحبوها كان أشد عليهم[٦].

قوله تعالى: ﴿يسجرون﴾ أي: توقد بهم النار.

وقيل: هو من سَجَرَ التنّور؛ إذا ملأه بالوقود[٧].

فمعناه: أنهم في النار وهم مسجورون بالنار، مملوءة بها أجوافهم.

﴿ثم قيل لهم﴾ توبيخاً وتبكيتاً: ﴿أينما كنتم تشركون من دون الله﴾ يعني:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٨٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٦).

(٢) مثل السابق.

(٣) الكشاف (٤/ ١٨٣).

(٤) في الأصل والكشاف: على. والمثبت من تفسير الرازي (٢٧/ ٨٧).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٧/ ٢٣٦)، والدر المصون (٦/ ٥٠).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٦).

(٧) انظر: اللسان (مادة: سجر).

الأوثان، ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ غابوا عنا.

فإن قيل: هم معهم في النار، فكيف ضلّوا عنهم؟

قلتُ: معنى الكلام: أين نَفْعُ ما كنتم تدعون من دون الله وشفاعتهم لكم، قالوا ضلّوا عنا وذهب ما كنا نرجوه من نفعها.

﴿بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً﴾ أي: ظهر لنا عند الحاجة أننا لم نكن نعبد شيئاً، كما تقول: كنت أحسب أن فلاناً شيء فإذا هو ليس بشيء.

﴿كذلك﴾ أي: مثل ضلال آلهتهم عنهم ﴿يضل الله الكافرين﴾.

﴿ذلكم﴾ الإضلال ﴿بـ﴾ سبب ﴿ما كنتم تفرحون في الأرض﴾.

وما بعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ المعنى: فمن لي أن آتي بآية من الآيات التي تقترحونها.

﴿فإذا جاء أمر الله﴾ وهو القيامة.

قوله تعالى: ﴿لتركبوا منها﴾ يريد: الإبل، ﴿ومنها﴾ أي: ومن الأنعام جميعها ﴿تأكلون﴾.

﴿ولكم فيها منافع﴾ من أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها ﴿ولتبلغوا عليها﴾ أي: على الإبل ﴿حاجة في صدوركم﴾ من حج وغزو وطلب علم وتجارة وغير ذلك، ﴿وعليها﴾ في البر ﴿وعلى الفلك﴾ في البحر ﴿تحملون﴾.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ

بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

و"ما" في قوله تعالى: ﴿فما أغنى عنهم﴾ نافية أو استفهامية، و"ما" الثانية موصولة أو مصدرية. وقد سبق تفسيره مع ما لم أذكره هاهنا.

قوله تعالى: ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ يريد: المشركين. وعِلْمُهم الذي فرحوا به: إنكارهم الوحدانية والبعث، بالشُّبه التي كانوا يدفعون بها البيِّنات. وتسمية ذلك علماً؛ تهكُّمٌ بهم.

وقيل: أراد الرسلَ عليهم الصلاة والسلام، فرحوا بما عندهم من العلم الذي آثرهم الله تعالى به حين رأوا جهل المكذبين وما حلّ بهم من العقوبة فرح شكر لله تعالى.

وقيل: فرح المرسل إليهم بما عند الرسل من العلم فرح استهزاء واستزراء، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون﴾.

قوله تعالى: ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ قال ابن عباس: هلكوا[1].

وقال الزجاج[2]: تبين لهم خُسْرانهم. والله تعالى أعلم.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٢٣٩).

(٢) معاني الزجاج (٤/ ٣٧٨).

فهرس المحتويات